الإتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

منشورات
رضى . بيدار . عزيزي

الإتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

منشورات
رضي - بيدار - عزيزي

الكتاب	الاتقان في علوم القرآن
المؤلّف	جلال الدين الاسيوطى
المحقّق	محمّد أبوالفضل ابراهيم
الطبعة	الثانية
التأريخ	١٣٦٣ ـ هـ ـ ش
الجزء	الثالث والرابع
عدد الصفحات	٧٤٤
الناشر	منشورات الرضى ـ بيدار
المطبعة	مطبعة أمير
عدد النسخ	١٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

النوع الثالث والأربعون

فى المحكم والمتشابه

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (١) ، وقد حكى ابن حبيب النيسابورىّ فى المسألة ثلاثة أقوال :

أحدهما : أن القرآن كلّه محكم ، لقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ (٢) .

الثانى : كلّه متشابه ، لقوله تعالى : ﴿كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِىَ﴾ (٣) .

الثالث - وهو الصحيح : انقسامه إلى محكَم ومتشابه ؛ للآية المصدر بها .

والجوابُ عن الآيتين : أنّ المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرّق النقص والاختلاف إليه ؛ وبتشابه كونُه يشبه بعضه بعضا فى الحقّ والصّدق والإعجاز (٤) .

وقال بعضهم : الآية لا تدلّ على الحصر فى الشيئين ، إذ ليس فيها شىء من طرقه ، وقد قال تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مانُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٥) ، والمحكَم لا تتوقّف معرفته على البيان ، والمتشابه لا يرجَى بيانُه .

وقد اختُلِف فى تعيين المحكَم والمتشابه على أقوال :

---

(١) آل عمران ٧ .

(٢) هود ١ .

(٣) الزمر ٢٣ .

(٤) نقله فى البرهان ٢ : ٦٨ .

(٥) النحل ٤٤ .

فقيل : المحكَمُ ماعُرِف المراد منه ، إمّا بالظهور وإمّا بالتأْويل ، والمتشابه ما استأْثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، وخروج الدَّجّال ، والحروف المقطَّعة فى أوائل السُّور .

وقيل : المحكم ما وَضَح معناه ، والمتشابه نقيضُه .

وقيل : المحكم مالا يحتمل من التأْويل إلاّ وجهاً واحدًا ، والمتشابه ما احتمل أوجهاً .

وقيل : المحكَم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه ؛ كأَعداد الصلوات ، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان . قاله الماوردى .

وقيل : المحكَم ما استقلّ بنفسه ، والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلاّ بردّه إلى غيره .

وقيل : المحكَم ماتأْويله تنزيله ، والمتشابه ما لايُدرَى[1] إلا بالتأْويل .

وقيل : المحكم مالم تتكرّر ألفاظه ، ومقابِله المتشابِه .

وقيل : المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال .

أخرج ابنُ أبى حاتم ، من طريق علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : المحكمات ناسخهُ ، وحلاله ، وحرامه ، وحدُوده ، وفرائضه ، وما يؤمَن به ويعمل به . والمتشابهات منسوخُه ، ومقدّمه ، ومؤخّره ، وأمثاله ، وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يعمل به .

وأخرج الفرْيابىّ عن مجاهد ، قال : المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك منه متشابه يصدّق بعضه بعضاً .

---

(١) ط : « يدرك » .

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن الربيع ، قال : المحكمات هى الآمرة[1] الزاجرة .

وأخرج عن إسحاق بن سويد ، أن يحيي بن يعمر وأبا فاختة تراجعا فى هذه الآية ، فقال أبو فاختة : فواتح السور ، وقال يحيى : الفرائض ، والأمر والنهى ، والحلال .

وأخرج الحاكم وغيره ، عن ابن عباس ، قال : الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام مُحكمات : ﴿قُلْ تَعَالَوْا ...﴾[2] والآيتان بعدها .

وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : من ها هنا ﴿قُلْ تَعَالَوا﴾ إلى ثلاث آيات ، ومن هاهنا ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ،[3] إلى ثلاث آيات بعدها .

وأخرج عبد بنُ حُميد عن الضَّحاك ، قال : المحكَمات ما لم يُنسَخ منه ، والمتشابهات ما قد نُسِخ .

وأخرج ابنُ أبي حاتم ، عن مقاتل بن حيّان ، قال : المتشابهات فيما بلغنا ﴿الۤمۤ﴾ ، و﴿المۤصۤ﴾ ، ﴿والمۤر﴾ ، ﴿الۤر﴾ .

قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما : أن المحكم الذى يُعمل به ، والمتشابه الذى يؤمَن به ولا يُعمل به .

فصل

اختُلف : هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه ، أو لا يعلمه إلاَّ الله ؟ على قولين ، منشؤهما الاختلاف فى قوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾[4] هل

(١) ط : « أوامره » .
(٢) الأنعام ١٥١ ـ ١٥٣ .
(٣) الاسراء ٢٣ ـ ٢٦ .
(٤) آل عمران ٧ .

هومعطوف و﴿يَقُولُونَ﴾حال ، أومبتدأ خبره﴿يَقُولُونَ﴾ والواو للاستئناف ؟ وعلى الأول طائفة يسيرة ، منهم مجاهد ، وهو رواية عن ابن عباس ، فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ والرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ ﴾ ، قال : أنا ممن يعلم تأويله .

وأخرج عبد بن حميد ، عن مجاهد فى قوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ ، قال : يعلمون تأويله ويقولون : آمنَّا به .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن الضَّحاك قال : الرَّاسخون فى العلم يعلمون تأويله ، ولو لم يعلموا تأويلَه لم يعلموا ناسخه من منسوخه ، ولا حلاله من حرامه ، ولا محكمه من متشابهه . واختار هذا القول النووىّ ؛ فقال فى شرح مسلم : إنه الأصحّ ؛ لأنه يبعد أن يخاطب اللهُ عبادَه بما لا سبيل لأحدٍ من الخلق إلى معرفته .

وقال ابن الحاجب : إنه الظاهر ؛ وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومَنْ بعدهم خصوصًا أهل السنة ، فذهبوا إلى الثانى ، وهو أصحّ الروايات عن ابن عباس .

قال ابن السَّمعانى : لم يذهب إلى القول الأوّل إلاَّ شِرْذِمةٌ قليلة ، واختاره العتبىّ قال : وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة ؛ لكنه سها فى هذه المسألة . قال : ولا غرو ، فإنّ لكل جواد كبوة ، ولكل عالِم هفوة .

قلت : ويدلّ لصحة مذهب الأكثرين : ما أخرجه عبد الرزّاق فى تفسيره ، والحاكم فى مستدركه ، عن ابن عباس أنّه كان يقرأ : ﴿ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُون فى العلم آمَنَّا بِهِ ﴾ (١) فهذا يدلّ على أن الواو للاستئناف ؛

(١) آل عمران ٧ .

لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة ، فأقلّ درجاتها أن يكون خبرًا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن ، فيقدّم كلامه فى ذلك على مَنْ دونه . ويؤيد ذلك أن الآية دلّت على ذمّ متّبعى المتشابه ووصفهم بالزَّيْغ وابتغاء الفتنة ، وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله ، وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب . وحكى الفرّاء أن فى قراءة أُبَىّ بن كعب أيضا ﴿ ويَقُولُ الرَّاسِخُون ﴾ .

وأخرج ابنُ أبى داود فى المصاحف من طريق الأعمش ، قال فى قراءة ابن مسعود ﴿ وإنْ تأْوِيلُهُ إلَّا عِنْدَ اللهِ والرَّاسِخُونَ فِى العلم يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة ، قالت : تلَا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَاب ... ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولُوا الأَلْبَاب ﴾ [1] قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإذا رأيت الذين يتّبعون ما تشابه منه فأُولئك الّذين سمّى الله فاحذرهم » .

وأخرج الطّبرانىّ فى الكبير عن أبى مالك الأشعرىّ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا أخاف على أمّتى إلّا ثلاث خلال : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأْخذه المؤمن يبتغِى تأْويله ، وما يعلم تأْويله إلا الله . » الحديث .

وأخرج ابن مَرْدَوَيْه ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جدّه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ القرآن لم ينزل ليكذّب بعضُه بعضًا ، فما عرفتم منه فاعملُوا به ، وما تشابه فآمنوا به » .

وأخرج الحاكم . عن ابن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « كان الكتاب الأوّل ينزل من باب واحد على حَرْف واحدٍ ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابِه

(١) آل عمران ٧ .

وأمثال ؛ فأحلُّوا حلالَه ، وحرِّموا حرامه ، وافعلوا ما أُمِرتم به ، وانتهوا عمَّا نُهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكَمه ، وآمنوا بمتشابِهه ، وقولوا آمنَّابه كل من عند ربنا ».

وأخرج البيهقيّ فى الشعب نحوه ، من حديث أبى هريرة .

وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس ، مرفوعًا : « أُنْزِل القرآن على أربعة أحرف : حلال ، وحرام ، لا يُعْذَر أحد بجهالته ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسِّره العلماء ، ومتشابه لايعلمه إلا الله ، ومن ادّعى علمه سِوَى الله فهو كاذب » ، ثم أخرجه عن وجه آخر عن ابن عباس موقوفًا بنحوه .

وأخرج ابنُ أبى حاتم من طريق العَوْفىّ ، عن ابن عباس ، قال : « نؤمن بالمحكَم ، وندين به ، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به ، وهو من عند الله كلُّه ».

وأخرج أيضًا عن عائشة قالت : « كان رسوخهم فى العلم أنْ آمنُوا بمتشابِهه ولا يعلمونه ».

وأخرج أيضًا عن أبى الشعثاء وأبى نهيك ، قال : إنَّكم تصِلون هذه الآية وهى مقطوعة .

وأخرج الدارمى فى مسنده ، عن سليمان بن يسار ، أنّ رجلا يقال له صَبِيغ ، قدِم المدينة ، فجعل يسأل عن متشابِهِ القرآن ، فأرسل إليه عمر ، وقد أعدّ لَهُ عراجين النخل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عبد الله ابن صَبيغ ، فأخذ عمر عَرجونًا من تلك العراجين ، فضربه حتى دمى رأسه ؛ وفى رواية عنده : فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دَبِرَة ، ثم تركه حتى برأ ؛ ثم عادله ؛ ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود . فقال : إن كنت

تريد قتلى فاقتلنى قتلاً جميلا ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى ألّا يجالسه أحد من المسلمين .

وأخرج الدارمىّ عن عمر بن الخطاب ، قال : إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتَبهات القرآن ، فخذوهم بالسُّنَن ، فإنَّ أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

فهذه الأحاديث والآثار تدلّ على أنّ المتشابه مما لايعلمه إلا الله ، وأنّ الخوضَ فيه مذموم ، وسيأتى قريبًا زيادة على ذلك .

قال الطِّيبىّ : المراد بالمحكم ما اتضح معناه ، والمتشابه بخلافه ؛ لأن اللفظ الذى يقبل معنًى ، إمّا أن يحتمل غيره أو لا ، والثانى النَّصّ ، والأول إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا ، والأول هو الظاهر ، والثانى إما أنْ يكون مساويَه أو لا ، والأوّل هو المجمل والثانى المؤوّل ، فالمشترك بين النَّص والظاهر هو المحكَم ، والمشترك بين المجمل والمؤوّل هو المتشابه . ويؤيد هذا التقسيم أنه تعالى أوقع المحكم مقابلا للمتشابه ، قالوا : فالواجب أن يفسَّر المحكم بما يقابله . ويعضد ذلك أسلوب الآية ، وهو الجمع مع التقسيم ؛ لأنه تعالى فرّق ماجمع فى معنى الكتاب ، بأنْ قال : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُم الكتاب وأُخَرُ مُتَشابهات ﴾ ، وأراد أن يضيف إلى كل منهما ماشاء ، فقال أولا : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم زَيغٌ ﴾ إلى أن قال : ﴿ والرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْم يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، وكان يمكن أن يقال : « وأما الذين فى قلوبهم استقامة ، فيتبعون المحكَم » لكنه وضع موضع ذلك ﴿ والرَّاسِخُون فِى العِلم ﴾ لإتيان لفظ الرسوخ ؛ لأنه لايحصل إلا بعد التتبّع[1] العام والاجتهاد البليغ ، فإذا استقام القلب على طرق الإرشاد ، ورسخ القدمُ

(١) ط : « التثبت » .

فى العلم أفصح صاحبُه النطق بالقول الحق ، وكفى بدعاء الراسخين فى العلم ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا . . . ﴾ (١) إلى آخره شاهدًا على أن ﴿ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ ﴾ مقابل لقوله : ﴿ والَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم زَيْغٌ ﴾ . وفيه إشارة إلى أن الوقْف على قوله : ﴿ إِلَّا اللهُ ﴾ تام ، وإلى أن عِلْم بعض المتشابه مختصٌ بالله تعالى . وأنّ من حاول معرفته هو الذى أشار إليه فى الحديث ، بقوله : « فاحذروهم » .

وقال بعضهم : العقل مبتلًى باعتقاد حقِّيَّة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة ، كالحكيم إذا صنَّف كتابًا أجمل فيه أحيانًا ، ليكون موضع خضوع المتعلم لأُستاذه ، وكالملك يتخذ علامة يجتاز بها مَنْ يُطلعه على سره . وقيل : لو لم يُبتلَ العقل الذى هو أشرف البدن ، لاستمرّ العالِم فى أبّهة العلم على التمرّد ، فبذلك يستأنس إلى التذلُّل بعز العبودية ، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلامًا واعترافًا بقصورِها . وفى ختم الآية بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولوا الأَلْبَاب ﴾ تعريض بالزائغين ، ومدح للرّاسخين ، يعنى مَنْ لم يتذكَّر ويتعظ ويخالف هواه ، فليس من أُولِي العقولِ . ومن ثَمّ قال الراسخون : ﴿ ربَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا . . . ﴾ إلى آخر الآية ، فخضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللَّدُنِّيّ . بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفسانىّ .

وقال الخطابىّ : المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رُدّ إلى المحكَم واعتُبربه عرف معناه ، والآخر مالا سبيل إلى الوقوف على حقيقته . وهو الذى يتَّبعه أهل الزيغ فيطلبون تأْويله ، ولايبلغون كنهَه . فيرتابون فيه فيفتتِنون .

وقال ابن الحَصار : قسّم اللهُ آياتِ القرآن إلى مُحكَم ومتشابه ، وأخبر عن المحكمات أنها أُمّ الكتاب ، لأن إليها تردّ المتشابهات ، وهى التى تعتمد فى فهم

(١) سورة آل عمران ٨ .

مراد الله من خلقه في كلِّ ماتعبّدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أُمّهات. ثم أخبر عن الّذين في قلوبهم زيغٌ أنّهم هم الذين يتّبعون ماتشابه منه ؛ ومعنى ذلك أنَّ مَنْ لم يكن على يقين من المحكَمات ، وفي قلبه شكٌ واسترابة كانت راحته في تتبّع المشكلات المتشابهات ومراد الشارع منها التقدّم إلى فهم المحكَمات ، وتقديم الأُمّهات ؛ حتى إذا حصل اليقين ورسخ العِلْم لم تُبل بما أُشكل عليك. ومراد هذا الذى في قلبه زيغ التقدّم إلى المشكلات ، وفهمُ المتشابه قبل فَهْم الأُمّهات ، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ، ومثَل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آياتٍ غير الآيات التى جاءوا بها ، ويظنّون أنّهم لوجاءتهم آيات أُخَر لآمنوا عندها جهلا منهم ، وما عَلِموا أنّ الإيمانَ بإذنِ الله تعالى . انتهى .

وقال الراغب في مفردات القرآن : الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب : محكَم على الإطلاق ، ومتشابه على الإطلاق ، ومحكَمٌ من وجه ، متشابه من وجه .

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب .

متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومن جهه المعنى فقط ، ومن جهتهما .

فالأول ضربان : أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة ؛ إما من جهة الغرابة نحو « الأبّ » و « يزفون » ، أو الاشتراك كاليد واليمين [(١)] .

وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركّب ؛ وذلك ثلاثة أضرب :

ضرب لاختصار الكلام [(٢)] ، نحو ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ [(٣)] .

(١) المفردات : « واما من جهة مشاركة في اللفظ » .

(٢) المفردات : « لبسط الكلام » . (٣) النساء ٣ .

وضرب لبسطه ، نحو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[١] ، لأنه لو قيل « ليس مثله شيء » كان أظهر للسامع .

وضرب لنظم الكلام ، نحو ﴿ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ٠ قَيِّمًا ﴾[٢] ، تقديره « أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ قيمًا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عوجًا » .

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة ؛ فإن تلك الأوصاف لاتتصوّر لنا ، إذ كان لايحصل فى نفوسنا صورة مالم نحسّه ، أو ليس من جنسه .

والمتشابه من جهتهما خمسة أضرب :

الأول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾[٣]

والثانى من جهة الكيفية كالوجوب والندب . نحو ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[٤] .

والثالث من جهة الزّمان كالناسخ والمنسوخ . نحو ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[٥]

والرابع من جهة المكان والأمور التى نزلت فيها . نحو : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾[٦] . ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ ﴾[٧] .
فإنّ من لايعرف عادتهم فى الجاهلية يتعذّر عليه تفسير هذه الآية .

الخامس من جهة الشّروط ، التى يصحّ بها الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح .

---

(١) الشورى ١١ .
(٢) الكهف ١ ، ٢
(٣) التوبة ٥ .
(٤) النساء ٣ .
(٥) آل عمران ١٠٢ .
(٦) البقرة ١٨٩ .
(٧) التوبة ٣٧ .

قال : وهذه الجملة إذا تصوّرت ، علم أن كلّ ماذكره المفسّرون فى تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم .

ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب :

ضرب لاسبيل إلى الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الدابّة ونحو ذلك .

وضرب للإنسان سبيلٌ إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة (*) .

وضرب متردد بين الأمرين ، يختص بمعرفته بعض الراسخين فى العلم ويخفى على من دونهم ، وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : «اللهم فقهّه فى الدين وعلّمه التأويل » .

وإذا عرفت هذه الجهة عرفت أن الوقف على قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾ ، ووصله بقوله : ﴿ والرَّاسِخُونَ فى الْعِلْمِ ﴾ جائز وأنَّ لكلٍّ واحد منهما وَجْهًا حَسَبْمَا دل عليه التفصيل المتقدم . انتهى [١] .

وقال الإمام فخر الدين : صرْف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لابدّفيه من دليل منفصل ، وهو إمَّا لفظىّ أو عقلىّ :

والأول لايمكن اعتباره فى المسائل الأصولية ؛ لأنه لايكون قاطعًا ؛ لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة ، وانتفاؤها مظنون ، والموقوف على المظنون مظنون ، والظنىّ لايكتفى به فى الأصول .

وأما العقلىّ ؛ فإنّما يفيد صرف اللفظ من ظاهره لكون الظاهر محالاً ، وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكنُ بالعقل ؛ لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز ، وتأويل ، على تأويل ،وذلك الترجيح لايمكن إلاَّ بالدليل اللفظى ، والدليل اللفظىّ

(١) مفردات الراغب ٢٥٤ .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٥ « القلقة » .

فى الترجيح ضعيف لايفيد إلّا الظّن ، والظن لا يعوّل عليه فى المسائل الأُصولية القطعية ؛ فلهذا اختار الأئمة المحقّقون من السّلف والخلف ـ بعد إقامة الدليل القاطع على أنّ حمل اللفظ على ظاهرة محالٌ ـ تركَ الخوض فى تعيين التأويل . انتهى .

وحسبك بهذا الكلام من الإمام !

• • •

فصل

من المتشابه آيات الصّفات ، ولابن اللّبّان فيها تصنيفٌ مفردٌ ، نحو ﴿الرَّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١) ، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ﴾ (٢) ، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ (٣) ، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى﴾ (٤) ، ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم﴾ (٥) . ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾ (٦) .

وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها ، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا نُفسّرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها .

أخرج أبو القاسم اللّالكائىّ (٧) فى السنة عن طريق قرة بن خالد ، عن الحسن ، عن أمّه ، عن أم سلمة فى قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ قالت : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر .

وأخرج أيضًا عن ربيعة بن عبد الرحمن ، أنه سُئل عن قوله : ﴿الرَّحْمَنُ

(١) طه ٥ .
(٢) القصص ٨٨ .
(٣) الرحمن ٢٧ .
(٤) طه ٣٩ .
(٥) الفتح ١٠ .
(٦) الزمر ٦٧ .

(٧) هو هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائى ، منسوب الى اللوالك التى تلبس فى الأرجل ، على خلاف القياس . ٧ كان من فقهاء الشافعية ، وصاحب كتاب السنن ، توفى سنة ٤١٨ هـ . تاريخ بغداد ١٤ : ٢٠ .

عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، فقال : الإيمان غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين ، وعلينا التصديق .

وأخرج أيضًا عن مالك ، أنه سئل عن الآية ، فقال : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بِدْعة .

وأخرج البيهقيّ عنه ، أنه قال : « هو كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف وكيف » . مرفوع .

وأخرج اللَّالكائيّ عن محمد بن الحسن ، قال : اتفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وقال التِّرمذيّ في الكلام على حديث الرؤية : المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة ، مثل سفيان الثوري ، ومالك ، وابن المبارك ، وابن عُيَيْنَة ، ووكيع وغيرهم ، أنهم قالوا : « نروى هذه الأحاديث كما جاءت ، ونؤمن بها . ولايقال : كيف ، ولا نفسّر ولا نتوهّم » .

وذهبت طائفة من أهل السُّنَّة على أنّنا نؤوّلها على ما يليق بجلاله تعالى ؛ وهذا مذهب الخلف. وكان إمام الحرمين يذهب إليه ، ثم رجع عنه . فقال في الرسالة النظامية : الَّذِي نرتضيه دينًا ، وندين الله به عقدًا ، اتباع سلف الأمة ، فإنَّهم دَرَجُوا على ترك التعرّض لمعانيها .

وقال ابن الصَّلاح : على هذه الطريقة مضَى صدْرُ الأُمَّة وسادانها ، وإياها اختار أئِمَّة الفقهاء وقادانها ، وإليها دعا أئمَّة الحديث وأعلامه ، ولا أحَد من المتكلّمين من أصحابنا يصدِف عنها ويأْباها .

واختار ابن برْهان مذهب التأْويل ؛ قال : ومنشأُ الخلاف بين الفريقين:

هل يجوز أن يكون فى القرآن شىء لم نعلم معناه ، أولا ، بل يعلمه الراسخون فى العلم ؟ .

وتوسّط ابن دقيق العيد فقال : إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً توقّفنا عنه ، وآمنّا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه ، قال : وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب ، قلنا به من غير توقيف كما فى قوله تعالى : ﴿ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ ﴾ (١) فنحمله على حق الله وما يجب له .

ذكر ما وقفت عليه من تأويل الآية المذكورة

على طريقة أهل السنة

من ذلك صفة الاستواء ، وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة :

أحدها : حكى مقاتل والكلبىّ عن ابن عباس ، أن « استوى » بمعنى استقرّ ، وهذا إن صحّ يحتاج إلى تأويل ، فإن الاستقرار يُشعر بالتجسيم .

ثانيها : أنّ « استوى » بمعنى « استولىَ » وردّ بوجهين :

أحدهما : أنّ الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلهما ، فأىّ فائدة فى تخصيص العرش !

والآخر أنّ الاستيلاء إنما يكون بعد قَهْرٍ وغلبة ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك .

أخرج اللالكائىُّ فى السنَّة عن ابن الأعرابى ، أنّه سئل عن معنى « استوى » فقال : هو على عرشه كما أخبر ، فقيل : يا أبا عبد الله معناه « استولى » ؟

---

(١) الزمر ٥٦ .

قال : اسكت ، لا يقال : استوى على الشىء إلا إذا كان له مضادّ ، فإذا غلب أحدهما قيل : استولى .

ثالثها : أنّه بمعنى صعد ، قاله أبو عبيد . وردّ بأنه تعالى منزّه عن الصُّعود أيضًا .

رابعها : أنّ التقدير : « الرحمن علا » ، أى ارتفع من العلوّ ، والعرش له استوى . حكاه إسماعيل الضرير فى تفسيره .

وردّ بوجهين : أحدهما أنه جعل « على » فعلا ، وهى حرف هنا باتفاق ، فلو كانت فعلاً لكتبت بالألف ، كقوله : ﴿ عَلاَ فِى الأَرْضِ ﴾ (١) . والآخر أنه رفع « العرش » ، ولم يرفعه أحدٌ من القرّاء .

خامسها : أنّ الكلام تم عند قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ثم ابتدأ بقوله : ﴿ اسْتَوَى لَهُ مَافِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ﴾ .

ورُدّ بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها .

قلت : ولا يتأتّى له فى قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .

سادسها : أن معنى « استوى » أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه . كقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ (٢) . أي قصد وعمد إلى خلقها . قاله الفرّاء والأشعرى وجماعة أهل المعانى . وقال إسماعيل الضرير : إنه الصّواب .

قلت : يبعده تعديته بعلى ، ولو كان كما ذكروه لتعدّى بإلى كما فى قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ (٢) .

سابعها : قال ابن اللبان : الاستواء المنسوب إليه تعالى بمعنى اعتدل ، أى

---

(١) القصص ٤ .
(٢) فصلت ١١ .

قام بالعدل ، كقوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [(١)] ، والعدل هو استواؤه ، ويرجع معناه إلى أنه أعطى بعزّته كل شىء خلقه موزونًا بحكمته البالغة .

• • •

ومن ذلك : النفس فى قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَافِى نَفْسِى ولا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [(٢)] ، ووُجِّه بأنه خرج على سبيل المشاكلة مرادًا به الغيب؛لأنه مستتر كالنفس .

وقوله : ﴿ ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ [(٣)] أى عقوبته . وقيل : إيّاه .

وقال السُّهيلىّ : النَّفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد ، وقد استعمل من لفظة النفاسة والشىء النفيس ، فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى .

وقال ابن اللَّبان : أوّلها العلماء بتأويلات : منها أن النفس عُبِّر بها عن الذّات ، قال : وهذا وإن كان سائغًا فى اللّغة ، ولكن تعدّى الفعل إليها بفى المفيدة للظرفية محال عليه تعالى . وقد أوّلها بعضهم بالغيب ؛ أى ولا أعلم ما فى غيبك وسرّك ، قال : وهذا حسن لقوله فى آخر الآية : ﴿ إنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب ﴾ [(٢)] .

• • •

ومن ذلك : الوجهُ ، وهو مؤوّل بالذات . وقال ابن اللّبان فى قوله : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [(٤)] ، ﴿ إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ [(٥)] ، ﴿ إلَّا ابتِغَاء وَجْهِ رَبِّه الْأَعْلَى ﴾ [(٦)] المراد إخلاص النيَّة .

---

(١) آل عمران ١٨ .
(٢) المائدة ١١٦ .
(٣) آل عمران ٢٨ .
(٤) الأنعام ٥٢ .
(٥) الإنسان ٩ .
(٦) الليل ٢٠ .

وقال غيره فى قوله : ﴿ فَثَمَّ وجهُ اللهِ ﴾ (١) . أى الجهة التى أمر بالتوجّه إليها .

• • •

ومن ذلك : العَيْنُ . وهى مؤوّلة بالبصر أو الإدراك ، بل قال بعضهم : إنها حقيقة فى ذلك خلافًا لتوهّم بعض الناس أنها مجاز . وإنما المجاز فى تسمية العضو بها .

وقال ابن اللبّان : نسبة العين إليه تعالى اسم لآياته المبصرة ،التى بها سبحانه ينظر للمؤمنين ، وبها ينظرون إليه ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ (٢) نسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقًا . لأنها المرادة بالعين المنسوبة إليه ، وقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾(٣) ، قال : فقوله : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فإنك بِأَعْيُنِنَا ﴾(٤) . أى بآياتنا تنظر بها إلينا ، وننظر بها إليك ، قال : ويؤيد أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علّل بها الصبر لحكم ربه . صريحًا فى قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا . فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾(٥) .قال : وقوله فى سفينة نوح ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٦) ، أى بآياتنا ، بدليل : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ (٧) وقال : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى ﴾ (٨) . أى على

---

(١) البقرة ١١٥ .
(٢) النمل ١٣ .
(٣) الأنعام ١٠٤ .
(٤) الطور ٤٨ .
(٥) الانسان ٢٣ ، ٢٤ .
(٦) القمر ١٤ .
(٧) هود ٤١ .
(٨) طه ٣٩ .

حكم آيتى التى أوحيتها إلى أمك : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ . . . . ﴾ [١] ، الآية . انتهى.

وقال، غيره : المراد فى الآيات كلاءته تعالى و حفظه .

• • •

ومن ذلك : اليد فى قوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[٢] ، ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٣] ، ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾[٤] ، ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ ﴾ [٥] ، وهى مؤولة بالقدرة .

وقال السهيلىّ : اليد فى الأصل كالبصر عبارة عن صفة لموصوف ، ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدي مقرونة مع الأبصار فى قوله : ﴿ أُولِى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [٦] ، ولم يمدحهم بالجوارح ؛ لأن المدح إنّما يتعلق بالصفات لابالجواهر ، قال : ولهذا قال الأشعرىّ : إن اليد صفة ورد بها الشرع . والذى يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة ، إلّا أنها أخصّ والقدرة أعمّ ، كالمحبّة مع الإرادة والمشيئة ؛ فإنّ فى اليد تشريفًا لازمًا .

وقال البغوى فى قوله : ﴿ بيَدَىَّ ﴾ : فى تحقيق الله التثنية فى اليد دليل على أنّها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة ، وإنما هما صفتان من صفات ذاته .

وقال مجاهد : اليد هاهنا صلة وتأكيد ، كقوله : ﴿ ويَبْقَى وجْهُ رَبِّكَ ﴾ [٧] قال البغوىّ : وهذا تأويل غير قوىّ ، لأنها لو كانت صلة لكان لإبليس أن يقول : إن كُنْتَ خلقتَه فقد خلقتَنى ، وكذلك فى القدرة والنعمة لايكون لآدم فى الخلق مزيّة على إبليس.

---

(١) القصص ٧ .
(٢) ص ٧٥ .
(٣) الفتح ١٠ .
(٤) يس ٧١ .
(٥) الحديد ٢٩ .
(٦) ص ٤٥ .
(٧) الرحمن ٢٧ .

وقال ابن اللبَّان [١] : فإن قلتَ : فما حقيقه اليدين فى خلق آدم ؟ قلت : الله أعلم بما أراد ؛ ولكن الذى استثمرته من تدبّر كتابه ، أنّ « اليدين » استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله ، ولنورها القائم بصفة عدْلِهِ . ونبَّه على تخصيص آدم وتكريمه بأنْ جمع له فى خلقه بين فضله وعدله . قال : وصاحبة الفضلِ هى اليمينُ ، التى ذكرها فى قوله : ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٢] سبحانه وتعالى .

• • •

ومن ذلك : الساق فى قوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [٣] ، ومعناه عن شدّة وأمر عظيم ، كما يقال : قامت الحرب على ساق .

أخرج الحاكم فى المستدرك من طريق عِكْرمة ، عن ابن عباس : أنه سئل عن قوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ . قال : إذا خفىَ عليكم شىء من القرآن فابتغوه فى الشعر ، فإنّه ديوان العرب ، أما سمعتم قول الشاعر :

اصبر عناق إنّه شرّ باقْ قد سنّ لى قومك ضرب الأعناقْ

« وقامت الحربُ بنا على ساقْ »

قال ابن عباس : هذا يوم كرب وشدة .

• • •

ومن ذلك : الجَنْبُ فى قوله تعالى : ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ﴾ [٤] ، أى فى طاعته وحقّه ؛ لأن التفريط إنما يقع فى ذلك ، ولا يقع فى الجنب المعهود .

• • •

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الدمشقى ، مفسر من علماء العربية ، وله كتاب « رد معانى الآيات المتشابهات الى معانى الآيات المحكمات » . توفى سنة ٧٤١ ـ الدرر الكامنة ٣ : ٣٣٠ .

(٢) الزمر ٦٧ . (٣) القلم ٤٢ .

(٤) الزمر ٥٦ .

ومن ذلك : صفة القرب فى قوله ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (٢) ، أى بالعلم .

ومن ذلك : صفة الفوقية فى قوله : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ (٣) ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ (٤) ، والمراد بها العلوّ من غير جهة ، وقد قال فرعون : ﴿ وإِنَّا فَوقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (٥) ، ولا شك أنه لم يُرِد العلوّ المكانىّ .

ومن ذلك : صفة المجئ فى قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ (٦) ، ﴿ أَوْيَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ (٧) أى أمره ؛ لأن الملَكَ إنما يأتى بأمره أو بتسليطه ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (٨) فصار كما لو صرَّح به .

وكذا قوله : ﴿ فاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ ﴾ (٩) ، أى اذهب بربك ، أى بتوفيقه وقوته .

ومن ذلك :صفة الحبّ فى قوله :﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١٠) ،﴿ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (١١) .

وصفة الغضب فى قوله : ﴿ وغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٢) .

وصفة الرضا فى قوله : ﴿ رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ (١٣) .

وصفة العجب فى قوله : ﴿ بَلْ عَجِبْتُ ﴾ (١٤) ، بضم التاء ،وقوله : ﴿ وإن تعجب فعجبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ (١٥) .

---

(١) البقرة ١٨٦ . (٢) ق ١٦ .
(٣) الأنعام ١٨ . (٤) النحل ٥٠ .
(٥) الأعراف ١٢٧ . (٦) الفجر ٢٢ .
(٧) الأنعام ١٥٨ . (٨) الأنبياء ٢٧ .
(٩) المائدة ٢٤ . (١٠) المائدة ٥٤ .
(١١) آل عمران ٣١ . (١٢) الفتح ٦ .
(١٣) المائدة ١١٩ . (١٤) الصافات ١٢ .
(١٥) الرعد ٥ .

وصفة الرحمة فى آيات كثيرة .

وقد قال العلماء : كلّ صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسّر بلازمها ، قال الإمام فخر الدين : جميع الأعراض النفسانية - أعنى الرحمة والفرح، والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء - لها أوائل ولها غايات ، مثاله الغضب فإنّ أوّله غليان دم القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فلفظ الغضب فى حق الله لايحمل على أوّله الذى هو غليان دم القلب ، بل على غرضه الذى هو إرادة الإضرار ، وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل فى النفس ، وله غرض وهو تَرْك الفعل ،فلفظ الحياء فى حقّ الله يحمل على ترك الفعل لاعلى انكِسار النفس . انتهى .

وقال الحسين بن الفضل : العجَب من الله إنكارُ الشىء وتعظيمه . وسئل الجنيد عن قوله : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ ، فقال : إن الله لايعجب من شىء . ولكن الله وافق رسوله ، فقال : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ ، أى هو كما تقول .

• • •

ومن ذلك : لفظة « عند » فى قوله تعالى : ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [1] ، و﴿ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [2] ، ومعناهما الإشارة إلى التمكين والزلفى والرفعة .

• • •

ومن ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [3] أى بعلمه ، وقوله : ﴿ وَهُوَ اللهُ فِى السَّمٰوَاتِ وفى الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ ﴾ [4] .

(١) الأعراف ٢٠٦ . (٢) المائدة ٥٢ .
(٣) الحديد ٤ . (٤) الأنعام ٣ .

قال البيهقىّ : الأصحّ أن معناه أنه المعبود فى السموات وفى الأرض ، مثل قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى فِى السَّماء إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ (١) .

وقال الأشعرىّ : الظرف متعلّق بـ « يعلم » أى عالم بما فى السموات والأرض.

• • •

ومن ذلك قوله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ (١) ، أى سنقصد لجزائكم.

تنبيه

قال ابن اللبان : ليس من المتشابه قوله تعالى : ﴿ إنَّ بطش ربك لشديد ﴾ لأنه فسّره بعده بقوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ (٢) ، تنبيها على أن بطشه عبارة عن تصرّفه فى بدئه وإعادته ، وجميع تصرفاته فى مخلوقاته .

فصـــل

ومن المتشابه أوائل السور . والمختار فيها أيضا أنها من الأسرار التى لايعلمها إلا الله تعالى ، أخرج ابن المنذر وغيره ، عن الشّعبى ، أنه سئل عن فواتح السّور ، فقال : إنّ لكلّ كتاب سرا ، وإنّ سرّ هذا القرآن فواتح السور .

وخاض فى معناها آخرون ، فأخرج ابن أبى حاتم وغيرهُ من طريق أبى الضّحى ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ قال : أنا اللهُ أعلم ، وفى قوله : ﴿ المصٓ ﴾ ، قال : أنا الله أفصِل ، وفى قوله : ﴿ الرٓ ﴾ : أنا الله أرَى .

وأخرج من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿ حمٓ ﴾ و﴿ نٓ ﴾ قال : اسم مقطّع .

وأخرج من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ﴿ الرٓ وحمٓ ونٓ ﴾ حروف الرحمن مفرّقة .

---

(١) الزخرف ٨٤ . (٢) الرحمن ٣١ .
(٣) البروج ١٢ ، ١٣ .

وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظيّ ، قال : ﴿ الر ﴾ من الرحمن .

وأخرج عنه أيضاً قال : ﴿ المص ﴾ الألف من الله ، والميم من الرحمن ، والصاد من الصمَد .

وأخرج أيضا عن الضحّاك ، في قوله : ﴿ المص ﴾ قال : أنا الله الصادق . وقيل : ﴿ المص ﴾ معناه المصوّر ، وقيل : (الر) معناه أنا الله أعلم وأرفع ، حكاهما الكِرْماني في غرائبه .

وأخرج الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في ﴿ كهيعص ﴾ ، قال : الكاف من كريم ، والهاء من هادٍ ، والياء من حكيم . والعين من عليم ، والصاد من صادق .

وأخرج الحاكم أيضاً من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ ، قال : كاف هادٍ أمين عزيز صادق .

وأخرج ابنُ أبي حاتم ، من طريق السُّدّي ، عن أبي مالك وعن أبي صالح . عن ابن عباس ، وعن مُرّة عن ابن مسعودٍ وناس من الصّحابة في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ قال : هو هجاء مقطَّع : الكاف من الملك ، والهاء من الله ، والياء والعين من العزيز والصاد من المصوِّر .

وأخرج عن محمد بن كعب مثله إلا أنه قال : والصاد من الصّمد .

وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ قال : كبير ، هادٍ ، أمين ، عزيز ، صادق .

وأخرج ابن مردَويه من طريق الكلبيّ ، عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ قال : الكاف الكافي ، والهاء الهادي ، والعين العالم ، والصاد الصادق .

وأخرج من طريق يُوسف بن عطية قال : سئل الكلبي عن ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فحدّث عن أبي صالح ،عن أم هانئ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « كافٍ ، هاد ، أمين ، عالم . صادق » .

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن عِكْرِمة في قوله : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ قال : يقول : أنا الكبير ، الهادى ، علىٌّ ، أمين ، صادق .

وأخرج عن محمد بن كعب فى قوله : ﴿ طه ﴾ ٥ قال : الطاء من ذى الطول

وأخرج عنه أيضا فى قوله﴿ طسٓمٓ ﴾٥ ، قال : الطّاء من ذى الطّول ، والسّين من القُدّوس ، والميم من الرّحمن .

وأخرج عن سعيد بن جبير ، فى قوله : ﴿ حمٓ ﴾ ، قال : حاء اشتُقّت من الرحمٰن ، وميم اشتُقّت من الرحيم .

وأخرج عن محمد بن كعب فى قوله﴿ حمٓ ٥ عٓسٓقٓ ﴾(١) ، قال : الحاءوالميم من الرّحمن والعين من العليم ، والسّين من القدوس ، والقاف من القاهر .

وأخرج عن مجاهد ، قال : فواتح السّور كلّها هجاء مقطّع .

وأخرج عن سالم بن عبد الله ، قال :﴿ الٓمٓ وحمٓ ونٓ ﴾ ونحوها اسم الله مقطعة .

وأخرج عن السّدّىّ ، قال : فواتح السوّر أسماء من أسماء الرّب جلّ جلاله فرقتْ فى القرآن .

وحكى الكَرمانىّ فى قولة : ﴿ قٓ ﴾ إنه حرف من اسمه قادر وقاهر .

وحكى غيره فى قوله :﴿ نٓ ﴾ إنه مفتاح اسمه تعالى : نور وناصر .

---

(١) الشورى ١ ، ٢ .

(**) مابينهما سقط والاضافة عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ج ٢ : ٩ .

وهذه الاقوال كلها راجعة إلى قول واحد ، وهو إنها حروف مقطعة ، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى ، والاكتفاء ببعض الكلمة معهود فى العربية قال الشاعر :

* قلتُ لها قفى فقالت قافْ * [١]

أى وقفت . وقال :

بالخير خيراتٍ وإنْ شرًّافا ولا أُريد الشرّ إلا أن تا [٢]

أراد : وإن شرًّا فشرو إلاَّ أنْ تشاء .

وقال :

ناداهم ألاَ الجموا ألاَ تَا قالوا جميعًا كُلُّهم ألافا

أراد ألاَ تركبون ، ألا فاركبوا .

وهذا القول اختاره الزجّاج . وقال : العرب تنطق بالحرف الواحد تدلّ به على الكلمة التى هو منها . وقيل إنها الاسم الأعظم ؛ إلاَّ أنَّا لانعرف تأليفه منها. كذا نقله ابن عطية .

وأخرج ابنُ جرير بسندٍ صحيح عن ابن مسعود ، قال : هو اسم الله الأعظم.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق السُّدّىّ أنه بلغه عن ابن عباس قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ اسم من أسماء الله الأعظم .

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق علىّ بن أبى طلحة، عن ابن عباس قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و ﴿ طسٓمٓ ﴾ ، و﴿ صٓ ﴾ وأشباهها قَسَم أقسم الله به ، وهو من أسماء

---

(١) الرجز للوليد بن عقبة ، الأغانى ٥ : ١٣١ وتفسير الطبرى ١ : ٢١٢ ، وبعده

لاتحسبى أنا نسينا الإرجاف *

(٢) سيبويه ٢ : ٦٢ ، وشرح شواهد الشافية ٢٦٢ .

الله ، وهذا يصلح أن يكون قولا ثالثا ، أى أنها برمّتها أسماء لله ، ويصلح أن يكون من القوْل الأول ومن الثانى . وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره . ويؤيده ماأخرجه ابن ماجة فى تفسيره من طريق نافع عن أبى نُعيم القارئ ، عن فاطمة بنت علىّ بن أبى طالب أنها سمعت علىّ بن أبى طالب يقول : يا ﴿ كٓهيٰعٓصٓ ﴾ أغفرلى ، وماأخرجه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس فى قوله : ﴿ كٓهيٰعٓصٓ ﴾ قال : مامن يجير ولا يجار عليه .

وأخرج عن أشهب ، قال : سألت مالك بن أنس : أينبغى لأحد أن يتسمّى بـ ﴿ يسٓ ﴾ ؟ فقال : ماأراه ينبغى ، لقول الله : ﴿ يسٓ ۝ والْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾[1] ، يقول : هنا اسمى (*) تسمّيت به .

وقيل هى أسماء للقرآن كالفرقان والذكْر ، أخرجه عبدالرازق عن قتادة وأخرجه ابن أبى حاتم بلفظ . « كلّ هجاء فى القرآن فَهُوَ اسم من أسماء القرآن » .

وقيل : هى أسماء للسور ، نقله الماوردى وغيره عن زيد بن أسلم ، ونسبه صاحب الكشاف إلى الأكثر .

وقيل :هى فواتح للسّور ،كما يقولون فى أولّ القصائد « بل » و « لابل »

أخرج ابن جرير ، من طريق الثورىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال :﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ و ﴿ صٓ ﴾ ، ونحوها فواتح افتتح الله بها القرآن .

وأخرج أبو الشيخ ، من طريق ابن جُريج ، قال : قال مجاهد . ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓرٰ ﴾ فواتح افتتح اللهُ بها القرآن .

قلت : ألم يكن يقول هى أسماء ! قال : لا .

(*) وفى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٠ « هذا اسم تسميت به » .

(١) سورة يس : ١ ، ٢ .

وقيل هذا حساب: «أبي جاد» لتدلّ على مدّه هذه الأمة .

وأخرج ابن إسحاق ، عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس ، عن جابر ابن عبدالله بن رياب ، قال : مرّ أبو ياسربن أخطب فى رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿ الٓمٓ ۝ ذلك الكتاب لاريب فيه ﴾ ، فأتى أخاه حُيَيّ بن أخطب فى رجال من اليهود ، فقال : تعلمون والله لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزل عليه ﴿ الٓمٓ ۝ ذَلِكَ الْكِتَاب ﴾ ، قال أنت سمعتَه ؟ قال : نعم فمشى حُيَي فى أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ألمْ تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ فقال : بلى ، فقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء مانعلمه بيّن لنبي مامدة ملكه . وما أَجَلُ أمته غيرك ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ،والميم أربعون ؛ فهذه إحدى وسبعون سنه ، أفندخل فى دين نبي إنّما مدة ملكه وأجل أُمّته إحدى وسبعون سنة ؟ ! ثم قال : يامحمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون؛ والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنه ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ﴿ الٓر ﴾ ، قال : هذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، هذه إحدى وثلاثون ومائتا سنه . هل مع هذا غيره؟ قال : نعم ﴿ الٓمٓر ﴾ قال : هذه أثقل وأطول ، هذه إحدى وسبعون ومائتان ، ثم قال : لقد لُبّس علينا أمرُك حتى ماندرى أقليلا أعطِيتَ أم كثيرًا ! ثم قال : قوموا عنه . ثم قال أبو ياسر لأخيه ومَنْ معه : مايدريكم لعلّه قد جُمع هذا كلّه لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدىوستون ومائة ، وإحدي وثلاثون ومائتان ، وإحدي وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا : لقد تشابه علينا أمرُه ، فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَاب مِنْهُ

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[1] ، وأخرجه ابن جرير من هذا الطّريق وابن المنذر ومن وجه آخر عن ابن جرير مُعْضِلاً .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية فى قوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ : قال هذه الأحرف الثلاثة من الأحرف التسعة والعشرين ، دارت بها الألسن . ليس منها حرف إلاّ وهو مفتاح اسم من أسمائه تعالى ، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ، وليس منها حرف إلاّ وهو فى مدة أقوام وآجالهم ، فالألف مفتاح اسمه : الله ، واللام مفتاح اسمه : لطيف ، والميم مفتاح اسمه : مجيد فالألف آلاء الله ، واللام لطف الله ، والميم مجد الله ، فالألف سنه واللام ثلاثون والميم أربعون قال الخُويىّ : وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ أن البيت المقدس تفتحه المسلمون فى سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ووقع كما قاله .

وقال السهيلىّ : لعلّ عدد الحروف التى فى أوائل السّور مع حذف المكرّر الإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمّة .

قال ابن حَجَر : وهذا باطل لا يعتمد عليه ، فقد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنه الزّجر عن عدّ « أبى جاد » ، والإشارة إلى أنّ ذلك من جُملة السّحر ، وليس ذلك ببعيد ، فإنه لا أصل له فى الشريعة ، وقد قال القاضى أبو بكر ابن العربىّ فى فوائد رحلته : ومن الباطل علم الحروف المقطّعة فى أوائل السّور .

وقد تحصّل لى فيها عشرون قولا وأزيد ، ولا أعرف أحدا يحكم عليها بعلم ولا يصل منها الى فهم ..

والذى أقوله : إنه لولا أنّ العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداوَلاً بينهم

(١) سورة آل عمران ٧ .

لكانوا أوّلَ من أنكر ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم، بل تلى عليهم ﴿ حمٓ ﴾ فصّلت و ﴿ صٓ ﴾ وغيرهما فلم ينكروا ذلك، بل صرّحوا بالتسليم له فى البلاغة والفصاحة مع تشوّفهم إلى عثرة وحرصهم على زلّة، فدلّ على أنه كان أمرًا معروفًا بينهم لاإنكار فيه . انتهى .

وقيل : هى تنبيهات كما فى النداء ؛ عدّه ابن عطية مغايرًا للقول بأنها فواتح ، والظاهر أنه بمعناه .

قال أبو عبيدة : (الٓمٓ) افتتاح كلام . وقال الخوَيِّى : القول بأنها تنبيهات جيّد ، لأن القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة ، فينبغى أن يَرِدَ على سمع متنبِّه ، فكان من الجائزأن يكون الله قد علم فى بعض الأوقات كون النبى صلى الله عليه وسلم فى عالم البشر مشغولاً ، فأمرجبريل بأن يقول عند نزوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓرٰ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ ، ليسمع النبىّ صوت جبريل فيقبل عليه ، ويصْغى إليه . قال : وإنما لم تُستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه كألَاوأمَا ، لأنها من الألفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامِهم ، والقرآن كلام لايشبه الكلامَ ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تُعهد ، لتكون أبلغ فى قرْعِ سمعه . انتهى .

وقيل : إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لَغَوْا فيه ، فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجَبوا منه ، ويكون تعجبّهم منه سببًا لاستماعهم ، واستماعُهم له سببا لاستماع مابعده ، فترقّ القلوب ، وتلين الأفئدة . وعدّ هذا جماعة قولا مستقلا والظاهر خلافه ، وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض الأقوال ، لاقولا فى معناه ، إذ ليس فيه بيان معنى .

وقيل : إن هذه الحروف ذُكِرت لتدلّ على أن القرآن مؤلَّف منْ الحروف التى هى : أ ، ب ، ت ، ث . .. فجاء بعضها مقطّعًا ، وجاء تمامها مؤلفًا ، ليدلّ

القوم الّذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التى يعرفونها ، فيكون ذلك تقريعا لهم ، ودلالة على عجزهم أن يأْتوا بمثله ، بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التى يعرفونها ، ويبنون كلامهم منها .

وقيل : المقصود بها الإعلام بالحروف التى يتركَّب منها الكلام ، فذكر منها أربعة عشر حرفًا ، وهى نصف جميع الحروف ، وذكر من كل جنس نصفه فمن حروف الحلق : الحاء ، والعين والهاء ،ومن التى فوقها القاف ، والكاف ومن الحرفين الشفهيَّين الميم ، ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء .

ومن الشديدة : الهمزة والطاء والقاف والكاف. ومن المطبقة: الطاء والصاد . ومن المجهورة :الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون . ومن المنفتحة :الهمزة والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ، ومن المستعلية : القاف والصاد والطاء ، ومن المنخفضة :الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ، ومن القلقلة : القاف والطاء .

ثم إنه تعالى ذكر حروفًا مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة لأن تراكيب الكلام على هذا النَّمط. ولا زيادة على الخمسة .

وقيل : هى أمارة جعلها الله لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتابًا فى أول سُور منه حروف مقطعة .

هذا ماوقفت عليه من الأقوال فى أوائل السُّور من حيث الجملة ، وفى بعضها أقوال أُخَر ، فقيل : إن طه ويٰس بمعنى : يارجُل ، أو : يا محمد أو : ياإنسان ، وقد تقدّم فى المعرب .

وقيل : هما اسمان من أسماء النبي صلى الله عليه . قال الكَرمانى فى غرائبه :

ويقويه فى يٓس قراءة « يَسنَ » بفتح النون ،وقوله : « آل ياسين » . وقيل طه أى: طَأْ الأرضَ أو اطمئنَّ ، فيكون فعل أمر والهاء مفعول ، أو للسكت أومبدله من الهمزة .

أخرج ابن أبى حاتم ، من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس فى قوله (طٰه) هو كقولك :افعل. وقيل «طه» أي يابدر ، لأن الطاء بتسعة ، والهاء بخمسة ، فذلك أربعة عشر إشارة إلى البدر ، لأنه يتم فيها . ذكره الكَرمانىّ فى غرائبه .

وقيل فى قوله : ﴿ يٓس ﴾ : أى ياسيد المرسلين ، وفى قوله : ﴿ صٓ ﴾ . صدق الله . وقيل : أقسم بالصّمد الصانع الصادق : وقيل : معناه صاد يامحمد عملك * بالقرآن ، أى عارضه به ، فهو أمرٌ من المصاداة .

وأخرج [١] عن الحسين ، قال : صاد حادث القرآن ، يعنى انظر فيه [١] .

وأخرج عن سفيان بن حسين ،قال كان الحسن يقرؤها « صاد والقرآن » يقول عارض القرآن . وقيل : «ص» اسم بَحْر عليه عرش الرحمن ، وقيل : اسم اسم بحريُحيي به الموتى وقيل: معناه صاد محمد قلوب العباد ، حكاها الكَرمانىّ كلها .

وحكى فى قوله : ﴿ المٓصٓ ﴾ أى معناه ﴿أَلَمْ نَشْرحْ لك صَدْرَك﴾ ، وفى ﴿حمٓ﴾ أنه صلى الله عليه وسلم ، وقيل : معناه « حمٓ » ماهو كائن ، وفى ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ [٢] أنه جبل قاف ، وقيل : « قٓ » جبل محيط بالأرض . أخرجه عبدالرزاق عن مجاهد .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٢ « علمك » .

(١–١) ساقط من الأصل ، واثبته من ط . (٢) الشورى : ١ ، ٢ .

وقيل : أقسم بقوّة قلب محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : هى القاف من قوله : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ دلّت على بقية الكلمة . وقيل : معناها قف يامحمد على أداء الرسالة ، والعمل بما أمرت ، حكاهما الكرمانى .

وقيل : «نٓ» هو الحوت. أخرج الطّبرانىّ عن ابن عباس ، مرفوعا : « أوّل ماخلق الله القلم والحوت . قال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : كل شىء كائن إلى يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ ﴾ ، فالنون الحوت ، والقاف القلم وقيل هو اللوح المحفوظ. .

أخرجه ابن جرير من مرسَل بن قُرّة مرفوعا .

وقيل : هو الدواة ، أخرجه عن الحسن وقتادة .

وقيل : هو المداد ، حكاه ابن قتيبة فى غريبة .

وقيل : هو القلم ، حكاه الكرمانى عن الجاحظ .

وقيل : هم اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، حكاه ابن عساكر فى مبهماته .

وفى المحتسب لابن جنّى : أن ابن عباس ،قرأ « حٓمسق » بلاعين ؛ ويقول : السين كلّ فرقة تكون ، والقاف كل جماعة تكون .

قال ابن جنّى : وفى هذه القراءة دليل على أنّ الفواتح فواصل بين السور ، ولو كانت أسماء الله لم يجز تحريف شىء منها ؛ لأنها لا تكون حينئذٍ أعلاما ؛ والأعلام تؤدى بأعيانها ، ولا يحرّف شىء منها .

وقال الكرمانىّ فى غرائبه فى قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۚ أَحَسِبَ النَّاسُ [1] ﴾ : الاستفهام هنا يدلّ على انقطاع الحروف عمّا بعدها فى هذه السّورة وغيرها .

---

(١) سورة العنكبوت ١ ، ٢ .

خاتمة

أورد بعضهم سؤالا وهو أنه : هل للمحكم مزيّة على المتشابه أو لا ؟ فإن قلتم بالثانى فهو خلاف الإجماع . أو بالأول فقد نقضتم أصلكم فى أن جميع كلام الله سبحانه وتعالى سواء ، وأنه منزَّل بالحكمة !

وأجاب أبو عبد الله البكراباذىّ ، بأن المحكم كالمتشابه من وجهٍ ، ويخالفه من وجهٍ ، فيتَّفقان فى أن الاستدلال بهما لا يمكن إلاَّ بعد معرفة حكمة الواضع ، وأنه لا يختار القبيح ، ويختلفان فى أن المحكَم بوضع اللغة لا يحتمل إلاَّ الوجه الواحد ؛ فمن سمعه أمكنه أن يستدّل به فى الحال ، والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر ؛ ليحمله على الوجه المطابقِ ؛ ولأن المحكَم أصلٌ ، والعلم بالأصل أسبق ، ولأن المحكَم يُعْلَم مفصّلا ، والمتشابه لا يُعلم إلاَّ مجملاً .

وقال بعضهم : إن قيل : ما الحكمة فى إنزال المتشابه ممن أراد لعباده به البيان والهدى ؟ قلت : إن كان مما يمكن علمه ، فله فوائد :

منها الحثّ للعلماء على النَّظر الموجب للعلم بغوامضه ، والبحث عن دقائقه فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرَب .

ومنها ظهور التفاضلُ ، وتفاوت الدّرجات ؛ إذ لو كان القرآن كلّه محكَمًا لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخَلْق ، ولم يظهر فضل العالم على غيره .

وإنَّ كان مما لا يمكن علمه فله فوائد :

منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم والتعبّد بالاشتغال به من جهة التِّلاوة كالمنسوخ ؛ وإن لم يجز العمل بما فيه وإقامة

الحجّة عليهم لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم دلّ على أنه نزل من عند الله ؛ وأنّه الذى أعجزهم عن الوقوف على معناه .

وقال الإمام فخر الدين : من الملحدة مَنْ طعن فى القرآن ؛ لأجل اشتماله على المتشابهات ، وقال : إنكم تقولون : إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة ؛ ثم إنا نراه بحيث يتمسّك به صاحب كل مذهب على مذهبه ؛ فالجبرىّ متمسّك بآيات الجبر كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [١] والقدرىّ يقول : هذا مذهب الكفار ، بدليل أنه تعالى حكى ذلك عنهم فى معرض الذّم فى قوله : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِى آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ [٢] ، وفى موضع آخر : ﴿ وقالوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [٣] . ومنكر الرؤية متمسك بقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [٤]

ومثبت الجهة متمسّك بقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [٥] ، ﴿ الرَّحْمن عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [٦] ، والنّافى متمسك بقوله تعالى : ﴿ لَيْس كَمِثْلِهِ شَىء ﴾ [٧] .

ثم يسمّى كل واحد الآيات الموافقةَ لمذهبه محكمة ، والآياتَ المخالفة له متشابهة ؛ وإنما آل فى ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفيّة ووجوه ضعيفة ؛ فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجوع إليه فى كل الدّين إلى يوم القيامة هكذا ؟!

---

(١) الأنعام ٢٥
(٢) فصلت ٥
(٣) البقرة ٨٨
(٤) الأنعام ١٠٣
(٥) النحل ٥٠
(٦) طه ٥
(٧) الشورى ١١

قال : والجواب أنّ العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد :

منها أنه يُوجب مزيد المشقّة فى الوصول إلى المراد ، وزيادة المشقة توجب مزيدَ الثواب .

ومنها أنه لو كان القرآن كلُّه محكَمًا لما كان مطابقًا إلّا لمذهب واحد ؛ وكان بصريحه مبطلا لكلّ ما سوى ذلك المذهب ، وذلك مما ينفِّر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به ؛ فإذا كان مشتملاً على المحكَم والمتشابه طمع صاحبُ كلّ مذهب أن يجدَ فيه ما يؤيِّد مذهبه ، وينصر مقالتَه ، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ، ويجتهد فى التأمُّل فيه صاحب كلّ مذهب ، وإذا بالغُوا فى ذلك صارت المحكمات مفسِّرة للمتشابهات ، وبهذا الطريق يتخلّص المبطل من باطله ، ويتّصل إلى الحق .

ومنها أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه ، افتقر إلى العلم بطريق التأويلات ، وترجيح بعضها على بعض ، وافتقر فى تعلُّم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنَّحو والمعانى والبيان وأُصول الفقه ، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة ؛ فكان فى إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة .

ومنها أنّ القرآن مشتمِلٌ على دعوة الخواصّ والعوامّ ، وطبائع العوامّ تنفر فى أكثر الأمر عن درَك الحقائق ، فمن سمع من العوامّ فى أوّل الأمر إثباتَ موجود ليس بجسم ولا متحيّز ولا مشار إليه ظن أنّ هذا عدمٌ ونفى ، فوقع التعطيل ؛ فكان الأصلح أن يخاطَبوا بألفاظ دالّة على بعض ما يناسب ما توهّموه وتخيّلوه ؛ ويكون ذلك مخلوطًا بما يدلّ على الحقّ الصريح ، فالقسم الأول وهو الذى يخاطَبون به فى أول الأمر يكون من المتشابهات ، والقسم الثانى وهو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر من المحكمات .

النوع الرابع والأربعون

فى مقدمه ومؤخره

وهو قسمان :

(الأول) : ما أشكل معناه ، بحسب الظاهر ، فلمّا عرف أنه من باب التقديم والتأخير ، اتّضح . وهو جدير أن يفردَ بالتصنيف ، وقد تعرّض السلف لذلك فى آيات :

فأخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنْيَا ﴾ (١) ، قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول : « لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة » .

وأخرج عنه أيضًا فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ (٢) ، قال : هذا من تقاديم الكلام ، يقول : «لولا كلمة وأجلٌ مسمى لكان لزامًا » .

وأخرج عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا ﴾ (٣) ، قال : هذا من التقديم والتأخير ، « أنزل على عبده الكتاب قيّما ولم يجعل له عوجًا » .

وأخرج عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ (٤) ، قال : هذا من المقدّم والمؤخّر ، أى « رافعك إلىّ ومتوفيك » .

---

(١) التوبة ٨٥
(٢) طه ١٢٩
(٣) الكهف ١ ، ٢
(٤) آل عمران ٥٥

وأخرج عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾(١) ، قال : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : « لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا » .

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾(٢) ، قال : هذه الآية مقدمة ومؤخرة ، إنما هى « أذاعوا به إلا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير » .

وأخرج عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾(٣) ، قال : إنهم إذا رأوا الله ، فقد رأوه ، إنما قالوا : « جهرة أرنا الله » ، قال : هو مقدّم ومؤخّر . قال ابن جرير : يعنى أن سؤالهم كان جهرة .

ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾(٤) ، قال البَغَوىّ : هذه أول القصة ، وإن كان مؤخرًا فى التلاوة . وقال الواحدىّ : كان الاختلاف فى القاتل قبل ذبح البقرة ؛ وإنما أُخِّر فى الكلام لأنه تعالى لمّا قال : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ ... ﴾(٥) ، الآية ، علم المخاطبون أنّ البقرة لا تُذبح إلاَّ للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم ، فلما استقرّ علم هذا فى نفوسهم أتبع بقوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادَّارَأْتُمْ فِيها ﴾(٤) فسألتم موسى ، فقال : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾(٥) .

ومنه : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾(٦) : والأصل « هواه إلٰهه » ، لأن مَن اتخذ إلٰهه هواه غير مذموم ، فقدّم المفعول الثانى للعناية به .

(١) ص ٢٦
(٢) النساء ٨٣
(٣) النساء ١٥٣
(٤) البقرة ٧٢
(٥) البقرة ٦٧
(٦) الفرقان ٤٣

وقوله : ﴿ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ (١) ، على تفسير « أحوى » بالأخضر . وجعله نعتًا للمرعى ، أى أخرجه أحوَى ، وأُخِّر رعاية للفاصلة .

وقوله : ﴿ وغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (٢) ، والأصل « سود غرابيب » ، لأن الغِربيب الشديد السّواد .

وقوله : ﴿ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا ... ﴾ (٣) ، أى فبشرناها فضحكت .

وقوله : ﴿ ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ (٤) ، أى لهمّ بها ، وعلى هذا فالهمّ منفىّ عنه .

(الثانى) : ما ليس كذلك ، وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه « المقدّمة فى سر الألفاظ المقدّمة » ، قال فيه : الحكمة الشائعة الذائعة فى ذلك الاهتمام كما قال سيبويه فى كتابه : كأنهم يقدّمون الذى بيانه أهمّ ، وهمْ ببيانه أعنى .

قال : هذه الحكمة إجمالية ، وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره ، فقد ظهر لى منها فى الكتاب العزيز عشرة أنواع :

الأول : التبرّك كتقديم اسم الله تعالى فى الأمور ذات الشأن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسولِ . . . ﴾ (٦) الآية .

الثانى : التعظيم ، كقوله : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ ﴾ (٧) ، ﴿ إِنَّ اللهَ

(١) الأعلى ٤ ، ٥
(٢) فاطر ٢٧
(٣) هود ٧١
(٤) يوسف ٢٤
(٥) آل عمران ١٨
(٦) الأنفال ٤١
(٧) النساء ٦٩

وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ ﴾ (١) ، ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ (٢) .

الثالث : التشريف ، كتقديم الذكر على الأُنثى ، نحو ﴿ إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ (٣) الآية ، والحرّ فى قوله : ﴿ الْحُرُّ بِالْحرِّ وَالْعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى ﴾ (٤) ، والحيّ فى قوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ .. ﴾ (٥) الآية ، ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ ﴾ (٦) ، والخيل فى قوله : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ (٧) ، والسمع فى قوله : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴾ (٩) ، وقوله : ﴿ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ ﴾ (١٠) حكى ابن عطية عن النّقّاش أنه استدلّ بها على تفضيل السمع على البصر ، ولذا وقع فى وصفه تعالى : ﴿ سَمِيعٌ بَصِير ﴾ (١١) ، بتقديم « السميع » .

ومن ذلك تقديمه صلى الله عليه وسلم على نوح ومن معه فى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ومِنْكَ وَمِن نُوحٍ . . . ﴾ (١٢) الآية ، وتقديم الرسول فى قوله : ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ ﴾ (١٣) ، وتقديم المهاجرين فى قوله ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ﴾ (١٤) ، وتقديم الإنس على الجنّ حيث ذكرا فى القرآن ، وتقديم النبيّين ، ثمّ الصّدّيقين ، ثم الشهداء ، ثمّ الصالحين فى آية النساء ، وتقديم إسماعيل على إسحاق لأنه أشرف بكون

(١) الأحزاب ٥٦ — (٢) التوبة ٦٢
(٣) الأحزاب ٣٥ — (٤) البقرة ١٧٨
(٥) الأنعام ٩٥ — (٦) فاطر ٢٢
(٧) النحل ٨ — (٨) البقرة ٧
(٩) الاسراء ٣٦ — (١٠) الأنعام ٤٦
(١١) الحج ٦١ — (١٢) الأحزاب ٧
(١٣) الحج ٥٢ — (١٤) التوبة ١٠٠

النبيّ صلى الله عليه وسلم من ولده وأسنّ (*) وتقديم موسى على هارون لاصطفائه بالكلام ، وقدم هارون عليه فى سورة طه رعاية للفاصلة (*) وتقديم جبريل على ميكائيل فى آية البقرة ؛ لأنه أفضل ، وتقديم العاقل على غيره فى قوله : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ ولأنْعَامكُمْ ﴾ (١) ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ والأرْض والطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾ (٢)

وأما تقديم الأنعام فى قوله : ﴿ تَأْكُلُ مِنْهُ أنْعَامُهُمْ وَأنْفُسُهُمْ ﴾ (٣) ، فلأنه تقدّم ذكر الزرع ، فناسب تقديم الأنعام ، بخلاف آية « عبس » ؛ فإنه تقدّم فيها : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلَى طَعَامه ﴾ (٤) ، فناسب تقديم « لكم » وتقديم « المؤمنين » على « الكفار » فى كلّ موضع ، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال ، والسماء على الأرض ، والشمس على القمر حيث وقع إلّا فى قوله : ﴿ خَلَقَ الله سَبْعَ سَمٰوَات طبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فيهِنَّ نُورًا وجَعَلَ الشَّمْسَ سرَاجًا ﴾ (٥) ، فقيل : لمراعاة الفاصلة ، وقيل : لأنّ انتفاع أهل السموات العائد عليهنّ الضمير به أكثر .

وقال ابن الأنبارىّ : يقال إنّ القمر وجْهُه يضيء لأهل السّموات وظهره لأهل الأرض ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فيهنّ ﴾ ، لمّا كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

ومنه تقديم الغيب على الشهادة فى قوله : ﴿ عَالمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةَ ﴾ (٦) ، لأن علمَه أشرف ، وأما ﴿ فإنهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأخْفَى ﴾ (٧) فأُخّر فيه رعاية للفاصلة .

الرابع : المناسبة ، وهى إمّا مناسبة المتقدّم لسياق الكلام ، كقوله :

(*-*) مابينهما من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٥ .

(١) النازعات ٣٣
(٢) النور ٤١
(٣) السجدة ٢٧
(٤) عبس ٢٤
(٥) نوح ١٥ ، ١٦
(٦) الزمر ٤٦
(٧) طه ٧

﴿ وَلَكُمْ فيهَا جَمَالٌ حينَ تُرِيحُونَ وحينَ تَسرَحُونَ ﴾ (١) ؛ فإن الجمال بالجمال ، وإن كان ثابتًا حالَتى السَّراح والإراحة ، إلا أنها حالة إرَاحتها ـ وهو مجيئها من المرعى آخر النهار ـ يكون الجمَال بها أفخر ، إذ هى فيه بطان ، وحالةُ سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دونَ الأول ، إذ هى فيه خماص (٢) . ونظيره قوله : ﴿ والَّذينَ إذَا أنفقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ (٣) قدَّم نفى الإسراف لأن السرف فى الإنفاق .

وقوله : ﴿ يُرِيكُم البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (٤) ؛ لأن الصواعق تقع مع أول برقة ، ولايحصل المطر إلا بعد توالى البرقات .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وابْنَهَا آيَةً للْعَالَمينَ ﴾ (٥) ، قدَّمها على الابن لمّا كان السياق فى ذكرها فى قوله : ﴿ والَّتى أحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (٦) ، ولذلك قدّم الابن فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وَأُمَّه آيَةً ﴾ (٧) ، وحسَّنه تقدّم موسى فى الآية قبله .

ومنه قوله : ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعلْمًا ﴾ (٨) ، قدّم الحكم وإن كان العلم سابقًا عليه ؛ لأن السياق فيه لقوله فى أول الآية : ﴿ إذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ ﴾ (٩)

وإما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر ، كقوله : ﴿ الأولُ وَالآخرُ ﴾ (١٠) ﴿ وَلَقَدْ عَلمْنَا المستَقْدمينَ منكُمْ وَلَقَد عَلمْنَا المسْتَأْخِرِينَ ﴾ (١١) ، ﴿ لمَنْ شَاء منكُمْ أنْ يَتَقَدَّم أوْ يَتَأخَّرَ ﴾ (١٢) ، ﴿ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (١٣) ، ﴿ ثُلَّةٌ منَ

---

(١) النحل ٦
(٢) البطنة : امتلاء البطن ، والخمص : الجوع
(٣) الفرقان ٦٧
(٤) الروم ٢٤
(٥) الأنبياء ٩١
(٦) الأنبياء ٩١
(٧) المؤمنون ٥٠
(٨) الأنبياء ٧٩
(٩) الأنبياء ٧٨
(١٠) الحديد ٣
(١١) الحجر ٢٤
(١٢) المدثر ٣٧
(١٣) القيامة ١٣

الأولين ، وثلة من الآخرين ﴾[١] ، ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾[٢] ، ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾[٣] ، وأما قوله : ﴿ فلله الآخرة والأولى ﴾[٤] ، فلمراعاة الفاصلة ، وكذا قوله : ﴿ جمعناكم والأولين ﴾[٥] ..

الخامس : الحث عليه والحضّ على القيام به ؛ حذرًا من التهاون به . كتقديم الوصية على الدين في قوله : ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين ﴾[٦] مع أن الدين مقدّم عليها شرعًا .

السادس : السبق ، وهو إمّا في الزمان باعتبار الإيجاد بتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور ، وآدم على نوح ، ونوح على إبراهيم ، وإبراهيم على موسى ، وهو على عيسى ، وداود على سليمان ، والملائكة على البشر في قوله : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾[٧] وعاد على ثمود ، والأزواج على الذريّة في قوله : ﴿ قل لأزواجك وبناتك ﴾[٨] .

والسِّنَة على النوم في قوله : ﴿ لا تأخذه سِنَة ولا نوم ﴾[٩] .

أو باعتبار الإنزال ، كقوله : ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾[١٠] ، ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل ، من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾[١١] .

أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو : ﴿ اركعوا واسجدوا ﴾[١٢] ﴿ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم . . . ﴾[١٣] الآية ، ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾[١٤] ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « نبدأ بما بدأ الله به » .

(١) الواقعة ٣٩ ، ٤٠
(٢) الروم ٤
(٣) القصص ٧٠
(٤) النجم ٢٥
(٥) المرسلات ٣٨
(٦) النساء ١١
(٧) الحج ٧٥
(٨) الأحزاب ٢٨
(٩) البقرة ٢٥٥
(١٠) الأعلى ١٩
(١١) آل عمران ٣ ، ٤
(١٢) الحج ٧٧
(١٣) المائدة ٦
(١٤) البقرة ١٥٨

أو بالذات ، نحو : ﴿ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (١) ، ﴿ مَايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَاخَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ (٢) وكذا جميع الأعداد كل مرتبة هى متقدّمة على ما فوقها بالذات ، وأما قوله : ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ﴾ (٣) فللحثّ على الجماعة والاجتماع على الخير .

السابع : السببية كتقديم العزيز على الحكيم ؛ لأنه عزّ فحكَم ، والعليم عليه ؛ لأن الإحكام والإتقان ناشىء عن العلم . وأما تقديم الحكيم عليه فى سورة الأنعام فلأنه مقام تشريع الأحكام .

ومنه تقديم العبادة على الاستعانة فى سورة الفاتحة ؛ لأنها سبب حصول الإعانة ، وكذا قوله : ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٤) ؛ لأن التوبة سبب الطهارة ، ﴿ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (٥) ؛ لأن الإفك سبب الإثم ﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ (٦) ؛ لأنّ البصر داعية إلى الفرج.

الثامن : الكثرة ، كقوله : ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ (٧) ؛ لأنّ الكفار أكثر ، ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ . . . ﴾ (٨) الآية ، قدّم الظالم لكثرته ثم المقتصِد ، ثم السابق ، ولهذا قدّم السارق على السارقة ، لأن السرقة فى الذكور أكثر ، والزانية على الزانى لأن الزنى فيهنّ أكثر .

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع فى القرآن غالبًا ، ولهذا وَرَدَ : « إنّ رحمتى غلبت غضبى » .

وقوله : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (٩) ، قال

---

(١) النساء ٣
(٢) المجادلة ٧
(٣) سبأ ٤٦
(٤) البقرة ٢٢٢
(٥) الجاثية ٧
(٦) النور ٣٠
(٧) التغابن ٢
(٨) فاطر ٣٢
(٩) التغابن ١٤

ابن الحاجب فى أماليه : إنما قدم الأزواج لأن المقصود الإخبار أنّ فيهم أعداء، ووقوع ذلك فى الأزواج أكثر منه فى الأولاد ، وكان أقعد فى المعنى المراد فقدّم؛ ولذلك قدِّمت الأموال فى قوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١) ؛ لأنّ الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة ، ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (٢) ؛ وليست الأولاد فى استلزام الفتنة مثلها ، فكان تقديمها أولَى .

التاسع : الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، كقوله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا . . . ﴾ (٣) الآية ، بدأ بالأدنى لغرض الترقّى ؛ لأن اليد أشرف من الرِّجْل ، والعين أشرف من اليد ، والسمع أشرف من البصر ومن هذا النوع تأخير الأبلغ ، وقد خرّج عليه تقديم الرحمن على الرحيم ، والرءوف على الرحيم ، والرسول على النبىّ ، فى قوله : ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا ﴾ (٤) ، وذكر لذلك نكت أشهرها مراعاة الفاصلة .

العاشر : التدلِّى من الأعلى إلى الأدنى ، وخرّج عليه : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (٥) ، ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ (٦) ، ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٧) .

هذا ماذكره ابن الصائغ (٨) ، وذكر (*) غيره أسبابًا أُخَر : منها كونه أدَلّ على القدرة وأعجب ، كقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ . . . ﴾ (٩)

---

(١) التغابن ١٥ (٢) العلق ٦ ، ٧
(٣) الأعراف ١٩٥ (٤) مريم ٥١
(٥) البقرة ٢٥٥ (٦) الكهف ٤٩
(٧) النساء ١٧٢

(٨) هو محمد بن عبد الرحمن بن على شمس الدين الحنفى ، من علماء مصر فى القرن الثامن، اشتغل بالتأليف والتصنيف ، وكتابه المقدمة ذكره صاحب كشف الظنون . توفى سنة ٨٧٦هـ . وانظر الدرر الكامنة ٣ : ٩٩ .

(٩) النور ٤٥

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٦ « وزاد » .

الآية ، وقوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ ﴾ (١) ، قال الزمخشرىّ : قدّم الجبال على الطَّير ، لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة ، وأدخل فى الإعجاز ، لأنها جماد والطير حيوان ناطق .

ومنها رعاية الفواصل ، وسيأتى لذلك أمثلة كثيرة .

ومنها إفادة الحصر للاختصاص ، وسيأتى فى النوع الخامس والخمسين .

تنبيه

قد يُقَدَّم لفظ فى موضع ويؤخَّر فى آخر ، ونكتة ذلك إمّا لكون السِّياق فى كلّ موضع يقتضى ماوقع فيه كما تقدمت الإشارة إليه ، وإما لقصد البداءة والخَتم به للاعتناء بشأنه ، كما فى قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ . . ﴾ (٢) الآيات ، وإمّا لقصد التَّفنُّن فى الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب ، كما فى قوله : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (٥) .

وقال فى الأنعام : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ (٦) .

---

(١) الأنبياء ٧٩ (٢) آل عمران ١٠٦
(٣) البقرة ٥٨ (٤) الأعراف ١٦١
(٥) المائدة ٤٤ (٦) الأنعام ٩١

النوع الخامس والأربعون

فى عامّه وخاصّه

العامّ لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ، وصيغته « كلّ » مبتدأة نحو : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [(١)] ، أو تابعة ، نحو : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [(٢)] .

وَالَّذِى وَالَّتِى وتثنيتهما وجمعهما ، نحو : ﴿ وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ﴾ [(٣)] ، فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول ، بدليل قوله بعد : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ [(٤)] ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [(٥)] ، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَة ﴾ [(٦)] ، ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ﴾ [(٧)] ﴿ وَاللَّائِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ ... ﴾ [(٨)] الآية ، ﴿ وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا .. ﴾ [(٩)] الآية ، ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا ﴾ [(١٠)] .

وأىّ ، وما ، ومَنْ ، شرطًا واستفهامًا وموصولا ، نحو : ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [(١١)] ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [(١٢)] ، ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [(١٣)] .

---

(١) الرحمن ٢٦
(٢) الحجر ٣٠
(٣) الأحقاف ١٧
(٤) الأحقاف ١٨
(٥) البقرة ٨٢
(٦) يونس ٢٦
(٧) آل عمران ١٥
(٨) الطلاق ٤
(٩) النساء ١٥
(١٠) النساء ١٦
(١١) الاسراء ١١٠
(١٢) الأنبياء ٩٨
(١٣) النساء ١٢٣

والجمع المضاف ، نحو : ﴿ يوصيكم الله فى أولادكم ﴾[(١)] ، والمعرّف بأل نحو : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾[(٢)] ، ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾[(٣)] .

واسم الجنس المضاف ، نحو : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾[(٤)] ، أى كلّ أمر الله .

والمعرّف بأل ، نحو ﴿ وأحلّ الله البيع ﴾[(٥)] . أى كلّ بيع ، ﴿ إنّ الإنسان لفى خسر ﴾ ، أى كلّ إنسان ، بدليل : ﴿ إلاّ الذين آمنوا ﴾[(٦)] .

والنكرة فى سياق النفى والنهى ، نحو : ﴿ فلا تقل لهما أفّ ﴾[(٧)] ، ﴿ وإن من شىء إلاّ عندنا خزائنه ﴾[(٨)] ، ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه ﴾[(٩)] . ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحجّ ﴾[(١٠)] . وفى سياق الشرط ، نحو : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾[(١١)] . وفى الامتنان ، نحو : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾[(١٢)] .

• • •

فصل

العام على ثلاثة أقسام :

الأول : الباقى على عمومه ، قال القاضى جلال الدين البُلقينى . ومثاله عزيز إذ ما من عامّ إلا ويتخيّل فيه التخصيص ؛ فقوله : ﴿ يأيّها النّاس اتّقوا ربّكم ﴾[(١٣)]

---

(١) النساء ١١
(٢) المؤمنون ١
(٣) التوبة ٥
(٤) النور ٦٣
(٥) البقرة ٢٧٥
(٦) العصر ٢ ، ٣
(٧) الاسراء ٢٣
(٨) الحجر ٢١
(٩) البقرة ٢
(١٠) البقرة ١٩٧
(١١) التوبة ٦
(١٢) الفرقان ٤٨
(١٣) الحج ١

قد يخصّ منه غير المكلّف ، وَ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ (١) خصّ منها حالة الاضطرار ، وميتة السمك والجراد ، وحرم الرّبا خصّ منه العرايا.

وذكر الزركشى فى البرهان أنّه كثير فى القرآن، وأوردمنه : ﴿ وأنّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ ﴾(٢) ﴿ إنّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾(٣) ، ﴿ولَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٤) ﴿ واللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ (٥) ﴿ اللهُ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾ (٦) .

قلت : هذه الآيات كلُّها فى غير الأحكام الفرعية ، فالظاهر أن مُراد البلقينيّ أنه عزيز فى الأحكام الفرعيّة . وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها ، وهى قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... ﴾ (٧) الآية ، فإنه لاخصوص فيها .

الثانى : العامّ المراد به الخصوص .

الثالث : العام المخصوص ، وللناس بينهما فروق .

أن الأوّل لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لامن جهة تناول اللفظ ، ولامن جهة الحكم ، بل هو ذو أفراد استعمل فى فرد منها .

والثانى أريد عمومه وشموله لجميع الأفراد ، من جهة تناول اللفظ لها ، لامن جهة الحكم .

ومنها أن الأوّل مجاز قطعًا لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلىّ بخلاف الثانى فإنّ فيه مذاهب أصحّها أنه حقيقة ، وعليه أكثر الشافعية وكثير من الحنفية

---

(١) المائدة ٣ (٢) المائدة ٩٧
(٣) يونس ٤٤ (٤) الكهف ٤٩
(٥) فاطر ١١ (٦) غافر ٦٤
(٧) النساء ٢٣

وجميع الحنابلة ، ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء . وقال الشيخ أبو حامد : إنه مذهب الشافعيّ وأصحابه . وصحّحه السبكيّ ؛ لأنّ تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص . وذلك التناول حقيقيّ اتفاقًا ، فليكن هذا التناول حقيقيًّا أيضًا .

ومنها أن قرينة الأوّل عقلية والثاني لفظية .

ومنها أن قرينة الأوّل لا تنفك عنه ، وقرينة الثاني قد تنفكّ عنه .

ومنها أن الأوّل يصحّ أن يُراد به واحد اتفاقًا ، وفي الثاني خلاف .

ومن أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى : ﴿ الذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ (١) والقائل واحد [هو] * نعيم بن مسعود الأشجعيّ أو أعرابيٌّ من خُزاعة ، كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع ؛ لقيامه مقام كثير في تثبيط المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان .

قال الفارسيّ : ومما يقوىّ أن المراد به واحد قوله : ﴿ إنَّمَا ذلكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ (٢) فوقعت الإشارة بقوله « ذلكم » إلى واحد بعينه . ولو كان المعنى جمعًا لقال : « إنَّمَا أُولئكم الشَّيْطَان » ، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ (٣) ، أي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة .

ومنها قوله : ﴿ ثُمَّ أفيضُوا منْ حَيْثُ أفَاضَ النَّاس ﴾ (٤) أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله : ﴿ مِنْ حَيْثُ أفاض الناس ﴾ . قال، إبراهيم :

ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير : « منْ حَيْثُ أفَاضَ النَّاسِي » قال في

(١) آل عمران ١٧٣ (٢) آل عمران ١٧٥

(٣) النساء ٥٤ (٤) البقرة ١٩٩

(*) اضافة على الأصول .

المحتسب : يعنى آدم ، لقوله : (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) [١] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ [٢] أى جبريل ، كما فى قراءة ابن مسعود .

• • •

وأما المخصوص فأمثلته فى القرآن كثيرة جدًا ، وهو أكثر من المنسوخ ، إذ ما من عامٍّ إلا وقد خُصَّ .

ثم المخصِّص له إما متصل وإما منفصل . فالمتصل خمسةٌ وقعت فى القرآن :

أحدها الاستثناء ، نحو : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ [٣] ، ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ [٤] الآية . ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ... ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ [٥] ، ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [٦] ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [٧] .

الثانى : الوصف ، نحو : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ [٨] .

الثالث : الشرط ، نحو : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [٩] ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ [١٠] .

---

(١) طه ١١٥
(٢) آل عمران ٣٩
(٣) النور ٤ ، ٥
(٤) الشعراء ٢٢٤ ، ٢٢٧
(٥) الفرقان ٦٨ ، ٧٠
(٦) النساء ٢٤
(٧) القصص ٨٨
(٨) النساء ٢٣
(٩) النور ٣٣
(١٠) البقرة ١٨٠

الرابع : الغاية ، نحو : ﴿ قَاتِلُوا الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخر .. ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ (١) ، ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ (٣) ، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَض ... ﴾ (٤) الآية .

والخامس : بدل البعض من الكلّ ، نحو : ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (٥) .

والمنفصل آية أخرى في محل آخر ، أو حديثٌ ، أو إجماع ، أو قياس .

• • •

ومن أمثلة ما خصّ بالقرآن قوله تعالى : ﴿ والْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (٦) ، خصّ بقوله : ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثم طَلَّقْتُمُوهُنَّ من قبل أن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ منْ عِدَّةٍ ﴾ (٧) ، وبقوله : ﴿ وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهن أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (٨) .

وقوله : ﴿ حُرِّمَت عَلَيْكُمُ المَيتَةُ والدَّمُ ﴾ (٩) ، خصّ من الميتة السمك بقوله : ﴿ أُحلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وللسَّيَّارَة ﴾ (١٠) ، ومن الدم الجامد ، بقوله : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ (١١) .

وقوله : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ... ﴾ (١٢) الآية ؛ خصّ بقوله تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عليْهِما فيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ (١٣) .

---

(١) التوبة ٢٩ — (٢) البقرة ٢٢٢
(٣) البقرة ١٩٦ — (٤) البقرة ١٨٧
(٥) آل عمران ٩٧ — (٦) البقرة ٢٢٨
(٧) الأحزاب ٤٩ — (٨) الطلاق ٤
(٩) المائدة ٣ — (١٠) المائدة ٩٦
(١١) الأنعام ١٤٥ — (١٢) النساء ٢٠
(١٣) البقرة ٢٢٩

وقوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانى فَاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ منْهُمَا مائةَ جَلْدَةٍ ﴾ (١) ، خصّ بقوله : ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نصْفُ مَا عَلَى المحْصَنَاتِ من العذاب ﴾ (٢)

وقوله : ﴿ فَانْكحُوا مَا طَابَ لَكُم منَ النِّسَاء ﴾ (٣) ، خصّ بقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ .... ﴾ (٤) الآية .

ومن أمثلة ما خصّ بالحديث قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ ﴾ (٥) ؛ خصّ منه البيوع الفاسدة — وهى كثيرة — بالسّنّة ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٥) ؛ خصّ منه العرايا (٦) بالسّنة .

وآيات المواريث خصّ منها القاتل والمخالف فى الدِّين بالسنة .

وآية تحريم الميتة خصّ منها الجراد بالسنّة ، وآية ﴿ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (٧) خصّ منها الأمة بالسنّة .

وقوله : ﴿ مَاءً طَهُورًا ﴾ (٨) خصّ منه المتقيّد بالسنّة .

وقوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَة فاقْطَعُوا ﴾ (٩) ، خصّ منه من سرق دون ربع دينار بالسنّة .

ومن أمثلة ما خصّ بالإجماع آية المواريث ، خصّ منها الرقيق فلا يرث بالإجماع ، ذكره مكيّ .

ومن أمثلة ماخصّ بالقياس آية الزنا ﴿فاجلدُوا كُلَّ وَاحدٍ منْهُمَا مائةَ جَلْدَةٍ﴾ (١٠)

---

(١) النور ٢ (٢) النساء ٢٥

(٣) النساء ٣ (٤) النساء ٢٣

(٥) البقرة ٢٧٥

(٦) قال فى اللسان : « فى حديث أنه رخص فى العرية والعريا قال أبو عبيد : العرايا واحدتها عرية ، وهى النخلة يعريها صاحبها رجلا محتاجا ، والإعراء أن يجعل له ثمرة عامها » .

(٧) البقرة ٢٢٨

(٨) الفرقان ٤٨ (٩) المائدة ٣٨

(١٠) النور ٢

خص منها العبد بالقياس على الأَمَة المنصوصة فى قوله : ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نصْفُ مَا عَلَى المُحْصَنَاتِ منَ الْعَذَابِ ﴾ (١) المخصّص لعموم الآية ، ذكره مكّى أيضًا .

فصــل

من خاص القرآن ما كان مُخَصصًا لعموم السنّة ، وهو عزيز ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ ﴾ (٢) ، خصّ عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « أُمرتُ أن أُقاتلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا لا إله إلا الله » .

وقوله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى ﴾ (٣) ، خصّ عموم نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض .

وقوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوافِهَا وَأَوْبَارِها . . ﴾ (٤) الآية ، خصّ عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « ماأُبِينَ من حى فهو ميّت » .

وقوله : ﴿ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا والمؤَلَّفةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٥) ، خصّ عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتحلُّ الصَّدقة لغنى ولا لذى مِرَّةٍ سوى » .

وقوله : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتى تَبْغى ﴾ (٦) ، خصّ عمــوم قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان بالسيف » ، فالقاتل والمقتول فى النار » .

(١) النساء ٢٥ (٢) التوبة ٢٩

(٣) البقرة ٢٣٨ (٤) النحل ٨٠

(٥) التوبة ٦٠ (٦) الحجرات ٩

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ :١٨ «بسيفهما» .

فروع

منثورة تتعلق بالعموم والخصوص

الأول ؛ إذا سِيق العامّ للمدح أو الذّم ، فهل هو باقٍ على عمومه ؟ فيه مذاهب ؛

أحدها : نعم ؛ إذ لا صارف عنه ، ولا تنافى بين العموم وبين المدح أو الذّم :

والثاني : لا ؛ لأنّه لم يُسَقْ للتعميم بل للمدح أو للذمّ .

والثالث – وهو الأصح : التفصيل ، فيعمّ إن لم يعارضه عامٌ آخر لم يُسَق لذلك ، ولا يعمّ إن عارضه ذلك ؛ جمعًا بينهما .

مثاله – ولا معارض – قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (١)

ومع المعارض قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ (٢) ، فإنّه سيق للمدح ، وظاهره يعمّ الأختين بملك اليمين جمْعًا ، وعارضه فى ذلك : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ (٣) ؛ فإنه شامل لجمعهما بملك اليمين ، ولم يُسَقْ للمدح ، فحمِل الأول على غير ذلك بأن لم يُرَدْ تناوله له .

ومثاله فى الذم : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ... ﴾ (٤) الآية ، فإنه سيق للذم ، وظاهره يعمّ الحلى المباح : وعارضه فى ذلك حديث جابر : « ليس فى الحلى زكاة » فحمل الأول على غير ذلك .

• • •

(١) الانفطار ١٣ ، ١٤
(٢) المؤمنون ٥ ، ٦
(٣) النساء ٢٣
(٤) التوبة ٣٤

الثانى اختلف فى الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم ، نحو : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِى ﴾ ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الرَّسُول ﴾ ، هل يشمل الأمّة ؟ فقيل : نعم ؛ لأن أمرَ القدوَة أمر لأتباعه معه عُرْفًا ، والأصحّ فى الأُصول المنع لاختصاص الصيغة به :

• • •

الثالث : اختلف فى الخطاب بـ « يـٰأَيُّهَا النَّاسُ » ، هل يشمل الرسول صلى عليه وسلم على مذاهب :

أصحُّها ـ وعليه الأكثرون : نعم لعموم الصيغة له ؛ أخرج ابن أبي حاتم عن الزُّهرى قال : إذا قال الله : « يـٰأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا افعَلُوا » ، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم منهم .

والثانى : لا ؛ لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره ، ولما له من الخصائص .

والثالث : إن اقترن بِ « قل » لم يشمله لظهورة فى التبليغ ، وذلك قرينة عدم شموله ؛ وإلا فيشمله .

• • •

الرابع : الأصحّ فى الأُصول أن الخطاب بـ « يـٰأَيُّها الناس » يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ . وقيل : لا يعمّ الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ، ولا العبد ؛ لصرف منافعه إلى سيِّده شرعًا .

• • •

الخامس : اختلف فى « مَنْ » هل تتناول الأُنثى ؟ فالأصحّ نعم ؛ خلافًا للحنفية ، لنا قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ (١) فالتفسير بهما دالٌّ على تناول « مَنْ » لهما وقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلهِ ﴾ (٢)

---

(١) النساء ١٢٤ (٢) الأحزاب ٣١

واختُلف فى جمع المذكر السالم هل يتناولها ؟ فالأصح لا ، وإنما يدخلن فيه بقرينة ، أمّا المكسّر فلا خلاف فى دخولهنّ فيه .

• • •

السادس : اختلف فى الخطاب بـ « يا أَهْلَ الكِتَابِ » ، هل يشمل المؤمنين ؟ [فالأصحّ لا ؛ لأنّ اللفظ قاصرٌ على مَنْ ذُكر وقيل : إن شاركوهم فى المعنى شملهم وإلاّ فلا واختلف فى الخطاب بـ « يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » هل يشمل أهل الكتاب ؟ فقيل : لا ، بناء على أنهم غير مخاطَبين بالفُروع . وقيل : نعمْ ؛ واختاره ابن السمعانى ، قال : وقوله : « يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ، خطاب تشريف لا تخصيص

• • •

النوع السادس والأربعون

فى مجمَله ومبيَّنِه

المجمَل : مالم تتَّضح دلالته ، وهو واقع فى القرآن خلافًا لداود الظَّاهرىّ ؛ وفى جواز بقائه مجملاً أقوال ، أصحها : لايبقى المكلَّف بالعمل به بخلاف غيره

وللإجمال أسباب :

منها :الاشتراك ، نحو : ﴿ وَاللَّيْلِ إذا عَسْعَس ﴾ (١) ، فإنه موضوع لأقبل وأدبر ، ﴿ ثلاثَةَ قُروءٍ ﴾ (٢) فإن القُرْء موضوع للحيْض والطهر ، ﴿ أو يَعْفوَ الَّذِى بيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (٣) ؛يحتمل الزوج،والولىّ ، فإنَّ كلا منهما بيده عقدة النكاح .

ومنها : الحذف ، نحو : ﴿ وتَرْغَبُونَ أن تَنْكِحوهُنَّ ﴾ (٤) ، يحتمل « فى » و « عن » .

ومنها : اختلاف مرجع الضمير ، نحو ﴿إليْهِ يَصْعَدُ الكلم الطَّيِّبُ والعَمَل الصَّالحُ يَرْفَعُهُ ﴾(٥) ؛ يحتمل عَوْد ضمير الفاعل فى « يرفعه » إلى ماعاد عليه ضمير « إليه » وهو الله ويحتمل عَوْده إلى العمل ، والمعنى أنّ العمل الصالح هو الذى يرفع الكلِم الطيِّب

ويحتمل عوده إلى الكلِم الطَّيب : أى أن الكلم الطيب وهو التَّوحيد يرفع العمل الصالح ، لأنَّه لايصحّ العمل إلاَّ مع الإيمان

---

(١) التكوير ١٧
(٢) البقرة ٢٢٨
(٣) البقرة ٢٣٧
(٤) النساء ١٢٧
(٥) فاطر ١٠

ومنها : احتمال العطف والاستئناف ، نحو : ﴿ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ﴾ (١)

ومنها : غرابة اللفظ ، نحو : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ (٢)

ومنها : عدم كثرة الاستعمال الآن ، نحو : ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ ﴾ (٣) أى يسمعون ، ﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِ ﴾ (٤) أى متكبرا ، ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ (٥) ، أى نادمًا

ومنها : التقديم والتأخير ، نحو : ﴿ ولوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لكانَ لِزَامًا وأَجَلٌ مُسَمى ﴾(٦) ، أى ولولا كلمة وأجلٌ مسمى لكان لزامًا ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حفِىٌّ عَنْهَا ﴾ (٧) أى يسألونك عنها كأنك حفى .

ومنها قلب المنقول ، نحو ﴿ وطُورِ سِينِينَ ﴾ (٨) ، أى سيناء ، ﴿ عَلَى آلِ يَاسِين ﴾ (٩) ، أى على الياس .

ومنها التكرير القاطع لوصل الكلام فى الظاهر ، نحو ﴿ للذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ (١٠) .

فصل

قد يقع التبيين متصلا ، نحو : ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ بعد قوله : ﴿ الخيطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾ (١١) .

ومنفصلا فى آية أخرى ، نحو : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تحِلُّ لهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى

(١) آل عمران ٧
(٢) البقرة ٢٣٢
(٣) الشعراء ٢٢٣
(٤) الحج ٩
(٥) الكهف ٤٢
(٦) طه ١٢٩
(٧) الأعراف ١٨٧
(٨) التين ٢
(٩) الصافات ١٣٠
(١٠) الأعراف ٧٥
(١١) البقرة ١٨٧

تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ (١) بعد قوله : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ (٢) ، فإنها بيّنت أن المراد به الطلاق الذى تُمْلَكُ الرّجعة بعده ، ولولاها لكان الكلّ منحصرًا فى الطلقتين .

وقد أخرج أحمد وأبو داود فى ناسخه ، وسعيد بن منصور وغيرهم ، عن أبى رَزِين الأسدىّ قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت قول الله : ﴿ الطلاقُ مرّتان ﴾ (٢) **فأين الثالثة** ؟ قال : التّسريح بإحسانٍ .

وأخرج ابن مردويه ، عن أنس ، قال : قال رجل : يا رسولَ الله ، ذكر الله الطلاق مرتين ، فأين الثالثة ؟ قال : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٣)

وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ • إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٤) ، دال على جواز الرؤية ، ويُفَسّره أنّ المراد بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ (٥) لا تحيط به ، دون « لا تراه » . وقد أخرج ابن جرير من طريق العوفىّ عن ابن عباس فى قوله ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ ، لا تحيط به .

وأخرج عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية : أليس قد قال : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ؟ فقال : ألستَ ترى السماء ؟ أفكلها ترى ! .

وقوله : ﴿ أُحِلَّتْ لكُم بهيمَةُ الأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكم . . ﴾ (٦) الآية . فسّره قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ (٧) .

وقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٨) ، فسّره قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ • ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ • يَوْمَ لَا تَمْلِكُ . . ﴾ (٩) ، الآية .

---

(١) البقرة ٢٣٠
(٢) البقرة ٢٢٩
(٣) البقرة ٢٢٩
(٤) القيامة ٢٢ ، ٢٣
(٥) الأنعام ١٠٣
(٦) المائدة ١
(٧) المائدة ٣
(٨) فاتحة الكتاب ٤
(٩) الانفطار ١٧ ، ١٨ ، ١٩

وقوله : ﴿ فتلقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾[١] ، فسّره قوله : ﴿ قالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفُسَنَا ... ﴾[٢] الآية .

وقوله : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحدُهُم بِمَا ضَرَبَ للرَّحْمَنِ مَثَلاً ﴾[٣] ، فسره قوله فى آية النحل : ﴿ بالأُنثىٰ ﴾[٤] .

وقوله : ﴿ وأوفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[٥] ، قال العلماء : بيان هذا العهد قوله : ﴿ لئنْ أقَمْتُم الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمنتُم برُسُلِي . . ﴾[٦] إلى آخره ، فهذا عهده وعهدهم ﴿ لَأُكفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ . . . ﴾[٦] إلى آخره .

وقوله : ﴿صِرَاطَ الذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[٧] بيَّنه قوله : ﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِن النَّبِيِّينَ . . . ﴾[٨] الآية .

وقد يقع التبيين بالسنَّة ، مثل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[٩] ، ﴿ وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ ﴾[١٠] ، وقد بينَّت السنَّةُ أفعال الصلاة والحج ومقادير نُصُب الزكوات فى أنواعها .

• • •

تنبيه

اختُلف فى آيات ، هل هى من قبيل المجمل أولا ؟ .

منها آية السرقة ؛ قيل : إنها مجملة فى اليد ؛ لأنَّها تطلق على العضو إلى الكوع ، وإلى المرفق وإلى المنكب ؛ وفى القطع ؛ لأنه يطلق على الإبانة ، وعلى الجُرح

(١) البقرة ٣٧ (٢) الأعراف ٢٣
(٣) الزخرف ١٧ (٤) النحل ٥٨
(٥) البقرة ٤٠ (٦) المائدة ١٢
(٧) الفاتحة ٧ (٨) مريم ٥٨
(٩) البقرة ٤٣ (١٠) آل عمران ٩٧

ولاظهور لواحد من ذلك ، وإبانة الشارع من الكوع تبيّن أن المراد ذلك . وقيل : لا إجمال فيها ؛ لأن القطع ظاهر في الإبانة .

ومنها ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءوسِكُمْ ﴾ (١) ؛ قيل : إنها مجملة لترددها بين مسح الكلّ والبعض ، ومسحُ الشارع الناصيةَ مبيّن لذلك . وقيل : لا ، وإنما هي لمطلق المسح الصادق بأقلّ مايطلق عليه الاسم ويفيده .

ومنها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (٢) ، قيل : مجملة لأنّ إسناد التحريم إلى العين لايصحّ ، لأنه إنما يتعلّق بالفعل ، فلابدّ من تقديره ، وهو محتمل لأمور لاحاجة إلى جميعها ، ولا مرجّح لبعضها . وقيل : لا ، لوجود المرجّح ؛ وهو العُرْف ؛فإنه يقضى بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو نحوه ،ويجرى ذلك في كل ماعلق فيه التحريم والتحليل بالأعيان .

ومنها ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ، قيل :إنها مجملة ؛لأنّ الربا الزيادة وما من بيع إلّا وفيه زيادة ؛ فافتقر إلى بيان مايحلّ وما يحرم . وقيل : لا ؛ لأنّ البيع منقول شرعًا ؛ فحُمِل على عمومه مالم يقم دليل التخصيص

وقال الماورديّ : للشافعيّ في هذه الآية أربعة أقوال :

أحدها : أنّها عامّة ؛ فإن لفظها لفظ عموم يتناول كلّ بيع ، ويقتضى إباحة جميعها إلّا ماخصّه الدليل ؛ وهذا القول أصحّها عند الشافعي وأصحابه ، لأنّه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ، ولم يبيّن الجائز ، فدلّ على أن الآية تناولت إباحةَ جميع البيوع ،إلّاماخُصّ منها ؛ فبيّن صلّى الله عليه وسلم المخصوص . قال : فعلى هذا في العموم قولان :

أحدهما :أنه عموم أُريد به العموم ،وإن دخله التخصيص .

---

(١) المائدة ٦ (٢) النساء ٢٣

والثانى : أنه عموم أريد به الخصوص . قال : والفرق بينهما أن البيان فى الثانى متقدّم على اللفظ ، وفى الأول متأخر عنه مقترن به . قال : وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية فى المسائل المختلف فيها ما لم يقم دليل تخصيص .

والقول الثانى : أنّها مجملة لا يُعْقل منها صحّة بيع من فساده إلّا ببيان النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : هل هى مجملة بنفسها أم بعارض ما نُهى عنه من البيوع ؟ وجهان . وهل الإجمال فى المعنى المراد دون لفظها ؛ لأن لفظ البيع اسم لغويّ معناه معقول ، لكن لما قام بإزائه من السنة ما يعارضه تدافع العمومان ، ولم يتعيّن المراد إلاَّ ببيان السنَّة ، فصار مجملا لذلك دون اللفظ ، أو فى اللفظ أيضا ؛ لأنّه لمّا لم يكن المراد منه ماوقع عليه الاسم ، وكانت له شرائط غير معقولة فى اللغة كان مشكلا أيضاً ؟ وجهان . قال : وعلى الوجهين لايجوز الاستدلال بها على صحة بيع ولافساده ،وإن دلَّت على صحة البيع من أصله قال : وهذا هو الفرق بين العموم والمجمَل ؛ حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل .

والقول الثالث : أنّها عامّة مجملة معا ، قال : واختُلف فى وجه ذلك على أوجه

أحدها : أن العموم فى اللفظ والإجمال فى المعنى ، فيكون اللفظ عاما مخصوصا ، والمعنى مجملا لحقه التفسير .

والثانى : أن العموم فى : ﴿ وأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ﴾ والإجمال فى ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[1]

والثالث : أنّه كان مجملا ، فلمّا بيّنه صلَّى الله عليه وسلم صار عاما ، فيكون داخلا فى المجمل قبل البيان ، وفى العموم بعد البيان ، فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها فى البيوع المختلف فيها .

---

(١) البقرة ٢٧٥

والقول الرابع : أنَّها تناولت بيعا معهودا ، ونزلت بعد أن أحلّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بيوعا وحرّم بيوعا ، فاللاَّم للعهد ؛ فعلى هذا لايجوز الاستدلال بظاهرها . انتهى .

ومنها الآيات التى فيها الأسماء الشرعيّة . نحو : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (١) ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٢) . ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ (٣) قيل إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء ، والصوم لكل إمساك ، والحجّ لكل قصد ، والمراد بها لاتدلّ عليه اللغة ، فافتقر إلى البيان ، وقيل لا ، بل يحمل على كل ماذكر إلاَّ ماخُصّ بدليل .

تنبيه

قال ابن الحصّار (٤) : من الناس من جعل المجمل والمحتمَل بإزاء شىء واحد . قال :والصواب أن المجَمل اللفظ المبهم الذى لايفهم المراد منه ، والمحتمل اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعدا ، سواء كان حقيقة فى كلّها أو بعضها . قال : والفرق بينهما أنَّ المجمل يدلّ على أُمور معروفة ، واللفظ مشترك متردّد بينهما ، والمبهم لايدلّ على أمر معروف مع القطع بأَن الشارع لم يفوض لأحدبيان المجمل ، بخلاف المحتمل .

---

(١) البقرة ٤٣ (٢) البقرة ١٨٥

(٣) آل عمران ٩٧

(٤) هو علي بن محمد بن ابراهيم الخزرجي الاشبيلي ، له مؤلفات ، منها أصول الفقه، والناسخ والمنسوخ ، والبيان في تنقيح البرهان .. توفي سنة ٦١١ هـ . التكملة لابن أبار ٦٨٦ .

النوع السابع والأربعون

فى ناسِخه ومَنْسُوخه

أفرده بالتصنيف خلائق لايُحْصَوْن ، منهم : أبو عبيد القاسم بن سلاَّم ، وأبو داود السجستانىّ ، وأبو جعفر النحّاس ، وابن الأنبارىّ ، ومكىّ * وابن العربىّ . وآخرون .

قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلاَّ بعد أنْ يعرِف منه الناسخ والمنسوخ .

وقد قال علىّ لقاضٍ : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال هَلَكْتَ وأهلكت .

وفى هذا النوع مسائل :

الأُولى : يرد النسخ بمعنى الإزالة ، ومنه قوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ ﴾ (١) .

وبمعنى التبديل ، ومنه : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آية مَكَانَ آيةٍ ﴾ (٢) .

وبمعنى التحويل ، كتناسخ المواريث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد .

وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ، ومنه : نَسَخْتُ الكتابَ ، إذَا نقلتَ مافيه حاكيا للفظه وخطِّه .

(*) هو مكى بن ابى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى . المقرىء المتوفى سنة ٣١٣ هـ له الايضاح فى ناسخ القرآن ومنسوخه ، والايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه (هامش البرهان ٢ : ٢٨) .

(١) الحج ٥٢ (٢) النحل ١٠١

قال مكيٌّ : وهذا الوجه لايصحّ أن يكون فى القرآن ، وأنكر على النحاس إجازته ذلك ، محتجا بأن الناسخ فيه لايأتى بلفظ المنسوخ ، وأنه إنما يأتى بلفظ آخر .

وقال السعيديّ : يشهد لما قاله النحّاس قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

ومعلوم أن مانزل من الوحى نجوما جَمِيعُهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ ، وهو اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۞ لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٣)

• • •

الثانية : النسخ مما خصّ الله به هذه الأُمّة لحِكَمٍ ، منها التيسير . وقد أجمع المسلمون على جوازه ، وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بَداء ، كالذى يرى الرأى ثم يبدو له ، وهو باطل لأنه بيان مدّة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه ، والفقر بعد الغنى وعكسه ، وذلك لايكون بداء ، فكذا الأمر والنهى .

واختلف العلماء فقيل : لا يُنسخ القرآن إلا بقرآن ، لقوله تعالى ، ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (٤) ، قالوا : ولا يكون مثلَ القرآن وخيرا منه إلا قرآن .

وقيل : بل يُنسخ القرآن بالسنّة ، لأنها أيضا من عند الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (٥) ، وجُعل منه آية الوصية الآتية .

(١) الجاثية ٢٩ (٢) الزخرف ٤٠
(٣) الواقعة ٧٨ ، ٧٩ (٤) البقرة ١٠٦
(٥) النجم ٣

والثالث : إذا كانت السنَّة بأمر الله من طريق الوحْى نسخت ، وإن كانت باجتهاد فلا . حكاه ابن حبيب النيسابوريّ فى تفسيره .

وقال الشافعىّ : حيث وقع نسخ القرآن بالسنَّة ، فمعها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنَّة بالقرآن فمعه سنَّة عاضدة له ؛ ليتبيّن توافق القرآن والسنَّة ، وقد بسطت فروع هذه المسألة فى شرح منظومة جمع الجوامع فى الأصول .

الثالثة : لا يقع النسخ إلّا فى الأمر والنَّهى ، ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ، ومنه الوعد والوعيد . وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل فى كتب النسخ كثيرا من آيات الإخبار والوعد والوعيد .

• • •

الرابعة : النَّسخ أقسام :

أحدها : نسخ المأمور به قبل امتثاله ، وهو النسخ على الحقيقة كآية النَّجوى .

الثانى : ما نُسِخَ(*) مما كان شرعًا لمن قبلنا ، كآية شرع القصاص والدِّية أوكان أُمِرَ به أمرًا جُمْليا كنسخ التوجّه إلى بيت المقدس بالكعبة ، وصوم عاشوراء برمضان ، وإنما يسمّى هذا نسخًا تجوّزًا .

الثالث : ماأُمِر به لسبب ، ثم يزول السبب ، كالأمر حِين الضعف والقلة بالصبر والصفح ، ثم نُسِخ بإيجاب القتال ، وهذا فى الحقيقة ليس نسخًا بل هو من قسم المُنْسَأ ، كما قال تعالى : ﴿ أَوْ ننسأها ﴾ ، فالمنْسَأ هو الأمر

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٢٢ « الثانى : نسخ ما كان شرعا لمن قبلنا » .

بالقتال إلى أن يَقْوي المسلمون ، وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصَّبْر على الأَذى ، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أنَّ الآية فى ذلك منسوخة بآية السيف ، وليس كذلك ، بل هى من المُنْسَأ بمعنى أن كلّ أمرٍ ورد يجب امتثاله فى وقت ما ، لعلة تقتضى ذلك الحكم ، ثمّ ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر ، وليس بنسخ ؛ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله .

وقال مكيّ : ذكر جماعة أن ما ورد فى الخطاب مُشعِرٌ بالتوقيت والغاية مثل قوله فى البقرة : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾(١) ، محكَمٌ غير منسوخ ؛ لأنه مؤجَّل بأجلٍ ، والمؤجَّل بأجلٍ لا نسخ فيه .

الخامسة : قال بعضهم : سورُ القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام :

قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ ، وهو ثلاث وأربعون : سورة الفاتحة ، ويوسف ، ويس ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والصفّ ، والجمعة ، والتحريم ، والملك ، والحاقة ، ونوح ، والجنّ ، والمرسلات ، وعمّ ، والنازعات ، والانفطار ، وثلاث بعدها ، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن ؛ إلا التِّين والعصر ، والكافرون .

وقسم فيه الناسخ والمنسوخ ، وهو خمس وعشرون * : البقرة وثلاث بعدها ، والحجّ ، والنور وتاليها ، والأحزاب ، وسبأ ، والمؤمن ، والشورى ، والذّاريات ، والطُّور ، والواقعة ، والمجادلة ، والمزمِّل ، والمدّثر ، والتكوير (*) ، والعَصْر .

وقسم فيه الناسخ فقط ، وهو ست : الفتح ، والحشر ، والمنافقون ، والتغابن ، والطَّلاق ، والأعلى .

---

(١) البقرة ١٠٩

(*) كذا في الأصول :
وفي البرهان ٢ : ٣٣ « وهي احدى وثلاثون سورة » ثم أورد اثنتين وثلاثين سورة . ويلاحظ أن المصنف أورد عشرين سورة فقط .

(*) في الأصول « وكورت » .

وقسم فيه المنسوخ فقط ، وهو الأربعون الباقية . كذا قال ، وفيه نظر يعرف مما سيأتى .

• • •

السادسة : قال مكىّ : الناسخ أقسام :

فرضٌ نَسَخَ فرضًا ، ولا يجوز العمل بالأوّل ، كنسخ الحبس للزوانى بالحدّ .

وفرضٌ نسخ فرضًا ويجوز العمل بالأوّل كآية المصابرَة .

وفرض نَسخ ندبًا كالقتال ، كان ندبًا ثم صار فرضًا .

وندبٌ نَسَخ فرضا ، كقيام الليل : نُسِخ بالقراءة فى قوله : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّر مِنَ القُرْآن ﴾ (١) .

• • •

السابعة : النسخ فى القرآن على ثلاثة أضرب :

أحدها : ما نسخ تلاوته وحكمه معًا . قالت عائشة : كان فيما أُنزل : « عشر رضعات معلومات فنسخنَ بخمس معلومات . فتُوفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنّ مما يقرأُ من القرآن » ، رواه الشيخان . وقد تكلموا فى قولها : « وهنّ مما يقرأُ » : فإنّ ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك .

وأُجيب بأن المراد : قارب الوفاة . أو أنّ التلاوة نُسِخت أيضًا . ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتُوفِّى وبعض الناس يقرؤُها .

وقال أبو موسى الأشعرىُّ : نزلت ثم رفعت .

---

(١) المزمل ٢٠

وقال مكىّ : هذا المثال فيه المنسوخ غير متلوّ ، والناسخ أيضًا غير متلوّ ، ولا أعلم له نظيرا . انتهى .

الضّرب الثانى : ما نُسِخ حكمه دون تلاوته ؛ وهذا الضرب هو الذى فيه الكتب المؤلفة ، وهو على الحقيقة قليل جدا ، وإنْ أكثر الناسُ من تعداد الآيات فيه ؛ فإن المحققين منهم كالقاضى أبى بكر بن العربىّ بيّن ذلك وأتقنه .

والذى أقوله : إن الذى أورده المكثرون أقسام : قسم ليس من النسخ فى شىء ولا من التخصيص ، ولا له بهما علاقة بوجه من الوجوه ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١) ، ﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٢) ، ونحو ذلك. قالوا : إنه منسوخ بآية الزكاة ، وليس كذلك بل هو باقٍ ، أمّا الأُولى فإنها خبر فى معرض الثناء عليهم بالإنفاق ، وذلك يصلح أن يفسّر بالزكاة وبالإنفاق على الأهل وبالإنفاق فى الأُمور المندوبة كالإعانة والإضافة ، وليس فى الآية ما يدلّ على أنها نفقة واجبة غير الزكاة ، والآية الثانية يصلحُ حملها على الزكاة ، وقد فسّرت بذلك .

وكذا قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٣) ، قيل : إنها ممّا نسِخ بآية السيف ، وليس كذلك ؛ لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبدًا . لا يقبل هذا الكلام النَّسخ ، وإن كان معناه الأمر بالتفويض وترك المعاقبة .

وقوله فى البقرة : ﴿ وقُولوا للنَّاسِ حسنا ﴾ (٤) ، عدّه بعضهم من المنسوخ بآية السيف. وقد غلّطه ابن الحصّار بأنّ الآية حكاية عمّا أخذه على بنى إسرائيل من الميثاق ، فهو خبر لانَسخ فيه ، وقِسْ على ذلك

وقسم هو من قسم المخصوص ، لا من قسم المنسوخ ، وقد اعتنى ابن

(١) الأنفال ٣ . (٢) البقرة ٢٥٤ .
(٣) التين ٨ . (٤) البقرة ٨٣ .

العربىّ بتحريره فأجاد ، كقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (١) ، ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ (٣) ، ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٤) ،وغير ذلك من الآيات التى خُصّت باستثناء أو غاية ، وقد أخطأ من أدخلها فى المنسوخ .

ومنه قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾ (٥) ، قيل إنه نُسخ بقوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ (٦) ، وإنما هو مخصوص به .

وقسم رَفع ما كان عليه الأمر فى الجاهلية أو فى شرائع مَنْ قبلنا ، أو فى أوّل الإسلام ولم ينزل فى القرآن ، كإبطال نكاح نساء الآباء ، ومشروعيّة القصاص والدِّيَة ، وحَصْر الطَّلاق فى الثلاث ، وهذا إدخاله فى قسم الناسخ قريب ، ولكن عدم إدخاله أقرب ، وهو الذى رجّحه مكّىّ وغيره ، ووجّهوه بأن ذلك لو عُدّ فى الناسخ لعُدّ جميع القرآن منه ؛ إذ كلّه أو أكثره رافع لما كان عليه الكفّار وأهل الكتاب . قالوا : وإنما حقّ الناسخ والمنسوخ أن تكون آية نسخت آية . انتهى .

نعم النوع الأخير منه ،وهو رافع ماكان فى أوّل الإسلام ، إدخاله أوْجَه من القسمين قبله .

إذا علمت ذلك فقد خرج من الآيات الّتى أوردها المكثرون الجمّ الغفير مع آيات الصفح والعفو ، إن قلنا إن آية السيف لم تنسخها ، وبقى مما يصلح لذلك عدد يسير ، وقد أفردته بأدلّته فى تأليف لطيف ، وها أنا أورده هنا محرّرا :

فمن البقرة :

---

(١) العصر ٢ ، ٣ .
(٢) الشعراء ٢٢٤ .
(٣) الشعراء ٢٢٧ .
(٤) البقرة ١٠٩
(٥) البقرة ٢٢١
(٦) المائدة ٥

قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ . .. ﴾ (١) . الآية منسوخة ، قيل : بآية المواريث ، وقيل : بحديث « ألا لا وصية لوارث » . وقيل : بالإجماع ، حكاه ابن العربيّ

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ (٢) ، قيل : منسوخة بقوله : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾(٣) ، وقيل : محكمة ، و « لا » مقدّرة .

وقوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ ﴾ (٤) ، ناسخة لقوله : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (٥) ؛ لأن مقتضاها الموافقة فيما كانوا عليه من تحريم الأكل والوطء بعد النوم ؛ ذكره ابن العربيّ ، وحكى قولا آخر أنّه نسخ لما كان بالسنّة .

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ (٦) الآية منسوخة بقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ... ﴾ (٧) الآية ، أخرجه ابن جرير عن عطاء ابن ميسرة .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ . .. ﴾ (٨) ، إلى قوله : ﴿ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ ﴾(٩) منسوخة بآية ﴿ أربعة أشهر وعشراً ﴾(١٠) ؛ والوصية منسوخة بالميراث والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث : « ولا سكنى »

وقوله تعالى : ﴿ وإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ ﴾ (١١) منسوخة بقوله بعده : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١٢) .

---

(١) آية ١٨٠ (٢) آية ١٨٤
(٣) آية ١٨٥ (٤) آية ١٨٧
(٥) آية ١٨٣ (٦) آية ٢١٧
(٧) التوبة ٣٦ (٨) آية -٢٣٤
(٩) آية ٢٤٠ (١٠) آية ٢٣٤
(١١) آية ٢٨٤ (١٢) آية ٢٨٦

ومن آل عمران :

قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ (١) ، وقيل : إنه منسوخ بقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٢) ، وقيل : لا ، بل هو محكم . وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية .

• • •

ومن النساء :

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ (٣) ، منسوخة بقوله : ﴿ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾ (٤) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ . . ﴾ (٥) الآية ، قيل : منسوخة . وقيل : لا ، ولكن تهاون الناس فى العمل بها .

قوله تعالى : ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ . . ﴾ (٦) الآية ، منسوخة بآية النور .

• • • •

ومن المائدة :

قوله تعالى : ﴿ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ (٧) منسوخة بإباحة القتال فيه .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ (٨) ، منسوخة بقوله : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ (٩) .

---

(١) آية ١٠٢ — (٢) التغابن ١٦
(٣) النساء ٣٣ — (٤) الأنفال ٧٥
(٥) النساء ٨ — (٦) النساء ١٥
(٧) المائدة ٢ — (٨) المائدة ٤٢
(٩) آية ٤٩

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ (١) ، منسوخ بقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ (٢) .

• • •

ومن الأنفال :

قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرونَ صَابِرُونَ . . . ﴾ (٣) الآية ، منسوخة بالآية بعدها .

• • •

ومن براءة :

قوله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ (٤) ، منسوخة بآيات العذر ، وهو قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ . .. ﴾ (٥) الآية ، وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء . . . ﴾ (٦) . الآيتين . وبقوله : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّة ﴾ (٧) .

• • •

ومن النور :

قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لاَ يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً . . . ﴾ (٨) الآية ، منسوخة بقوله : ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ (٩) .

---

(١) آية ١٠٦ (٢) الطلاق ٢
(٣) آية ٦٥ (٤) التوبة ٤١
(٥) النور ٦١ (٦) التوبة ٩١
(٧) التوبة ١٢٢ (٨) النور ٣
(٩) النور ٣٢

قوله تعالى : ﴿ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . . ﴾ [(١)] الآية ، قيل : منسوخة ، وقيل : لا ، ولكن تهاون الناس فى العمل بها .

• • • •

ومن الأحزاب :

قوله تعالى : ﴿ لايَحِلُّ لَكَ النِّسَاء . . . ﴾ [(٢)] الآية ، منسوخة بقوله : ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجكَ . . . ﴾ [(٣)] الآية .

• • • •

ومن المجادلة :

قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا . . ﴾ [(٤)] الآية ، منسوخة بالآية بعدها

• • •

ومن الممتحنة :

قوله تعالى : ﴿ فَآتُوا الذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنفَقُوا ﴾ [(٥)] ، قيل : منسوخ بآية السيف ، وقيل : بآية الغنيمة ، وقيل : محكم .

• • • •

ومن المزّمّل :

قوله : ﴿ قم اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [(٦)] ، قيل : منسوخ بآخر السورة ، م نسخ الآخر بالصلوات الخمس .

فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة ، على خلاف فى بعضها ، لايصح دعوى

(١) النور ٥٨
(٢) الأحزاب ٥٢
(٣) الأحزاب ٥٠
(٤) آية ١٢
(٥) آية ١١
(٦) المزمل ٢

النسخ فى غيرها ، والأصح فى آية الاستئذان والقسمة الإحكام ، فصارت تسع عشرة ، ويضمّ إليها قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ (١) ، على رأى ابن عباس أنها منسوخة بقوله : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . . ﴾ (٢) الآية ، فتمت عشرون .

وقد نظمتها فى أبيات فقلت :

قد أكثر الناس فى المنسوخ من عدد ... وأدخلوا فيه آيًا ليس تنحصِرُ
وهاكَ تحرير آيٍ لامزيدَ لها ... عشرينَ حرَّرها الحذَّاق والكبر
آى التوجّه حيث المرء كان وأنْ ... يوصِى لأهليه عند الموت محتضِرُ
وحرمة الأكل بعد النَّوم من رفثٍ ... وفديةٌ لمطيق الصَّوم مشتهِرُ
وحقّ تقواه فيما صحّ من أثرٍ ... وفى الحرام قتالٌ للألى كَفرُوا
والاعتداد بحولٍ مَعْ وصيَّتها ... وَأَنْ يُدَانَ حديثُ النفس والفِكَرُ
والحلف والحبْس للزانى وترك أُولى ... كفروا شهادتهم والصَّبْرُ والنَّفَرُ
ومنع عقدٍ لزانٍ أو لزانية ... وما على المصطفى فى العقد محتَظَرُ
ودفع مهرٍ لمن جاءت وآية نجْ ... واه كذاك قيامُ الليل مُسْتَطَرُ
وزيد آية الاستئذان مَنْ ملكت ... وآية القسمة الفُضلى لمن حضروا

فإن قلت : ماالحكمة فى رفع الحكم وبقاء التلاوة ؟ .

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنَّ القرآن كما يتلى ليعرف الحُكْم منه والعمل به ، فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه . فتركت التلاوة لهذه الحكمة .

---

(١) البقرة ١١٥ (٢) البقرة ١٤٩

والثانى : أنّ النسخ غالبًا يكون للتخفيف ، فأُبقيت التلاوة تذكيرًا للنعمة ، ورفع المشقّة .

وأمّا ماورد فى القرآن ناسخًا لما كان عليه الجاهلية أو كان فى شرع مَنْ قبلنا ، أو فى أوّل الإسلام ، فهو أيضًا قليل العدد ، كنسخ استقبال بيت المقدس بآية القبلة ، وصوم عاشوراء بصوم رمضان ؛ فى أشياء أُخر حرّرتُها فى كتابى المشار إليه .

* * *

فوائد منثورة

قال بعضهم : ليس فى القرآن ناسخ إلّا والمنسوخ قبله فى الترتيب ، إلّا فى آيتين : آية العِدّة فى البقرة ، وقوله : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء ﴾ (١) ، تقدّم.

وزاد بعضهم ثالثة ، وهى آية الحشر فى الفىء على رأي من قال إنها منسوخة بآية الأنفال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْء ﴾ (٢) .

وزاد قوم رابعة ، وهى قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ (٣) يعنى الفضل من أموالهم ؛ على رأى من قال إنها منسوخة بآية الزكاة .

وقال ابن العربى : كلّ ما فى القرآن من الصفح عن الكفار ، والتولّى والإعراض والكفّ عنهم فهو منسوخ بآية السيف ، وهى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ . . . ﴾ (٤) الآية ، نَسخت مائة وأربعًا وعشرين آية ، ثم نسخ آخرُها أوّلَها . انتهى .

وقد تقدم مافيه . وقال أيضًا : من عجيب المنسوخ قوله تعالى : ﴿ خُذ الْعَفْو ﴾

---

(١) الأحزاب ٥٢ (٢) الأنفال ٤١
(٣) الاعراف ١٩٩ (٤) التوبة ٥

الآية ، فإن أوّلها وآخرها ، وهو : ﴿ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ [(١)] منسوخ ، ووسطها محكم ، وهو ﴿ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [(١)] .

وقال : من عجيبه أيضاً آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ، ولا نظيرلها ، وهي قوله :﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَايَضرُكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[(٢)] ، يعني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا ناسخ لقوله : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ .

وقال السعيديّ : لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ . . . ﴾[(٣)] الآية ، مكثت ست عشرة سنة حتى نسخها أوّل الفتح عام الحديبية .

وذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال فى قوله تعالى :﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ... ﴾ [(٤)] الآية : إنَّ المنسوخ من هذه الجملة ﴿ وَأَسِيرًا ﴾ والمراد بذلك أسير المشركين ، فقرىء عليه الكتاب وابنته تسمع . فلما انتهى إلى هذا الموضع ، قالت له : أخطأت يا أبتِ ، قال : وكيف ! قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يُطعَم ولا يُقتَل جوعًا فقال : صدقتِ .

وقال شيذلة فى البرهان : يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخًا ، كقوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ ﴾ [(٥)] ، نسخها قوله تعالى : ﴿فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[(٦)] ثم نسخ هذه بقوله : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ ﴾ [(٧)] ، كذا قال . وفيه نظر من وجهين :

أحدهما : ما تقدمت الإشارة إليه .

والآخر : أن قولَه : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ ﴾[(٧)] ، مخصِّص للآية لاناسخ .

(١) الأعراف ١٩٩ — (٢) المائدة ١٠٥
(٣) الأحقاف ٩ — (٤) الانسان ٨
(٥) الكافرون ٦ — (٦) التوبة ٥
(٧) التوبة ٢٩

نعم يمثّل له بآخر سورة المزّمّل ، فإنّه ناسخ لأوّلها منسوخ بفرض الصلوات .

وقوله : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ (١) ناسخ لآيات الكفّ ، منسوخ بآيات العُذْر .

وأخرج أبو عبيد عن الحسن وأبي ميسرة ، قالا : ليس في المائدة منسوخ .

ويشكل بما في المستدرك عن ابن عباس أن قوله : ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أعرِضْ عَنْهُمْ) (٢) منسوخ بقوله : ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ (٣) .

وأخرج أبو عبيد وغيره عن ابن عباس ، قال : أوّل مانسخ من القرآن نسخ القِبْلة .

وأخرج أبو داود في ناسخه من وجه آخر عنه ، قال : أول آية نسخت من القرآن القبلة ثم الصيام الأول .

قال مكيّ : وعلى هذا فلم يقع في المكيّ ناسخ . قال : وقد ذكر أنه وقع في آيات : منها قوله تعالى في سورة غافر : ﴿ وَالْملائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم وَيَسْتَغْفِرونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٤) فإنه ناسخ لقوله : ﴿ وَيَسْتَغْفِرونَ لِمَنْ فِى الأَرْضِ ﴾ (٥) .

قلت : أحسن من هذه نسخ قيام الليل في أول سورة المزّمّل بآخرها ، أو بإيجاب الصلوات الخمس ، وذلك بمكّة اتفاقًا .

• • •

---

(١) التوبة ٤١ (٢) المائدة ٤٢

(٣) المائدة ٤٩ (٤) آية ٧

(٥) الشورى ٥

تنبيه

قال ابن الحصّار : إنما يُرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عن صحابىّ يقول : آية كذا نسخت كذا .

قال : وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ، ليعرف المتقدّم والمتأخر .

قال : ولا يعتمَد فى النسخ قول عوامّ المفسرين ، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ، ولا معارضة بيّنة ؛ لأن النسخ يتضمّن رفع حكم وإثبات حكم تقرر فى عهده صلى الله عليه وسلم . والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد .

قال : والناس فى هذا بين طرفىْ نقيض ، فمن قائل : لايُقبَل فى النسخ أخبار الآحاد العُدول ؛ ومن متساهل يكتفى فيه بقول مفسّر أو مجتهد . والصواب خلاف قولهما . انتهى .

الضرب الثالث : مانسخ تلاوته دون حكمه ، وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو : ماالحكمة فى رفع التلاوة مع بقاء الحكم ؟ وهلّا بقيَت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها ؟

وأجاب صاحب الفنون : بأنّ ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمّة فى المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظنّ ، من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به ، فيسرعون بأيسر شىء ، كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام ، والمنام أدنى طريق الوحى ؛ وأمثلة هذا الضرب كثيرة . قال أبو عبيد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيّوب ، عن نافع عن ابن عمر . قال : لايقولَنّ أحدكم : قد أخذت

القرآن كله ، وما يدريه ما كلّه ! قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل : قد أخذت منه ما ظهر .

وقال : حدثنا ابن أبي مريم ، عن أبي لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ابن الزبير ، عن عائشة ، قالت : كانت سورة الأحزاب تُقرَأُ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مائتي آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ماهو الآن .

وقال : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن المبارك بن فضالة ، عن عاصم ابن أبي النّجود ، عن زِرّ بن حُبيش ، قال : قال لى أُبيّ بن كعب كأيّن تعدّ سورة الأحزاب ؟ قلت : اثنتين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية .قال : إن كانت لتَعْدِل سورة البقرة ، وإن كنّا لنقرأُ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم؟ قال : « إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتّةَ نِكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

وقال : حدّثنا عبدالله بن صالح ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيدبن أبي هلال ، عن مَرْوان بن عثمان ، عن أبي أُمامة بن سهل ، أن خالتَه قالت : لقد أقرأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الرجم : الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتَّة بما قضيا من اللذة » .

وقال : حدثنا حجاج عن ابن جُريج أخبرنى ابن أبي حميد ، عن حميدة بنت أبي يونس ، قالت : قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة فى مصحف عائشة « إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّموا تَسْلِيما . وعلى الذين يصلون الصفوف الأُوَل » ، قالت : قبل أن يغيِّر عثمان المصاحف .

وقال : حدثنا عبدالله بن صالح عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار عن أبى واقد الليثى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُوحِىَ إليه أتيناه ، فعلَّمنا مما أوحى إليه . قال : فجئت ذات يوم : فقال : إن الله يقول : « إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابن آدم واديًا لأحبَّ أن يكون إليه الثانى ؛ ولو كان له الثانى لأحبَّ أن يكون إليهما الثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاالتراب ، ويتوب الله على من تاب ».

وأخرج الحاكم فى المستدرَك ، عن أُبَىّ بن كعب ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن ، فقرأ : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ والْمُشْرِكِين ﴾(١) ومن بقيتها : « لوأنَّ ابن آدم سأل واديًا من مال فأعطِيَه ، سأل ثانيًا ، وإن سألَ ثانيا فأعطِيه سأل ثالثاً ، ولايملأ جوف ابن آدم إلاالتراب ، ويتوب الله على من تاب. وإنَّ ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعمل خيرًا فلن يكفَرَه » .

وقال أبو عبيد ، حدَّثنا حجّاج ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، عن أبى حرب ابن أبى الأسود ، عن أبى موسى الأشعرى ، قال : نزلتْ سورة نحو براءة ، ثم رُفعت وحُفِظ منها : « إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم ، ولو أنَّلابن آدم واديين من مال لتمنى واديًا ثالثا ، ولا يملأ جوف ابنِ آدم إلَّا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

وأخرج ابنُ أبى حاتم ، عن أبى موسى الأشعرىّ ، قال : كنا نقرأُ سورة نشبهها المسبّحات فأُنسيناها ، غير أنى حفظت منها : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا لاتقولوا مالا تفعَلونَ فتكتب شهادة فى أعناقكم ، فتسألون عنها يوم القيامة »

وقال أبوعبيد : حدَّثنا حجّاج ، عن سعيد ، عن الحكم بن عتيبة ، عن

---

(١) البينة ١

عديّ بن عديّ قال : قال عمر كنا نقرأ : «لاترغبوا عن آبائكم فإنّه كفربكم » ، ثم قال لزيد بن ثابت : أكذلك؟ قال : نعم .

وقال : حدّثنا ابن أبي مريم ، عن نافع بن عمر الجُمحي ، وحدثني ابن أبي مُليكة ، عن المِسْوَر بن مخرمة ، قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجدْ فيما أُنزل علينا « أن جَاهِدوا كما جاهدتم أول مرة » ؟ فإنا لانجدها ! قال : أُسقِطت فيما أُسقط من القرآن .

وقال : حدثنا ابن أبي مريم ، عن أبي لهيعة ، عن يزيد بن عمرو المَعافريّ عن أبي سفيان الكلاعي ، أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم : أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتَبا في المصحف ، فلم يخبروه — وعندهم أبو الكنّود سعد بن مالك — فقال مسلَمة : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَلَا أَبْشِرُوا أَنْتُمُ الْمُفْلِحُونَ ٭ وَالَّذِينَ آوَوْهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَجَادَلُوا عَنْهُم الْقَوْمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ أولَئِكَ لَاتَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

وأخرج الطَّبراني في الكبير ، عن ابن عمر ؛ قال : قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانا يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة يصلّيان ، فلم يقدرا منها على حرف ، فأصبحا غاديَيْن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال : إنها ممّا نسخ ، فالهوا عنها .

وفي الصحيحين ، عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الّذين قتلوا وقَنَت يدعو على قاتليهم ؛ قال أنس : ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفع : « أن بلِّغوا عنا قومنا أنَّا لَقِينا ربنا فرضيَ عنا وأرضانا » .

وفي المستدرك عن حذيفة ، قال : ماتقرءون ؟ ربعها (يعني براءة).

قال : الحسين بن المنادى * فى كتابه « الناسخ والمنسوخ » : ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه ، سورتا القنوت فى الوِتْر ، وتسمَّى سورتَى الْخَلع والحفْد.

• • •

تنبيه

حكى القاضى أبو بكر فى الانتصار عن قوم : إنكار هذا الضَّرْب ؛ لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ، ولايجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لاحجَّة فيها .

وقال أبو بكر الرازىّ : نسخُ الرسم والتلاوة ، إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه ، ويرفعه من أوْهامهم ، ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكَتْبه فى المصحف ، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التى ذكرها فى كتابه فى قوله : ﴿ إِنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (١) ؛ ولا يعرف اليوم منها شىء . ثم لايخلو ذلك من أن يكون فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم . حتى إذا تُوُفِّىَ لا يكون متلوًا فى القرآن أو يموت وهو متلوٌ موجود بالرَّسْم ، ثم ينسيه الله الناس ، ويرفعه من أذهانهم . وغير جائز نسخ شىء من القرآن بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وقال فى البرهان فى قول عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها - يعنى آية الرجم - ظاهره أنَّ كتابتها جائزة ، وإنما منعه قول الناس ، والجائز فى نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعُه ، فإذا كانت جائزة

(*) هو أحمد بن جعفر بن محمد البغدادى المعروف بابن المنادى أو أبو الحسين . (معجم المؤلفين ١ : ١٨٢) .

(١) الأعلى ١٨ و ١٩ .

لزم أن تكون ثابتةً ؛ لأن هذا شأن المكتوب . وقد يقال : لو كانت التلاوة باقيةً لبادر عمر ، ولم يعرِّج على مقالة الناس ؛ لأن مقالة الناس لا تصلح مانعًا . وبالجملة هذه الملازمة مشكلة ؛ ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد ، والقرآن لايثبت به ، وإن ثبت الحكم ، ومن‌هنا أنكر ابن ظفَر فى « الينبوع »[1] عدَّ هذا مما نسخ تلاوته ، قال : لأن خبر الواحد لا يُثْبِت القرآن .

قال : وإنما هذا من المنسَأ لا النسخ ، وهما مما يلتبسان ، والفرق بينهما أن المنسَأ لفظُه قد يعلم حكمه (٢) . انتهى .

وقوله : « لعله كان يعتقد أنه خبر واحد » مردود ، فقد صح أنه تلقاها من النبى صلى الله عليه وسلم .

وأخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت ، قال : كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتُبان المصحف . فمرَّا على هذه الآية ، فقال زيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتَّة » ، فقال عمر : لما نزلت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : أكتبها ؟ فكأنَّه كرِه ذلك ، فقال عمر : ألا ترى أنَّ الشيخ إذا زنى ولم يحصَن جُلِدَ ، وأنَّ الشاب إذا زنَى وقد أُحصن رُجِمَ ! .

قال ابن حجر فى شرح المنهاج : فيستفاد من هذا الحديث السبب فى نسخ تلاوتها ؛ لكون العمل على غير الظاهر من عمومها .

قلت : وخطر لى فى ذلك نكتة حسنة . وهو أن سببه التخفيف على الأُمَّة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها فى المصحَف ، وإن كان حكمها باقيًا ؛ لأنه

---

(١) الينبوع فى التفسير لأبى عبد الله بن ظفر الصقلى المتوفى سنة ٥٦٨ هـ ومنه أجزاء متفرقة فى دار الكتب المصرية برقم ٣١٠ تفسير

(٢) البرهان ٢ : ٣٦

أثقل الأحكام وأشدُّها ، وأغلظ الحدود ، وفيه الإشارة إلى ندب الستر .

وأخرج النسائىّ : أنَّ مروان بن الحكم ، قال لزيد بن ثابت : ألا تكتبها فى المصحف ؟ قال : ألا ترى أنَّ الشابين الثيبين يرجمان ! ولقد ذكرنا ذلك ، فقال عمر : أنا أكفيكم ، فقال : يارسول الله ، اكتب لى (*) آية الرجم ، قال : لا تستطيع (قوله : « اكتب لى » (*) أى ائذن لى فى كتابتها ، أو مكنى من ذلك).

وأخرج ابن الضّريس فى فضائل القرآن ، عن يعلى بن حكيم ، عن زيد بن أسلم ، أنّ عمر خطب الناس ، فقال : لا تشكُّوا فى الرَّجْم ، فإنه حقّ ، ولقد هممت أن أكتبه فى المصحف ، فسألت أُبى بن كعب ، فقال : أليس أتيتَنى وأنا أستقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم أفدفعتَ فى صدرى وقلت : تستقرئه آية الرجم ؟ وهم يتسافدون تسافد الحُمُر ؟ قال ابن حجر : وفيه إشارة إلى بيان السَّبب فى رفع تلاوتها وهو الاختلاف .

• • •

تنبيه

قال ابن الحصّار فى هذا النوع : إن قيل كيف يقع النسخ إلى غير بدل وقد قال تعالى : ﴿ مانَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [١] ، وهذا إخبار لايدخله خلف ؟

فالجواب أن نقول : كلّ ماثبت الآن فى القرآن ولم يُنْسَخ فهو بدلٌ ممّا قد نسخت تلاوته ، وكُلّ ما نسخه الله من القرآن مما لانعلمه الآن ، فقد أبدله بما علمناه ، وتواتر إلينا لفظُه ومعناه .

(*) فى الأصل « أكتبنى آية الرجم ، قال لا استطيع . وقوله «اكتبنى الخ» والمثبت من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٢٧ .

(١) البقرة ١٠٦

النوع الثامن والأربعون

فى مُشكِله ومُوهِم الاختِلاف وَالتناقض

أفرده بالتَّصنيف قطرب ، والمراد به مايوهم التعارض بين الآيات ، وكلامه تعالى منزَّه عن ذلك كما قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) ، ولكن قد يقع للمبتدئ مايوهم اختلافًا وليس به فى الحقيقة ؛ فاحتيج لإزالته ، كما صُنِّفَ فى مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، وقد تكلم فى ذلك ابن عباس ، وحكى عنه التوقُّف فى بعضها .

قال عبد الرزَّاق فى تفسيره : أنبأنا مَعْمَر ، عن رجل ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : رأيت أشياء تختلف علىّ من القرآن . فقال ابن عباس : ما هو ؟ أشَكّ ! قال : ليس بشكٍّ ، ولكنه اختلاف ، قال : هات مااختلف عليك من ذلك . قال : أسمع الله يقول : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا ﴾ (٣) فقد كتموا ، وأسمعه يقول : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٤) ثم قال : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٥) : وقال : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ . . . ﴾ (٦) حتى بلغ ﴿ طَائِعِينَ ﴾ (٦) ، ثم قال فى الآية الأخرى : ﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ (٧) ثم قال : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (٨) وأسمعه يقول : ﴿ كان الله ﴾ ماشأنه يقول : ﴿ وكان الله ﴾ ! .

(١) النساء ٨٢
(٢) الأنعام ٢٣
(٣) النساء ٤٢
(٤) المؤمنون ١٠١
(٥) الطور ٢٥
(٦) فصلت ٩-١١
(٧) النازعات ٢٧
(٨) النازعات ٣٠

فقال ابن عباس : أما قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلا أن قالوا والله رَبِّنَا مَا كنَّا مُشْرِكِينَ ﴾(١) فإنهم لما رأو يوم القيامة ، وأن الله يغفر [لأهل الإسلام . ويغفر] * الذنوب ولا يغفر شِركا ، ولا يتعاظمُه ذنب أن يغفره ، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا : والله رَبِّنَا مَاكُنَّا مُشْرِكِين ؛ فختم الله عَلَى أفْوَاهِهِمْ فتكَلَّمَتْ أيْدِيهِمْ وأرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فعند ذلك يَوَد الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُول لو تسوَّى بهمْ الأرْض ولَا يَكْتُمُونَ الله حديثًا » .

وأما قوله : ﴿ فَلاَ أنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ ﴾(٢) . فإنه إذَا نُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاء الله فَلاَ أنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ ، ثم نُفِخَ فيه أُخرَى فَإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُون ، وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ .

وأما قوله : ﴿ خَلَقَ الأرْض فِى يَوْمَيْنِ ﴾(٣) ، فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانًا فسواهنَّ سبع سموات فى يومين بعد خلْق الأرض .

وأما قوله : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾(٤) ، يقول : جعل فيها جبلا . وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرًا ، وجعل فيها بحورًا .

وأما قوله : ﴿ كان الله ﴾ ، فإن الله كان ولم يَزَلْ كذلك ، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير ، لم يَزَلْ كذلك .

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك ، وإن الله لم ينزل شيئًا إلا وقد أصاب الذى أراد ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أخرجه بطوله الحاكم فى المستدرك وصححه ، وأصله فى الصحيح . قال ابن حجر فى شرحه : حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع :

(١) الأنعام ٢٣
(٢) المؤمنون ١٠١
(٣) فصلت ٩
(٤) النازعات ٣٠
(*) الاضافة من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٢٨ .

الأول : نفى المسألة يوم القيامة وإثباتها .

الثاني : كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه .

الثالث : خلق الأرض أو السماء ، أيهما تقدم .

الرابع : الإتيان بحرف « كان » الدالة على المضىّ مع أن الصفة لازمة .

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول ، أنّ نفى المساءلة فيما قبل النفخة الثانية ، وإثباتها فيما بعد ذلك .

وعن الثانى ، أنهم يكتمون بألسنتهم ، فتنطق أيديهم وجوارحهم

وعن الثالث ، أنه بدأ خلق الأرض فى يومين غير مَدْحُوّة ، ثم خلق السموات فسوّاهنّ فى يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، وجعل فيها الرَّوَاسِىَ وغيرها فى يومين ، فتلك أربعة أيام للأرض .

وعن الرابع ، بأنّ « كان » وإن كانت للماضى ، لكنها لاتستلزم الانقطاع بل المراد أنه لم يزل كذلك .

فأمّا الأول فقد جاء فيه تفسير آخر ، أن نفى المساءلة عند تشاغلهم بالصَّعْق والمحاسبة والجواز على الصراط ، وإثباتها فيما عدا ذلك ، وهذا منقول عن السُّدّىّ ، أخرجه ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس أنّ نفى المساءلة عند النفخة الأُولى وإثباتها بعد النفخة الثانية .

وقد تأوّل ابنُ مسعود نفى المساءلة على معنى آخر ، وهو طلب بعضهم من بعض العفو ، فأخرج ابن جرير من طريق زاذان ، قال : أتيت ابنَ مسعود فقال : يُؤخذ بيد العبد يوم القيامة ، فينادَى ، ألا إن هذا فلان ابن فلان فمن كان له حقّ قِبله فليأتِ ، قال : فتود المرأة يومئذ

أن يثبت لها حقٌّ على أبيها أو ابنها أوأخيها أو زوجها ، فلاأنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

ومن طريق أخرى قال : لا يُسأل أحد يومئذ بنسب شيئًا ، ولا يتساءلون به ، ولا يمتّ برحِم .

وأما الثانى ، فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير ، عن الضحّاك بن مزاحم ، أن نافع بن الأزرق : أتى ابنَ عباس فقال : قول الله : ﴿ ولا يَكْتُمُون اللهَ حَدِيثًا ﴾ ، وقوله : ﴿ واللهِ رَبِّنَا مَا كنّا مُشْرِكينَ ﴾ ! فقال : إنى أحسبك قمتَ من عند أصحابك ، فقلتَ لهم : آتى ابنَ عباس ، ألقِي عليه متشابهَ القرآن فأخبرهم أن الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون : إن الله لايقبل إلا ممن وحّده ، فيسألهم فيقولون : ﴿ والله رَبِّنَا ماكنا مشركين ﴾ ، قال : فيختَم على أفواههم ، وتُسْتَنْطق جوارحُهم .

ويؤيّده ما أخرجه مسلم ، من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث ، وفيه : «ثم يلقَى الثالث فيقول : يارب آمنت بك وبكتابك وبرسولك ،ويُثنى ما استطاع فيقول : الآن نبعث شاهدًا عليكَ ، فيذكر فى نفسه : مَن الذى يشهد علىّ ! فيختَم على فيه ، وتنطِق جوارحه » .

أما الثالث ، ففيه أجوبة أخرى ، منها أن (ثُمَّ) بمعنى الواو ، فلا إيراد . وقيل : المراد ترتيب الخبر لا المخبَرِ بهِ كقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1]

وقيل : على بابها وهى لتفاوت (*) ما بين الخلقين ، لا للتراخى فى الزمان

وقيل : « خلق » بمعنى « قدّر » .

(١) البلد ١٧

(*) فى الأصل «لتعارف» والمثبت من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٢٩ .

وأما الرابع ، وجواب ابن عباس عنه ، فيحتمل كلامُه أنه أراد أنه سمىٰ نفسه « غفورًا رحيما » وهذه التسمية مضتْ ؛ لأن التعلق انقضى وأما الصِّفتان فلا تزالان كذلك لاينقطعان ؛ لأنه تعالى إذا أراد المغفرة أو الرّحمة فى الحال أو الاستقبال وقع مرادُه . قاله الشمس الكِرْمانىّ[1] .

قال : ويحتمل أن يكون ابنُ عباس أجاب بجوابين ، أحدهما أن التَّسميةَ هى التى كانت وانتهت ، والصفة لانهاية لها ، والآخر أنَّ معنى « كان » الدوام ؛ فإنه لا يزال كذلك .

ويحتمل أن يُحمل السؤال على مَسْلكيْن . والجواب على دفعهما ، كأنْ يقال : هذا اللفظ مشعِر بأنه فى الزمان الماضى كان غفورًا رحيما ، مع أنْ لم يكن هناك مَنْ يُغفَرَ له أو يُرحَم ، وبأنه ليس فى الحال كذلك لِما يشعِر به لفظ « كان » .

والجواب عن الأول بأن كان فى الماضى تسمَّى به . وعن الثانى ، : بأنَّ « كان » تعطى معنى الدوام ، وقد قال النحاة : كان لثبوت خبرها ماضيًا دائما أو منقطعًا .

وقد أخرج ابن أبى حاتم من وجهٍ آخر عن ابن عباس ، أن يهوديا قال له : إنكم تزعمون أنَّ الله كان عزيزًا حكيمًا ، فكيف هو اليوم ؟ فقال : إنه كان فى نفسه عزيزًا حكيما .

• • •

موضع آخر ، توقَّف فيه ابن عباس . قال أبو عُبيدة : حدّثنا إسماعيل

(١) هو محمد بن يوسف بن على بن سعيد ، شمس الدين الكرمانى ، أحد علماء الحديث ، وشارح البخارى ، وصاحب كتاب ضمائر القرآن ، توفى سنة ٧٨٦ . الدرر الكامنة ٤ : ٣١٠ .

ابن إبراهيم ، عن أيوب ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، قال : سأل رجلٌ ابنَ عباس عن ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [2] ، فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله تعالى فى كتابه ؛ الله أعلم بهما .

وأخرجه ابنُ أبي حاتم من هذا الوجه ، وزاد : « ما أدرى ماهما ، وأكره أن أقول فيهما مالا أعلم » قال ابن أبي مُليكة : فضربت البعير (*) حتى دخلت على سعيد بن المسيّب ، فسئل عن ذلك ، فلم يدرِ مايقول ، فقلت له : ألا أخبرُك بما حضرت من ابن عباس ! فأخبرته ، فقال ابن المسيّب السائل : هذا ابنُ عباس قد اتّقى أن يقول فيهما ، وهو أعلم منىّ !

ورُوى عن ابن عباس أيضا أن يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجُه إليه ، ويومُ الألف فى سورة الحجّ هو أحد الأيام الستة ؛ التى خلق الله فيها السموات ، ويوم الخمسين ألفًا هو يوم القيامة .

فأخرج ابنُ أبي حاتم من طريق سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، أنّ رجلا قال له : حَدِّثْنِى ، ما هؤلاء الآيات ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [2] و ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يعرُجُ إِلَيْهِ فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [1] . ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ﴾ [3] . فقال : يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة ، والسموات فى ستة أيام كلّ يومٍ يكون ألف سنة . و ﴿ يدبِّرُ الأمرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ؛ قال : ذلك مقدار المسير .

---

(١) السجدة ٥ (٢) المعارج ٤

(٣) الحج ٤٧

(*) فى الأصل «فضرب الدهر» ، والمثبت من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٢٩ .

وذهب بعضهم إلى أن المراد بهما يوم القيامة ، وأنه باعتبار حالِ المؤمن والكافر ، بدليل قوله : ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [(١)] .

• • •

فصل

قال الزركشيّ فى البرهان : للاختلاف أسباب :

أحدها : وقوع المخبَر به على أنواع مختلفة وتطويرات شتَّى ، كقوله فى خلق آدم : ﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [(٢)] ، ومرة : ﴿ من حمإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [(٣)] ، ومرة : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [(٤)] ، ومرّة : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ ﴾ [(٥)] ، فهذه ألفاظ مختلفة ومعانيها فى أحوال مختلفة ؛ لأن الصلصال غير الحمإ ، والحمأ غير التراب ، إلّا أنَّ مرجعها كلها إلى جوهر ، وهو التراب ، ومن التراب تدرّجت [(٦)] هذه الأحوال .

وكقوله : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ ﴾ [(٧)] ، وفى موضع : ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [(٨)] ، والجانُّ الصغير من الحيّات ، والثعبان الكبير منها ، وذلك لأنَّ خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها وخِفّتها كاهتزاز الجانّ وخفّته .

• • •

الثانى : لاختلاف الموضوع [(٩)] ، كقوله : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [(١٠)]

---

(١) المدثر ٩ ، ١٠
(٢) آل عمران ٥٩
(٣) الحجر ٢٦ و ٢٨ و ٣٣ .
(٤) الصافات ١١
(٥) الرحمن ١٤
(٦) ط : «درجت» .
(٧) الشعراء ٣٢
(٨) القصص ٣١
(٩) ط : «الموضع» والوجه ما أثبته من الأصل والبرهان .
(١٠) الصافات ٢٤

وقوله : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) ، مع قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٢) ، قال الحَليمىّ (٣) : فتحمَل الآية الأُولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرّسل ، والثانية على ما يستلزمه الإقرار بالنبوّات من شرائع الدين وفروعه .

وحمله غيره على اختلاف الأماكن ؛ لأن فى القيامة مواقف كثيرة ، ففى موضع يُسألون ، وفى آخر لا يُسألون . وقيل : إن السؤال المثبت سؤال تبكيت وتوبيخ ، والمنفىّ سؤال المعذرة وبيان الحجة .

وكقوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ (٤) ، مع قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٥) حمل الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ الآية الأُولى على التوحيد بدليل قوله بعدها : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤) ، والثانية على الأعمال . وقيل : بل الثانية ناسخة للأُولى . وكقوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (٦) . مع قوله : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (٧) ، فالأُولى تُفهم إمكان العدْل ، والثانية تنفيه .

والجواب : أن الأُولى فى توفية الحقوق ، والثانية فى الميل القلبىّ ، وليس فى قدرة الإنسان .

وكقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ (٨) ، مع قوله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ (٩) ، فالأُولى فى الأمر الشرعىّ ، والثانية فى الأمر الكونىّ بمعنى القضاء والتقدير .

---

(١) الأعراف ٦ (٢) الرحمن ٣٩

(٣) الحليمى بفتح الحاء ، هو عبد الله حسن بن الحسن الحليمى الشافعى ، صاحب المنهاج على شعب الايمان . المتوفى سنة ٤٠٣ . وانظر كشف الظنون .

(٤) آل عمران ١٠٢ (٥) التغابن ١٦

(٦) النساء ٣ (٧) النساء ١٢٩

(٨) الأعراف ٢٨ (٩) الاسراء ١٦

الثالث : لاختلافهما فى جهتى الفعل . كقوله : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾(١) . أضيف القتل إليهم والرمى إليه صلى الله عليه وسلم على جهة الكسب والمباشرة ، ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير .

• • •

الرابع : لاختلافهما فى الحقيقة والمجاز ، كقوله : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾(٢) . أى سكارى من الأهوال مجازًا ، لا من الشراب حقيقة .

• • •

الخامس : بوجهين واعتبارين . كقوله : ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٣) . مع قوله : ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ (٤) قال قطرب : فبصرُك . أى علمك ومعرفتك بها قوية ؛ من قولهم : بُصر بكذا أى علم . وليس المراد رؤية العين . قال الفارسىّ : ويدلّ على ذلك قوله : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ﴾(٣)

وكقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾(٥) مع قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٦) . فقد يُظَنّ أن الوجل خلاف الطمأنينة . وجوابه : أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد ، والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى . فتوجَل القلوب لذلك ، وقد جمع بينهما فى قوله : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(٧) .

---

(١) الأنفال ١٧ (٢) الحج ٢
(٣) ق ٢٢ (٤) الشورى ٤٥
(٥) الرعد ٢٨ (٦) الأنفال ٢
(٧) الزمر ٢٣ وانظر البرهان ٢ : ٥٤ ـ ٦٢

ومما استشكلوه قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾(١)، فإنه يدلُّ على حصر المانع من الإيمان فى أحد هذين الشيئين.

وقال فى آية أخرى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾(٢)؛ فهذا حَصْر آخر فى غيرهما.

وأجاب ابنُ عبد السلام: بأنّ معنى الآية الأولى: «وما منع النَّاسَ أن يؤمنوا إلّا إرادة أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ من الخسف أو غيره، أو يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا فى الآخرة»، فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين، ولا شكَّ أنَّ إرادة الله مانعةٌ من وقوع ما ينافى المراد. فهذا حصر فى السبب الحقيقىّ لأن الله هو المانع فى الحقيقة.

ومعنى الآية الثانية: «وما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إلّا استغرابُ بعثه بشرًا رسولاً»، لأن قولهم ليس مانعًا من الإيمان؛ لأنه لا يصلح لذلك؛ وهو يدلُّ على الاستغراب بالالتزام؛ وهو المناسب للمانعية واستغرابهم ليس مانعا حقيقيًّا بل عاديًا؛ لجواز وجود الإيمان معه، بخلاف إرادة الله تعالى؛ فهذا حصر فى المانع العادىّ؛ والأول حصر فى المانع الحقيقىّ، فلا تنافىَ أيضا.

ومما استشكل أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾(٣) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾(٤)، مع قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾(٥)، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾(٦)، إلى غير ذلك من الآيات. ووجهه؛ أن المراد بالاستفهام

---

(١) الكهف ٥٥ (٢) الإسراء ٩٤
(٣) الأنعام ٢١ (٤) الزمر ٣٢
(٥) الكهف ٥٧ (٦) البقرة ١١٤

هنا النفى ، والمعنى : « لا أحدَ أظلم » ، فيكون خبرًا ، وإذا كان خبرًا وأُخذت الآيات على ظواهرها أدّى إلى التناقض . وأُجيب بأوجه :

منها تخصيص كلِّ موضع بمعنى صلته ، أى لا أحدَ من المعاندين أظلمُ ممّن منع مساجد الله ، ولا أحد من المفترين أظلم ممّن افترى على الله كذبًا ، وإذا تخصّص بالصِّلات زال التناقض .

ومنها : أن التخصيص بالنسبة إلى السَّبْق ، لَمّا لم يسبق أحد إلى مثله ، حكَم عليهم بأنهم أظلم ممّن جاء بعدهم سالكًا طريقهم ؛ وهذا يئول معناه إلى ما قبله ؛ لأن المراد السبق إلى المانعيّة والافترائية .

ومنها ـ وادّعى أبو حيان أنه الصواب ـ : أن نفى الأظلميّة لايستدعى نفى الظالمية ؛ لأن نفى المقيّد لايدلّ على نفى المطلق ، وإذا لم يدلّ على نفى الظالمية لم يلزم التناقض ؛ لأن فيها إثبات التسوية فى الأظلميّة ، وإذا ثبتت التسوية فيها لم يكن أحد ممّن وُصِف بذلك يزيد على الآخر ؛ لأنهم يتساوون فى الأظلميّة وصار المعنى : لا أحد أظلم ممّن افترى وممّن منع ونحوها ، ولا إشكال فى تساوى هؤلاء فى الأظلمية ، ولا يدلّ على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر ، كما إذا قلت : لا أحد أفقه منهم ، انتهى .

وحاصل الجواب أنَّ نفى التفضيل لايلزم منه نفى المساواة .

وقال بعض المتأخّرين : هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ، ولا نفيها عن غيره .

وقال الخطّابىّ[1] : سمعت ابن أبى هريرة يحكى عن أبى العباس بن

---

(١) هو احمد بن محمد بن ابراهيم أبو سليمان ، شارح سنن أبى داود ، ومؤلف كتاب بيان اعجاز القرآن وغيره توفى • سنة ٣٨٨ • ابن خلكان ١ : ١٦٦

سريج ، قال : سأل رجل بعض العلماء عن قوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾[(١)] فأخبر أنّه لايقسم به . ثم أقسم به فى قوله : ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾[(٢)] فقال : أيُّمَا أحبّ إليك ؟ أجيبك ثم أقطعك ، أو أقطعك ثم أجيبك ؟ فقال : أقطعنى ثم أجِبنى ، فقال له : اعلم أن هذا القرآن نزلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال ، وبين ظهرانَىْ قومٍ كانوا أحرصَ الخلق على أن يجدُوا فيه مغمزًا وعليه مطعنًا ، فلو كان هذا عندهم مناقضةً لتعلّقوا به ، وأسرعوا بالردّ عليه ؛ ولكنَّ القوم علموا وجَهِلْتَ ،ولم ينكروا منه ما أنكرتَ ، ثم قال له : إن العرب قد تدخل « لا » فى أثناء كلامها وتلغى معناها ، وأنشد فيه أبياتًا .

تنبيـــه

قال الاستاذ أبو إسحاق الإسفرايينى[(٣)] : إذا تعارضت الآى وتعذّر فيها الترتيب والجمع ، طُلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخِّر ، ويكون ذلك نسخًا ، وإن لم يعلم ، وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها . قال : ولا يوجَد فى القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عنْ هذين الوضعين (*) .

قال غيره : وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو : ﴿ وأرْجُلَكُم ﴾[(٤)] بالنصب والجرّ ، ولهذا جمع بينهما بحمل النَّصْب على الغُسْل والجرّ على مسح الخفّ .

---

(١) البلد ١ (٢) التين ٣

(٣) هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايينى المعروف بالأستاذ ، صاحب كتاب جامع الحلى فى أصول الدين والرد على الملحدين . توفى سنة ٤١٨ . ابن خلكان ١ : ٤ .

(٤) المائدة ٦ .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٣١ «الوصفين» .

وقال الصيرفىّ : جماع الاختلاف والتناقض أنّ كلّ كلامٍ صحّ أن يضاف بعض ماوقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه ، فليس فيه تناقض ، وإنما التناقض فى اللفظ. ما ضادّه من كلّ جهة ، ولا يوجد فى الكتاب والسنة شىء من ذلك أبدًا ؛ وإنما يوجد فيه النسخ فى وقتين .

وقال القاضى أبو بكر : لا يجوز تعارض آى القرآن والآثار وما يوجبه العقل ، فلذلك لم يجعل قوله : ﴿ اللهُ خَالِقُ كلِّ شىءٍ ﴾ [١] معارضا لقوله : ﴿ وتَخْلُقُونَ إفْكًا ﴾ [٢] ، ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ ﴾ [٣] لقيام الدليل العقلى ، أنّه لا خالق غير الله ، فتعيّن تأويل ما عارضه ، فيؤوّل « وتخلقون » على « تكذبون » وتخلق على « تصور » .

فائــدة

قال الكِرمانىّ عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾[٤] : الاختلاف على وجهين : اختلاف تناقض ، وهو مايدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر ، وهذا هو الممتنع على القرآن ، واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين ، كاختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ ، والأمر والنهى والوعد والوعيد .

---

(١) الزمر ٦٢ .
(٢) العنكبوت ١٧ .
(٣) المائدة ١١٠
(٤) النساء ٨٢

النوع التاسع والأربعون

فى مطلقه ومقيده

المطلق الدالّ على الماهية بلا قيد ، وهو مع المقيد كالعامّ مع الخاص ، قال العلماء : متى وُجِد دليل على تقييد المطلق صِير إليه ، وإلّا فلا ؛ بل يبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيّد على تقييده ؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب .

والضابط أنّ الله إذا حكم فى شيء بصفة أو شرط ، ثم وَرَدَ حكمٌ آخر مطلقا نُظِر ، فإن لم يكن له أصل يُرَدّ إليه إلّا ذلك الحكمُ المقيّد وجب تقييده به ، وإن كان له أصل (يرد إليه) [*] غيره لم يكن ردّه إلى أحدهما بأولى من الآخر فالأوّل مثل اشتراط العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق والوصية فى قوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾[2] ، وقد أطلق الشهادة فى البيوع وغيرها فى قوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُم ﴾[3] ، ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾[4] .

والعدالة شرط فى الجميع .

ومثل تقييده ميراث الزوجين ، بقوله . ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾[5] . وإطلاقُه الميراث فيما أطلق فيه .

وكذلك ما أطلق من المواريث كلّها بعد الوصية والدَّين .

---

(١) الطلاق ٢ — (٢) المائدة ١٠٦

(٣) البقرة ٢٨٢ — (٤) النساء ٦

(٥) النساء ١١

(*) هذا اللفظان من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٣٢ وبهما يستقيم السياق .

وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرَّقَبة المؤمنة ، وإطلاقها في كفَّارة الظِّهار واليمين ، والمطلق كالمقيَّد في وصف الرقبة .

وكذلك تقييد الأيدي بقوله : ﴿ إلى الْمَرَافِق ﴾[1] ، في الوضوء ، وإطلاقه في التيمم .

وتقييد إحباط العمل بالرِّدة بالموت على الكفر في قوله : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيمتْ وَهُوَ كَافِرٌ . . . ﴾[2] ، الآية ، وأطلق في قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾[3] .

وتقييد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام ، وأُطلق فيما عداها .

فمذهب الشافعي حمل المطلق على المقيَّد في الجميع .

ومن العلماء من لايحمله ، ويجوِّز إعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين ، ويكتفي في التيمم بالمسح إلى الكوعين ، ويقول : إن الردَّة تحبط العمل بمجرَّدها .

والثاني مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، وتقييده بالتفريق في صوم التمتع . وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقًا ومتتابعًا لايمكن حمله عليهما ، لتنافي القيدين (وهما التفريق والتتابع(*)) ، ولا على أحدهما لعدم المرجِّح .

---

(١) المائدة ٦ (٢) البقرة ٢١٧

(٣) المائدة ٥

(*) عن ط وطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٣٢ .

تنبيهات

الأول : إذا قلنا بحمل المطلق على المقيّد ، فهل هو من وضع اللغة أو بالقياس مذهبان :

وجه الأول أنّ العرب من مذهبها استحباب الإطلاق اكتفاء بالمقيد ، وطلبًا للإيجاز والاختصار .

الثانى : ما تقدّم محلّه ، إذا كان الحكمان بمعنى واحد ، وإنما اختلفا فى الإطلاق والتقييد ، فأمّا إذا حكم فى شىء بأمور ، ثم فى آخر ببعضها ، وسكت فيه عن بعضها ، فلا يقتضى الإلحاق ، كالأمر بغسل الاعضاء الأربعة فى الوضوء ، وذكر فى التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل ، ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضًا ، وكذلك ذكَرَ العِتْق والصوم والإطعام فى كفّارة الظهار ، واقتصر فى كفارة القتل على الأولين ، ولم يذكر الإطعام ، فلا يقال بالحمْل وإبدال الصيام بالطعام .

• • •

النوع الخمسون

فى منطوقه ومفهومه

المنطوق مادلّ عليه اللفظ فى محل النُّطق ، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنصّ ، نحو : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾(١) ، وقد نُقِل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النصّ جدًا فى الكتاب والسنة . وقد بالغ إمام الحرمين(٢) وغيره فى الردّ عليهم ، قال : لأن الغَرض من النصّ الاستقلال بإفادة المعنى على قطع ، مع انحسام جهات التأويل والاحتمال ، وهذا وإن عز حصوله بوضع الصيغ ردًّا إلى اللغة ، فما أكثره مع القرائن الحالية والمقالية ! انتهى .

أو مع احتمال غيره احتمالا مرجوحًا ، فالظاهر نحو : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾(٣) ، فإن الباغِىَ يُطلق على الجاهل وعلى الظالم ، وهو فيه أظهر وأغلب ، ونحو : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾(٤) ، فإنه يقال للانقطاع طهر ، وللوضوء والغسل ، وهو فى الثانى أظهر .

فإن حُمِل على المرجوح لدليلٍ فهو تأويل ، ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤوّلا ، كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾(٥) ؛ فإنه يستحيل حمل

---

(١) البقرة ١٩٦

(٢) هو أبو المعالى عبد الملك بن أبى عبد الله بن يوسف الجوينى ، شيخ الغزالى ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى . توفى سنة ٤٧٨ هـ . ابن خلكان ١ : ٢٨٧

(٣) البقرة ١٧٣ . (٤) البقرة ٢٢٢ .

(٥) الحديد ٤ .

المعيّة على القرب بالذّات ، فتعيّن صرفه عن ذلك ، وحمله على القدرة والعلم ، أو على الحفظ والرعاية .

وكقوله : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾[١] ، فإنه يستحيل حمله على الظاهر ، لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة ، فيُحمل على الخضوع وحسن الخُلق

وقد يكون مشتركا بين حقيقتين ، أوْ حقيقة ومجاز ، ويصحّ حمله عليهما جميعًا ، سواء . قلنا بجواز استعمال اللفظ فى معنييْه أولا ؛ ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين ؛ مرّةً أُريد هذا ، ومرة أريد هذا .

ومن أمثلته : ﴿ ولاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ ولا شَهِيدٌ ﴾[٢] ، فإنه يحتمل : لا يضاررُ الكاتبُ والشهيد صاحب الحقّ بجوْرٍ فى الكتابة والشهادة و « لايُضاررَ » بالفتح ، أى لايضرهما صاحب الحق بإلزامهما مالا يلزمهما ، وإجبارهما على الكتابة والشهادة .

ثم إن توقّفت صحة دلالة اللفظ على إضمارٍ سُمّيت دلالة اقتضاء ؛ نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[٣] ، أى أهلها ، وإن لم تتوقف ودلّ اللفظ على مالم يُقصد به سميت دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾[٤] على صحة صوم من أصبح جُنبًا ، إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جُنبًا فى جزء من النهار . وقد حُكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظىّ .

• • •

(١) الاسراء ٢٤ (٢) البقرة ٢٨٢ .

(٣) يوسف ٨٢ . (٤) البقرة ١٨٧ .

فصل

والمفهوم ما دلّ عليه اللفظ ، لا فى محل النطق ، هو قسمان : مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة .

فالأول : ما يوافق حكمه المنطوق ، فإن كان أولى سُمّىَ فحوى الخطاب كدلالة : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾[1] على تحريم الضرب لأنه أشدّ ، وإن كان مساويًا سُمّى لحن الخطاب ، أى معناه ، كدلالة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾[2] ، على تحريم الإحراق لأنه مساوٍ للأكل فى الإتلاف . واختلف : هل دلالة ذلك قياسيه أو لفظية مجازية أو حقيقية ؟ على أقوال بيناها فى كتبنا الأصولية .

والثانى : ما يخالف حكمه المنطوق ، وهو أنواع :

مفهوم صفة ، نعتا كان أو حالا أو ظرفًا أو عددًا ، نحو : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[3] ، مفهومه أنّ غير الفاسق لايجب التّبيّن فى خبره ؛ فيجب قبول خبر الواحد العدل .

﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾[4] ، ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾[5] أى فلا يصح الإحرام به فى غيرها . ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾[6] أى فالذّكر عند غيره ليس محصّلا للمطلوب ، ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[7] أى لاأقلّ ولا أكثر .

وشرطٍ ، نحو : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾[8] أى فغير أولات الحمل لايجب الإنفاق عليهنّ .

(١) الاسراء ٢٣ .
(٢) النساء ١٠ .
(٣) الحجرات ٦ .
(٤) البقرة ١٨٧ .
(٥) البقرة ١٩٧ .
(٦) البقرة ١٩٨ .
(٧) النور ٤ .
(٨) الطلاق ٦ .

وغايةٍ ، نحو : ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ[١] ﴾ أى فإذا نكحته تحل للأوّل بشرطِه .

وحَصرٍ ، نحو : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴾[٢] ، ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللهُ ﴾[٣] ؛ أى فغيرُه ليس بإلٰه ، ﴿ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾[٤] ، أى فغيره ليس بولىّ ، ﴿ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٥] ، أى لا إلى غيره ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٦] أى لا غيرك

واختلف فى الاحتجاج بهذه المفاهيم ، على أقوال كثيرة ، والأصحّ فى الجملة أنها كلّها حجّة بشروط :

منها ألا يكون المذكور (خرج للغالب *) ومن ثم لم يعتبر الأكثرون مفهوم قوله : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم ﴾[٧] ؛ فإن الغالب كون الربائب فى حجور الأزواج فلا مفهوم له ؛ لأنّه إنما خُصّ بالذكر لغلبة حضوره فى الذهن .

وألّا يكون موافقًا للواقع ، ومن ثمّ لامفهوم لقوله : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخر لابُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾[٨] ، وقوله : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩] وقوله : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾[١٠]

والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول .

* * *

(١) البقرة ٢٣٠ .
(٢) الصافات ٣٥ .
(٣) طه ٩٨ .
(٤) الشورى ٩ .
(٥) آل عمران ١٥٨ .
(٦) الفاتحة ٥ .
(٧) النساء ٢٣ .
(٨) المؤمنون ١١٧ .
(٩) آل عمران ٢٨ .
(١٠) النور ٣٣ .

* اضافة من طبقة الشيخ مصطفى عبد الرازق ٢ : ٣٣ وبها يستقيم السياق .

فائدة

قال بعضهم : الألفاظ إمّا أن تَدُلّ بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها ، أو باقتضائها وضرورتها ، أو بمعقولها المستنبط منها . حكاه ابن الحصّار . وقال : هذا كلام حسن .

قلت : فالأول دلالة المنطوق ، والثاني دلالة المفهوم ، والثالث دلالة الاقتضاء ، والرابع دلالة الإشارة

النوع الحادى والخمسون

فى وُجوه مخاطباتِه

قال ابن الجوزى فى كتابه « النفيس » : الخطاب فى القرآن على خمسة عشر وجهاً .

وقال غيره : على أكثر من ثلاثين وجهًا :

أحدها : خطاب العام ، والمراد به العُموم ، كقوله : ﴿ اللهُ الذِى خَلَقَكُمْ ﴾[١] .

والثانى : خطاب الخاصّ والمراد به الخصوص ، كقوله : ﴿ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[٢] ، ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾[٣] .

الثالث : خطاب العامّ والمراد به الخصوص ، كقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتقوا رَبَّكُمْ ﴾[٤] ، لم يدخل فيه الأطفال والمجانين .

الرابع : خطاب الخاصّ ، والمراد العموم ، كقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[٥] ، افتتح الخطاب بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، والمراد سائر من يملك الطلاق ، وقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ... ﴾[٦] الآية ، قال أبو بكر الصيرفى[٧] : كان ابتداء الخطاب له ، فلما قال فى الموهوبة : ﴿ خالصةً لَكَ ﴾[٦] ، عُلم أن ماقبلها له ولغيره .

الخامس : خطاب الجنس ، كقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ ﴾ .

---

(١) الروم ٥٤ . (٢) آل عمران ١٠٦ .

(٣) المائدة ٦٧ . (٤) الحج ١ .

(٥) الطلاق ١ . (٦) الأحزاب ٥٠ .

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الله الفقيه الشافعى المعروف بالصيرفى ، بغدادى له تصانيف فى أصول الفقه . توفى سنة ١٣٣٠ هـ ابن خلكان ١ : ٤٥٨ .

السادس : خطاب النوع ، نحو : ﴿ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ .

السابع : خطاب العين ، نحو : ﴿ وقلنا يَا آدَمُ اسْكُنْ ﴾ (١) ، ﴿ يانُوحُ اهْبِطْ ﴾ (٢) ، ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ • قدْ صَدَّقْتَ ﴾ (٣) ، ﴿ يَا مُوسَى لاَ تَخفْ ﴾ (٤) ، ﴿ يَاعِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ (٥) . ولم يقع فى القرآن الخطاب بـ « يا محمد » بل ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ ﴾ ، ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُول ﴾ تعظيمًا له ، وتشريفًا وتخصيصًا بذلك عمّا سواه ، وتعليما للمؤمنين ألّا ينادوه باسمه .

الثامن : خطاب المدح ، نحو : ﴿ يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ﴾ (٦) ، ولهذا وقع خطابا لأهل المدينة ، ﴿ والذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ (٧) ، أخرج ابن أبى حاتم عن خَيْثمة : ماتقرءون فى القرآن ﴿ يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ﴾ ، فإنه فى التوراة « يأيّها المساكين » . وأخرج البيهقى وأبو عبيد وغيرهما عن ابن مسعود ، قال : سمعت الله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ﴾ ، فأَوْعِها سمعك ، فإنه خيرٌ يأْمُرُ به أو شرّ ينهى عنه .

التاسع : خطاب الذم ، نحو : ﴿ يَاأَيُّها الذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ (٨) ، ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (٩) ، ولتضمّنه الإهانة لم يقع فى القرآن غير هذين الموضعين ، وأكثر الخطاب بـ : ﴿ يَاأَيُّها الذِينَ آمَنُوا ﴾ (٨) : على المواجهة ، وفى جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة ، إعراضًا عنهم كقوله : ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١٠) ، ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١١) .

---

(١) البقرة ٣٥ . (٢) هود ٤٨ .
(٣) الصافات ١٠٤ ، ١٠٥ . (٤) النمل ١٠ .
(٥) آل عمران ٥٥ . (٦) النساء ١٣٦ .
(٧) الأنفال ٧٤ . (٨) التحريم ٧ .
(٩) الكافرون ١ . (١٠) البقرة ٦ .
(١١) الأنفال ٣٨ .

العاشر : خطاب الكرامة ، كقوله : ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ، ﴿ يَـٰأَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ قال بعضهم : ونجد الخطاب بالنبي في محل لايليق به الرسول ، وكذا عكسه ، كقوله في الأمر بالتشريع العام : ﴿يَـٰأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾(١) ، وفي مقام الخاص : ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ ﴾ (٢) ، قال : وقد يعبّر بالنبي في مقام التشريع العامّ ؛ لكن مع قرينة إرادة العموم ، كقوله : ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾ (٣) ولم يقل : « طلقت » .

الحادي عشر : خطاب الإهانة ، نحو : ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٤) ، ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٥) .

الثاني عشر : خطاب التهكّم ، نحو : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٦)

الثالث عشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد ، نحو : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الإنسانُ ما غرّكَ بربِّكَ الكَرِيمِ ﴾ (٧) .

الرابع عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع ، نحو : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ . . ﴾ (٨) إلى قوله : ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ (٩) ، فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحدَه ، إذ لانبيّ معه ولا بعده .

وكذا قوله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا . . ﴾ (١٠) الآية ، خطاب له صلى الله عليه وسلم وحدَه ، بدليل قوله : ﴿ وَاصبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ . . . ﴾(١١) الآية ، وكذا قوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَموا ﴾ (١٢) ، بدليل قوله :

(١) المائدة ٦٧ .
(٢) التحريم ١
(٣) الطلاق ١ .
(٤) الحجر ٣٤ .
(٥) المؤمنون ١٠٨ .
(٦) الدخان ٤٩ .
(٧) الانفطار ٦ .
(٨) المؤمنون ٥١ .
(٩) المؤمنون ٥٤ .
(١٠) النحل ١٢٦ .
(١١) النحل ١٢٧ .
(١٢) هود ١٤ .

﴿ قُلْ فأْتُوا ﴾(١) ، وجعل منه بعضهم : ﴿ قَالَ رَبِّ ارجعُونِ ﴾(٢) ، أى ارجعنى . وقيل ، « ربّ » خطاب له تعالى ، و « ارجعون » للملائكة .

وقال السّهيلىّ : هو قول مَنْ حضرته الشياطين وزبانية العذاب ، فاختلط فلا يدرى مايقول من الشَّطَط . وقد اعتاد أمرًا يقوله فى الحياة من ردّ الأمر إلى المخلوقين.

الخامس عشر : خطاب الواحد بلفظ الاثنين ، نحو : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّم ﴾(٣) والخطاب لمالك خازن النار ، وقيل : لخزنة النار والزبانية ، فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين ، وقيل : للملكين الموكّلين فى قوله : ﴿ وجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وشَهِيدٌ ﴾(٤) ، فيكون على الأصل ، وجعل المهدوىّ من هذا النوع : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتكما ﴾(٥) قال : الخطاب لموسى وحدَه ؛ لأنه الدّاعى وقيل لهما ؛ لأنّ هارون أمّن على دعائه والمؤمّن أحد الداعِيَيْن.

السادس عشر : خطاب الاثنين بلفظ الواحد ، كقوله : ﴿ فَمَنْ رَبُّكما يَامُوسَى ﴾(٦) أى : وياهارون ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه أفرده بالنداءِ لإدلاله عليه بالتربية .

والآخر : لأنه صاحب الرسالة والآيات ، وهارون تبع له ؛ ذكره ابن عطية وذكر فى الكشاف آخر ، وهو أن هارون لما كان أفصح من موسى ، نكب "فرعون عن خطابه حذرا من لسانه"

ومثله : ﴿ فَلَا يُخرِجَنَّكُمَا مِن الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾(٧) . قال ابن عطية : أفرده بالشقاء لأنه المخاطب أولا ، والمقصود فى الكلام ، وقيل : لأن الله جعل الشقاء

(١) هود ١٣ .
(٢) المؤمنون ٩٩ .
(٣) ق ٢٤ .
(٤) ق ٢١ .
(٥) يونس ٨٩ .
(٦) طه ٤٩
(٧) طه ١١٧

(*ــ*) المثبت عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٣٥ وبه يستقيم السياق .

فى معيشة الدنيا فى جانب الرّجال . وقيل : إغضاء عن ذكر المرأة كما قيل : من الكرمَ ستر الحرم .

السابع عشر : خطاب الاثنين بلفظ الجمع ، كقوله ﴿ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بيوتكُمْ قبلة ﴾ (١) .

(الثامن عشر : خطاب الجمع بلفظ الاثنين كما تقدم فى*) ﴿ أَلْقِيَا ﴾ (٢)

التاسع عشر : خطاب الجمع بعد الواحد كقوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنهُ مِنْ قُرْآنٍ ولاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ (٣) قال ابن الأنبارى : جمع فى الفعل الثالث ليدلّ على أن الأمة داخلون مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ومثله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء ﴾ (٤) .

العشرون : عكسه ، نحو : ﴿ وَأَقِيموا الصَّلاَةَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) .

الحادى والعشرون : خطاب الاثنين بعد الواحد ، نحو : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءنا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ ﴾ (٧) .

الثانى والعشرون : عكسه ، نحو : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسى ﴾ (٨) .

الثالث والعشرون : خطاب العين والمراد به الغير ، نحو : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ ﴾ (٩) ، الخطاب له ، والمراد أُمّته ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان تقيًا ، وحاشاه من طاعة الكفار ! ومنه : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ ... ﴾ (١٠) الآية ، حاشاه صلى الله عليه وسلم من الشك ، وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار .

---

(١) يونس ٨٧ (٢) ق ٢٤ .
(٣) يونس ٦١ (٤) الطلاق ١
(٥) البقرة ٤٣ (٦) يونس ٨٧
(٧) يونس ٧٨ (٨) طه ٤٩
(٩) الأحزاب ١ (١٠) يونس ٩٤
(* - *) المثبت عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٣٥ .

أخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن عباس فى هذه الآية قال : لم يشكّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يسأل ، ومثله : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا.. ﴾(١) الآية ، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾ (٢) ، وأنحاء ذلك .

الرابع والعشرون : خطاب الغير والمراد به العين ، نحو : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (٣) .

الخامس والعشرون : الخطاب العامّ الذى لم يقصد به مخاطب معيّن ، نحو : ﴿ أَلَمْ تَر أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَه ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾(٥) ، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ﴾ (٦) ، لم يقصد بذلك خطاب معيّن ، بل كل أحد ، وأُخرِج فى صورة الخطاب لقصد العموم ، يريد أن حالهم تناهت فى الظهور ، بحيث لايختصّ بها راء دون راء ، بل كل من أمكن منه الرؤية داخل فى ذلك الخطاب .

السادس والعشرون : خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره ، نحو : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبوا لَكُمْ ﴾(٧) ، خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال للكفار : ﴿ فاعلموا أنما أُنْزِل بعلم الله ﴾(٧) ، بدليل : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(٧) ، ومنه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ﴾ (٨) إلى قوله : ﴿ لِتُؤْمِنُوا ﴾(٨) ، فيمن قرأ بالفوقيّة .

السابع والعشرون ، خطاب التلوين وهو الالتفات .

---

(١) الزخرف ٤٥ (٢) الأنعام ٣٥
(٣) الأنبياء ١٠ (٤) الحج ١٨
(٥) الأنعام ٢٧ (٦) السجدة ١٢
(٧) هود ١٤ (٨) الفتح ٨ ، ٩

الثامن والعشرون : خطاب الجمادات خطابَ مَنْ يعقل ، نحو :﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (١) .

التاسع والعشرون : خطاب التهييج ، نحو : ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

الثلاثون : خطاب التَّحنُّن ، والاستعطاف ، نحو : ﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا . . . ﴾ (٣) .

الحادى والثلاثون : خطاب التحبُّب ، نحو : ﴿ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ﴾ (٤) ، ﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ ﴾ (٥) ، ﴿ يَابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ﴾ (٦) .

الثانى والثلاثون : خطاب التعجيز ، نحو : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾ (٧) .

الثالث والثلاثون : خطاب التشريف ، وهو كلّ مافى القرآن مخاطبةً بـ « قل » فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأُمّة ، بأن يخاطبها بغير واسطة ؛ لتفوز بشرف المخاطبة .

الرابع والثلاثون : خطاب المعدوم ، ويصح ذلك تبعا لموجود ، نحو : ﴿ يابنى آدَم ﴾ فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكلّ مَنْ بعدهم .

فائدة

قال بعضهم : خطاب القرآن ثلاثة أقسام :

قسم لايصلح إلا للنبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فصلت ١١
(٢) المائدة ٢٣
(٣) الزمر ٥٣
(٤) مريم ٤٢
(٥) لقمان ١٦
(٦) طه ٩٤
(٧) البقرة ٢٣

وقسم لايصلح إلا لِغيره .

وقسم لهما .

فائدة

قال ابن القيِّم : تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله ، وله الحمد كله ، أزمّة الأمور كلها بيده ، ومصدرها منه ، و مردّها إليه ، مستويًا على العَرْش ، لاتخفى عليه خافية من أقطار مملكته ، عالمًا بما فى نفوس عبيدة ، مطّلعًا على أسرارهم وعلانيتهم ، منفردًا بتدبير المملكة ، يسمع ويرى ، ويعطى ويمنع ، ويثيب ويعاقب ، ويكرم ويُهين ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويقدّر ويقضى ويدبر ، الأمور نازلة من عنده ، دقيقها وجليلها ، وصاعدة إليه لاتتحرك ذَرّة إلا بإذنه ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه . فتأمل كيف تجده يُثنى على نفسه ، ويمجّد نفسه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده ، ويدلهم على مافيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرغّبهم فيه ، ويحذّرهم مما فيه هلاكهم ، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ، ويتحبّب إليهم بِنعَمه وآلائه ، يذكّرهم بنعمه عليهم ، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامَها ، ويحذّرهم من نقمه ، ويذكّرهم بما أعدّ لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوْه ، ويخبرهم بصنعه فى أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهولاء ، ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ، ويذمّ أعداءه بسيئ أعمالهم ، وقبيح صفاتهم ، ويضرب الأمثال ، وينوّع الأدِلّة والبراهين ، ويجيب عن شبَه أعدائه أحسن الأجوبة ، ويصدّق الصادق ، ويكذّب الكاذب ، ويقول الحق ويهدِى السبيل ويدعو إلى دار السلام ، ويذكر أوصافها وحسنَها ونعيمها ، ويحذر من دار البوار ، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ، ويذكّر عُبّاده فقرَهم إليه ، وشدّة حاجتهم إليه من كلّ وجه ، وأنهم لاغنى لهم

عنه طرفةَ عين ،ويذكُرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات ، وأنّه الغنى بنفسه عن كلٍّ ماسواه ، وكلّ ما سواه فقير إليه ، وأنه لن ينال أحد ذرّةً من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته ، ولا ذَرّةً من الشرّ فما فوقها إلا بعدله وحكمته ، وتَشهد من خطابه عِتَابَه لأحبابِه ألطف عتاب ، وأنّه مع ذلك مقيلٌ عثراتِهم ، وغافر زلاتهم ، ومقيم أعذارَهم ، ومصلح فسادهم ، و الدافع عنهم ، والحامى عنهم ، والناصر لهم ، والكفيل بمصالحهم ، والمنجّى لهم من كل كَرْب ، والموفِى لهم بوعده ، وأنّه وليُّهم الذى لاولىَّ لهم سواه ، فهو مولاهم الحقّ ، ونصيرهم على عدوّهم ، فنعم المولى ونعم النصير !.

وإذا شهدت القلوبُ من القرآن ملكًا عظيمًا جوَادًا رحيمًا جميلًا ، هذا شأنه ، فكيف لاتحبّه وتنافس فى القرب منه ، وتنفق أنفاسها فى التودّد إليه ، ويكون أحبَّ إليها من كلّ ما سواه ، ،، صاه آثر عندها من رضا كلٍّ مَنْ سواه ! وكيف لا تلهَجُ بذكره وتصيّر حبّه والشوقَ إليه والأُنس به هو غِذاؤها ، وقُوتَها ودواؤها ، بحيث إن فقدت (ذلك فسدت *) وهلكت ولم تنتفع بحياتها .

فائدة

قال بعض الأقدمين : أُنزِل القرآن على ثلاثين نحوًا ، كل نحو منه غير صاحبه ؛ فمن عرف وجوهَها ثم تكلّم فى الدين أصاب ووفّق ، ومن لم يعرفها وتكلّم فى الدين كان الخطأُ إليه أقرب ؛ وهى : المكىّ والمدنىّ ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكَم والمتشابه ، والتقديم والتأْخير ، والمقطوع والموصول ، والسبَب والإضمار ، والخاصّ والعامّ ، والأمر والنهى ، والوعدوالوعيد ، والحدود

(*) الاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٣٦ وبه يستقيم السياق .

والأحكام ، والخبر ، والاستفهام والأُبَّهة ، والحروف المصرّفة ، والإعذار والإنذار ، والحجّة والاحتجاج ، والمواعظ والأمثال ، والقَسَم .

قال فالمكيّ : مثل : ﴿ واهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا ﴾ (١) .

والمدنيّ : مثل : ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ ﴾ (٢) .

والناسخ والمنسوخ ، واضح .

والمحكم : مثل : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا . . . . ﴾ (٣) الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ (٤) ، ونحوه مما أحكمه الله وبيّنه .

والمتشابه : مثل : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَى تَسْتَأْنِسُوا ... ﴾ (٥) الآية ، ولم يقُلْ : ﴿ وَمَن يفعَل ذَلِكَ عُدوَانًا وَظُلما فَسَوفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ (٦) ، كما قال فى المحكَم ، وقد ناداهم فى هذه الآية بالإيمان، ونهاهم عن المعصية ، ولم يجعل فيها وعيدا ، فاشتبه على أهلها مايفعل الله بهم .

والتقديم والتأخير : مثل : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَ كُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ (٧) ، التقدير : كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموتُ .

والمقطوع والموصول : مثل : ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٨) فلا مقطوع من أقسم ، وإنّما هو فى المعنى : « أُقسم بيوم القيامة وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » ، ولم يقسم .

---

(١) المزمل ١٠ (٢) البقرة ١٩٠

(٣) النساء ٩٣ (٤) النساء ١٠

(٥) النور ٢٧ (٦) النساء ٣٠

(٧) البقرة ١٨٠ (٨) القيامة ١

والسبب والإضمار : مثل : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [١] أى أهلَ القرية .

والخاصّ والعامّ : مثل : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ ﴾ فهذا فى المسموع خاص : ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [٢] ، فصار فى المعنى عامًّا .

والأمر : وما بعده إلى الاستفهام أمثلتها واضحة .

والأُبَّهة : مثل : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا ﴾ [٣] ، ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ [٤] عبّر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى تفخيمًا وتعظيمًا وأُبهة .

والحروف المصرفة : كالفتنة تطلق على الشرك ، نحو : ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [٥] .

وعلى المعذرة : نحو : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ [٦] أى معذرتهم .

وعلى الاختبار : نحو : ﴿ قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ [٧] .

والاعتذار : نحو : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ [٨] ، اعتذر أنه لم يفعل ذلك إلّا بمعصيتهم .

والبواقى أمثلتها واضحة .

---

(١) يوسف ٨٢ (٢) الطلاق ١
(٣) نوح ١ (٤) الزخرف ٣٢
(٥) البقرة ١٩٣ (٦) الأنعام ٢٣
(٧) طه ٨٥ (٨) المائدة ١٣

النوع الثانى والخمسون

فى حقيقته ومجازه

لاخلاف فى وقوع الحقائق فى القرآن ؛ وهى كلّ لفظ بقىَ على موضوعه ، ولا تقديم فيه ولا تأْخير ، وهذا أكثر الكلام .

وأمّا المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه ، وأنكره جماعة ، منهم : الظاهريّة وابن القاصّ من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية ، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب ، والقرآن منزّه عنه ، وأن المتكلّم لايعدل إليه إلّا إذا ضاقت به الحقيقة ، فيستعير ؛ وذلك محال على الله تعالى . وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سَقط منه شطر الحسْن ؛ فقد اتفق البلغاء على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولووجب خلوّ القرآن من المجاز وجب خلوّه من الحذف والتوكيد وتثنية القِصص وغيرها .

وقد أفرده بالتصنيف : الإمام عز الدين بن عبدالسلام ؛ ولخصتهُ مع زيادات كثيرة فى كتاب سميته « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » وهو قسمان :

الأوّل : المجاز فى التركيب ، ويسمّى مجاز الإسناد ، والمجاز العقلى وعلاقته الملابسة ، وذلك أن يسند الفعل أوشبهه إلى غير ماهو له أصالة لملابسته له ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾(١) ، نُسِبت الزيادة – وهى فعل الله – إلى الآيات ، لكونها سببا لها . ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾(٢) ، ﴿ يَاهَامَان

(١) الأنفال ٢ (٢) القصص ٤

ابْنِ لِي ﴾ (١) ، نسب الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون ، والبناء ، وهو فعل العملة إلى هامان لكونهما آمرين به .

وكذا قوله : ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾(٢) ، نُسب الإحلال إليهم لتسبّبهم في كفرهم بأمرهم إيّاهم به .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ (٣) ، نسب الفعل إلى الظّرف لوقوعه فيه .

﴿ عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٤) ، أى مرضية .

﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ (٥) ، أى عزم عليه ، بدليل ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ (٦) .

• • •

وهذا القسم أربعة أنواع :

أحدها : ماطرفاه حقيقيّان كالآية المصدّربها ، وكقوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (٧) .

ثانيها : مجازيّان ، نحو : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾(٨) ، أى ما ربحوا فيها ، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز .

ثالثها ورابعها : ما أحد طرفيه حقيقيٌّ دون الآخر .

أما الأوّل والثاني فكقوله : ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴾ (٩) أي برهانا . ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۝ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۝ تَدْعُو ﴾(١٠) فإنَّ الدعاء من النَّار مجازٌ .

(١) غافر ٣٦ — (٢) ابراهيم ٢٨
(٣) المزمل ١٧ — (٤) الحاقة ٢١
(٥) محمد ٢١ — (٦) آل عمران ١٥٩
(٧) الزلزلة ٢ — (٨) البقرة ١٦
(٩) الروم ٣٥ — (١٠) المعارج ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (١) ، ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ (٢) ، ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (٣) ، واسم الأمّ الهاوية مجاز ، أى كما أنّ الأُم كافلة لولدها وملجأٌ له ، كذلك النّار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع .

القسم الثانى : المجاز فى المفرد ، ويسمّى اللّغوىّ ، وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أوّلا ، وأنواعه كثيرة :

أحدها : الحذف ، وسيأتى مبسوطًا فى نوع المجاز ، فهو به أجدر ، خصوصًا إذا قلنا : إنه ليس من أنواع المجاز .

الثانى : الزّيادة ، وسبق تحرير القول فيها فى نوع الإعراب .

الثالث : إطلاق اسم الكل على الجزء ، نحو : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ ﴾ (٤) ، أى أنا ملهم ، ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغةً من الفرار ، فكأنّهم جعلوا الأصابع ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ (٥) ، أى وجوههم ؛ لأنه لم يرجُملتهم ، ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٦) ، أطلق الشهر وهو اسم لثلاثين ليلة ، وأراد جزءا منه ؛ كذا أجاب به الإمام فخر الدين عن استشكال أنّ الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط ، والشّرط أن يشهد الشهر ، وهو اسم لكلّه حقيقة ؛ فكأنه أمر بالصوم بعد مضىّ الشهر ؛ وليس كذلك ، وقد فسّره علىّ وابن عباس وابن عمر على أنّ المعنى : من شهد منكم الشهر (*) فليصمه جميعَه ؛ وإن سافر فى أثنائه . أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما ، وهو أيضًا من هذا النوع . ويصلح أن يكون من نوع الحذف .

---

(١) محمد ٤ (٢) ابراهيم ٢٥
(٣) القارعة ٩ (٤) البقرة ١٩
(٥) المنافقون ٤ (٦) البقرة ١٨٥

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٣٨ « فمن شهد أول الشهر فليصم جميعه ».

الرابع : عكسه ، نحو : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ (١) أى ذاته ، ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (٢) ، أى ذواتكم ، إذ الاستقبال يجبُ بالصدر . ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ (٣) ﴿ وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ (٤) عبرٌ بالوجوه عن جميع الأجساد ؛ لأن التنعُّم والنَّصَب حاصل لكلها ، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ (٥) ، ﴿ فبِمَا كسبَت أَيْدِيكُمْ ﴾ (٦) ، أى قدّمتَ وكسبتم . ونسب ذلك إلى الأيدى لأن أكثر الأعمال تزاوَل بها ، ﴿ قُم اللَّيْلَ ﴾ (٧) ﴿ وقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ (٨) ، ﴿ واركَعُوا مَعَ الرَّاكِعِين ﴾ (٩) ، ﴿ ومنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ﴾ (١٠) ، أطلق كُلًّا من القيام والقراءة والركوع والسجود على الصّلاة وهو بعضها ، ﴿ هدياً بالغَ الكعبة ﴾ (١١) ، أى الحرم كلّه بدليل أنه لايذبح فيها .

تنبيه : أُلحِقَ بهذين النوعين شيئان :

أحدهما : وصف البعض بصفة الكل ، كقوله: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ (١٢) ، فالخطأُ صفة الكلّ ، وصف به الناصية . وعكسه كقوله: ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ (١٣) ، والوجل صفة القلب ، ﴿ ولملئتَ مِنْهُمْ رعْبًا ﴾ (١٤) ، والرّعب إنّما يكون فى القلب.

والثانى : إطلاق لفظ بعض مرادًا به الكلّ ، ذكره أبو عبيدة ، وخرّج عليه قوله : ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ (١٥) أى كلّه ، ﴿ وإنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِى يِعدُكُمْ ﴾ (١٦) ، وتُعُقِّبَ بأنه لايجب على النبى

---

(١) الرحمن ٢٧ (٢) البقرة ١٤٤
(٣) الغاشية ٨ (٤) الغاشية ٢ ، ٣
(٥) الحج ١٠ (٦) الشورى ٣٠
(٧) المزمل ٢ (٨) الاسراء ٧٨
(٩) البقرة ٤٣ (١٠) الانسان ٢٦
(١١) المائدة ٩٥ (١٢) العلق ١٦
(١٣) الحجر ٥٢ . (١٤) الكهف ١٨
(١٥) الزخرف ٦٣ (١٦) غافر ٢٨

بيان كل مااختُلف فيه ، بدليل الساعة والرّوح ونحوهما ؛ وبأن موسى كان وعدهم بعذاب فى الدنيا وفى الآخرة ، فقال : « يصبكم هذا العذاب فى الدنيا ، وهو بعض الوعيد من غير نفى عذاب الآخرة » ذكره ثعلب .

قال الزركشى : ويحتمل أيضًا أن يقال : إن الوعيد مما لا يُستنكر ترك جميعه ، فكيف بعضه ! ويؤيد ما قاله ثعلب قوله : ﴿ وإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ [1] .

الخامس : إطلاق اسم الخاص على العام ، نحو ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [2] أى رسله .

السادس : عكسه ، نحو . ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الْأَرْضِ ﴾ [3] ، أى المؤمنين ، بدليل قوله : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [4] .

السابع : إطلاق اسم الملزوم على اللازم ، نحو . .. [5] .

الثامن : عكسه ، نحو : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [6] أى هل يفعل ؟ أطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له .

التاسع : إطلاق المسبَّب على السبب ، نحو : ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ [7] ، ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ [8] ، أى مطرًا يتسبَّب عنه الرزق واللباس ، ﴿ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ [9] ، أي مؤنة من مهر ونفقة ومالا بدّ للمتزوّج منه .

---

(١) يونس ٤٦ (٢) الشعراء ١٦

(٣) الشورى ٥ (٤) غافر ٧

(٥) بياض فى الأصل ومثل له فى البرهان ٢ : ٢٦٩ بقوله تعالى : « صم وبكم فى الظلمات » الأنعام ٣٩ . وقوله : « أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون » الروم ٣٥

(٦) المائدة ١١٢ (٧) غافر ١٣

(٨) الأعراف ٣٦ (٩) النور ٣٣

العاشر : عكسه نحو : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾(١) ، أي القبول والعمل به ؛ لأنه مسبَّب عن السمع .

تنبيه : من ذلك نسبة الفعل إلى سبب السبب ، كقوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾(٢) ، ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾(٣) ، فإن المخرِج فى الحقيقة هو الله تعالى ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب الأكل وسوسة الشيطان .

الحادى عشر : تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، نحو ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾(٤) أى الذين كانوا يتامى ، إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾(٥) أى الذين كانوا أزواجهنّ ، ﴿ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾(٦) ، سماه مجرمًا باعتبار ما كان فى الدنيا من الإجرام .

الثانى عشر : تسميته باسم مايؤول إليه ، نحو : ﴿ إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾(٧) ، أي عنبًا يؤول إلى الخمرية ، ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾(٨) أي صائرًا إلى الكفر والفجور ، ﴿ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾(٩) ، سماهُ زوجًا لأن العقد يؤول إلى زوجيَّة ، لأنها لاتُنكح إلا فى حال كونه زوجًا ، ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾(١٠) ﴿ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾(١١) ، وصفه فى حالِ البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم .

الثالث عشر : إطلاق اسم الحالّ على المحلّ ، نحو : ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ

---

(١) هود ٢٠
(٢) البقرة ٣٦
(٣) الأعراف ٢٧
(٤) النساء ٢
(٥) البقرة ٢٣٢
(٦) طه ٧٤
(٧) يوسف ٣٦
(٨) نوح ٢٧
(٩) البقرة ٢٣٠
(١٠) الصافات ١٠١
(١١) الحجر ٥٣ .

فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١] أى فى الجنة ، لأنها محلّ الرحمة ، ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ ﴾[٢] أى فى الليل ، ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِى مَنَامِكَ ﴾[٣] ، أى فى عينك ، على قول الحَسن .

الرابع عشر : عكسه ، نحو : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾[٤] : أى أهل ناديه ، أى مجلسه .

ومنه التعبير باليد عن القدرة ، نحو : ﴿ بِيَدِهِ المُلْكُ ﴾[٥] .

وبالقلب عن العقل ، نحو : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[٦] ، أى عقول

وبالأفواه عن الألسن ، نحو : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴾[٧] .

وبالقرية عن ساكنيها ، نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[٨] .

وقد اجتمع هذا النوع وما قبله فى قوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٩] ، فإنَّ أخذَ الزينة غير ممكن لأنها مصدر ، فالمراد محلها ، فأطلق عليه اسم الحالّ ، وأخذها للمسجد نفسه لا يجب ، فالمراد الصلاة ، فأطلق اسم المحلّ على الحالّ .

الخامس عشر : تسمية الشيء باسم آلته ، نحو : ﴿ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ ﴾[١٠] ، أى ثناء حسنًا لأن اللسان آلته ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[١١] ، أى بلغة قومه .

(١) آل عمران ١٠٧
(٢) سبأ ٣٣
(٣) الأنفال ٤٣
(٤) العلق ١٧
(٥) الملك ١
(٦) الأعراف ١٧٩
(٧) آل عمران ١٦٧
(٨) يوسف ٨٢
(٩) الأعراف ٣١
(١٠) الشعراء ٨٤
(١١) ابراهيم ٤

السادس عشر : تسمية الشيء باسم ضدّه ، نحو ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١) والبشارة حقيقة في الخبر السارّ ، ومنه تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه ذكره السكاكيّ ، وخرّج عليه قوله تعالى : ﴿ مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾(٢) ، يعني مادعاك إلى ألا تسجد ؟ وسلِم بذلك من دعوى زيادة « لا » .

السابع عشر : إضافة الفعل إلى مالا يصح منه تشبيهًا ، نحو : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾(٣) ، وَصَفهُ بالإرادة ؛ وهي من صفات الحيّ ، تشبيهًا لميله للوقوع بإرادته .

الثامن عشر : إطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربته وإرادته ، نحو : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾(٤) ، أي قاربْنَ بلوغ الأجل ، أي انقضاء العدّة لأن الإمساك لايكون بعده ، وهو في قوله ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾(٥) حقيقة ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٦) ، أي فإذا قرب مجيئه . وبه يندفع السؤال المشهور فيها . أنّ عند مجئ الأجل لايُتصوّر تقديم ولا تأخير ؛ ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْتَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ .. ﴾(٧) الآية أي لوقاربوا أن يتركوا خافوا لأنّ الخطاب للأوصياء ؛ وإنمّا يتوجه إليهم قبل الترك لأنهم بعده أموات ، ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾(٨) ، أي أردتم القيام ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾(٩) أي أردت القراءة ، لتكون الاستعاذة قبلها ، ﴿ وَكَم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾(١٠) ، أي أردنا إهلاكها وإلّا لم يصحّ العطف بالفاء .

---

(١) آل عمران ٢١
(٢) الاعراف ١٢
(٣) الكهف ٧٧
(٤) الطلاق ٢
(٥) البقرة ٢٣٢
(٦) الأعراف ٣٤
(٧) النساء ٩
(٨) المائدة ٦
(٩) النحل ٩٨
(١٠) الأعراف ٤

وجعل منه بعضهم قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾(١) أى مَنْ يرد الله هدايته ، وهو حسن جدا لئلا يتّحد الشرط والجزاء .

التاسع عشر : القلب ؛ إما قلب إسناد ، نحو : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾(٢) ، أى لتنوء العصبة بها ، ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾(٣) ، أى لكلّ كتاب أجل ، ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾(٤) ، أى حرّمناه على المراضع . ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾(٥) ، أى تعرض النار عليهم ، لأنّ المعروض عليه هو الذى له الاختيار . ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٦) أى وإن حبّه للخير ، ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾(٧) ، أى يرد بك الخير ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾(٨) ؛ لأن المتلقِّى حقيقة هو آدم كما قرىء بذلك أيضًا .

أو قلب عطف ، نحو : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ ﴾(٩) ، أى فانظر ثم تولّ ، ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾(١٠) ، أى تدلّى فدنا ، لأنّه بالتدلّى مالَ إلى الدنوّ .

أو قلب تشبيه ، وسيأتى فى نوعه .

العشرون : إقامة صيغة مقام أخرى ، وتحته أنواع كثيرة :

منها إطلاق المصدر على الفاعل ، نحو : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ﴾(١١) ، ولهذا أفرده . وعلى المفعول ، نحو : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾(١٢) أى من معلومه ، ﴿ صُنْعَ اللهِ ﴾(١٣) أى مصنوعة ، ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ

(١) الكهف ١٧
(٢) القصص ٧٦
(٣) الرعد ٣٨
(٤) القصص ١٢
(٥) الأحقاف ٢٠
(٦) العاديات ٨
(٧) يونس ١٠٧
(٨) البقرة ٣٧
(٩) النمل ٢٨
(١٠) النجم ٨
(١١) الشعراء ٧٧
(١٢) البقرة ٢٥٥
(١٣) النمل ٨٨

كَذِبٍ ﴾[١] ، أى مكذوب فيه . لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام .

ومنها إطلاق البشرى على المبشر به . والهوى على المهوىّ . والقول على المقول

ومنها إطلاق الفاعل والمفعول على المصدر . نحو ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[٢] أى تكذيب ، ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾[٣] أى الفتنة . على أن الباء غير زائدة .

ومنها إطلاق فاعل على مفعول نحو ﴿ ماءٍ دَافِقٍ ﴾[٤] أى مدفوق ، ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلا مَن رَّحِمَ ﴾[٥] أى لا معصوم ، ﴿ جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾[٦] أى مأمونًا فيه .

وعكسه نحو : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾[٧] أى آتيا ، ﴿ حجابًا مستورًا ﴾[٨] أى ساترًا . وقيل : هو على بابه . أى مستورًا على العيون لا يُحِسُّ به أحد .

ومنها إطلاق « فعيل » بمعنى « مفعول » . نحو : ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾[٩] .

ومنها إطلاق واحدٍ من المفرد والمثنى والجمع على آخر منها .

مثال إطلاق المفرد على المثنى : ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[١٠] أى يرضوهما . فأفرد لتلازم الرضاءين .

وعلى الجمع . نحو : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[١١] . أى الأناسى بدليل الاستثناء منه . ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[١٢] بدليل ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾[١٢]

ومثال إطلاق المثنى على المفرد : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ ﴾[١٣] . أى ألق .

---

(١) يوسف ١٨
(٢) الواقعة ٢
(٣) القلم ٦
(٤) الطارق ٦
(٥) هود ٤٣
(٦) العنكبوت ٦٧
(٧) مريم ٦١
(٨) الاسراء ٤٥
(٩) الفرقان ٥٥
(١٠) التوبة ٦٢
(١١) العصر ٢
(١٢) المعارج ١٩ ، ٢٢
(١٣) ق ٢٤

ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط . نحو : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (١) ؛ وإنَّما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب ، ونظيره : ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ (٢) ، وإنما تخرج الحلية من الملح . ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ (٣) أى فى إحداهنَّ ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ (٤) . والناسى يوشع . بدليل قوله لموسى : ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ (٥) . وإنما أضيف النسيان إليهما معًا لسكوت موسى عنه . ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ (٦) ، والتعجيل فى اليوم الثانى . ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٧) . قال الفارسىّ : أي من إحدى القريتين . وليس منه ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (٨) . وأنَّ المعنى جنة واحدة . خلافا للفراء . وفى كتاب « ذا القدّ » لابن جنّى أنَّ منه ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ ﴾ (٩) ، وإنما المتَّخذ إلَـٰها عيسى دون مريم .

ومثال إطلاقه على الجمع ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ (١٠) . أى كرّاتٍ لأن البصر لايحسَر إلاَّ بها . وجعل منه بعضهم قوله : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ (١١)

ومثال إطلاق الجمع على المفرد ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ (١٢) ، أى أرجعنى . وجعل منه ابن فارس : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (١٣) ، والرسول واحد ؛ بدليل ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ (١٤) . وفيه نظر لأنه يحتمل أنه خاطب رئيسهم ، لاسيَّما

---

(١) الرحمن ٢٢ — (٢) فاطر ١٢
(٣) نوح ١٦ — (٤) الكهف ٦١
(٥) الكهف ٦٣ — (٦) البقرة ٢٠٣
(٧) الزخرف ٣١ — (٨) الرحمن ٤٦
(٩) المائدة ١١٦ — (١٠) الملك ٤
(١١) البقرة ٢٢٩ — (١٢) المؤمنون ٩٩
(١٣) النمل ٣٥ — (١٤) النمل ٣٧

وعادة الملوك جارية ألا يرسلوا واحدًا . وجعل منه : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾(١) ﴿ينزل الملائكة بالرّوح ﴾(٢) ، أى جبريل . ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾(٣) والقاتل واحد .

ومثال إطلاقه على المثنى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(٤) ، ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ ﴾(٥) . ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾(٦) أى أخوان . ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾(٧) أى قلباكما . ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾(٨) إلى قوله : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾(٨) .

ومنها إطلاق الماضى على المستقبل لتحقّق وقوعه ، نحو : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ ﴾(٩) أى الساعة . بدليل ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(٩) . ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ ﴾(١٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ... ﴾(١١) الآية . ﴿ وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا ﴾(١٢) . ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾(١٣) .

وعكسه . لإفادة الدوام والاستمرار . فكأنه وقع واستمرّ . نحو : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ ﴾(١٤) . ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾(١٥) أى تلت . ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴾(١٦) أى علمنا . ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾(١٧) أى علم ، ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ ﴾(١٨) أى قتلتم . ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا

(١) آل عمران ٣٩ (٢) النحل ٢
(٣) البقرة ٧٢ (٤) فصلت ١١
(٥) ص ٢٢ (٦) النساء ١١
(٧) التحريم ٤ (٨) الأنبياء ٧٨
(٩) النحل ١ (١٠) الزمر ٦٨
(١١) المائدة ١١٦ (١٢) ابراهيم ٢١
(١٣) الأعراف ٤٨ (١٤) البقرة ٤٤
(١٥) البقرة ١٠٢ (١٦) النحل ١٠٣
(١٧) النور ٦٤ (١٨) البقرة ٩١

تقتلون ﴾(١) ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ (٢) أى قالوا .

ومن لواحق ذلك ، التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول ، لأنه حقيقة فى الحال لا فى الاستقبال ، نحو : ﴿ وإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾(٣) ، ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاس ﴾ (٤)

ومنها إطلاق الخبر على الطَّلب أمرًا أو نهيًا أو دعاء ، مبالغة فى الحثّ عليه حتّى كأنه وقع وأخبِر عنه . قال الزمخشرىّ : ورود الخبر ، والمراد الأمر أو النهى أبلغ من صريح الأمر أو النهى ، كأنه سورع فيه إلى الامتثال وأخبِر عنه : نحو ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ (٦) . ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الحَجِّ ﴾ (٧) على قراءة الرافع ، ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ﴾ (٨) . أى لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله . ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٩) أى لا يمسسه ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ ﴾ (١٠) ، أى لا تعبدوا بدليل ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١٠) ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُم ﴾ (١١) ، أى اللهم اغفرلهم .

وعكسه ، نحو : ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ (١٢) ، أى يمدّ ، ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُم ﴾(١٣) ، أى ونحن حاملون ، بدليل ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(١٣) والكذب إنّما يَرِد على الخبر . ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (١٤)

---

(١) البقرة ٨٧ (٢) الرعد ٤٣
(٣) الذاريات ٦ (٤) هود ١٠٣
(٥) البقرة ٢٣٣ (٦) البقرة ٢٢٨
(٧) البقرة ١٩٧ (٨) البقرة ٢٧٢
(٩) الواقعة ٧٩ (١٠) البقرة ٨٣
(١١) يوسف ٩٢ (١٢) مريم ٧٥
(١٣) العنكبوت ١٢ (١٤) التوبة ٨٢

قال الكواشىّ : فى الآية الأُولى الأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر ، لتضمنه اللزوم نحو : « إن زرتنا فلنكرمك » يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم . وقال ابن عبد السلام : لأنَّ الأمر للإيجاب . فشبه الخبر به فى إيجابه .

منها : وضع النداء موضع التعجّب ، نحو : ﴿ يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ (١)

قال الفرّاء : معناه ، فيالها حسرة ! وقال ابن خالويه : هذه من أصعب مسألة فى القرآن ، لأنَّ الحسْرة لاتنادَى ، وإنّما ينادَى الأشخاص لأن فائدته التنبيه . ولكن المعنى على التعجّب .

ومنها وضع جمع القلة موضع الكثرة ، نحو : ﴿ وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (٢) وغرَف الجنة لا تحصَى ، ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣) ، ورُتب الناس فى علم الله أكثر من العشرة لا محالَة ، ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ (٤) ، ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ (٥) ، ونكتة التقليل ، فى هذه الآية التّسهيل على المكلفين .

وعكسه ، نحو : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (٦) .

ومنها تذكير المؤنَّث على تأويله بمذكَّر ، نحو : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (٧) ، أى وعظ ، ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾ (٨) ، على تأويل البلدة بالمكان . ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى ﴾ (٩) . أى الشمس أو الطّالع ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٠) . قال الجوهرىّ : ذكّرت على معنى الإحسان .

---

(١) يس ٣٠ — (٢) سبأ ٣٧
(٣) الأنفال ٤ — (٤) الزمر ٤٢
(٥) البقرة ١٨٤ — (٦) البقرة ٢٢٨
(٧) البقرة ٢٧٥ — (٨) ق ١١
(٩) الأنعام ٧٨ — (١٠) الأعراف ٥٦

وقال الشريف المرتضى فى قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (١) : إنَّ الإشارة للرحمة ؛ وإنَّما لم يقل : « ولتلك » لأن تأنيثها غير حقيقى ؛ ولأنه يجوز أن يكون فى تأويل « أن يرحم » .

ومنها تأنيث المذكَّر ؛ نحو : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا ﴾ (٢) ، أنَّث الفردوس وهو مذكَّر حملا على معنى الجنة ، ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (٣) ، أنَّث « عشرا » حيث حذف الهاء مع إضافتها إلى « الأمثال » وواحدها مذكر ، فقيل لإضافة الأمثال إلى مؤنث ، وهو ضمير الحسنات ، فاكتسب منه التأنيث وقيل : هو من باب مراعاة المعنى ؛ لأن « الأمثال » فى المعنى مؤنَّثة ، لأنَّ مثل الحسنة حسنة . والتقدير : فله عشر حسنات أمثالها وقد قدمنا فى القواعد المهمّة قاعدة فى التذكير والتأنيث .

ومنها التَّغليب ، وهو إعطاء الشىء حكم غيره . وقيل : ترجيح أحد المغلوبين على الآخر ، وإطلاق لفظه عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين . نحو : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (٤) ، ﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (٥) ، والأصل « من القانتات » و« الغابرات » . فعدّت الأنثى من المذكَّر بحكم التغليب . ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (٦) . أتى بتاء الخطاب تغليبا لجانب « أنتم » على جانب « قوم » ، والقياس أن يؤتَى بياء الغيبة لأنَّه صفة ا « قوم » وحسَّن العدولَ عنه وقوع الموصوف خبرًا عن ضمير المخاطبين ، ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ ﴾ (٧) . غلَّب فى الضمير المخاطب

(١) هود ١١٨ ، ١١٩ ، وانظر أمالى المرتضى ١ : ٧٠
(٢) المؤمنون ١١ (٣) الأنعام ١٦٠
(٤) التحريم ١٢ (٥) الأعراف ٨٣
(٦) النمل ٥٥ (٧) الاسراء ٦٣

وإن كان « مَنْ تَبِعَكَ » يقتضى الغيبة . وحسّنه أنه لمّا كان الغائب تبعًا للمخاطبَ فى المعصية والعقوبة ، جُعل تبعًا له فى اللفظ أيضا ، وهو من محاسن ارتباط اللّفظ بالمعنى ، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ﴾(١) ، غلَّب غيرَ العاقل ، حيث أتى بـ « ما » لكثرته وفى آيه أخرى بـ « من » ، فغلَّب العاقل لشرفه . ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾(٢) ، أدخل شعيب فى « لتعودنَّ » بحكم التغليب ؛ إذ لم يكن فى ملَّتهم أصلاً حتى يعود فيها ، وكذا قوله : ﴿ إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ ﴾(٣) . ﴿ فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾(٤) ، عُدّ منهم بالاستثناء تغليبًا لكونه كان بينهم ، ﴿ يَالَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ ﴾(٥) ، أى المشرق والمغرب. قال ابن الشجرىّ : وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾(٦) أى الملح والعذب . والبحر خاص بالملح . فغلّب لكونه أعظم ، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ ﴾(٧) ؛ أى من المؤمنين والكفار . والدّرجات للعلوّ ؛ والدركات للسّفل ، فاستعمل الدرجات فى القسْمين تغليبًا للأشرف .

قال فى البرهان : وإنّما كان التّغليب من باب المجاز ؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ، ألا ترَى أنَّ « القَانِتِينَ » . موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف . فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاقٌ على غير ماوُضع له . وكذا باقى الأمثلة .

ومنها استعمال حروف الجرّ فى غير معانيها الحقيقيّة كما تقدّم فى النوع الأربعين .

(١) النحل ٤٩
(٢) الأعراف ٨٨
(٣) الأعراف ٨٩
(٤) الحجر ٣٠ ، ٣١
(٥) الزخرف ٣٨
(٦) الرحمن ١٩
(٧) الأنعام ١٣٢

ومنها استعمال صيغة « أفعل » لغير الوجوب ، وصيغة « لاتفعل » لغير التحريم ، وأدوات الاستفهام لغير طلب التّصور والتصديق ، وأداة التّمنى والتّرجّى والنداء لغيرها ؛ كما سيأتى كلّ ذلك فى الإنشاء .

ومنها التّضمين ؛ وهو إعطاء الشىء معنى الشىء ، ويكون فى الحروف والأفعال والأسماء .

أمّا الحروف فتقدّم فى حروف الجرّ وغيرها .

وأمّا الأفعال ؛ فأن يُضَمَّنَ فعلٌ معنى فعل آخر ، فيكون فيه معنى الفعلين معًا ؛ وذلك بأن يأتى الفعل متعدّيًا بحرف ليس من عادته التّعدّى به ، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرْف ليصح التعدّى به ، والأوّل تضمين الفعل والثانى تضمين الحرف ، واختلفوا : أيهما أولى ؟ فقال أهل اللغة وقومٌ من النُّحاة التّوسّع فى الحرف . وقال المحقّقون : التوسع فى الفعل ؛ لأنه فى الأفعال أكثر. مثاله ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾(١) ، فيشرب إنما يتعدّى بمن ، فتعديته بالباء إمّا على تضمينه معنى « يروى » و « يلتذ » أو تضمين الباء معنى « من » نحو ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾(٢) ، فالرّفث لايتعدّى بإلى إلا على تضمّن معنى الإفضاء ، ﴿ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴾(٣) والأصل : « فى أن » . فضّمن معنى « أدعوك » . ﴿ وَهُوَ الذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾(٤) ، عديت بعن لتضمنها معنى العفو والصفح .

وأما فى الأسماء ؛ فأن يضّمن اسم معنى اسم ؛ لإفادة معنى الاسمين معًا . نحو ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَلَّا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ ﴾(٥) . ضمّن « حقيق » معنى « حريص »

---

(١) الانسان ٦
(٢) البقرة ١٨٧
(٣) النازعات ١٨
(٤) الشورى ٢٥
(٥) الأعراف ١٠٥

ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه ، وإنما كان التضمين مجازًا لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معًا فالجمع بينهما مجاز .

فصـــل

في أنواع مختلَف في عدّها من المجاز .

وهي ستة :

أحدها : الحذف ، فالمشهور أنه من المجاز ، وأنكره بعضهم . لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه ، والحذف ليس كذلك .

وقال ابن عطيّة :حَذف المضاف هوعين المجاز ومعظمه ، وليس كلّ حذفٍ مجازًا .

وقال القرافيّ : الحذف أربعة أقسام :

قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه ،من حيث الإسناد ،نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (١) ، أي أهلها ، إذ لايصحّ إسنادُ السؤالِ إليها .

وقسم يصحُّ بدونه ، لكن يتوقف عليه شرعًا ، كقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٢) . أي فأفطر فعدّة .

وقسم يتوقَّف عليه عادة لاشرعًا ، نحو : ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ ﴾ (٣) أي فضربَه .

وقسم يدّل عليه دليل غير شرعيّ ولا هو عادة ،نحو : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ (٤) دلّ الدليل على أنه إنما قَبض من أثر حافر فرس الرسول. وليس في هذه الأقسام مجاز إلا الأول .

---

(١) يوسف ٨٢ (٢) البقرة ١٨٤

(٣) الشعراء ٦٣ (٤) طه ٩٦

وقال الزَّنجانىّ فى المعيار [١] : إنمّا يكون مجازًا إذا تغيّر حكم ، فأمّا إذا لم يتغيّر كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فليس مجازًا ، إذ لم يتغير حكم مابقى من الكلام .

وقال القَزْوينىّ فى الإيضاح : متى تغيّر إعراب الكلمة بحذف أوزيادة ، فهى مجاز ، نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [٢] ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [٣] ، فإنْ كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيّر الإعراب نحو : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ [٤] ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ [٥] فلا توصف الكلمة بالمجاز .

الثانى : التأْكيد ؛ زعم قومٌ أنه مجاز ، لأنّه لايفيد إلا ما أفاده الأوّل والصّحيح أنه حقيقة .

قال الطُّرطوسىّ فى العمدة : ومن سماه مجازًا قلنا له : إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو : « عجّل عجّل » ونحوه ، فإن جاز أن يكون الثانى مجازًا جاز فى الأوّل ؛ لأنّهما فى لفظ واحد . وإذا بطل حَمْل الأول على المجاز بطل حمل الثانى عليه ؛ لأنه مثل الأول .

الثالث : التشبيه ، زعم قوم أنّه مجاز ؛ والصحيح أنه حقيقة .

قال الزنجانىّ فى المعيار :لأنه معنى من المعانى ؛وله ألفاظ تدلّ عليه وضعًا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه .

وقال الشيخ عز الدين :إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فمجاز ؛ بناءً على أنّ الحذف من باب المجاز .

---

(١) هو عبد الوهاب بن ابراهيم الخزرجى ، من علماء العربية وكتابه معيار النظار فى علوم الأشعار ، وهو أيضا صاحب كتاب المضنون به على غير أهله ، توفى سنة ٦٥٥ هـ ٠٠ بغية الوعاة ٢ : ١٢٢ ٠

(٢) يوسف ٨٢ (٣) الشورى ١١

(٤) البقرة ١٩ (٥) آل عمران ١٥٩

الرابع : الكناية ، وفيها أربعة مذاهب :

أحدها أنها حقيقة . قال ابن عبد السلام : وهو الظَّاهر ، لأنها استعملت فيما وضعت ، له وأريد بها الدلالة على غيره .

الثانى : أنها مجاز .

الثالث : أنها لاحقيقة ولا مجاز ؛ وإليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه فى المجاز أن يُرَاد المعنى الحقيقى مع المجازى ، وتجويزه ذلك فيها .

الرابع : وهو اختيار الشيخ تقى الدين السّبكى : أنَّهَا تنقسم إلى حقيقة ومجاز ، فإن استعملتَ اللفظ فى معناه مرادًا منه لازم المعنى أيضًا فهو حقيقة ، وإن لم يُرَد المعنى بل عُبِّر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز ، لاستعماله فى غير ماوضع له والحاصل : أن الحقيقة منها أن يُستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ماوضع له . والمجاز منها أن يريد به غير مَوضوعه استعمالاً وإفادة .

الخامس : التقديم والتأْخير : عدّه قومٌ من المجاز ؛ لأن تقديم ما رُتْبَتُه التأْخير كالمفعول . وتأْخير مارُتْبته التقديم كالفاعل نقلٌ لكل واحدٍ منهما عن مرتبته وحقّه .

قال فى البرهان : والصّحيح أنه ليس منه ؛ فإن المجاز نقل ماوضع إلى مالم يوضع له .

السادس : الإلتفات . قال الشيخ بهاء الدين السُّبْكىّ : لم أر من ذكر : هل هو حقيقة أومجاز ؟ قال : وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد .

* * *

فصــــل

فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز باعتبارين

هو الموضوعات الشرعيّة ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، فإنها حقائق بالنظر إلى الشرع ، مجازات بالنظر إلى اللغة .

• • •

فصــــل

فى الواسطة بين الحقيقة والمجاز

قيل بها فى ثلاثة أشياء :

أحدها : اللّفظ قبل الاستعمال ، وهذا القسم مفقود فى القرآن ، ويمكن أن [يكون منه أوائل السُّوَر على القول بأنَّها للإشارة إلى الحروف الّتى يتركّب منها لكلام .

ثانيها : الإعلام .

ثالثها : اللفظ المستعمل فى المشاكلة ، نحو : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾[1] ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[2] . ذكر بعضهم أنّه واسطة بين الحقيقة والمجاز ، قال لأنّه لم يوضع لما استُعمل فيه ، فليس حقيقة ، ولا علاقة معتبرة فليس مجازاً كذا فى شرح بديعيةُ ابن جابر أرفيقه .

قلت : والذى يظهر : أنها مجاز ، والعلاقة المصاحَبة .

• • •

---

(١) آل عمران ٥٤ (٢) الشورى ٤٠

خاتمة

لهم مجاز المجاز ، وهو أن يُجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ، فيتجوّز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما ، كقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ (١) ، فإنه مجاز عن مجاز ، فإن الوطء تجوّز عنه بالسرّ لكونه لايقع غالبًا إلاّ في السّرّ ، وتجوّز به عن العقد ، لأنه مسبّب عنه . فالمصحّح للمجاز الأوّل الملازمة ، والثاني السّببيّة ، والمعنى : « لاتواعِدُوهُنَّ عَقْد نكاح » .

وكذا قوله : ﴿ ومَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُه ﴾ (٢) فإنّ قوله : ﴿ لَآ إِلٰه إلاَّ الله ﴾ (٣) ، مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ ، والعلاقة السببيّة ؛ لأنّ توحيد اللسان مسبّب عن توحيد الجنان ، والتعبير بـ « لاَ إِلٰهَ إلاَّ الله » عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه .

وجعل منه ابن السيد قوله : ﴿ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ (٤) ، فإن المنزّل عليهم ليس هو نفس اللباس ، بل الماء المنبت للزرع المتّخذ منه الغزْل المنسوج منه اللباس .

• • •

---

(١) البقرة ٢٣٥
(٢) المائدة ٥
(٣) الصافات ٣٥
(٤) الأعراف ٢٦

النوع الثالث والخمسون

فى تشبيهه واستعاراته

لتشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها .

قال المبرِّد فى الكامل : لو قال قائل : هو أكثر كلام العرب لم يُبْعد .

وقد أفرَد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادىّ ، فى كتاب سمّاه « الجُمان »(١) .

وعرّفه جماعة ، منهم السكاكىّ : بأنّه الدّلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ فى معنًى .

وقال ابن أبى الإصبع : هو إخراج الأغمض إلى الأظهر .

وقال غيره : هو إلحاق شىء بذى وصف فى وصفه .

وقال بعضهم : هو أن تثبت للمشبَّه حكمًا من أحكام المشبَّهِ به . والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفىّ إلى جلىّ ، وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بيانًا .

وقيل : الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار .

وأدواته حروف وأسماء وأفعال ؛ فالحروف : الكاف نحو : ﴿ كرماد ﴾(*) . وكأنّ نحو : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوس الشياطِين ﴾(٢) ؛ والأسماء مثلٌ وشبه ونحوهما ممّا يشتقّ من المماثلة والمشابهة ؛ قال الطيبىّ : ولاتستعمل « مثل » إلا فى حال أوصفة لها شأن ، وفيها غرابة . نحو : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(١) هو كتاب الجمان فى تشبيهات القرآن ، لأبى القاسم عبد الله بن محمد بن حسين المعروف بابن ناقيا المتوفى سنة ٤٨٥ ، ذكره فى كشف الظنون .

(٢) الصافات ٦٥

(*) ابراهيم ١٨

كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ (١) . والأفعال نحو : ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ (٢) . ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ (٣) .

قال فى التلخيص اتّباعا للسكاكىّ :وربّما يُذكر فعل ينبئ عن التشبيه ، فيؤتَى فى التشبيه القريب بنحو : « عَلِمْتُ زيدًا أسدًا » الدالّ على التحقيق ، وفى البعيد بنحو: « حَسِبْتُ زيدًا أسدًا » ، الدالّ على الظّن وعدم التحقيق .

وخالفَه جماعة ، منهم الطيبىّ فقالوا :فى كون هذه الأفعال تنبىء عن التشبيه نوعُ خفاء ، والأظهر أن الفعل ينبىء عن حال التشبيه فى القُرْب والبعد ، وأن الأداة محذوفة مقدّرة لعدم استقامة المعنى بدونه .

ذكر أقسامه

ينقسم التشبيه باعتبارات :

الأول : باعتبار طرَفيه ، إلى أربعة أقسام ، لأنهما إمّا حسّيّان أوعقليّان ، أو المشبّهُ به حسّىّ ، والمشبّه عقلىّ ، أو عكسه .

مثال الأول : ﴿ والْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (٤) . ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (٥) .

ومثال الثانى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (٦) ، كذا مثل به فى البرهان ، وكأنه ظنَّ أنّ التشبيه واقع فى القسمة ، وهو غير ظاهر ، بل هو واقع بين القلوب والحجارة ، فهو من الأوّل .

(١) آل عمران ١١٧ (٢) النور ٣٩
(٣) طه ٦٦ (٤) يس ٣٩
(٥) القمر ٢٠ (٦) البقرة ٧٤

ومثال الثالث : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ (١) .

ومثال الرابع لم يقع فى القرآن ، بل منعه الإمام أصلاً ؛ لأن العقل مستفاد من الحسّ ، فالمحسوس أصل للمعقول ، وتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعًا والفرع أصلاً ، وهو غير جائز . وقد اختلف فى قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٢)

• • •

الثانى : ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركّب ، والمركّب أن يُنتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض ، كقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارا ﴾ (٣) ؛ فالتشبيه مركّب من أحوال الحمار ، وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نفع مع تحمّل التّعب فى استصحابه .

وقوله : ﴿ إِنَّما مَثَلُ الْحَيَاة الدُّنْيَا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماء ﴾ (٤) ، إلى قوله : ﴿كأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾(٤) ، فإن فيه عشر جمل ، وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شىء اختلّ التشبيه ؛ إذ المقصود تشبيه حال الدنيا فى سرعة تقضّيها وانقراض نعيمها واغترارِ الناس بها بحالِ ماء نزل من السماء ، وأنبت أنواع العُشب وزيّن بزخرفها وجه الأرض ، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلُها فيها ، وظنوا أنها مسلّمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس .

وقال بعضهم : وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران :

---

(١) ابراهيم ١٨ (٢) البقرة ١٨٧
(٣) الجمعة ٥ (٤) يونس ٢٤

أحدهما : أنَّ الماء إذا أخذتَ منه فوقَ حاجتك تضرَّرت ، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به ، فكذلك الدنيا .

والثانى :أنَّ الماءإذا طبّقت عليه كفَّك لتحفظه لم يحصل فيه شىء . فكذلك الدنيا .

وقوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . . . ﴾ (١) الآية . فشبّه نوره الّذى يلقيه فى قلب المؤمن بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة ، إمّا بوضعه فى مشكاة وهى الطاقة التى لاتنفد ، وكونُها لاتنفد لتكون أجمع للبصر ، وقد جُعل فيها مصباح فى داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرّىّ فى صفائها ، ودُهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقودًا ، لأنه من زيت شجرة فى وسط السراج ، لاشرقيّة ولاغربية ، فَلاتصيبها الشمس فى أحد طرفَى النهار ، بل تصيبها الشمس أعدل إصابة ، وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين ، أحدهما كسراب بقيعة ، والآخر كظلمات فى بحرٍ لُجِّىٍّ ... إلى آخره : وهو أيضًا تشبيه تركيب .

• • •

الثالث : ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام :

أحدها : تشبيه ماتقع عليه الحاسّة بما لا تقع ، اعتمادًا على معرفة النقيض والضّد ، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسّة ، كقوله : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٢) ، شبّه بما لايُشَكُّ أنّه منكر قبيح لما حصل فى نفوس الناس من بشاعة صورة الشياطين وإن لم ترها عيانًا .

الثانى : عكسه ،وهو تشبيه مالا تقع عليه الحاسّة بما تقع عليه ، كقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ .. ﴾ (٣) الآية . أخرج مالايُحَسّ وهو

(١) النور ٣٥ (٢) الصافات ٦٥

(٣) النور ٣٩

الإيمان ، إلى مايُحَسّ وهو السراب ، والمعنى الجامع بطلان التوهّم مع شدّة الحاجة وعظم الفاقة .

الثالث : إخراج مالم تجرِ العادة به إلى ما جرت ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ (١) ، والجامع بينهما الارتفاع فى الصّورة .

الرابع : إخراج مالا يُعلم بالبديهة إلى مايُعلم بها ، كقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (٢) ، والجامع العظَم ، وفائدته التّشويق إلى الجنّة بحسْن الصفة وإفراط السّعة .

الخامس : إخراج مالاقوّة له فى الصفة إلى ماله قوّة فيها ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ ﴾ (٣) ، والجامع فيهما العِظَم ، والفائدة إبانة القُدرة على تسخير الأجسام العظام فى ألطف مايكون من الماء ، وما فى ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال ، وقطعها الأقطار البعيدة فى المسافة القريبة ، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان ، فتضمّن الكلام نبأً عظيماً من الفخر وتعداد النّعم ؛ وعلى هذه الأوجه الخمسة تجرى تشبيهات القرآن .

السادس : ينقسم باعتبار آخر إلى :

مؤكَّد : وهو ما حذفت فيه الأداة ، نحو : ﴿ وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السحَابِ ﴾ (٤) ، أى مثل مرّ السّحاب . ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهم﴾ (٥) ، ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ (٦) .

ومرسَل : وهو ما لم تحذف كالآيات السابقة .

والمحذوف الأداة أبلغ لأنه نُزّل فيه الثانى منزلة الأوّل تجوّزًا .

---

(١) الأعراف ١٧١
(٢) الحديد ٢١
(٣) الرحمن ٢٤
(٤) النمل ٨٨
(٥) الأحزاب ٦
(٦) آل عمران ١٣٣

قاعدة

الأصل دخول أداة التشبيه على المشبّه به ،وقد تدخل على المشبّه ، إمّا لقصد المبالغة فيقلب التشبيه ، ويُجعل المشبّه هو الأصل ، نحو : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾[(١)] ، كان الأصل أن يقولوا : إنما الربا مثل البيع ؛ لأنَّ الكلام فى الرِّبا لافى البيع ، فعدلوا عن ذلك ، وجعلوا الرِّبا أصلاً ملحقاً به البيع فى الجواز ؛ لأنّه الخليق بالحلّ . ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾[(٢)] ، فإنَّ الظاهر العكس ،لأن الخطاب لعبَدة الأوثان الذين سمُّوها آلهة ، تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى ، فجعلوا غير الخالق مثل الخالق . فخولف فى خطابهم لأنّهم بالغوا فى عبادتهم ، وغلوْا حتى صارت عندهم أصلاً فى العبادة . فجاء الرّد على وفق ذلك .

وإما لوضوح الحال ، نحو : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾[(٣)] . فإنَّ الأصل : « وليس الأُنثى كالذكر » ، وإنّما عُدِل عن الأصل ، لأنَّ المعنى « وليس الذكر الذى طَلبت كالأنثى التى وُهِبْت » . وقيل : لمراعاة الفواصل . لأنَّ قبله : ﴿ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾[(٣)] .

وقد تدخل على غيرهما اعتماداً على فهم المخاطب . نحو : ﴿ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ . . . ﴾[(٤)] الآية ، المراد : « كونوا أنصار الله خالصين فى الانقياد كشأْن مخاطبى عيسى إذ قالوا . . . » .

• • •

(١) البقرة ٢٧٥
(٢) النحل ١٧
(٣) آل عمران ٣٦
(٤) الصف ١٤

قاعدة

القاعدة فى المدح تشبيه الأدنى بالأعلى ، وفى الذم تشبيه الأعلى بالأدنى لأن الذم مقام الأدنى ، والأعلى طارئ عليه ، فيقال فى المدح : حصى كالياقوت ؛ وفى الذم : ياقوت كالزُّجاج .

وكذا فى السلب ، ومنه : ﴿ يانِسَاءَ النبيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ (١) ، أى فى النزول لافى العلوّ . ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢) ، أى فى سوء الحال ، أى لانجعلهم كذلك .

نعم أُورِد على ذلك : ﴿ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ (٣) ، فإنَّه شبَّه فيه الأعلى بالأدنى ، لافى مقام السلب . وأجيب : بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطَبين ؛ إذ لاأعلى من نوره فيشَبَّه به .

• • •

فائدة

قال ابن أبى الإصبع (٤) : لم يقع فى القرآن تشبيه شيئين بشيئين ، ولا أكثر من ذلك ، إنَّما وقع فيه تشبيه واحد بواحد .

• • •

فصـــل

زُوِّج المجاز بالتشبيه ، فتولَّد بينهما الاستعارة ، فهى مجاز علاقته المشابهة ، أو يقال فى تعريفها : اللفظ المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلىّ .

---

(١) الأحزاب ٣٢ (٢) ص ٢٨

(٣) النور ٣٥

(٤) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر العدوانى المصرى ، صاحب التصانيف فى بديع القرآن وغيره . توفى سنة ٦٥٤ . النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧ .

والأصح أنها مجاز لغوى ،لأنها موضوعة للمشبّه به لاللمشبّه . ولا لأعمّ منهما ،فأسد فى قولك :رأيت أسدًا يرمى . موضوعٌ للسّبع لاللشجاع ، ولا لمعنًى أعمّ منهما كالحيوان الجرئ مثلا ،ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان عليهما .

وقيل : مجاز عقلىّ بمعنى أن التصرّف فيها فى أمر عقلىّ لالغوىّ، لأنها لاتطلق على المشبّه إلا بعد ادّعاء دخوله فى جنس المشبّه به . فكان استعمالها فيما وُضعت له ، فيكون حقيقة لغويّة ، ليس فيها غير نقل الاسم وحده ، وليس نقل الاسم المجرّد استعارة ، لأنه لابلاغة فيه . بدليل الأعلام المنقولة . فلم يبق إلا أن يكون مجازًا عقليا .

وقال بعضهم : حقيقة الاستعارة أنْ تُستعار الكلمة من شىء معروف بها إلى شىء لم يُعرَف بها . وحكمة ذلك إظهار الخفىّ . وإيضاح الظاهر الذى ليس بجلىّ أو حصول المبالغة أو المجموع . مثالُ إظهار الخفىّ : ﴿ وَإِنَّه فِى أُمِّ الكِتَابِ ﴾(١) فإن حقيقته : « وإنه فى أصل الكتاب » . فاستعير لفظ الأمّ للأصل ؛ لأن الأولاد تنشأُ من الأمّ كما تنشأُ الفروع من الأصول . وحكمة ذلك تمثيل ماليس بمرئىّ حتى يصير مرئيًا . فينتقل السامع من حدّ السّماع إلى حدّ العَيان . وذلك أبلغ فى البيان . ومثال إيضاح ماليس بجلىّ ليصير جليا : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾(٢) . فإن المراد أمْر الولد بالذُّل لوالديه رحمةً ، فاستعير للذلّ أوّلا « جانب » . ثم للجانب جناحٌ ، وتقدير الاستعارة القريبة : « واخفض لهما جانب الذل » . أى اخفض جانبك ذُلًّا، وحكمة الاستعارة فى هذا جَعْلُ ماليس بمرئىٍّ مرئيا ، لأجل حسن البيان . ولمّا كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لايُبقِى الولدُ من الذل لهما والاستكانة ممكنًا ، احتيج فى الاستعارة إلى

(١) الزخرف ٤ (٢) الاسراء ٢٤

ما هو أبلغ من الأولى ؛ فاستُعير لفظ الجناح لما فيه من المعانى التى لاتحصل من خفض الجانب ؛ لأنّ مَنْ يميل جانبه إلى جهة السُّفْل أدنى ميل صدَق عليه أنه خفض جانبه ، والمرادخفضٌ يلصق الجانب بالأَرض . ولايحصل ذلك إلّابذكر الجناح كالطّائر .

ومثال المبالغة : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾[1] . وحقيقته : « وفجّرنا عيون الأرض » ، ولو عبّر بذلك لم يكن فيه من المبالغة مافى الأوّل المشعِر بأن الأَرض كلّها صارت عيونًا .

• • •

فرع

أركان الاستعارة ثلاثة : مستعار ؛ وهو لفظ المشبّه به ، ومستعار منه ، وهو معنى اللفظ المشبّه ، ومستعار له ؛ وهو المعنى الجامع .

وأقسامها كثيرة باعتبارات ، فتنقسم باعتبار الأَركان الثلاثة إلى خمسة أقسام :

أحدها : استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوسٍ ؛ نحو : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[2] . فالمستعار منه هو النار ؛ والمستعار له الشَّيب ، والوجه هو الانبساط ، ومشابهةُ ضوء النار لبياض الشيب ، وكلّ ذلك محسوس ، وهو أبلغ مما لو قيل : «اشتعل شيب الرأس» ؛ لإفادة عموم الشيب لجميع الرأْس . ومثله : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾[3] ، أصل الموج حركة الماء ؛ فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة ؛ والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه فى الكثرة . ﴿ والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[4] استعير خروج النَّفَس

(١) القمر ١٢
(٢) مريم ٤
(٣) الكهف ٩٩
(٤) التكوير ١٨

شيئًا فشيئًا لخروج النُّور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاًقليلاً بجامع التتابع على طريق التَّدْريج ، وكلّ ذلك محسوس .

الثاني : استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقليّ . قال ابن أبي الإصبع : وهى ألطف من الأولى ، نحو : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ ﴾(١) ، فالمستعار منه السلْخ الذى هو كَشْط الجلد عن الشاة ، والمستعارله كشف الضَّوء عن مكان الليل ؛ وهماحسّيّان ، والجامع مايُعقل من ترتّب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله ، كترتّب ظهور اللحم على الكشط . وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتّب أمر عقليّ . ومثله : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾(٢) ، أصل الحصيد النَّبات ، والجامع الهلاك ، وهو أمر عقليّ .

الثالث : استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي . قال ابن أبي الإصبع : وهى ألطف الاستعارات . نحو : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾(٣) ، المستعار منه الرّقاد ، أى النوم ، والمستعارله الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل ، والكلّ عقليّ . ومثله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾(٤) ، المستعار السّكوت ، والمستعار منه الساكت ، والمستعار له الغضب .

الرابع : استعارة محسوس لمعقول ، بوجهٍ عقلي أيضا ، نحو : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ ﴾(٥) استعير المسّ وهو حقيقة فى الأجسام وهو محسوس ؛ لمقاساة الشدّة ، والجامع اللحوق ، وهما عقليّان ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾(٦) ؛ فالقذف والدمغ مستعاران ، وهما محسوسان ، والحقّ والباطل مستعار لهما وهما معقولان ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ

---

(١) يس ٣٧ (٢) يونس ٢٤
(٣) يس ٥٢ (٤) الأعراف ١٥٤
(٥) البقرة ٢١٤ (٦) الأنبياء ١٨

مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾[١] . واستُعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول .

﴿ فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَر ﴾[٢] . استُعير الصَّدْع . وهو كسر الزجاجة . وهو محسوس للتبليغ . وهو معقول . والجامع التأثير . وهو أبلغ من « بَلِّغ » . وإن كان بمعناه ، لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ . فقد لايؤثر التبليغ ، والصَّدع يؤثّر جزمًا . ﴿ واخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذل ﴾[٣] . قال الراغب : لمّا كان الذُّلّ على ضربين : ضرب يضع الإنسان وضرب يرفعه . وقصد فى هذا المكان إلى مايَرفع ، استعير لفظ الجناح . فكأنه قيل : استعمل الذّل الذى يرفعك عند الله . وكذا قوله : ﴿ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا ﴾[٤] . ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[٥] . ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى ﴾[٦] ، ﴿ وَيَبْغُونَهَا عوجًا ﴾[٧] ﴿ لِيُخْرِجَ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[٨] ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾[٩] . ﴿ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾[١٠] . ﴿ ولاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾[١١] . كلها من استعارة المحسوس المعقول والجامع عقلىّ .

الخامس : استعارة معقول لمحسوس . والجامع عقلىّ أيضًا . نحو : ﴿ إِنَّا لمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾[١٢] المستعار منه التكبّر . وهو عقلىّ . والمستعار له كثرة الماء وهو حِسّىّ . والجامع الاستعلاء وهو عقلىٌّ أيضًا ، ومثله : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾[١٣] ، ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[١٤] .

• • •

(١) آل عمران ١١٢
(٢) الحجر ٩٤
(٣) الاسراء ٢٤
(٤) الأنعام ٦٨
(٥) آل عمران ١٨٧
(٦) التوبة ١٠٩
(٧) الأعراف ٤٥
(٨) الطلاق ١١
(٩) الفرقان ٢٣
(١٠) الشعراء ٢٢٥
(١١) الاسراء ٢٩
(١٢) الحاقة ١١
(١٣) الملك ٨
(١٤) الاسراء ١٢

وتنقسم باعتبار اللفظ إلى :

أصليّة ، وهى ماكان اللفظ المستعار فيها اسم جنس ، كآية : ﴿ بِحَبْلِ اللهِ ﴾[(١)] ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[(٢)] ، ﴿ فِى كلِّ وَادٍ ﴾[(٣)]

وتبعيّة ، وهى ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس ، كالفعل والمشتقّات ، كسائر الآيات السابقة ، وكالحروف، نحو : ﴿ فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ليكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾[(٤)] شبّه ترتّب العداوة والحزن على الالتقاط بترتّب غلبة الغائيّة عليه ، ثم استعير فى المشبّه اللّام الموضوعة للمشبّه به .

• • •

وتنقسم باعتبار آخر إلى : مرشحة ، ومجرّدة ، ومطلقة :

فالأولى – وهى أبلغها – أن تقترن بما يلائم المستعار منه ، نحو : ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾[(٥)] ، استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ،ثم قُرِن بما يلائمه من الربح والتجارة .

والثانية : أن تقرن بما يلائم المستعار له ، نحو : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوف ﴾[(٦)] . استعيرَ اللباس للجوع ، ثم قرِن بما يلائم المستعار له من الإذاقة ؛ ولو أراد الترشيح لقال : «فكساها» . لكنَّ التَّجريد هنا أبلغُ ، لما فى لفظ الإذاقة من المبالغة فى الألم باطنًا .

والثالثة : ألَّا تُقْرَن بواحد منهما .

• • •

وتنقسم باعتبار آخر إلى : تحقيقيّة ، وتخييليّة ، ومكنيّة ، وتصريحيّة .

---

(١) آل عمران ١٠٣ (٢) الطلاق ١١
(٣) الشعراء ٢٢٥ (٤) القصص ٨
(٥) البقرة ١٦ (٦) النحل ١١٢

فالأولى : ما تحقق معناها حسًا ، نحو : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ . . . ﴾ الآية ، أوعقلا نحو : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾(١) ، أي بيانًا واضحًا وحجة لامعة ، ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٢) أى الدين الحق ؛ فإن كلا منهما يتحقق عقلا .

والثانية : أن يضمر التشبيه فى النفس ، فلا يصرح بشىء من أركانه سوى المشبَّه . ويدلّ على ذلك التشبيه المضمَر فى النفس ، بأن يثبت للمشبَّه أمر مختصٌ بالمشبَّه به .

ويسمى ذلك التشبيه المضمَر استعارة بالكناية ، ومكنيًا عنها ؛ لأنه لم يصرَّح به ، بل دلّ عليه بذكر خواصّه .

ويقابله التصريحيّة ؛ ويسمّى إثباتُ ذلك الأمر المختص بالمشبّه به للمشبّه استعارة تخييلية ، لأنه قد استعير للمشبّه ذلك الأمر المختّص بالمشبّه به ، وبه يكون كمال المشبّه به وقوامه فى وجه الشبه ؛ لتخيّل أن المشبّه من جنس المشبّه به . ومن أمثلة ذلك : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾(٣) ، شبّه العهد بالحبل وأضمر فى النفس ، فلم يصرّح بشىء من أركان التشبيه سوى العهد المشبّه ، ودلّ عليه بإثبات النقض الذى هو من خواص المشبه به وهو الحبل ، وكذا : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾(٤) طوى ذكرَ المشبّه به وهو النار ، ودلّ عليه بلازمه وهو الاشتعال ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ . . . ﴾(٥) الآية . شبّه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يُدرَك من طعم المرّ ، فأوقع عليه الإذاقة ؛ ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾(٦) . شبهها فى ألّا تقبل الحق بالشىء الموثوق

---

(١) النساء ١٧٤ (٢) فاتحة الكتاب ٦
(٣) البقرة ٢٧ (٤) مريم ٤
(٥) النحل ١١٢ (٦) البقرة ٧

المختوم . ثم أثبت لها الخَم ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾[١] ، شبَّه ميلانه للسقوط بانحراف الحيّ ، فأثبت له الإرادة التى هى من خواصّ العقلاء .

ومن التصريحية آية : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ ﴾[٢] ، ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾[٣] .

• • •

وتنقسم باعتبار آخر إلى :

وفاقية ، بأن يكون اجتماعهما فى شىء ممكنًا ، نحو : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[٤] أى ضالًّا فهديناه ، استعير الإحياء من جَعْل الشىء حيًّا للهداية التى بمعنى الدلالة على ما يوصّل إلى المطلوب ، والإحياء والهداية ممّا يمكن اجتماعهما فى شىء .

وعنادية ، وهى مالا يمكن اجتماعهما فى شىء ، كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه ، واجتماع الوجود والعدم فى شىء ممتنع .

ومن العنادية التهكمية والتمليحية ، وهما مااستعمل فى ضدّ أو نقيض ، نحو : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٥] ، أى أنذرهم ، استعيرت البشارة وهى الإخبار بما يسرّ ، للإنذار الذى هو ضدّه ، بإدخاله فى جنسها على سبيل التهكّم والاستهزاء . ونحو : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[٦] ، عَنى الغوىّ السفيه تهكّما ، ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[٧] .

• • •

وتنقسم باعتبار آخرَ إلى تمثيلية ، وهى أن يكون وجه الشبه فيها منتزعًا من متعدّد نحو : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ﴾[٨] ، شبّه استظهار العبد

(١) الكهف ٧٧ (٢) البقرة ٢١٤
(٣) يس ٥٢ (٤) الأنعام ١٢٢
(٥) آل عمران ٢١ (٦) هود ٨٧
(٧) الدخان ٤٩ (٨) آل عمران ١٠٣

بالله ووثوقه بحمايته ، والنجاة من المكاره باستمساك الواقع فى مَهْواةٍ بحبل وثيق مدلًّى من مكان مرتفع يأْمن انقطاعه [١] .

• • •

تنبيه

قد تكون الاستعارة بلفظين ، نحو : ﴿ قَوَارِيرَ ۝ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾[٢] يعنى تلك الأوانى ليست من الزجاج ولا من الفضّة ، بل فى صفاء القارورة وبياض الفضة .

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾[٣] . فالصبّ كناية عن الدّوام ، والسوط عن الإيلام ، فالمعنى عذَّبهم عذابًا دائمًا مؤلمًا .

• • •

فائدة

أنكر قومٌ الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز ، وقومٌ إطلاقَها فى القرآن ؛ لأنَّ فيها إيهامًا للحاجة ؛ ولأنه لم يرد فى ذلك إذنٌ من الشرع ؛ وعليه القاضى عبد الوهّاب المالكىّ .

وقال الطرطوشىّ : إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها ، وإن امتنعوا امتنعنا . ويكون هذا من قبيل : « إن الله عالم » ، والعلم هو العقل لانَصِفُه به لعدم التوقيف : انتهى .

• • •

---

(١) والقسم الثانى غير تمثيلية (٢) الإنسان ١٥ ، ١٦

(٣) الفجر : ١٣

فائدة ثانية

تقدم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها ، واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغُ منه ؛ لأنّها مجاز وهو حقيقة ، والمجاز أبلغ ، فإذًا الإستعارة أعلى مراتب الفصاحة . وكذا الكناية أبلغ من التصريح ، والاستعارة أبلغ من الكناية ، كما قال في عروس الأفراح [1] : إنّه الظاهر ؛ لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة ، ولأنها مجاز قطعًا . وفي الكناية خلاف .

وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيليةُ . كما يؤخذ من الكشّاف ، ويليها المكنية . صرّح به الطيبيّ ؛ لاشتمالها على المجاز العقليّ ، والترشيحية أبلغ من المجرّدة والمطلقة . والتخييلية أبلغ من التحقيقيّة ، والمراد بالأبلغيّة إفادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه ، لازيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك

• • •

خاتمة

من المهمّ تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، نحو : « زيد أسد » .

قال الزمخشريّ في قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [2] : فإن قلتَ : هل يسمّى ما في الآية استعارة ؟ قلت : مختلَف فيه . والمحققون على تسميته تشبيهًا بليغًا لااستعارة ؛ لأن المستعار له مذكور ، وهم المنافقون ، وإنّما تطلَق الاستعارة حيث يُطوَى ذكْر المستعار له . ويُجعل الكلام خلوًا عنه ، صالحًا لأن

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأحمد بن علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣

(٢) البقرة ١٨

يراد المنقول عنه ، والمنقول له لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام ؛ ومن ثم ترى المفلقين السّحرة يتناسوْن التشبيه ويضربون عنه صفحا .

وعلّله السّكاكى : بأن من شرط الاستعارة إمكان حَمْل الكلام على الحقيقة فى الظاهر وتناسِى التشبيه ، « وزيد أسد » لا يمكن كونه حقيقةً ، فلا يجوز أن يكون استعارة ، وتابعه صاحب الإيضاح (١) .

قال فى عروس الأفراح : وما قالاه ممنوع ، وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة فى الظاهر . قال : بل لو عكس ذلك ، وقيل لابدّ من عدم صلاحيته لكان أقرب ؛ لأن الاستعارة مجاز لابدّ له من قرينة ؛ فإن لم تكن قرينة امتنع صرفُه إلى الاستعارة ، وصرفناه إلى حقيقة . وإنما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة : إمّا لفظيّة أو معنوية نحو « زيد أسد » . فالإخبارُ به عن زيد قرينةٌ صارفةٌ عن إرادة حقيقته . قال : والذى نختاره فى نحو « زيد أسد » أنه قسمان : تارة يقصَد به التشبيه ، فتكون أداة التشبيه مقدّرة ، وتارة يُقصَد به الاستعارة فلا تكون مقدّرة ، ويكون الأسد مستعملاً فى حقيقته ، وذكر زيد والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينةٌ صارفةٌ إلى الاستعارة ، دالة عليها ، فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه ، وإن لم تقم فنحن بين إضمار واستعارة ، والاستعارة أوْلى ، فيُصار إليها .

وممن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادى فى « قوانين البلاغة » (٢) . وكذا قال حازم (٣) : الفرق بينهما أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه ، فتقادير حرف التشبيه لا يجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ؛ لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه

---

(١) الايضاح فى المعانى والبيان لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى، المتوفى سنة ٧٣٩هـ.

(٢) قوانين البلاغة لموفق الدين عبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ هـ.

(٣) هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجنى الأنصارى القرطبى ، شيخ البلاغة والأدب ، وصاحب كتاب منهاج البلغاء . توفى سنة ٦٨٤ هـ ــ بغية الوعاة ١ : ٤٩١ .

النوع الرابع والخمسون

فى كِنَاياته وتعريضه

هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة ، وقد تقدّم أنَّ الكناية أبلغ من التصريح . وعرفّها أهل البيان بأنّها : لفظ أُريد به لازم معناه .

وقال : ترك التصريح بالشىء إلى ما يساويه فى اللزوم ، فينتقل منه إلى الملزوم .

وأنكر وقوعها فى القرآن مَنْ أنكر المجاز فيه ؛ بناء على أنها مجاز . وقد تقدّم الخلاف فى ذلك .

• • •

وللكناية أسباب :

أحدها : التنبيه على عظَم القدرة ، نحو : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾(١) كناية عن آدم .

ثانيها : ترك اللفظ إلى ماهو أجمل ، نحو : ﴿ إنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً ولِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾(٢) ، فكنّى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب فى ذلك ؛ لأن ترك التصريح بذكر النساء أجملُ منه ؛ ولهذا لم تذكر فى القرآن امرأة باسمها إلامريم . قال السهيلىّ : وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة ، وهوأن الملوك والأشراف لايذكرون حرائرهم فى ملأ ، ولا يبتذلُون أسماء هنّ ، بل يُكَنُّون عن الزَّوْجة بالفرْش والعيال ونحو ذلك ؛ فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهنّ ، ولم يصونوا أسماء هنّ عن الذكر . فلمّا قالت

(١) الأعراف ١٨٩ (٢) ص ٢٣

النصارى في مريم ماقالوا . صرّح الله باسمها ، ولم يكنْ تأكيدًا للعبوديّة التى هى صفة لها ، وتأكيدًا لأن عيسى لاأبَ له ؛ وإلا لَنُسب إليه .

ثالثها : أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره . ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرَّفَث والدخول ، والسِّر فى قوله :﴿ ولَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾(١) والغشيان فى قوله : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾(٢) ، أخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس . قال المباشرة الجماع . ولكنَّ الله يكنِي .

وأخرج عنه قال ؛ إنَّ اللهَ كريم يَكْنِي ماشاء ، وإنَّ الرفث هو الجماع ، وكنَى عن طلبه بالمراودة فى قوله : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾(٣) ، وعنه أوْ عن المعانقة باللباس فى قوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لكمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾(٤) وبالحرث فى قوله : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾(٥) .

وكنَى عن البول ونحوه بالغائط فى قوله : ﴿ أَوْجَاءَأَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾(٦) وأصله المكان المطمئنّ من الأرض .

وكنَى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام فى قوله فى مريم وابنها : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾(٧)

وكنَى عن الأستاه بالأدبار فى قوله : ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾(٨) أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى هذه الآية . قال : يعنى أستاههم . ولكن الله يكنِي .

وأورد على ذلك التصريح بالفرج فى قوله : ﴿ والَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾(٩)

---

(١) البقرة ٢٣٥
(٢) الأعراف ١٨٩
(٣) يوسف ٢٣
(٤) البقرة ١٨٧
(٥) البقرة ٢٢٣
(٦) المائدة ٦
(٧) المائدة ٧٥
(٨) محمد ٢٧
(٩) التحريم ١٢

وأجيب : بأن المراد به فَرْج القميص ، والتعبير به من ألطف الكنايات وأحسنها أى لم يعلق ثوبها بريبة ؛ فهى طاهرة الثوب ، كما يقال : نقىّ الثوب وعفيف الذيل ، كناية عن العفّة – ومنه : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (١) – وكيف يُظنّ أن نفخ جبريل وقع فى فرجها ، وإنما نفخ فى جيب درعها .

ونظيره أيضًا : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ (٢)

قلت : وعلى هذا ففى الآية كناية عن كناية ، ونظيره ماتقدّم من مجاز المجاز.

رابعها : قصد البلاغة والمبالغة ، نحو : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (٣) ، كنَى عن النساء بأنهن يُنشّأن فى الترفُّه والتزيُّن الشاغل عن النظر فى الأمور ودقيق المعانى ، ولو أتى بلفظ « النساء » لم يشعر بذلك ، والمراد نفى ذلك عن الملائكة ، وقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٤) كناية عن سَعَة جوده وكرمه جدا

خامسها : قصد الاختصار ، كالكناية عن ألفاظ متعدّدة بلفظ « فعل » نحو : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٥) ، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ (٦) أى فإن لم تأتوا بسورة من مثله .

سادسها : التنبيه على مصيره ، نحو : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (٧) ، أى جهنّمىّ مصيره إلى اللهب ، ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ ﴾ (٧) ، أى نمّامة مصيرها إلى أن تكون حطبًا لجهنم ، فى جيدها غُلٌّ .

---

(١) المدثر ٤ (٢) الممتحنة ١٢
(٣) الزخرف ١٨ (٤) المائدة ٦٤
(٥) المائدة ٧٩ (٦) البقرة ٢٤
(٧) المسد «تبت» ١ ، ٤ ، ٥

قال بدر الدين بن مالك فى المصباح [1] : إنمّا يُعدَل عن التصريح إلى الكناية لنكتة ، كالإيضاح ، أو بيان حال الموصوف ، أو مقدار حاله ، أو القصد إلى المدح أو الذمّ أو الاختصار ، أو السّتر ، أو الصيانة ، أو التعميَة والإلغاز ، أو التعبير عن الصعب بالسهل ، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن.

واستنبط الزمخشرىّ نوعًا من الكناية غريبًا ، وهو أن تعمِد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر ، فتأْخذ الخلاصة ، من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز ، فتعبّر بها عن المقصود ، كما تقول فى نحو : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [2] : إنه كناية عن المُلْك ، فإنَّ الاستواء على السرير لايحصل إلاَّ مع الملك ، فجُعل كناية عنه ، وكذا قوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [3] ، كناية عن عظمته وجلالته ، من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين : حقيقة ومجاز .

• • •

تذنيب

من أنواع البديع التى تُشْبه الكناية الإرداف ؛ وهو أن يريد المتكلم معنى ، ولا يعبّر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بدلالة الإشارة ، بل بلفظ يُرادفه ، كقوله تعالى ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [4] ، والأصل : « وهَلَك من قضَى الله هلاكه ، ونجا مَنْ قضى الله نجاته » ، وعُدِل عن ذلك إلى لفظ. الإرداف لما فيه من الإيجاز ، والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجى كان بـأمرِ آمرٍ مطاع ، وقضاء مَنْ لايُرَدّ

(١) المصباح فى تلخيص المفتاح لمحمد بن محمد بن عبد الله بن مالك بدر الدين ، الملقب بابن الناظم، أحد أئمة النحو والمعاني والبيان والبديع، توفى سنة ٦٨٦ هـ. طبقات الشافعية ٥ : ٤١

(٢) طه ٥ (٣) الزمر ٦٧

(٤) هود ٤٤

قضاؤه ، والأمر يستلزم آمرًا ، فقضاؤه يدلّ على قدرة الآمر به وقهره ، وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضّان على طاعة الآمر ؛ ولا يحصل ذلك كُله من اللفظ الخاصّ .

وكذا قوله : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ (١) ، حقيقة ذلك « جلستْ» فُعدِل عن اللفظ الخاصّ بالمعنى إلى مرادفه ، لما فى الاستواء من الإشعار بجلوس متمكّن لازَيْغ فيه ولا ميل ، وهذا لايحصل من لفظ « الجلوس » .

وكذا : ﴿ فِيهِنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ (٢) ، الأصل « عفيفات » ، وعُدِل عنه للدلالة على أنهنّ مع العفة لاتطمح أعينهنّ إلى غير أزواجهنّ ، ولا يشتهين غيرهم . ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفّة .

قال بعضهم : والفرق بين الكناية والإرداف ، أنّ الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم ، والإرداف من مذكور إلى متروك .

ومن أمثلته أيضًا : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (٣) ، عدل فى الجملة الأُولى عن قوله « بالسوءى » ، مع أن فيه مطابقة للجملة الثانية إلى « بما عملوا » ، تأدُّبًا أن يُضاف السّوء إلى الله تعالى .

° ° °

فصل

للنّاس فى الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة ، فقال الزمخشرىّ : الكناية ذكرُ الشىء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن تذكر شيئًا تدلّ به على شىء لم تذكره .

---

(١) هود ٤٤ — (٢) الرحمن ٥٦

(٣) النجم ٣١

وقال ابن الأثير : الكناية : ما دلّ على معنًى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، بوصفٍ جامع بينهما ، والتَّعريض : اللفظ الدالّ على معنى لامن جهة الوضع الحقيقيّ أو المجازيّ ، كقول من يتوقَّع صلةً : والله إنّى محتاج ؛ فإنه تعريض بالطلب ، مع أنه لم يوضع له حقيقة ولامجازًا وإنما فهم من عُرض اللفظ ، أى جانبه .

وقال السُّبكيّ فى كتاب الإغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض[1] : الكناية لفظ استُعمل فى معناه مرادًا منه لازم المعنى ، فهى بحسب استعمال اللفظ فى المعنى حقيقة ، والتجوّز فى إرادة إفادة مالم يوضع له . وقد لايراد منها المعنى ، بل يعبّر بالملزوم عن اللازم ، وهى حينئذ مجاز ، ومن أمثلته : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾[2] ، فإنه لم يقصد إفادة ذلك لأنه معلوم ، بل إفادة لازمِهِ ، وهو أنهم يرِدُونها ويجدون حرّها إن لم يجاهدوا . وأمّا التعريض فهو لفظ استُعمل فى معناه للتلويح بغيره ، نحو : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾[3] ، نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتَّخذة آلهة ، كأنه غضب أن تعبَد الصغار معه تلويحًا لعابدها بأنها لاتصلح أن تكون آلهةً ؛ لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل ، والإله لايكون عاجزًا ، فهو حقيقة أبدًا .

وقال السكاكيّ : التعريض ماسيق لأجل موصوف غير مذكورٍ ، ومنه أن يخاطب واحدٌ ويراد غيرُه ، وسُمّىَ به لأنه أُميل الكلام إلى جانبٍ مشارًا به إلى آخر ، يقال : نظر إليه بعُرْض وجهه ، أى جانبه .

قال الطِّيبيّ : وذلك يُفعل إمّا لتنوية جانب الموصوف ، ومنه :

(١) كتاب الاغريض ، لتقى الدين على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ . ذكره صاحب كشف الظنون .

(٢) التوبة ٨١ (٣) الأنبياء ٦٣

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [١] أى محمدًا صلى الله عليه وسلم إعلاءً لقدره، أى أنه العلَم الذى لايشتبه .

وإمّا لتلطُّف به واحترازعن المخاشنة ، نحو : ﴿ وَمَالِى لاأَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [٢] أى ومالكم لاتعبدون ! بدليل قوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢] وكذا قوله : ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ [٣] ، ووجه حسنه إسماع مَنْ يقصد خطابه الحقّ على وجه يمنع غضبَه ، إذ لم يصرح بنسبته للباطل ، والإعانة على قبوله إذ لم يُرِدْ له إلاّ ماأراده لنفسه .

وإمّا لاستدارج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، ومنه : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [٤] ، خوطب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأُريد غيره ، لاستحالة الشرك عليه شرعًا .

وإمّا للذم ، نحو : ﴿ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [٥] ، فإنه تعريض بذمّ الكفار وأنهم فى حكم البهائم الذين لايتذكّرون .

وإمّا للإهانة والتوبيخ ، نحو : ﴿ وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ٭ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [٦]

وقال السبكىّ : التعريض قسمان :

قسم يراد به معناه الحقيقى ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدّم .

وقسم لايُراد ، بل يُضرب مثلاللمعنى الذى هو مقصود التعريض ، كقول إبراهيم : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [٧] .

---

(١) البقرة ٢٥٣
(٢) يس ٢٢
(٣) يس ٢٣
(٤) الزمر ٦٥
(٥) الرعد ١٩
(٦) التكوير ٨ ، ٩
(٧) الأنبياء ٦٣

النوع الخامس والخمسون

فى الحَصْر والاختصاص

أمّا الحصْر – ويقال له القصر – فهو تخصيص أمرٍ بآخرَ بطريق مخصوص. ويقال أيضاً : إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه .

وينقسم إلى قصر الموصوفِ على الصفة ، وقصر الصِّفة على الموصوف ؛ وكلٌّ منهما إمّا حقيقىّ وإمّا مجازىّ .

مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقيا ، نحو « مازيد إلا كاتب » ، أى لاصفة له غيرها ، وهو عزيز لايكاد يُوجد لتعذُّر الإحاطة بصفات الشىء حتى يمكن إثبات شىء منها ونفىُ ماعداها بالكليّة ، وعلى عدم تعذُّرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ، ولذا لم يقع فى التنزيل .

ومثاله مجازيا : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ ﴾ [١] ، أى أنه مقصور على الرِّسالة ، لا يتعداها إلى التبري من الموت الذى استعظموه ، الذى هو من شأن الإله

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا : ﴿ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ ﴾ [٢] .

ومثاله مجازيا : ﴿ قُلْ لاَأَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً . . . ﴾ [٣] الآية ، كما قال الشافعى فيما تقدّم نقله عنه فى أسباب النزول : إنَّ الكفار لمّا كانوا يُحلُّونَ الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به ، وكانوا يحرّمون كثيرًا من المباحات ، وكانت سجيّتهم تخالف وضعَ الشرع .ونزلت الآية مسبوقةً بذكر شُبَهِهم فى البَحيرة والسَّائبة والوَصيلة

---

(١) آل عمران ١٤٤ (٢) محمد ١٩

(٣) الأنعام ١٤٥

والحامى وكان الغرض إبانة كذبهم ؛ فكأنه قال :لاحرامَ إلاَّ ماأحللتموه والغرض الردّ عليهم والمضادّة ، لاالحصر الحقيقىّ ؛ وقد تقدم بأبسط من هذا .

وينقسم الحصر باعتبارٍ آخر إلى ثلاثة أقسام : قصر إفراد ، وقصر قلب ، وقصر تعيين .

فالأول يخاطَب به من يعتقد الشَّرِكة ، نحو : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[1] ، خُوطب به مَن يعتقد اشتراك الله والأصنام فى الأُلوهية .

والثانى : يخاطَب به مَنْ يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له ، نحو ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾[2] ، خوطب به نمروذ ، الذى اعتقد أنه هو المحيِى المميت دون الله ، ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾[3] ، خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم ، ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾[4] ، خوطب به مَنْ يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب .

والثالث : يخاطَب به مَن تساوَى عنده الأمران ، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ، ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينها .

• • •

فصـــل

طرق الحصر كثيرة :

أحدها : النفى والاستثناء ؛ سواء كان النفى بلا ، أو ما ، أو غيرهما . والاستثناء بإلاَّ ، أو غَيْر ، نحو : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[5] ، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾[6] ، ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾[7] ؛ ووجْه إفادتِه الحصر أن

---

(١) النحل ٥١
(٢) البقرة ٢٥٨
(٣) البقرة ١٣
(٤) النساء ٧٩
(٥) الصافات ٣٥
(٦) آل عمران ٦٢
(٧) المائدة ١١٧

الاستثناء المفرّغ لابدّ أن يتوجّه النفْى فيه إلى مقدّر وهو مستثنى منه ؛ لأن الاستثناء إخراج ، فيحتاج إلى مُخرج منه ، والمراد التقدير المعنويّ لاالصناعى ولابدّ أن يكون عاما لأن الإخراج لايكون إلاّ مِن عام ، ولا بدّ أن يكون مناسبًا للمستثنى فى جنسه ؛ مثل : ماقام إلا زيد ؛ أى أحد ، وما أكلت إلا تمرًا ؛ أى مأكولا ، ولا بدّ أن يوافقه فى صفته أى إعرابه ، وحينئذ يجب القصر إذا أُوجِبَ منه شىء بإلا ضرورة ببقاء ماعداه على صفة الانتفاء .

وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطَب جاهلاً بالحكم ؛ وقد يخرج عن ذلك فينزَّل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب ، نحو : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ ﴾[١] ، فإنه خطاب للصحابة ، وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه نَزَّلَ استعظامهم له عن الموت منزلة مَنْ يجهل رسالته ، لأن كلَّ رسول لا بدّ من موته ؛ فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته .

الثانى : إنَّما ، الجمهور على أنها للحصر فقيل بالمنطوق ، وقيل بالمفهوم وأنكر قوم إفادتها إيّاه ، منهم أبو حيّان ، واستَدَلَّ مُثْبِتُوه بأُمورٍ :

منها قوله تعالى : ﴿ إنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ ﴾[٢] بالنَّصب ؛ فإنَّ معناه « ماحرّم عليكم إلاّ الميتة » ؛ لأنه المطابق فى المعنى لقراءة الرَّفع ؛ فإنَّها للقصر ، فكذا قراءة النصب ، والأصل استواء معنى القراءتين .

ومنها أن « أنَّ » للإثبات و « ما » للنفى : فلابدّ أن يحصل القصر ، للجمع بين النَّفى والإثبات ؛ لكن تُعُقِّب بأن « ما » زائدة كافةَ ، لانافية .

ومنها أنَّ « إنَّ » للتأكيد و « ما » كذلك ، فاجتمع تأكيدان ، فأفادا الحصر . قاله السكّاكىّ ، وتعقّب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر

---

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) البقرة ١٧٣ ، وانظر تفسير القرطبي ٢ : ٢١٦ .

لأفاد نحو« إنَّ زيدًا لقائم » . وأجيب بأنَّ مراده : لايجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر .

ومنها قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ﴾[1] ، ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ ﴾[2] ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾[3] ، فإنه إنما تحصل مطابقة الجواب إذا كانت إنَّما للحصر ليكون معناها « لآ آتيكُم بِهِ إنما يأتي به الله ، ولا أعْلَمُها إنَّما يعلمها الله » ، وكذا قوله ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَاعَلَيْهِم مِنْ سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾[4] ، ﴿ مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ﴾[5] ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾[6] ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾[7] . ولايستقيم المعنى فى هذه الآيات ونحوها إلا بالحصر .

وأحسن ماتُستعمل « إنما » فى مواقع التعريض ، نحو : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[8]

الثالث : إنَّما ، بالفتح ، عدّها من طرق الحصْر الزمخشرىّ والبيضاوىّ فقالا فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[9] : إنَّما لقصر الحكم على شىء ، أو لقصر الشىء على حكم ، نحو « إنما زيدٌ قائم » و « إنما يقوم زيد » . وقد اجتمع الأمران فى هذه الآية ، لأن « إنما يوحى إلىّ » مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد ، و « إنما إلهكم » بمنزلة إنما زيد قائم ، وفائدة

(١) الأحقاف ٢٣
(٢) هود ٣٣
(٣) الأعراف ١٨٧
(٤) الشورى ٤١ ، ٤٢
(٥) التوبة ٩١ ــ ٩٣
(٦) الأعراف ٢٠٣
(٧) آل عمران ٢٠
(٨) الرعد ١٩
(٩) الأنبياء ١٠٨

اجتماعهما الدلالة على أن الوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصورٌعلى استئثار الله بالواحدانية [(١)]

وصرّح التنوخيّ فى الأقصى القريب [(٢)] ، بكونها للحصر ، فقال : كلّما أوجب أن « إنّما » بالكسر للحصر أوجب أن « أنّما » بالفتح للحصر ، لأنّها فرع عنها ، وما ثبت للأصل ثبت للفرع ، مالم يثبت مانع منه ، والأصل عدمه

وردّ أبو حيان على الزمخشرىّ مازعمه بأنّه يلزمه انحصار الوحى فى الوحدانيّة وأُجيب بأنّه حصر مجازىّ باعتبار المقام .

الرابع : العطف بلا أو بل ، ذكره أهل البيان ، ولم يَحْكُوا فيه خلافًا . ونازع فيه الشيخ بهاء الدين فى عروس الأفراح ، فقال : أى قصر فى العطف بلا إنما فيه نفى وإثبات ، فقولك : زيد شاعر لا كاتب ، لانعرض فيه لنفى صفة ثالثة ، والقصر إنّما يكون بنفى جميع الصفات غير المثبَت حقيقة أو مجازًا ، وليس هو خاصًا بنفى الصفة التى يعتقدها المخاطب ، وأما العطف ببل ، فأبعد منه ، لأنه لايستمرّ فيها النفى والإثبات .

الخامس : تقديم المعمول ، نحو : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [(٣)] ، ﴿لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ [(٤)] وخالف فيه قوم ، وسيأتى بسط الكلام فيه قريبًا .

السادس : ضمير الفصل ، نحو : ﴿ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ [(٥)] ، أى لا غيره ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [(٦)] ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [(٧)] ، ﴿ إِنَّ

---

(١) الكشاف ٣ : ١٠٩

(٢) كذا ورد اسمه فى الأصول والبرهان ٢ : ٣٤٦ ، وسماه صاحب كشف الظنون « أقصى القرب فى صناعة الأدب للشيخ زين الدين محمد بن محمد التنوخى ، المتوفى سنة ٧٨ هـ .

(٣) الفاتحة ٥
(٤) آل عمران ١٥٨
(٥) الشورى ٩
(٦) البقرة ٥
(٧) آل عمران ٦٢

شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ (١) . وممن ذكر أنه للحصر البيانيون فى بحث المسند إليه واستدلّ له السهيليّ بأنه أُتِى به فى كل موضع ادّعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله ، ولم يؤتَ به حيث لم يدّع ، وذلك فى قوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى .. (٢) إلى آخر الآيات ، فلم يؤتَ به فى ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ ﴾ (٣) ، ﴿ وأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عادًا الأُولَى ﴾ (٥) : لان ذلك لم يدّع لغير الله ، وأُتِى به فى الباقى لادعائه لغيره . قال فى عروس الأفراح : وقد استنبطت دلالته على الحصر من قوله : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم .. ﴾ (٦) لأنّه لولم يكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل رقيبًا عليهم ، وإنّما الذى حصل بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى ، ومن قوله : ﴿ لاَ يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٧) ، فإنه ذكر لتبيين عدم الاستواء ، وذلك لايحسن إلاّ بأن يكون الضمير للاختصاص .

السابع : تقديم المسنَد إليه ، على ماقال الشيخ عبدالقاهر : قد يقدّم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى . والحاصل على رأيه أن له أحوالا :

أحدها : أن يكون المسنَد إليه معرفة والمسنَد مثبتًا ، فيأتى للتخصيص ، نحو : أنا قمت ، وأنا سعيت فى حاجتك ، فإن قُصد بهقصر الإفراد أُكّدَ بنحو « وحدى » ، أو قصر القلب أُكّد بنحو « لاغيرى » ، ومنه : ﴿ بَلْ أَنْتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (٨) ، فإن ماقبله من قوله : ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ (٨) ، ولفظ « بل » المشعر بالإضراب يقضى بأن المراد « بل أنتم لاغيركم » ، فإنّ المقصود نفى فرحِه هو بالهدّية لا إثبات الفرح لهم بهديتهم . قاله فى عروس

(١) الكوثر ٣
(٢) النجم ٤٣
(٣) النجم ٤٥
(٤) النجم ٤٧
(٥) النجم ٥٠
(٦) المائدة ١١٧
(٧) الحشر ٢٠
(٨) النمل ٣٦

لأفراح قال : وكذا قوله : ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ (١) ، أى لانعلمهم إلاَّ نحن . وقد يأتى للتقوية والتأكيد دون التخصيص ، قال الشيخ بهاء الدين ، ولا يتميز ذلك إلاَّ بما يقتضيه الحال وسياق الكلام .

ثانيها : أن يكون المسنَد منفيًا ، نحو « أنت لاتكذب » ، فإنه أبلغ فى نفى الكذب من « لاتكذب » ومن « لاتكذب أنت » . وقد يفيد التخصيص ومنه ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢) .

ثالثها : أن يكون المسنَد إليه نكرة مثبتًا ، نحو « رجلٌ جاءنى » ، فيفيد التخصيص إما بالجنس أى لا امرأة ، أو الوحدة أى لارجلان .

رابعها : أن يَلِيَ المسند إليه حرف النفى ، فيفيده ، نحو « ماأنا قلت هذا » أى لم أقله مع أنَّ غيرى قاله ، ومنه : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (٣) ، أى العزيز علينا رهطك لاأنت ، ولذا قال : ﴿ أَرَهْطِى أعزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللهِ ﴾ (٤) .

هذا حاصل رأى الشيخ عبدالقاهر ، ووافقه السكاكىّ ، وزاد شروطًا وتفاصيل بسطْناها فى شرح ألفية المعانى .

الثامن : تقديم المسنَد ، ذكر ابن الأثير وابن النَّفيس وغيرهما أنَّ تقديم الخبر على المبتدإ يفيد الاختصاص . وردّه صاحب الفَلَك الدائر : بأنه لم يقل به أحد ، وهو ممنوع ، فقد صرّح السكاكىّ وغيره بأن تقديم مارتبته التأخير يفيده ، ومثّلوه بنحو « تميمى أنا » .

التاسع : ذكْر المسند إليه ، ذكر السكاكىّ أنه قد يُذكَر ليفيد التخصيص وتعقبّه صاحب الإيضاح . وصرّح الزمخشرىّ : بأنه أفاد الاختصاص فى

---

(١) التوبة ١٠١
(٢) القصص ٦٦
(٣) هود ٩١ .
(٤) هود ٩٢ .

قوله : ﴿ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ [(١)] فى سورة الرّعد ، وفى قوله : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [(٢)] ، وفى قوله : ﴿ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [(٣)] ويُحْتَمل أنه أراد أن تقديمه أفاده ، فيكون من أمثلة الطريق السابع .

العاشر : تعريف الجزأين ، ذكر الإمام فخر الدين فى نهاية الإيجاز [(٤)] ؛ أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : « المنطلق زيد » ومنه فى القرآن فيما ذكر الزَّمْلَكانىّ فى أسرار التنزيل : ﴿ الحمدُ للهِ ﴾ [(٥)] قال : إنه يفيد الحصر ، كما فى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [(٥)] ، أى ﴿ الحمدُ للهِ ﴾ لالغيره .

الحادى عشر : نحو « جاء زيد نفسه » ، نقل بعض شرّاح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر .

الثانى عشر : نحو « إنَّ زيدًا لقائم » ، نقله المذكور أيضًا .

الثالث عشر : نحو « قائم » فى جواب « زيد إمّا قائم أوقاعد » . ذكره الطيبىّ فى شرح التبيان .

الرابع عشر : قلبُ بعض حروف الكلمة ؛ فإنه يفيد الحصر على مانقله فى الكشّاف فى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾ [(٦)] ، قال : القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ « الطاغوت » . لأنّ وزنه على قولٍ « فعَلوت » من الطغيان ، كملَكوت ورَحَموت ، قُلِبَ بتقديم اللام على العين ، فوزنه « فلَعوت » ففيه مبالغات التسمية بالمصدر . والبناء بناء مبالغة ، والقلب وهو للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان .

---

(١) الرعد ٢٦ (٢) الزمر ٢٣
(٣) الأحزاب ٤
(٤) نهاية الايجاز فى علم البيان لفخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ ها ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : انه هذب فيه كتابى عبد القاهر .
(٥) الفاتحة ٢ ، ٥ (٦) الزمر ١٧

تنبيه

كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولا أوظرفًا أومجرورًا ، ولهذا قيل فى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) : معناه « نخصك بالعبادة والاستعانة » ، وفى : ﴿ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢) : معناه « إليه لا إلى غيره » ، وفى ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٣) أخرت الصلة فى الشهادة الأولى ، وقدمت فى الثانية ، لأن الغرض فى الأول إثبات شهادتهم ، وفى الثانى إثبات اختصاصهم بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم عليهم .

وخالف فى ذلك ابن الحاجب فقال فى شرح المفصل : الاختصاص الذى يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم ، واستدل على ذلك بقوله : ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾(٤) ثم قال : ﴿ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ ﴾ (٥) . ورد هذا الاستدلال بأن « مخلصا له الدين » أغنى عن إفادة الحصر فى الآية الأولى ، ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور فى محل بغير صيغة الحصر ، كما قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٧) ؛ بل قوله : ﴿ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ ﴾ من أقوى أدلة الاختصاص ، فإن قبلها : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (٨) ؛ فلو لم يكن للاختصاص وكان معناها « اعبد الله » لما حصل الإضراب الذى هو معنى « بل » .

واعترض أبو حيان على مدعى الاختصاص بنحو : ﴿ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى

(١) الفاتحة ٥
(٢) آل عمران ١٥٨
(٣) البقرة ١٤٣
(٤) الزمر ٢
(٥) الزمر ٦٦
(٦) الحج ٧٧
(٧) يوسف ٤٠
(٨) الزمر ٦٥

أَعْبُدُ ﴾ (١) . وأجيب بأنه لمّا أشرك بالله غيرَه كأنه لم يعبد الله ، وكان أمرهم بالشرك كأنه أمرٌ بتخصيص غير الله بالعبادة . وردّ صاحب الفلك الدائر الاختصاص بقوله : ﴿ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (٢) ، وهو من أقوى ماردّ به . وأجيب بأنه لايدّعَى فيه اللزوم بل الغلبة وقد يخرج الشيء عن الغالب.

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وعدمه فى آية واحدة ، وهى ﴿ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ (٣) ، فإنَّ التقديم فى الأوّل قطعًا ليس للاختصاص وفى « إيّاه » قطعًا للاختصاص

وقال والده الشيخ تقى الدين فى كتاب الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص : اشتهر كلام الناس فى أنّ تقديم المعمول يفيد الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول : إنّما يفيد الاهتمام ، وقد قال سيبويه فى كتابه وهم يقدّمون ماهم به أعنى . والبيانيون على إفادة الاختصاص ، ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر ، وليس كذلك ، وإنّما الاختصاص شيء والحصر شيء آخر ، والفضلاء لم يذكروا فى ذلك لفظة « الحصر » ؛ وإنّما عبّروا بالاختصاص ؛ والفرق بينهما أن الحصر نفى غير المذكور وإثبات المذكور والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه ؛ وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص . والخصوص مركّب من شيئين : أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء ، والثانى معنى منضمّ إليه يفصِله عن غيره ، كضرب زيد ، فإنه أخصّ من مطلق الضرب ، فإذا قلت : ضربت زيدًا أخبرت بضرب عامٍّ وقع منك على شخص خاصٍّ ، فصار ذلك الضرب المخبَر به خاصًّا لما انضم إليه منك ومن زيد . وهذه المعانى الثلاثة ـ أعنى مطلق الضرب ، وكونه واقعًا منك ،

(١) الزمر ٦٤ (٢) الأنعام ٨٤

(٣) الأنعام ٤٠ ، ٤١

وكونه واقعًا على زيد ـ قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السّواء. وقد يترجّح قصده لبعضها على بعض، ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه ، فإن الابتداء بالشىء يدلّ على الاهتمام به ، وأنه هو الأرجح فى غرض المتكلم ؛ فإذا قلت : زيدًا ضربت علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود . ولا شك أن كلّ مركب من خاص وعام له جهتان، فقد يقصد من جهة عمومه ، وقد يقصد من جهة خصوصه ، والثانى هو الاختصاص . وأنه هو الأهَم عند المتكلم ، وهو الذى قصد إفادته السامع من غير تعرّض ولا قصد لغيره بإثبات ولانفى ، ففى الحَصْر معنى زائد عليه ، وهو نفى ماعدا المذكور . وإنّما جاء هذا فى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (١) للعلم بأنّ قائليه لايعبدون غير الله تعالى ؛ ولذا لم يطّرد فى بقية الآيات ، فإن قوله : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ﴾ (٢) ، لو جُعل فى معنى « مايَبْغون إلا غير دين الله » وهمزة الإنكار داخلة عليه ، لزم أن يكون المنكَر الحصر لامجرّد بغيهم غيردين الله ، وليس المراد . وكذلك ﴿ آلهة دُونَ الله تريدون ﴾ (٣) المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر . وقد قال الزمخشرىّ فى ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) : فى تقديم « الآخرة » وبناء « يوقنون » على « هُمْ » تعريض بأهل الكتاب وماكانوا عليه من إثبات أمر الآخرة ، على خلاف حقيقته ، وأن قولَهُمْ ليس بصادر عن إيقان ، وأن اليقين ماعليه مَنْ آمَنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنَ قَبْلك (٥) .

وهذا الذى قاله الزمخشرىّ فى غاية الحسن ، وقد اعترض عليه بعضهم فقال : تقديم « الآخرة » أفاد أن إيقانهم مقصورٌ على أنه إيقان بالآخرة لابغيرها

(١) الفاتحة ٥
(٢) آل عمران ٨٣
(٣) الصافات ٨٦
(٤) البقرة ٤
(٥) الكشاف ١ : ٢٣

وهذا الاعتراض من قائله مبنيّ على مافهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، وليس كذلك ، ثم قال المعترض وتقديم « هُمْ » أفادأن هذا القصر مختصّ بهم ، فيكون إيقانغيرهم بالآخرة إيمانًابغيرها حيث قالوا : ﴿ لَنْ تَمسنَا النَّار ﴾(١) وهذا منه أيضًا استمرار على ما فى ذهنه من الحصر ، أىْ أنَّ المسلمين لايوقنون إلاّ بالآخرة ، وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها . وهذا فهمٌ عجيب ألجأه إليه فهمه الحصر ، وهو ممنوع . وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام :

أحدها : بما وإلاّ ، كقولك : « ماقام إلاّ زيد » صريح فى نفى القيام عمّن غير زيد ، ويقتضى إثباتَ القيام لزيد ، قيل : بالمنطوق ، وقيل : بالمفهوم وهو الصحيح ، لكنّه أقوى المفاهيم ؛ لأن « إلا » موضوعه للاستثناء ، وهو الإخراج ، فدلالتها على الإخراج بالمنطوق لابالمفهوم ، ولكنَّ الإخراج من عدم القيام ليس هوعين القيام ؛ بل قد يستلزمه ، فلذلك رجّحنا أنه بالمفهوم ؛ والتبسَ على بعض الناس لذلك فقال : إنه بالمنْطوق .

والثانى : الحصر بـ « إنَّما » وهو قريب من الأوَّل فيما نحن فيه ، وإن كان جانب الإثبات فيه أظهر ، فكأنَّه يفيد إثبات قيام زيد ، إذا قلت : إنَّما قام زيد ، بالمنطوق ، ونفيه عن غيره بالمفهوم .

الثالث : الحصر الذى قد يفيده التقديم؛ وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأوّلين ، بل هو فى قوّة جملتين : إحداهما ماصُدِّر به الحكم نفيا كان أو إثباتًا وهو المنطوق ، والأخرى ما فهم من التقديم ، والحصر يقتضى نفى المنطوق فقط ، دون مادلّ عليه من المفهوم ؛ لأن المفهوم لامفهوم له ؛فإذا قلت : أنا لاأكرم إلاّ إياك ، أفاد التَّعريض بأن غيرك يكرم غيره ولايلزم أنك لاتكرمه وقد قال تعالى : ﴿ الزَّانِى لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ (٢) أفاد أن العفيف

(١) البقرة ٨٠ (٢) النور ٣

قد ينكح غير الزانية ، وهو ساكت عن نكاحه الزانية ، فقال سبحانه وتعالى بعده : ﴿ والزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلاَّ زانٍ أَوْ مُشْرِك ﴾ (١) بيانًا لما سكت عنه في الأُولى . فلو قال : « بالآخرة يوقنون » أفاد بمنطوقه إيقانهم بها ، ومفهومه عند من يزعم أنهم لايوقنون بغيرها . وليس ذلك مقصودًا بالذَّات ، والمقصود بالذات قوّة إيقانهم بالآخرة حتى صار غيرها عندهم كالمدحوض ، فهو حصْر مجازيّ ، وهو دون قولنا : « يوقنون بالآخرة لا بغيرها » ، فاضبط هذا وإيَّاك أن تجعل تقديره : « لايوقنون إلّا بالآخرة » .

إذا عرفت هذا فتقديم « هُمْ » أفاد أن غيرهم ليس كذلك ؛ فلوجعْلنا التقدير : « لايوقنون إلّابالآخرة » كان المقصود المهمّ النفى ، فيتسّلط المفهوم عليه فيكون المعنى إفادة أن غيرهم يوقن بغيرها ؛ كما زعم المعترض ، ويُطرح إفهام أنه لايوقن بالآخرة ولاشكّ أن هذا ليس بمراد ، بل المراد إفهام أن غيرهم لايوقن بالآخرة ؛ فلذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة ، ليتسّلط المفهوم عليه ، وأن المفهوم لايتسلَّط على الحصر ؛ لأن الحصر لم يدّل عليه بجملة واحدة مثل « ما » و « إلاَّ » ومثل « إنما » وإنما دلّ عليه بمفهوم مستفاد من منطوق ، وليس أحدهما متقيّدًا بالآخر ؛ حتى نَقول : إنَّ المفهوم أفاد نفى الإيقان المحصور ، بل أفاد نفى الإيقان مطلقا عن غيرهم ؛ وهذا كله على تقدير تسليم الحصْر ، ونحن نمنع ذلك ، ونقول : إنه اختصاص ، وإن بينهما فرقًا .

انتهى كلام السبكى .

---

(١) النور ٣

النوع السادس والخمسون

فى الإيجاز والإطناب

أعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة ، حتى نقل صاحب سرّ الفصاحة (١) عن بعضهم أنه قال : البلاغة هى الإيجاز والإطناب .

قال صاحب الكشّاف : كما أنّه يجب على البليغ فى مظانّ الإجمال أن يُجْمِلَ ويوجز ، فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل أن يُفصِّل ويُشْبع ، أنشد الجاحظ :

يَرْمُونَ بالخُطَب الطِّوال وتارَةً وَحْىَ المُلاحظ خيفة الرُّقَباء (٢)

واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهى المساواة أولا وهى داخلة فى قسْم الإيجاز ؟ فالسكّاكىّ (٣) وجماعة على الأوّل ، لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولامذمومة ، لأنّهم فسّروها بالمتعارَف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا فى رتبة البلاغة ، وفسّروا الإيجاز بأداء المقصود بأقلّ من عبارة المتعارف ، والإطناب أداؤه بأكثر منها ؛ لكون المقام خليقًا بالبَسْط . وابن الأثير وجماعةٌ على الثانى ، فقالوا : الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد ، والإطناب بلفظ أزيد .

وقال القزوينى : الأقربُ أن يقال : إن المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله ، إمّا بلفظ مساوٍ للأصل المراد ، أو ناقص عنه وافٍ ، أوزائد عليه لفائدة ، والأوّل المساواة ، والثانى الإيجاز ، والثالث الإطناب .

---

(١) هو ابو محمد عبد الله بن محمد الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ هـ

(٢) البيان والتبين ١ : ٤٤ والبيت لأبى دواد الايادى .

(٣) هو ابو يعقوب يوسف بن ابى بكر بن على الخوارزمى ، صاحب كتاب مفتاح العلوم . توفى سنة ٦٢٦ هـ .

واحتُرز بـ « وافٍ » عن الإخلال ، وبقولنا : لفائدة ، عن الحشو والتطويل فعنده ثبوت المساواة واسطة ، وأنّها من قسم المقبول .

فإن قلت : عدم ذكرك المساواة فى الترجمة لماذا ؟ هل هو لرجحان نفيها أو عدم قبولها ، أو لأمرٍ غير ذلك ؟

قلت : لهما ، ولأمر ثالث ، وهو أن المساواة لاتكاد توجد ، خصوصًا فى القرآن ، وقد مثّل لها فى التلخيص [١] بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَحِيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ [٢] ، وفى الإيضاح [٣] بقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا ﴾ [٤] ، وتُعُقِّب بأن فى الآية الثانية حذف موصوف « الَّذين » ، وفى الأُولى إطناب بلفظ « السَّيِّىء » لأن المكر لايكون إلاَّ سيئًا ، وإيجاز بالحذف إن كان الاستثناء غير مفرّغ ، أى بأحدٍ ، وبالقصر فى الاستثناء وبكونها حاثّة على كف الأذى عن جميع الناس ، محذّرةً عن جميع مايؤدّى إليه ، وبأن تقديرها يضرّ بصاحبه مضرّة بليغة ، فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعيّة الواقعة على سبيل التمثيليّة ، لأن « يحيق » بمعنى « يحيط » ، فلا يستعمل إلاَّ فى الأجسام .

• • •

تنبيه

الإيجاز والاختصار بمعنى واحد ، كما يؤخذ من المفتاح ، وصرّح به الطيبىّ وقال بعضهم : الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز :

---

(١) هو تلخيص كتاب المفتاح للسكاكى ، ومؤلف كتاب التلخيص هو : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى المعروف بخطيب دمشق . توفى سنة ٧٣٩ هـ .

(٢) فاطر ٤٣

(٣) هو كتاب الايضاح فى علوم البلاغة ، للقزوينى أيضا ، جرى فيه على ترتيب التلخيص .

(٤) الأنعام ٦٨ .

قال الشيخ بهاء الدين : وليس بشىء . والإطناب ؛ قيل : بمعنى الإسهاب ، والحق أنه أخصّ منه فإن الإسْهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة كما ذكره التنوخيّ وغيره .

فصـــل

[فى نوعى الإيجاز]

الإيجاز قسمان : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف .

[إيجاز القصر]

فالأوّل : هو الوجيز بلفظه ، قال الشيخ بهاء الدين [١] : الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو إيجاز حذْف ، وإن كان كلاماً يعطى معنى أطولَ منه فهو إيجاز قصر .

وقال بعضهم : إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ .

وقال آخر : هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقلَّ من القدر المعهود عادة. وسبب حُسْنِه أنَّه يدلّ على التمكُّن فى الفصاحة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم . « أُوتيت جوامعَ الكلم » .

وقال الطيبىّ فى التبيان[٢] : الإيجاز الخالى من الحذف ثلاثة أقسام :

أحدها : إيجاز القصر ، وهو أن يُقصَرَ اللفظ على معناه ، كقوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيمانَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأْتُونِى مُسْلِمِين ﴾[٣] ، جمع فى أحرفٍ

---

(١) صاحب كتـاب عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح . وهو بهاء الدين أحمد بن على بن عبد الكافى السبكى الشافعى ، أحد علماء القرن الثامن ، توفى سنة ٧٧٣ هـ .

(٢) التبيان فى البيان لشرف الدين محمد بن عبد الله الطيبى ، المتوفى سنة ٧٤٣ .

(٣) النمل ٣٠ ، ٣١

العنوانَ والكتاب والحاجة . وقيل فى وصف بليغ : كانتْ ألفاظه قوالبَ معناه. قلت : وهذا رأى من يدخل المساواة فى الإيجاز .

الثانى : إيجاز التقدير ، وهو أن يقدّر معنًى زائدا على المنطوق ، ويسمّى بالتضييق أيضًا ، وبه سمّاه بدر الدّين بن مالك فى المصباح ، لأنّه نقصَ من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه ، نحو : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾[١] ، أى خطاياه غُفرت ، فهى له لا عليه ، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] ، أى للضّالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى .

الثالث : الإيجاز الجامع ، وهو أن يحتوىَ اللفظ على معانٍ متعدّدة ، نحو : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . . . ﴾[٣] الآية ، فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرَفىِ الإفراط والتفريط المومَى به إلى جميع الواجبات فى الاعتقاد والأخلاق والعبودية . والإحسانُ هو الإخْلاص فى واجبات العبودية لتفسيره فى الحديث بقوله : « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ » ، أى تعبده مخلصًا فى نيّتك ، وواقفًا فى الخضوع آخذًا أُهْبة الحذر إلى ما لا يحصى ﴿ وإيتاء ذِى القربَى ﴾ هو الزّيادة على الواجب من النوافل ، هذا فى الأوامر. وأمّا النواهى : فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية ، وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرّم شرعًا ، وبالبغى إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية .

قلت : ولهذا قال ابن مسعود : مافى القرآن آية أجمع للخير والشرّ من هذه الآية ؛ أخرجه فى المستدرك . وروى البيهقىّ فى شعب الإيمان عن الحسن أنه قرأها يومًا ثم وقف فقال : إنّ الله جمع لكم الخير كلّه والشرّ كلّه فى آية

---

(١) البقرة ٢٧٥ (٢) البقرة ٢

(٣) النحل ٩٠

واحدة ، فو الله ماترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلّا جمعه ، ولاترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئًا إلا جمعه .

وروى أيضًا عن ابن أبى شهاب فى معنى حديث الشيخين : « بُعثت بجوامع الكلم » ، قال : بلغنى أن جوامع الكلم أنّ الله يجمع له الأمور الكثيرة التى كانت تكتَب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ . . . ﴾ [1] الآية ، فإنها جامعة لمكارم الأخلاق لأنّ فى أخذ العفو التساهل والتسامح فى الحقوق واللين والرّفق فى الدّعاء إلى الدّين ، وفى الأمر بالمعروف كفّ الأذى وغضّ البصر ، وما شاكلهما من المحرّمات ، وفى الإعراض الصَّبْر والحلم والتوْدة .

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . . . ﴾ [2] إلى آخرها ، فإنه نهاية التنزيه ، وقد تضمّنت الردّ على نحو أربعين فرقة ، كما أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد .

وقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْها مَاءَهَا ومَرْعَاهَا ﴾ [3] ، دلّ بهاتين الكلمتين على جميع ماأخرجه من الأرض قوتًا ومتاعًا للأنام ؛ من العشب والشجر والحبّ والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لأنّ النّار من العيدان والملح من الماء .

وقوله : ﴿ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴾ [4] جمع فيه جميع عيوب الخمر من الصّداع وعدَم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب .

وقوله : ﴿ وقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ . . . ﴾ [5] الآية ، أمَرَ فيها ونهى ،

---

(١) الأعراف ١٩٩ (٢) الاخلاص ١
(٣) النازعات ٣١ (٤) الواقعة ١٩
(٥) هود ٤٤

وأخبر ونادى ، ونعت وسمّى ، وأهلك وأبقى ، وأسعد وأشقى ، وقصّ من الأنباء مالو شُرح ماالندرج فى هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفّت الأقلام . وقد أُفرِدَتْ بلاغة هذه الآية بالتأْليف ، وفى العجائب للكرمانى : أجمع المعاندون على أن طوْق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية ، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم ، فلم يجدوا مثلها فى فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجَوْدة معانيها فى تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال .

وقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ . . . ﴾ (١) الآية ، جمع فى هذه اللفظة أحَد عشر جنسًا من الكلام : نادت ، وكَنَّتْ ، ونبّهت ، وسمّت ، وأمرت ، وقصّت ، وحذّرت ، وخصّت . وعمّت ، وأشارت ، وعذّرت ؛ فالنداء « يا » والكناية « أىّ » والتنبيه « ها » والتسمية « النمل » والأمر « ادخلوا » ، والقصص « مساكنكم » ، والتحذير « لايحطمنكُم » . والتخصيص « سليمان » والتعميم « جنوده » ، والإشارة « وهم » والعذر « لايشعرون » فأدّت خمسة حقوق : حق الله ، وحق رسوله . وحقها ، وحقّ رعيّتها ؛ وحق جنود سليمان .

وقوله : ﴿ يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ . . . ﴾ (٢) الآية جمع فيها أُصول الكلام : النداء ، والعموم ، والخصوص ، والأمر ، والإباحة . والنهى ، والخبر .

وقال بعضهم : جمع الله الحكمة فى شطر آية ﴿ وكُلُوا وَاشْرَبُوا ولَاتُسْرِفُوا ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرضِعِيه . . . ﴾ (٣) الآية ؛

---

(١) النمل ١٨ (٢) الأعراف ٣١

(٣) القصص ٧

قال ابن العَرَبىّ : هى من أعظم آى فى القرآن فصاحة ، إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان .

وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (١) . قال ابن أبى الإصبع : المعنى : صرِّح بجميع ما أُوحِىَ إليك ، وبلغْ كل ما أُمِرْت ببيانه ، وإن شقَّ بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت ، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح فى القلوب ، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبّض والانبساط ، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار ، كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة ؛ فانظر إلى جليل هذه الاستعارة ، وعظم إيجازها وما انطوت عليه من المعانى الكثيرة ! وقد حُكِىَ أن بعض الأعراب لمّا سمع هذه الآية سجد وقال : سجدتُ لفصاحة هذا الكلام !

وقوله تعالى : ﴿ وفيهَا مَا تَشْتَهِيه الأَنْفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُن ﴾ (٢) ، قال بعضهم : جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف مافيها على التفصيل لم يخرجوا عنه .

وقوله تعالى : ﴿ ولَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٣) ؛ فإن معناه كثير ولفظه قليل ، لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً إلى ألَّا يُقدِمَ على القتل ، فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة لهم . وقد فُضِّلَت هذه الجملة على أوجزما كان عند العرب فى هذا المعنى ، وهو قولهم : « القتل أنفى للقتل » ، بعشرين وجهاً أو أكثر ، وقد أشار ابن الأثير إلى إنكار هذا التفضيل وقال : لاتشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق . وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك .

---

(١) الحجر ٩٤ (٢) الزخرف ٧١

(٣) البقرة ١٧٩

الأول : أنَّ مايُناظره من كلامهم ، وهو قوله : « القصاص حياة » ، أقلّ حروفًا ، فإنَّ حروفه عشرة ، وحروف « القتل أنفى للقتل » أربعة عشر .

الثانى : أنَّ نفى القتل لايستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثُبُوتها التى هى الغرض المطلوب منه .

الثالث : أن تنكير « حياة » يفيد تعظيما ، فيدلّ على أنَّ فى القصاص حياة متطاولة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ (١) ، ولا كذلك المَثَل ؛ فإن اللام فيه للجنس ؛ ولذا فسّروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع : أنَّ الآية فيه مطَّردة بخلاف المثَل ؛ فإنه ليس كلّ قتل أنْفَى للقتل ، بل قد يكون أدعى له ، وهو القتل ظلمًا ، وإنما ينفيه قتلٌ خاصٌ وهو القصاص ، ففيه حياة أبدا .

الخامس : أن الآية خالية من تكرار لفظ « القتل » الواقع فى المثَل ، والخالى من التكرار أفضلُ من المشتمِل عليه ، وإن لم يكن مخلا بالفصاحة .

السادس : أنَّ الآية مستغنيةٌ عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ؛ فإن فيه حذف « من » التى بعد أفعل التفضيل ـ وما بعدها ، وحذف « قصاصاً » مع القتل الأوّل ، « وظلمًا » مع القتْل الثانى ، والتقدير : القتل قصاصًا أنفى للقتل ظلمًا من تركه .

السابع : أن فى الآية طباقاً ، لأن القصاص مُشعر بضد الحياة ، بخلاف المثَل .

الثامن : أن الآية اشتملت على فنٍّ بديع ، وهو جعل أحد الضّدّين الذى هو الفناء والموت محلاً ومكانًا لضدّه ، الذى هو الحياة ، واستقرار الحياة

---

(١) البقرة ٩٦

فى الموت مبالغة عظيمة ، ذكره فى الكشَّاف ، وعبر عنه صاحب الإيضاح بأنّه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدِن لها بإدخال « فى » عليه .

التاسع : أنَّ فى المثَل توالِى أسباب كثيرة خفيفة ، وهو السكون بعد الحركة ، وذلك مستكرَه ، فإن اللفظ المنطوق به إذا توالتْ حركاته تمكَّن اللسان من النطق به ، وظهرت فصاحته ، بخلاف ماإذا تعقب كل حركة سكون ، فالحركات تنقطع بالسكنات . نظيره إذا تحرّكت الدابة أدْنى حركة فحُبِست ، ثم تحركت فحُبست لا يتبين(*) إطلاقها ولاتتمكن من حركتها على ما تختاره ، فهى كالمقيَّدة .

العاشر : أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر ؛ لأن الشىء لاينفى نفسه .

الحادى عشر : سلامة الآية من تكرير قَلْقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبُعدِها عن غنة النون .

الثانى عشر : اشتمالها على حروفٍ متلائمة ، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصّاد ؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ، بخلاف الخروج من القاف إلى التاءِ التى هى حرف منخفض ؛ فهو غير ملائم للقاف ، وكذا الخروج من الصّاد إلى الحاء ، أحسنُ من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبُعد مادون طرَف اللسان وأقصى الحلق .

الثالث عشر : فى النطق بالصّاد والحاء والتاء حسن الصّوت ، ولا كذلك تكرير القاف والتاء .

الرابع عشر : سلامتها من لفظ القتل المشعرِ بالوحشة ، بخلاف لفظ « الحياة » فإن الطباع أقبلُ له من لفظ القتل .

(*) كذا فى الأصل وفى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٥٨ «لاتطيق» .

الخامس عشر : أن لفظ القصاص مشعِر بالمساواة ، فهو منبِيء عن العدل بخلاف مطلَق القتل.

السادس عشر : الآية مبنيّة على الإثبات ، والمثَل على النفى ، والإثبات أشرفُ لأنه أوّل ، والنفى ثان عنه .

السابع عشر : أن المثَل لايكاد يُفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة ، وقوله : « فى القصاص حياة » مفهومٌ من أوّل وَهْلة .

الثامن عشر : أن فى المثل بناء « أفعل » التفضيل من فعل متعدّ ، والآية سالمة منه .

التاسع عشر : أن « أفعل » فى الغالب يقتضى الاشتراك ، فيكون ترك القصاص نافيًا للقتل ، ولكن القصاص أكثر نفيًا ، وليس الأمر كذلك والآية سالمة من ذلك .

العشرون : أن الآية رادعة عن القتل والجرح معًا ؛ لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضًا فى قصاص الأعضاء ؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة ، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثَل. فى أوّل الآية : « ولكم » وفيها لطيفة ، وهى بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ، وأنهم المراد حياتهم لاغيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم .

تنبيهات

الأول : ذكر قدامة من أنواع البديع الإشارة ، وفسّرها بالإتيان بكلام قليل ذى معانٍ جمّة ، وهذا هو إيجاز القصر بعينه ؛ لكن فرّق بينهما ابن أبى الإصبع ، بأن الإيجاز دلالته مطابقة ودلالة الإشارة إما تضمُّن أوالتزام ، فعُلم منه أن المراد بها ما تقدّم فى مبحث المنطوق .

الثانى : ذكر القاضى أبو بكر فى إعجاز القرآن : أن من الإيجاز نوعاً يسمى التضمين ؛ وهو حصول معنى فى لفظ من غير ذكر له باسم هى عبارة عنه ، قال : وهو نوعان : أحدهما ما يُفهم من البنية ، كقوله : معلوم . فإنه يوجب أنه لابدّ من عالم ، والثانى من معنى العبارة كبسم الله الرحمن الرحيم . فإنه تضمّن تعليم الاستفتاح فى الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى والتبرّك باسمه .

الثالث : ذكر ابن الأثير وصاحب عروس الأفراح وغيرهما : أن من أنواع إيجاز القصر باب الحصر ، سواء كان بإلّا أو بإنما أو غيرهما من أدواته . لأن الجملة فيها نابت مناب جملتين ، وباب العطف لأن حرفه وضع للإغناء عن إعادة العامل ، وباب النائب عن الفاعل لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمَه ، وعلى المفعول بوضعه . وباب الضمير لأنه وضع للاستغناء به عن الظاهر اختصاراً ، وكذا لا يُعدل إلى المنفصل مع إمكانه المتصل . وباب علمت أنك قائم . لأنه متحمل لاسمٍ واحد سد مسدّ المفعولين من غير حذف .

ومنها باب التنازع ؛ إذا لم نقدّر على رأى الفراء .

ومنها طرح المفعول ، اقتصاراً على جعل المتعدى كاللّازم . وسيأتى تحريره .

ومنها جمع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإن « كم مالُك » يغنى عن قولك : « أهو عشرون أم ثلاثون ؟ » وهكذا إلى ما لا يتناهى .

ومنها الألفاظ اللازمة للعموم كأحد .

ومنها لفظ التثنية والجمع . فإنه يغنى عن تكرير المفرد ، وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصاراً .

ومما يصلح أن يعدّ من أنواعه المسمّى بالاتساع من أنواع البديع ؛ وهو

أن يُؤْتَى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ماتَحتمله ألفاظه من المعانى ، كفواتح السّور ، ذكره ابن أبى الإصبع .

• • •

[إيجاز الحذف]

القسم الثانى من قسمَىِ الإيجاز : الحذف ، وفيه فوائد :

ذكر أسبابه :

منها مجرّد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .

ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يفضى إلى تفويت المهمّ ، وهذه هى فائدة باب التحذير والإغراء ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ﴾[1] ، فناقة الله تحذير بتقدير « ذروا » و « سقياها » إغراء بتقدير « الزموا » .

ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام . قال حازم فى منهاج البلغاء : إنما يحسن الحذف لقوّة الدلالة عليه ، أو يقصَد به تعديد أشياء ، فيكون فى تعدادها طول وسآمة ، فيحذَف ويكتفَى بدلالة الحال ، وتترك النفس تجول فى الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها ، قال : ولهذا القصد يؤثر فى المواضع التى يُراد بها التعجُّب والتهويل على النفوس ، ومنه قوله فى وصف أهل الجنة : ﴿ حَتى إِذَا جَاءُوها وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[2] ، فحذف الجواب إذْ كان وصفُ ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهَى ، فجُعل الحذف دليلاً على ضِيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تُقدر ما شاءته ، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك .

---

(١) الشمس ١٣ (٢) الزمر ٧٣

وكذا قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النارِ ﴾ [١] ، أى لرأيت أمرًا فظيعًا ، لا تكادُ تحيط به العبارة .

ومنها التخفيف لكثرة دورانه فى الكلام ، كما فى حذف حرف النداء ، نحو : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ ﴾ [٢] ، ونون « لم يك » والجمع السالم ، ومنه قراءة ﴿ والمُقِيمِي الصلَاة ﴾ [٣] ، وياء ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [٤] . وسأل المؤرِّج السدوسىّ الأخفش عن هذه الآية ، فقال : عادة العرب أنها إذا عدلت بالشىء عن معناه ، نقصت حروفه ، والليل لما كانَ لا يسرى ، وإنما يُسْرَى فيه نقص منه حرف ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيا ﴾ [٥] ، الأصل « بغية » ، فلما حوِّل عن فاعل نقص منه حرف .

ومنها كونه لا يصلح إلّا له ، نحو : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ ﴾ [٦] ، ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [٧] .

ومنها شهرته ، حتى يكون ذكره وعدمه سواء ، قال الزّمخشرىّ : وهو نوع من دلالة الحال ، التى لسانها أنطق من لسان المقال ، وحُمِل عليه قراءة حمزة ﴿ تساءلون به والأرحامِ ﴾ [٨] ، لأن هذا مكان شهر بتكرر الجارّ ؛ فقامت الشهرة مقام الذكر .

ومنها صيانته عن ذكره تشريفًا كقوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العالمين ۝ قَالَ رَبُّ السَّمٰوَات ... ﴾ ، الآيات ، حذف فيها المبتدأ فى ثلاثة

---

(١) الأنعام ٢٧ (٢) يوسف ٢٩

(٣) الحج ٣٥ ، بالنصب على توهم النون ، وهى قراءة أبى عمرو . وانظر تفسير القرطبى ١٢ : ٧٩

(٤) الفجر ٤ (٥) مريم ٢٨

(٦) الأنعام ٧٣ (٧) هود ١٠٧

(٨) النساء ١ ، بخفض الميم ، وهى قراءة قتادة والأعمش . وانظر تفسير القرطبى ٥ : ٢

مواضع : قبل ذكر الرّب ؛ أى « هُوَ ربّ » ، « اللهُ رَبُّكُمْ » ، « اللهُ رَبُّ المَشْرِق »[(١)] . لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال ، فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما ، ومثّله فى عروس الأفراح بقوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾[(٢)] ، أى ذاتك .

ومنها صيانة اللسان عنه تحقيرًا له ، نحو : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ ﴾[(٣)] ، أى هم أو المنافقون . ومنها قصد العموم ، نحو : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[(٤)] أى على العبادة وعلى أمورنا كلها ، ﴿ واللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾[(٥)] ؛ أى كل واحد .

ومنها رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[(٦)] أى « وما قلاك » .

ومنها قصد البيان بعد الإبهام ، كما فى فعل المشيئة ، نحو : ﴿ ولو شَاء لَهَدَاكُمْ ﴾[(٧)] ، أى ولو شاء هدايتكم ؛ فإنه إذا سمع السّامع « ولو شاء » تعلّقت نفسه بمشيئتهم عليه ، لايدرى ماهو ، فلمّا ذُكر الجواب استبان بعد ذلك ؛ وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط ؛ لأنّ مفعول المشيئة مذكور فى جوابها .

وقد يكون مع غيرها استدلالاً بغير الجواب ، نحو : ﴿ ولَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء ﴾[(٨)] ، وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لايذكر إلّا إذا كان غريبا أو عظيما ؛ نحو : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾[(٩)] ، ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهوًا ﴾[(١٠)] ، وإنما اطرد أو كثر حذف مفعول المشيئة

(١) الشعراء ٢٣ – ٢٨
(٢) الأعراف ١٤٣
(٣) البقرة ١٨
(٤) الفاتحة ٥
(٥) يونس ٢٥
(٦) الضحى ٢
(٧) النحل ٩
(٨) البقرة ٢٥٥
(٩) التكوير ٢٨
(١٠) الأنبياء ١٧

دون سائر الأفعال ؛ لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء ، فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لايمكن أن تكون إلّا مشيئة الجواب ، ولذلك كانت الإرادة مثلها فى اطّراد حذف مفعولها ، ذكره الزّملكانى والتنوخى فى الأقصى القريب قالوا : وإذا حذف بعد « لو » فهو المذكور فى جوابها أبدا ، وأورد فى عروس الأفراح : ﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾[1] ، فإن المعنى « لو شاء ربّنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة » ؛ لأنّ المعنى معين على ذلك .

فائدة

قال الشيخ عبدالقاهر : مامِنْ اسم حذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذَف فيها إلّا وحَذْفُه أحسن من ذكره ، وسمّى ابن جِنّى الحذف شجاعة العربية ؛ لأنّه يشجع على الكلام .

• • •

قاعدة فى حذف المفعول اختصارًا واقتصارًا

قال ابن هشام : جرت عادة النحويين أن يقولوا بحذف المفعول اختصارًا واقتصارًا ، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ، ويريدون بالاقتصار الحذف لغير دليل ، ويمثّلونه بنحو : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾[2] ، أى أَوْقعوا هذين الفعلين . والتحقيق أن يقال ــ يعنى كما قال أهل البيان : تارةً يتعلق الغرض بالإعلام بمجرّد وقوع الفعل من غير تعيين مَنْ أوقعه ، ومن أُوقع عليه ، فيُجاء بمصدره مسندًا إلى فعل كونٍ عامٍّ ، فيقال : حصل حريق أو نهب ، وتارة يتعلق بالإعلام بمجرّد إيقاع الفعل للفاعل ، فيقتصر عليهما ، ولا يُذكر المفعول ولا يُنْوَى ، إذ المنوىّ كالثابت ، ولا يسمّى محذوفًا ؛ لأنّ الفعل ينزّل لهذا القصد منزلة

---

(١) فصلت ١٤ (٢) الطور ١٩

مالا مفعول له . ومنه : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (١) . ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا ﴾ (٣) ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ (٤) إذ المعنى : ربِّى الذى يفعل الإحياء والإماتة . وهل يستوى من يتَّصف بالعلم ومن ينتفى عنه العلم ؟ وأوقعوا الأكل والشرب ، وذروا الإسراف (* وإذا حصلت منك رؤية *)

ومنه ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ . . . ﴾ (٥) الآية ، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام رحمهما إذْ كانتا على صفة الذِّياد وقومهما على السقى ، لالكون مذودهما غنمًاوسقيهم إبلاً ، وكذلك المقصود من « لانسقى » السقى لاالمسقىّ . ومن لم يتأمّل قدّر « يسقون إبلهم » » و « تذودان غنمهما » ، و « لانسقى غنمًا » ، وتارة يقصد إسناد الفعل إلى فاعله ، وتعليقُه بمفعوله فيذكَران ، نحو : ﴿ لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ (٦) ، ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ (٧) ، وهذا النَّوع الذى إذا لم يذكر محذوفه قيل محذوف .

وقد يكون فى اللَّفظ مايستدعيه ، فيحصل الجزم بوجود تقديره ، نحو ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾ (٨) ، ﴿ وَكلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾ (٩) .

وقد يشتبه الحال فى الحذف وعدمه ، نحو : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ (١٠) ، قد يتوهّم أن معناه « نادوا » فلا حذف ، أو « سموا » فالحذف واقع .

---

(١) البقرة ٢٥٨ (٢) الزمر ٩
(٣) الأعراف ٣١ (٤) الانسان ٢٠
(٥) القصص ٢٣ (٦) آل عمران ١٣٠
(٧) الاسراء ٣٢ (٨) الفرقان ٤١
(٩) النساء ٩٥ (١٠) الاسراء ١١٠
(*-*) سقط فى الأصل ، والاثبات من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٦٠ .

ذكر شروطه

هي ثمانية :

أحدها : وجود دليل ، إمّا حالي نحو : ﴿ قَالُوا سَلاَمًا ﴾ (١) ، أي سلّمنا سلاما ، أو مقاليّ نحو : ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُو خَيْرًا﴾(٢) (* أي أنزل خيرا *) ، ﴿ قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾(٣) أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون .

ومن الأدلّة العقلُ حيث يستحيل صحة الكلام عقلا إلّا بتقدير محذوف .

ثم تارة يدلّ على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه ، بل يستفاد التعيين من دليل آخر نحو : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ (٤) ، فإن العقل يدلّ على أنها ليست المحرّمة ، لأنّ التحريم لايضاف إلى الإجرام ، وإنما هو والحلّ يضافان إلى الأفعال ، فعُلِم بالعقل حذفُ شيء . وأما تعينه وهو التناول فمستفاد من الشرع ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما حرم أكلها » لأن العقل لايدرك محل الحلّ ، ولا الحُرْمة ، وأما قول صاحب التلخيص : إنّه من باب دلالة العقل أيضًا ، فتابَع فيه السكاكيّ من غير تأمّل أنّه مبني على أُصول المعتزلة .

وتارة يدل العقل أيضا على التعيين ، نحو : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ (٥) ، أي أمره ، بمعنى عذابه ؛ لأنّ العقل دلّ على استحالة مجيء الباريء لأنه من سِمات الحادث ، وعلى أن الجائي أمره ، ﴿ أوفُوا بالعقود ﴾ (٦) ، ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ ﴾(٧) ، أي بمقتضى العقود وبمقتضى عهد الله ؛ لأن العقد والعهد قولان

(١) هود ٦٩
(٢) النحل ٣٠
(٣) الذاريات ٢٥
(٤) المائدة ٣
(٥) الفجر ٢٢
(٦) المائدة ١
(٧) النحل ٩١
(*-*) سقط من الأصل والاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٦٠ .

قد دخلا فى الوجود ، وانقضيا فلا يُتصور فيهما وفاء ولا نقض . وإنما الوفاء والنقض بمقتضاهما وما ترتب عليهما من أحكامهما .

وتارة يدلّ على التعيين العادة ، نحو : ﴿ فَذَلِكُنَّ الذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾[1] ، دلّ العقل على الحذف ؛ لأنَّ يوسف لايصح ظرفًا للوم ، ثم يحتمل أن يقدّر « لُمْتُنَّنِى فى حبّه » ، لقوله : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبا ﴾[2] ، وفى مراوَدته لقوله : ﴿ تُرَاوِدُ فَتَاهَا ﴾[3] ، والعادة دلَّت على الثانى ، لأن الحبّ المفرط لايلام صاحبه عليه عادة ؛ لأنه ليس اختياريًا ، بخلاف المراودة ، للقدرة على دفعها .

وتارة يدلّ عليه التصريح به فى موضع آخر ، وهو أقواها ، نحو : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾[3] ، أى أمره ، بدليل : ﴿ أوْ يَأْتِىَ أمْرُ رَبِّكَ ﴾[4] . ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ ﴾[5] ، أى كعرض ، بدليل التصريح به فى آية البيّنة : ﴿ رسولٌ من الله ﴾[6] ، أى من عند الله ، بدليل ﴿ ولمّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[7] .

ومن الأدلّة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حَذْف ، نحو : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾[8] أىَ مكان قتال ، والمراد مكانًا صالحًا للقتال . وإنّما كان كذلك لأنّهم كانوا أخبَر الناس بالقتال ، ويتعيّرون بأن يتفوّهوا بأنهم لايَعرفونه ، فالعادة تمنع أن يريدوا : « لو نعلم حقيقة القتال » فلذلك قدّره مجاهد « مكان قتال » . ويدل عليه أنهم أشاروا على النبى صلى الله عليه وسلم ألَّا يخرج من المدينة .

ومنها الشروع فى الفعل ، نحو « بسم الله » ، فيقدر ما جعلت التسمية

(١) يوسف ٣٢
(٢) يوسف ٣٠
(٣) البقرة ٢١٠
(٤) النحل ٣٣
(٥) آل عمران ١٣٣
(٦) البينة ٢
(٧) البقرة ١٠١
(٨) آل عمران ١٦٧

مبدأ له ؛ فإن كانت عند الشروع فى القراءة قدّرت « أقرأ » ، أو الأكل قدّرت « آكل » ، وعلى هذا أهل البيان قاطبة ؛ خلافاً لقول النّحاة أنه يقدّر « ابتدأت » أو « ابتدائى » كائن « بسم الله » . ويدل على صحّة الأوّل التصريح به فى قوله : ﴿ وقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا باسم اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾[١] وفى حديث : « باسمك ربى وضعت جنبى » .

ومنها الصناعة النحويّة ، كقولهم فى ﴿لا أُقْسِم﴾[٢] : التقدير « لأنا أُقسم » . لأنّ فعل الحال لايقسم عليه ، وفى ﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ ﴾[٣] التقدير : « لاتفتأ » لأنه لو كان الجواب مثبتًا دخلت الّلام والنّون ، كقوله : ﴿وتَاللهِ لأَكِيدَنَّ﴾[٤]

وقد توجب الصناعة التقدير ، وإن كان المعنى غير متوقّف عليه ، كقولهم فى ﴿لا إِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ﴾[٥] : إنّ الخبر محذوف ، أى موجود ، وقد أنكره الإمام فخر الدين ، وقال : هذا الكلام لايحتاج إلى تقدير ، وتقديرُ النحاة فاسد . لأنّ نفى الحقيقة مطلقة أعمّ من نفيها مقيّدة ؛ فإنّها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القَيْد ، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيُها مع قيد آخر ، ورُدّ بأن تقديرهم : « موجود » يستلزم نفى كل إله غير الله قطعًا ، فإن العدم لاكلام فيه ؛ فهو فى الحقيقة نفى للحقيقة مطلقة لامقيّدة . ثم لابد ، من تقدير خبر ،لاستحالة مبتدإ بلا خبر ظاهر أومقدّر ، وإنّما يقدّر النحوىّ ليعطىَ القواعد حقّها ، وإن كان المعنى مفهومًا .

• • •

---

(١) هود ٤١
(٢) القيامة ١
(٣) يوسف ٨٥
(٤) الأنبياء ٥٧
(٥) محمد ١٩

تنبيه

قال ابن هشام : إنَّما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها ، أو أحد ركنيها ، أو يفيد معنى فيها هى مبنيّة عليه ، نحو : ﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ ﴾ [١] . أمّا الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل ، بل يُشترط ألاّ يكون فى حذفها ضرر معنوىّ أو صناعىّ . قال : ويشترط فى الدليل اللفظىّ أن يكون طبق المحذوف ، وردَّ قول الفراء فى ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَى قَادِرِينَ ﴾ [٢] : إن التقدير « بلى ليحسبُنا قادرين » لأن الحسبان المذكور بمعنى الظن والمقدّر بمعنى العلم ؛ لأن التردّد فى الإعادةِ كفر ، فلايكون مأمورا به. قال : والصّواب فيها قول سيبويه : إن « قادرين » حال أى بل نجمعها قادرين ، لأنَّ فعل الجمع أقرب من فِعْل الحسبان ، ولأن « بلى » لإيجاب المنفىّ وهو فيها فعل الجمع .

الشرط الثانى ألاَّ يكون المحذوف كالجزء ، ومن ثَمَّ لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان وأخواتها ؛ قال ابن هشام : وأما قول ابن عطية فى ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ ﴾ [٣] إن التقدير « بئس المثلُ مثل القوم » ؛ فإن أراد تفسير الإعراب وأن الفاعل لفظ « المثل » محذوفًا فمردود ، وإن أراد تفسيرَ المعنى ، وأن فى « بئس » ضمير المثل مستترًا فسهل [٤] .

الشرط الثالث : ألاَّ يكون مؤكَّدًا ؛ لأن الحذف منافٍ للتأكيد ، إذ الحذف مبنىٌّ على الاختصار ، والتأكيد مبنى على الطّول ، ومن ثم ردّ الفارسىّ على الزَّجّاج فى قوله فى ﴿ إِنْ هذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [٥] : إنَّ التقدير « إن هذان

---

(١) يوسف ٨٥

(٢) القيامة ٣ ، ٤

(٣) الجمعة ٥

(٤) المغنى ١ : ٦٠٩ وفيه : «فأين تفسيره» ؛

(٥) طه ٦٣

لهما ساحران » ، فقال : الحذف والتوكيد باللاَّم متنافيان ، وأمَّا حذف الشيء لدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما ؛ لأن المحذوف لدليل كالثابت .

الرابع : ألا يؤدِّىَ حذفه إلى اختصار المختصر ، ومن ثَمَّ لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل .

الخامس : ألَّا يكون عاملاً ضعيفًا ، فلا يحذف الجار ، والناصب للفعل ، والجازم إلاَّ فى مواضع قويتْ فيها الدلالة ، وكثر فيها استعمالُ تلك العوامل .

السادس : ألَّا يكون المحذوف عوضًا عن شيء ، ومن ثَمَّ قال ابن مالك : إن حرف النداء ليس عوضًا من « أدعو » لإجازة العرب حذفه ، ولذا أيضًا لم تحذف التاء من إقامة واستقامة ؛ وأمَّا ﴿ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ﴾ [1] فلا يقاس عليه ، ولا خبر كان ؛ لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها .

السابع : ألَّا يُؤدِّىَ حذفُه إلى تهيئة العامل القوىّ ، ومن ثَمَّ لم يُقَسْ على قراءة : ﴿ وكلٌّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾ [2] .

فائدة

اعتبر الأخفش فى الحذف التدريج حيث أمكن ، ولهذا قال فى قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [3] : إنَّ الأصل « لا تجزى فيه » ، فحذف حرف الجرّ ، فصار « تجزيه » ، ثم حُذِف الضمير ، فصار « تجزى » ؛ وهذه ملاطفة فى الصناعة ، ومذهب سيبويه أنهما حذفا معًا ، قال ابن جنى : وقول الأخفش أوفقُ فى النَّفس ، وآنسُ من أن يُحذف الحرفان معًا فى وقت واحد .

• • •

(١) الأنبياء ٧٣

(٢) الحديد ١٠ ، وهى قراءة ابن عامر . وانظر تفسير القرطبى ١٧ : ٢٤٢ والمغنى ٢ : ٦١١ .

(٣) البقرة ٤٨

قاعدة

الأصل أنْ يقدَّر الشيء فى مكانه الأصلىِّ ؛ لئلاَّ يخالف الأصل من وجهين الحذف ووضع الشيء فى غير محله ، فيقدَّر المفسِّر فى نحو : « زيدًا رأيته » ، مقدَّمًا عليه وجوّز البيانيون تقديرَه مؤخرًا عنه لإفادة الاختصاص ، كما قاله النحاة ، وإذا منع منه مانع ، نحو : ﴿ وأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[1] ؛ إذ لا يلى « أمّا » فعل.

• • •

قاعدة

ينبغى تقليل المقدّر مهما أمكن ، لتقلّ مخالفة الأصل ، ومن ثَمَّ ضُعِّف قول الفارسىّ فى ﴿ واللائِى لَمْ يَحِضْنَ ﴾[2] : إن التقدير « فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ » ، والأوْلى أن يقدّر « كذلك » . قال الشيخ عز الدّين : ولا يقدّر من المحذوفات إلّا أشدّها موافقةً للغرض وأفصحُها ؛ لأنَّ العرب لا يقدرون إلّا مالو لفظوا به لكان أحسنَ وأنسب لذلك الكلام ، كما يفعلون ذلك فى الملفوظ به ، نحو : ﴿ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾[3] ، قدّر أبو علىّ « جعل الله نُصُبَ الكعبة » ، وقدّر غيره « حُرْمَة الكعبة » وهو أولَى ؛ لأن تقدير الحرمة فى الهدْى والقلائد والشهر الحرام لاشكّ فى فصاحته ، وتقدير النُّصب فيها بعيد من الفصاحة ، قال : ومهما تردّد المحذوف بين الحسَن والأحسن ، وجب تقدير الأحسن ؛ لأنَّ الله وصف كتابه بأنّه أحسنُ الحديث ؛ فليكن محذوفه أحسن المحذوفات ، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات . قال : ومتى تردد بين أن يكون مجملا أو مبيّنًا فتقدير المبيّن أحسن ، نحو : ﴿ ودَاوُدَ وسُلَيْمَانَ

(١) فصلت ١٧ بقراءة النصب ، وانظر الكشاف ١٥٢ والمغنى ٢ : ٦١٣

(٢) الطلاق ٤ (٣) المائدة ٩٧

إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ (١) ، الك أن تقدّر « فى أمر الحرث » ، و « فى تضمين الحرث » ، وهو أولى لتعيّنه . والأمر مجمَل لتردده بين أنواع .

• • •

قاعدة

إذا دار الأمر بينْ كون المحذوف فعلاً ، والباقى فاعلا ، وكونه مبتدأ والباق خبرا ،فالثاني أوْلى ؛ لأن المبتدأ عين الخبر ، وحينئذ فالمحذوف عين الثابت ، فيكون حذفًا كَلا حذف ، فأمّا الفعل فإنه غير الفاعل ؛ اللهم إلّا أن يعتضد الأول برواية أُخرى فى ذالك الموضع ، أو بموضع آخر يُشبهه ، فالأول كقراءة ﴿ يُسَبَّحُ له فيها ﴾(٢) بفتح الباء ، ﴿ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وإلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ الله ﴾(٣) بفتح الحاء ؛ فإن التقدير : « يسبِّحه رجال » ، و « يوحيه الله » ، ولا يقدّران مبتدأَيْنِ حُذِفَ خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين فى رواية مَنْ بَنَى الفعل للفاعل . والثانى نحو : ﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله ﴾ (٤) ، فتقدير « خلقهم الله » أولى من « الله خلقهم » لمجىء(*) ﴿ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾(٥) .

• • •

قاعدة

إذا دار الأمرُ بين كون المحذوف أولا أو ثانيا ، فكونه ثانيًا أولى ، ومن ثَمّ رجح أن المحذوف فى نحو : ﴿ أَتُحاجُّونِّي ﴾ (٥) نون الوقاية لا نون الرفع ، وفى ﴿ نَارًا تَلَظَّى ﴾(٦) التاء الثانية لا تاء المضارعة ، وفى ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ

(١) الأنبياء ٧٨
(٢) النور ٣٦ ، وهى قراءة شعبة
(٣) الشورى ٣
(٤) الزخرف ٨٧
(٥) الأنعام ٨٠
(٦) الليل ١٤
(*) أى قبل ذلك فى أول السورة آية ٩

يُرْضُوهُ ﴾(١) : أنّ المحذوف خبر الثانى لاالأوّل ، وفى نحو : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾(٢) أن المحذوف مضاف للثانى ، أىّ حجّ أشهر ، لاالأوّل ، أى أشهر الحج . وقد يجب كونه من الأول ، نحو : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾(٣) فى قراءة مَنْ رفع « ملائكتُه » لاختصاص الخبر بالثانى لوروده بصيغة الجمع ، وقد يجب كونه من الثانى ، نحو : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾(٤) ، أى بريء أيضًا ، لتقدّم الخبر على الثانى .

• • •

فصــل

فى أنواع الحذف

الحذف على أنواع :

أحدها : ما يسمّى بالاقتطاع ، وهو حذف بعض حروف الكلمة . وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع فى القرآن ، ورُدّ بأنّ بعضهم جعل منه فواتح السّور ، على القول بأن كلّ حرف منها من اسم من أسمائه كما تقدّم . وادعى بعضهم أن الباء فى ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾(٥) ، أوّل كلمة بعض ، ثم حذف الباقى . ومنه قراءة بعضهم : ﴿ وَنَادَوْا يَامَالِ ﴾(٦) بالتّرخيم . ولمّا سمعها بعض السلف ، قال : ماأغنى أهل النار عن التّرخيم ! وأجاب بعضهم بأنهم لشدّة ماهم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة . ويدخل فى هذا النوْع حذف همزة « أنا » فى قوله : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾(٧) ، إذا الأصل « لكن أنا » ، حذفت همزة « أنا » تخفيفًا وأدغمت النون فى النون ، ومثله ما قرىء « وَيُمْسِكُ السَّمَاء

---

(١) التوبة ٦٢
(٢) البقرة ١٩٧
(٣) الأحزاب ٥٦
(٤) التوبة ٣
(٥) المائدة ٦
(٦) الزخرف ٧٧
(٧) الكهف ٣٨

أنْ تَقَع عَلَى الْأَرْضِ »[١] ، « بِمَا أنزلْنَاك »[٢] ، ﴿ فَمَنْ تَعجَّل فى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عليه ﴾[٣] ، ﴿ إنها لَإحدَى الكُبَر ﴾[٤] .

النوع الثانى : مايسمّى بالاكتفاء ، وهو أن يقتضى المقام شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة . ويختصّ غالبًا بالارتباط العطفى كقوله : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحرّ ﴾[٥] أى والبرد ، وخصّص الحرّ بالذكر لأنّ الخطاب للعرب ، وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم ؛ لأنه أشد عندهم من البرد وقيل : لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحًا فى قوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾[٦] ، وفى قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾[٥] ، وفى قوله تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾[٧] . ومنْ أمثلة هذا النوع ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾[٨] أى والشرّ ، وإنّما خصّ الخير بالذكر ؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم ، أو لأنه أكثر وجودًا فى العالم ، أو لأنّ إضافة الشرّ إلى الله ليس من باب الآداب كما قال صلى الله عليه وسلم « والشرّ ليس إليك » .

ومنها ﴿ ولَهُ مَاسَكَنَ فِى اللَّيْلِ والنَّهَارِ ﴾[٩] ، أى وما تحرّك ، وخصّ السكون بالذكر ؛ لأنّه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ، ولأنّ كل متحرّك يصير إلى السكون .

ومنها : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[١٠] ، أى والشهادة ، لأن الإيمان بكلٍ منهما واجب ، وأثر الغيب لأنّه أمدح ، ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس .

---

(١) الحج ٦٥ (٢) البقرة ٤
(٣) البقرة ٢٠٣ (٤) المدثر ٣٥
(٥) النحل ٨١ (٦) النحل ٨٠
(٧) النحل ٥ (٨) آل عمران ٢٦
(٩) الأنعام ١٣ (١٠) البقرة ٣

ومنها : ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ (١) أى والمغارب .

ومنها : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ،أى وللكافرين . قاله ابن الأنبارىّ ، ويؤيده قوله : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (٣) .

ومنها : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (٤) ، أى ولا والد ، بدليل أنه أوجب للأخت النّصف ، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها .

النّوع الثالث : مايسمى بالاحتباك ، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها ، وقلَّ مَنْ تنبه له أونبه عليه من أهل فَنِّ البلاغة ، ولم أره فى شرح بديعية الأعمى (٥) لرفيقه الأندلسىّ ، وذكره الزركشى فى البرهان ، ولم يسمّه هذا الاسم ، بل سمّاه الحذف المقابلىّ (٦) ، وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعىّ ، قال الأندلسىّ فى شرح البديعيّة : من أنواع البديع : الاحتباك ، وهو نوع عزيز ، وهو أن يحذف من الأوّل ما أُثبِت نظيره فى الثانى ، ومن الثانى ماأُثبت نظيره فى الأوّل كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ . . . ﴾ (٧) ، الآية ، التقدير : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذى ينعِق ، والذى ينعَق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة « الذى ينعِق » عليه ومن الثانى الذى يُنعق به لدلالة « الذين كفروا » عليه .

وقوله : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ﴾ (٨) ، التقدير : تدخل غير بيضاء ، وأخرجْها تخرج بيضاء ، فحذف من الأول « غير بيضاء » ومن

(١) الصافات ٥
(٢) البقرة ٢
(٣) البقرة ١٨٥
(٤) النساء ١٧٦
(٥) هو ابن جابر الأندلسى الأعمى ، محمد بن أحمد بن على المتوفى سنة ٧٨٠ هـ ، صاحب البديعة ، المسماة : بالحلة السيرا فى مدح خير الورى ، شرحها رفيقه أحمد بن يوسف الرعينى الأندلسى ، وانظر كشف الظنون .
(٦) البرهان ٣ : ١٢٩
(٧) البقرة ١٧١
(٨) النمل ١٢

ومن الثاني « وأخرجها » وقال الزركشيّ : هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان ، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[1] ، التقدير « إن افتريتُه فعليّ إجرامى وأنتم برآء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بريءٌ مّما تجرمُون » .

وقوله : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[2] ، التقدير : « ويعذّب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلايعذبهم » .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾[3] ، أى حتّى يطهرن من الدم ، ويتطهّرن بالماء ، فإذا طهرن وتطهرن فأْتوهنّ .

وقوله : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾[4] ، أى عملا صالحًا بسيء ، وآخر سيئًا بصالح .

قلت : ومن لطيفه قولُه : ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾[5] أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله ، وأُخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت .

وفى الغرائب للكرمانيّ : فى الآية الأُولى التقدير : « مثل الذين كفروا يامحمد كمثل الناعق مع الغنم » فحذِف من كل طرف مايدلّ عليه الطرف الآخر ، وله فى القرآن نظائر ، وهو أبلغ مايكون من الكلام . انتهى .

ومأْخذُ هذه التسمية من الحبْك ، الذى معناه الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ؛ فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشدّه وإحكامه ، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرَّوْنق . وبيان أخذه منه من أن

---

(١) هود ٣٥
(٢) الأحزاب ٢٤
(٣) البقرة ٢٢٢
(٤) التوبة ١٠٢
(٥) آل عمران ١٣

مواضع الحذف من الكلام شبّهت بالفُرج بين الخيوط . فلمّا أدركها الناقد البصير بصوْغه الماهر فى نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعًا من خلل يطرقه ، فسدّ بتقديره مايحصل به الخلل ، مع ماأكسبه من الحسن والرونق .

النوع الرابع : ما يسمّى بالاختزال ؛ هو ماليس واحدًا مما سبق ، وهو أقسام لأن المحذوف إما كلمةٌ : اسم ، أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر .

أمثلة حذف الاسم :

حذف المضاف ، هو كثير فى القرآن جدًّا ، حتى قال ابن جنى : فى القرآن منه زُهاء ألف موضع . وقد سردها الشيخ عز الدين فى كتابه « المجاز » على ترتيب السوَر والآيات ، ومنه : ﴿ الحجُّ أشهُرٌ ﴾ (١) ، أى حجّ أشهر ، أو أشهر الحجّ . ﴿ ولكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ ﴾ (٢) ، أى ذا البرّ ، أو برّ مَنْ . ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (٣) ، أى نكاح أمّهاتكم . ﴿ لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحيَاةِ وضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ (٤) أى ضعف عذاب . ﴿ وَفِى الرِّقَابِ ﴾ (٥) ، أى وفى تحرير الرقاب .

حذف المضاف إليه ، يكثر فى ياء المتكلم ، نحو : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِى ﴾ (٦) وفى الغايات نحو : ﴿ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ (٧) ، أى من قبل الغلب ومن بعده . وفى كل ، وأىّ ، وبعض ، وجاء فى غيرهنّ كقراءة ﴿ فَلاَ خَوْفُ عَلَيْهِمْ ﴾ (٨) بضم بلا تنوين ؛ أى فلا خوف شىء عليهم .

حذف المبتدأ ، يكثر فى جواب الاستفهام ، نحو : ﴿ ومَاأَدْرَاكَ مَاهِيَهْ •

(١) البقرة ١٩٧
(٢) البقرة ١٧٧
(٣) النساء ٢٣
(٤) الاسراء ٧٥
(٥) البقرة ١٧٧
(٦) الأعراف ١٥١
(٧) الروم ٤
(٨) البقرة ٣٨

نَارٌ ﴾[١] أى هى نار . وبعد فاء الجواب : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾[٢] ، أى فعمله لنفسه ، ﴿ ومَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾[٢] ، أى فإساءته عليها . وبعد القول ، نحو : ﴿ وقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾[٣] ، ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾[٤] .

وبعد ماالخبرُ صفة له فى المعنى ، نحو : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾[٥] . ونحو ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾[٦] .

ووقع فى غير ذلك ، نحو ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلَادِ • مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾[٧] ، ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِن نَهَارٍ بَلَاغٌ ﴾[٨] ، أى هذا ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾[٩] ، أى هذه .

ووجب فى النعت المقطوع إلى الرفع حذف الخبر ، نحو : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[١٠] أى دائم .

ويحتمل الأمرين : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[١١] ، أى أجمل . أو فأمرى صبر ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[١٢] أى عليه ، أو فالواجب .

حذف الموصوف : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾[١٣] ، أى حور قاصرات. ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾[١٤] ؛ أى دروعًا سابغات . ﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾[١٥] ، أى القوم المؤمنون .

حذف الصفة ، نحو : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾[١٦] ، أى صالحة ؛ بدليل

(١) القارعة ١٠ ، ١١ — (٢) الجاثية ١٥
(٣) الفرقان ٥ — (٤) يوسف ٤٤
(٥) التوبة ١١٢ — (٦) البقرة ١٨
(٧) آل عمران ١٩٦ ، ١٩٧ — (٨) الأحقاف ٣٥
(٩) النور ١ — (١٠) الرعد ٣٥
(١١) يوسف ١٨ — (١٢) النساء ٩٢
(١٣) الصافات ٤٨ — (١٤) سبأ ١١
(١٥) النور ٣١ — (١٦) الكهف ٧٩

أنه قرىء كذلك ، و « أن تعييبها » لايخرجها عن كونها سفينة . ﴿ الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ (١) ، أى الواضح وإلا لكفروا بمفهوم ذلك . ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (٢) أى نافعًا .

حذف المعطوف عليه : ﴿ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ (٣) فانفلق ، أى فضرب فانفلق . وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففى تخريجه وجهان :

أحدهما : أن يكون تعليلاً معلَّله محذوفٌ ، كقوله : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ (٤) ، فالمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعَل ذلك .

والثانى : أنّه معطوف على علّه أخرى مضمرة لتظهر صحةُ العطف ، أى فعَل ذلك ليذيق الكافرين بأسه وليبلى .

حذف المعطوف مع العاطف : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ (٥) أى ومَنْ أنفق بعده . ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ (٦) ، أى والشرّ .

حذف المبدل منه ، خرِّج عليه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ﴾ (٧) أى لما تصفه ، والكذبُ بدل من الهاء .

حذف الفاعل ، لايجوز إلّا فى فاعل المصدر ، نحو : ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ (٨) ، أى دعائه الخير . وجوّزه الكسائىّ مطلقًا لدليل ، وخرّج عليه : ﴿ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ (٩) ، أى الرّوحُ ، ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (١٠) أى الشمس .

حذف المفعول ، تقدم أنه كثير فى مفعول المشيئة والإرادة . ويرد فى غيرهما ،

---

(١) البقرة ٧١ — (٢) الكهف ١٠٥
(٣) الشعراء ٦٣ — (٤) الأنفال ١٧
(٥) الحديد ١٠ — (٦) آل عمران ٢٦
(٧) النحل ١١٦ — (٨) فصلت ٤٩
(٩) القيامة ٢٦ — (١٠) ص ٣٢

نحو : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾[١] . أى إلهًا . ﴿ كلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٢] ، أى عاقبة أمركم .

حذف الحال ، يكثر إذا كان قولاً ، نحو : ﴿ والْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلاَمٌ ﴾[٣] أى قائلين .

حذف المنادى : ﴿ أَلاَّ يا اسْجُدوا ﴾[٤] ، أى ياهؤلاء . ﴿ ياليت ﴾[٥] ، أى ياقوم .

حذف العائد يقع فى أربعة أبواب :

الصلة ، نحو : ﴿ أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾[٦] ، أى بعثه .

والصفة ،نحو : ﴿ واتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ ﴾[٧] ، أى فيه .

والخبر ، نحو : ﴿ وكُلٌّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾[٨] ، أى وعده .

والحال .

حذف مخصوص نِعْمَ ، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾[٩] أى أيوب ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾[١٠] . أى نحن . ﴿ ولَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾[١١] . أى الجنة .

حذف الموصول ، نحو : ﴿ آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾[١٢] .

---

(١) الأعراف ١٥٢
(٢) التكاثر ٣
(٣) الرعد ٢٣ ، ٢٤
(٤) النمل ٢٥
(٥) القصص ٧٩
(٦) الفرقان ٤١
(٧) البقرة ٤٨
(٨) النساء ٩٥
(٩) ص ٤٤
(١٠) المرسلات ٢٣
(١١) النحل ٣٠
(١٢) العنكبوت ٤٦

أى والذى أُنزل إليكم ؛ لأن الذى أُنزل إلينا ليس هو الذى أُنزل إلى من قبلنا ، ولهذا أُعيدت « ما » فى قوله : ﴿ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١)

• • •

أمثلة حذف الفعل :

يطّرد إذا كان مفسّرًا ، نحو : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ (٢) ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ (٤) .

ويكثر فى جواب الاستفهام ، نحو : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ (٥) . أى أنزل .

وأكثر منه حذف القول ، نحو : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا ﴾ (٦) ، أى يقولان : ربنا (*)

ويأتى فى غير ذلك ، نحو : ﴿ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ (٧) ، أى وأتوا ، ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ (٨) ، أى وألفوا الإيمان أواعتقدوا ، ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (٩) ،أى وليسكن زوجك ، ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (١٠) أى أذمّ . ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ (١١) أى أمدح ، ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ ﴾ (١٢) أى كان . ﴿ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (١٣) .

• • •

(١) البقرة ١٣٦ (٢) التوبة ٦
(٣) الانشقاق ١ (٤) الاسراء ١٠٠
(٥) النحل ٣٠ (٦) البقرة ١٢٧
(٧) النساء ١٧١ (٨) الحشر ٩
(٩) البقرة ٣٥ (١٠) تبت ٤
(١١) النساء ١٦٢ (١٢) الأحزاب ٤٠
(١٣) هود ١١١ ، وجاء فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٦٥ بعد « أعمالهم » أى يوفوا أعمالهم .
(*) جاء فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق : ٦٥ بعد كلمة «ربنا» قال أبو على حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج .

أمثلة حذف الحرف :

قال ابن جنى فى المحتسب : أخبرنا أبو على ، قال : قال أبو بكر ، حذف الحرف ليس بقياس ؛لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هى أيضا ، واختصار المختصر أجحاف به .

حذف همزة الاستفهام . قرأ ابن محيصن : « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ »(١) . وخرّج عليه ﴿ هَذَا رَبِّى ﴾(٢) فى المواضع الثلاثة . ﴿ وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا ﴾(٣) ، أى : أوَ تلك ؟ .

حذف الموصوف الحرفى . قال ابن مالك : لا يجوز إلّا فى « أن » ، نحو ﴿ ومِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ﴾(٤) ..

وحذف الجار يطّرد مع أن ،وأنَّ . نحو : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمنُّوا علىَ إسلامكم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ ﴾(٥) . ﴿ أطمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ﴾(٦) . ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ ﴾(٧) أى بأنَّكم . وجاء مع غيرهما ، نحو : ﴿ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾(٨) ، أى قدرنا له . ﴿ ويَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾(٩) . أى لها ، ﴿ يُخَوِّفُ أولِيَاءَهُ ﴾(١٠) ، أى يخوفكم بأوليائه . ﴿ واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾(١١) ، أى من قومه . ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾(١٢) . أى على عقدة النكاح .

حذف العاطف ، خرج عليه الفارسى :﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إذا مَا أتوكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا ﴾(١٣) أى وقلت .﴿ وُجُوهٌ يومَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾(١٤) ،

(١) البقرة ٦
(٢) الأنعام ٧٦
(٣) الشعراء ٢٢
(٤) الروم ٢٤
(٥) الحجرات ١٧
(٦) الشعراء ٨٢
(٧) المؤمنون ٣٥
(٨) يس ٣٩
(٩) الأعراف ٤٥
(١٠) آل عمران ١٧٥
(١١) الأعراف ١٥٥
(١٢) البقرة ٢٣٥
(١٣) التوبة ٩٢
(١٤) الغاشية ٨

أى ووجوه ، عطفًا على ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ (١) .

حذف فاء الجواب ، وخرّج عليه الأخفش : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾ (٢) .

حذف حرف النداء ، كثير : ﴿ ها أَنْتُمْ أُولَاءِ ﴾ (٣) ، ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ ﴾ (٤) ، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى ﴾ (٥) . ﴿ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٦) . وفى العجائب للكرمانىّ : كثر حذف « يا » فى القرآن من الربّ تنزيهًا وتعظيما ؛ لأن فى النداء طرفًا من الأمر .

حذف « قد » فى الماضى إذا وقع حالا ، نحو : ﴿ أَوْ جاءوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ (٧) ، ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (٨) .

حذف « لا » النافية ، يطّرد فى جواب القَسَم ، إذا كان المنفىّ مضارعا نحو : ﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ ﴾ (٩) . وورَدَ فى غيره ، نحو : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ (١٠) : أى لا يطيقونه . ﴿ وَأَلْقَى فى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (١١) أى لئلا تميد .

حذف لام التوطئة : ﴿ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّن ﴾ (١٢) ، ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١٣) .

حذف لام الأمر . خرّج عليه ﴿ قُلْ لِعِبَادِىَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا ﴾ (١٤) .

---

(١) الغاشية ٢
(٢) البقرة ١٨٠
(٣) آل عمران ١١٩
(٤) يوسف ٢٩
(٥) مريم ٤
(٦) الأنعام ١٤
(٧) النساء ٩٠
(٨) الشعراء ١١١
(٩) يوسف ٨٥
(١٠) البقرة ١٨٤
(١١) النحل ١٥
(١٢) المائدة ٧٣
(١٣) الأنعام ١٢١
(١٤) ابراهيم ٣١

أى ليقيموا . حذف لام « لقد » يحسن مع طول الكلام ، نحو : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ (١) . حذف نون التوكيد ، خرج عليه قراءة ﴿ ألم نشرحَ ﴾ بالنصب .

حذف التنوين ، خرج عليه قراءة : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ ۝ اللهُ الصَّمَدُ ﴾(٢) ، ﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقَ النَّهَارِ ﴾ (٣) بالنصب .

حذف نون الجمع ، خرج عليه قراءة « وما هم بضارّى به من أحدٍ » .

حذف حركة الإعراب والبناء ، خرج ، عليه قراءة : ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ (٤) و ﴿ يَأْمُرُكُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ ﴾ (٦) بسكون الثلاثة . وكذا : ﴿ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾(٧) ، ﴿ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾ (٨) ، ﴿ مَابَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ (٩) .

• • •

أمثلة حذف أكثر من كلمة :

حذف مضافين : ﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (١٠) ؛ أى فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب . ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾(١١) أى من أثر حافر فرس الرسول ، ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾(١٢) أى كدوران عين الذى ، ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ (١٣) ، أى بدل شكر رزقكم .

---

(١) الشمس ٩
(٢) الاخلاص ١ ، ٢
(٣) يس ٤٠
(٤) البقرة ٥٤
(٥) البقرة ٦٧
(٦) البقرة ٢٢٨
(٧) البقرة ٢٣٧
(٨) المائدة ٣١
(٩) البقرة ٢٧٨
(١٠) الحج ٣٢
(١١) طه ٩٦
(١٢) الأحزاب ١٩
(١٣) الواقعة ٨٢

حذف ثلاث متضايفات :

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ (١) ، أى فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب : فحذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها :

حذف مفعولَىْ باب ظن : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(٢) : أى تزعمونهم شركائى .

حذف الجار مع المجرور : ﴿ خلطوا عملا صالحًا ﴾ أى بسيىء : ﴿ وآخر سيئًا ﴾ (٣) أى بصالح .

حذف العاطف مع المعطوف : تقدم .

حذف حرف الشرط. وفعله يطرّد بعد الطلب . نحو : ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ (٤) ؛ أى إن اتبعتمونى : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمنوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾(٥) أى إن قلت لهم يقيموا ، وجعل منه الزمخشرىّ ﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ ﴾(٦) ، أى إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله ، وجعل منه أبوحيان ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٧) ، أى إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلون!

حذف جواب الشرط. ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نفقًا فِي الْأَرْضِ أو سُلَّمًا فِي السَّماءِ ﴾ (٨) ، أى فافعل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٩) ، أى أعرضوا ، بدليل مابعده : ﴿ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾ (١٠) ، أى لتطيّرتم : ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١١) ، أى لنفد : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ﴾(١٢) ، أى لرأيت أمراً فظيعاً ،

(١) النجم ٩
(٢) القصص ٦٢
(٣) التوبة ١٠٢
(٤) آل عمران ٣١
(٥) ابراهيم ٣١
(٦) البقرة ٨٠
(٧) البقرة ٩١
(٨) الأنعام ٣٥
(٩) يس ٤٥
(١٠) يس ١٩
(١١) الكهف ١٠٩
(١٢) السجدة ١٢

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، أى لعذبكم ، ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ (٢) ، أى لأبدت به ، ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ ﴾ (٣) ، أى لسلطكم على أهل مكة .

حذف جملة القسم ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ (٤) ، أى والله ، حذف جوابه ، ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ... ﴾ (٥) الآيات ، أى لتبعثن ، ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ (٦) ، أى إنه لمعجز ، ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (٧) ، أى ما الأمر كما زعموا .

حذف جملة مسببة عن المذكور ، نحو : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾ (٨) ، أى فعل مافعل .

حذف جمل كثيرة ، نحو : ﴿ فَأَرْسِلُونِ ۞ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ (٩) . أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، ففعلوا فأتاه فقال له : يايوسف .

• • •

خاتمة

تارة لايقام شىء مقام المحذوف كما تقدم ، وتارة يقام مايدلّ عليه ، نحو : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ (١٠) ، فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ، وإنما التقدير : « فَإِن تَوَلَّوْا فلا لَوْمَ عَلَيَّ » أو فلا عذر لكم لأنى أبلغتكم .

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (١١) ، أى فلا تحزن واصبر .

(١) النور ٢٠ — (٢) القصص ١٠
(٣) الفتح ٢٥ — (٤) النمل ٢١
(٥) النازعات ١ — (٦) ص ١
(٧) ق ١ — (٨) الانفال ٨
(٩) يوسف ٤٥ ، ٤٦ — (١٠) هود ٥٧
(١١) فاطر ٤

﴿ وإن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ (١) ، أى يصيبهم مثل ما أصابهم.

• • •

فصل

[فى نوعى الإطناب]

كما انقسم الإيجاز إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف ، كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة .

[الإطناب بالبسط]

فالأول الإطناب بتكثير الجمل ، كقوله تعالى : ﴿ إنَّ فِى خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ . . . ﴾ (٢) الآية فى سورة البقرة . أطنب فيها أبلغ الإطناب لكون الخطاب مع الثقلين ، وفى كل عصر وحين ، للعالم منهم والجاهل ، والموافق منهم والمنافق .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (٣) ، فقوله : « ويؤمنون به » ، إطناب لأن إيمان حملة العرش معلوم ، وحسّنه إظهار شرف الإيمان ترغيبًا فيه .

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لايُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٤) ، وليس من المشركين مُزَكٍّ ، والنكتة الحثّ للمؤمنين على أدائها ، والتحذير من المنع ، حيث جعل من أوصاف المشركين .

• • •

---

(١) الأنفال ٣٨
(٢) البقرة ١٦٤
(٣) غافر ٧
(٤) فصلت ٦ ، ٧

[الإطناب بالزيادة]

والثاني يكون بأنواع :

أحدها — دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة في نوع الأدوات .

وهي : إن ، وأنّ ، ولام الابتداء ، والقسم ، وألا الاستفتاحيّة ، وأما ، وها التنبيه، وكأنّ في تأكيد التشبيه ، ولكنّ في تأكيد الاستدراك ، وليت في تأكيد التمني ، ولعلّ في تأكيد الترجّي ، وضمير الشأن ، وضمير الفصل ، وأما في تأكيد الشرط ، وقد ، والسّين وسوف ، والنونان في تأكيد الفعليّة ، ولا التبرئة ، ولن ، ولمّا في تأكيد النفي ، وإنما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكِرًا أو متردّدًا .

ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه ، كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كذبوا في المرّة الأُولى : ﴿ إِنَّا إِلَيكُم مُرْسَلُون ﴾ (١) . فأكّد بأنّ وإسميّة الجملة .

وفي المرّة الثانية ﴿ قالوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إنا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ (٢) ، فأكّد بالقسم وإن واللاّم وإسميّة الجملة ، لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا : ﴿مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾(٣)

وقد يؤكَّد بها ، والمخاطب به غير منكِر ، لعدم جريِهِ على مقتضى إقراره ، فينزَّل منزلة المنكر . وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لأن معه أدلّة ظاهرة لو تأمّلها لرجع عن إنكاره . وعلى ذلك يخرج قوله : ﴿ ثم إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (٤) أكّد الموت تأكيدين وإن لم ينكر ، لتنزيل المخاطبين لتماديهم في الغفلة تنزيل من ينكر الموت . وأكّد إثبات البعث تأكيدًا

(١) يس ١٤
(٢) يس ١٦
(٣) يس ١٥
(٤) المؤمنون ١٥ ، ١٦

واحدًا وإن كان أشدّ نكيرا ؛ لأنهم لما كانت أدلته ظاهرة كان جديرا بأن لا ينكر فنزل المخاطبون منزلة غير المنكر حثًّا لهم على النظر فى أدلته الواضحة ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾(١) ، نفى عنه « الرِّيبة بلا » على سبيل الاستغراق ؛ مع أنه ارتاب فيه المرتابون ، لكن نُزِّل منزلة العدم ، تعويلا على ما يُزيله من الأدلة الباهرة ، كما نزّل الإنكار منزلة عدمه لذلك .

وقال الزمخشرى : بولغ فى تأكيد الموت تنبيها للإنسان على أن يكون الموت نصبَ عينيه ، ولا يغفل عن ترقبه ، فإن مآله إليه . فكأنه أُكّدت جملته ثلاث مرات لهذا المعنى ، لأن الإنسان فى الدنيا يسعى فيها غاية السعى ، حتى كأنه يخلد ، ولم يؤكد جملة البعث إلا بإن لأنه أبرز فى صورة المقطوع به الذى لا يمكن فيه نزاع ، ولا يقبل إنكارا (٢) .

وقال التاج بن الفركاح (٣) : أكّد الموت ردًّا على الدهريّة القائلين ببقاء النوع الإنسانىّ خلفًا عن سلف ، واستغنى عن تأكيد البعث هنا ، لتأكيده والردّ على منكره فى مواضع ، كقوله : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (٤) .

وقال غيره : لمّا كان العطف يقتضى الاشتراك ، استغنى عن إعادة اللام لذكرها فى الأول .

وقد يؤكد بها – أى باللام – للمستشرف الطالب الذى قدّم له ما يلوح بالخبر فاستشرفت نفسه إليه ، نحو : ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (٥) . أى لا تَدْعُنى يا نوح فى شأن قومك ، فهذا الكلام يلوّح بالخبر تلويحا .

---

(١) البقرة ٢ (٢) نقله فى البرهان ٣ : ٨٨

(٣) هو عبد الرحمن ابراهيم البعوى ، شارح التنبيه ، وأحد علماء الشافعية ، توفى سنة ٦٩٠هـ طبقات الشافعية ٥ : ٦٠

(٤) التغابن ٧ (٥) هود ٣٧

ويشعر بأنه قد حقّ عليهم العذاب ، فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب فى أنهم: هل صاروا محكومًا عليهم بذلك أولا ؟ فقيل : إنهم مغرقون بالتأكيد .

وكذا قوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ [(١)] ، لمّا أمرهم بالتقوى وظهور ثمرتها ، والعقاب على تركها محلُّه الآخرة ، تشوّفت نفوسهم إلى وصف حال الساعة ، فقال : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [(١)] ، بالتأكيد ، ليقرّر عليه الوجوب .

وكذا قوله : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ [(٢)] ، فيه تحيير المخاطب ، وتردّد فى أنه كيف لا يبرّئ نفسه وهى بريئة زكية ، ثبتت عصمتُها وعدم مواقعتها السوء ، فأكّده بقوله : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[(٢)] .

وقد يؤكّد لقصد الترغيب ، نحو : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [(٣)] أكّدَ بأربع تأكيدات ترغيبًا للعباد فى التوبة .

وقد سبق الكلام على أدوات التأكيد المذكورة ومعانيها ومواقعها فى النوع الأربعين .

• • •

فائدة

إذا اجتمعت إنّ واللّام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات ؛ لأن « إنّ » أفادت التكرير مرتين فإذا دخلت اللّام صارت ثلاثا . وعن الكسائى . أن اللام لتوكيد الخبر ، وإنّ لتوكيد الاسم . وفيه تجوّز ؛ لأن التوكيد للنسبة لا للاسم ولا للخبر . وكذلك ، نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا ، والخفيفة بمنزلة تكريره مرّتين . فقال سيبويه فى نحو « يأيّها » :

---

(١) الحج ١ (٢) يوسف ٥٣

(٣) البقرة ٣٧

الألف والهاء لحقتا أيًا توكيدا ؛ فكأنَّكَ كرّرت « يا » مرتين وصار الاسم تنبيها . هذا كلامه وتابعه الزمخشرىّ .

• • •

فائدة

قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ (١)

قال الجرجانىّ فى نظم القرآن : ليست اللّام فيه للتأكيد ؛ فإنه منكر ، فكيف يحقّق ما ينكر ، وإنّما قاله حكايةً لكلام النبى صلى الله عليه وسلم الصادر منه بأداة التأكيد ، فحكاه فنزلت الآية على ذلك .

• • •

النوع الثانى ــ دخول الأحرف الزائدة

قال ابن جنّى : كلّ حرف زيدَ فى كلام العرب ، فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

وقال الزمخشرىّ فى كشافه القديم : الباء فى خبر ما ؛ وليس لتأكيد النفى ، كما أن اللام لتأكيد الإيجاب .

وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه ، إذ إسقاطه لا يخلّ بالمعنى ! فقال : هذا يعرفه أهل الطباع ، يجدون من زيادة الحرف معنًى لايجدونه بإسقاطه . قال : ونظيره العارف بوزن الشعر طبعًا ، إذا تغيَّر عليه البيت بنقص أنكره وقال : أجد نفسى على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن . فكذلك هذه الحروف تتغيّر نفس المطبوع بنقصانها ، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه .

ثم باب الزيادة فى الحروف وزيادة الأفعال قليل ، والأسماء أقلّ .

---

(١) مريم ٦٦.

أما الحروف فيزداد منها ، إنْ ، وأن ، وإذ ، وإذا ، وإلى ، وأمْ ، والباء . والفاء ، وفى ، والكاف ، واللام ، ولا ، وما ، ومن ، والواو ؛ وتقدمت فى نوع الأدوات مشروحة .

وأما الأفعال فزيد منها « كان » ؛ وخرج عليه ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (١) ، وأصبح ، وخرّج عليه ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

وقال الرُّمانِىّ : العادة أنّ مَنْ به علّة تزداد بالليل ، أن يرجوَ الفرج عند الصباح ، فاستعمل « أصبح » لأن الخسران حصل لهم فى الوقت الذى يرجون فيه الفرج ، فليست زائدة .

وأمّا الأسماء فنصّ أكثر النحويين على أنها لاتزاد ، ووقع فى كلام المفسّرين الحكم عليها بالزيادة فى مواضع ، كلفظ « مثل » فى قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ (٣) ، أي بما .

• • •

النوع الثالث ــ التأكيد الصناعى

وهو أربعة أقسام :

أحدها : التوكيد المعنوى بكلّ ، وأجمع ، وكلا وكلتا ، نحو : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٤) . وفائدته رفع توهّم المجاز وعدم الشمول . وادّعى الفرّاء أن « كلّهم » أفادت ذلك ، و « أجمعون » أفادت اجتماعهم على السجود ، وأنهم لم يسجدوا متفرّقين .

ثانيها : التأكيد اللفظى ، وهو تكرار اللفظ الأول إمّا بمرادفه ، نحو ﴿ ضَيِّقًا

---

(١) مريم ٢٩ (٢) المائدة ٥٣

(٣) البقرة ١٣٧ (٤) الحجر ٣٠

حَرِجًا ﴾ (١) ، بكسر الراء ، و ﴿ غَرَابِيبُ سُود ﴾ (٢) ، وجعل منه الصفَّار في ﴿ فيمَا إن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ (٣) ، على القول بأن كليهما للنفي . وجعل منه غيره : ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُم فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ (٤) ، فوراء هنا ليس ظرفًا ؛ لأنَّ لفظ « ارجعوا » ينبيء عنه ، بل هو اسم فعل بمعنى « ارجعوا » ، فكأنه قال : ارجعوا ارجعوا .

وإمَّا بلفظه ويكون في الاسم والفعل والحرف . والجملة . فالاسم ، نحو : ﴿ قَوَارِير قواريرَ ﴾ (٥) ، ﴿ دَكا دَكا ﴾ (٦) . والفعل ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ ﴾ (٧) واسم الفعل ، نحو : ﴿ هَيْهَات هَيْهَات لِما توعَدُونَ ﴾ (٨) . والحرف ، نحو : ﴿ فَفِي الْجَنَّة خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (٩) ، ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذَا مِتمْ وكُنْتُمْ تُرابًا وعِظَامًا أَنَّكُمْ ﴾ (١٠) والجملة ، نحو : ﴿ فإنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (١١) والأحسن اقتران الثانية بثمَّ . نحو : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَايَوْمُ الدِّينِ ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (١٢) ، ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلاَّ سَوفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٣) ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل نحو : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنة ﴾ (١٤) ، ﴿ فاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ ﴾ (١٥) ﴿ وَإمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (١٦) ومن تأكيدالمنفصل بمثله ﴿ وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٧) .

---

(١) الأنعام ١٢٥
(٢) فاطر ٢٧
(٣) الأحقاف ٢٦
(٤) الحديد ١٣
(٥) الانسان ١٥ ، ١٦
(٦) الفجر ٢١
(٧) الطارق ١٧
(٨) المؤمنون ٣٦
(٩) هود ١٠٨
(١٠) المؤمنون ٣٥
(١١) الشرح ٥ ، ٦
(١٢) الانفطار ١٧ ، ١٨
(١٣) التكاثر ٣ ، ٤
(١٤) البقرة ٣٥
(١٥) المائدة ٢٤
(١٦) الأعراف ١١٥
(١٧) يوسف ٣٧

ثالثها : تأكيد الفعل بمصدره ، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين ، وفائدته رفع توهم المجاز فى الفعل بخلاف التوكيد السابق فإنه لرفع توهم المجاز فى المسند إليه. كذا فرّق به ابن عصفور وغيره. ومن ثَمّ ردّ بعض أهل السُّنّة على بعض المعتزلة فى دعواه نفى التكلم حقيقة بقوله : ﴿وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [١] لأن التوكيد رفع المجاز فى الفعل ، ومن أمثلته ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٢] ، ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْرًا ، وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [٣] ﴿ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴾ [٤].

وليس منه ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ [٥] ؛ بل هو جمع « ظنّ » لاختلاف أنواعه. وأما ﴿إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ [٦] ، فتحتمل أن يكون منه ، وأن يكون الشيء بمعنى الأمر والشأن .

والأصل فى هذا النوع أن ينعَت بالوصف المراد ، نحو : ﴿ اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٧] ، ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾ [٨] . وقد يضاف وصفه إليه ،نحو : ﴿ اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [٩] . وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو اسم عين نيابة عن المصدر . نحو : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [١٠] ، [*] والمصدر [*] تبتلا والتبتيل مصدر «بتل» ،﴿ واللهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الأرضِ نَبَاتًا ﴾ [١١] ؛ أى إنباتًا ، إذ النبات اسم عين .

(١) النساء ١٦٤
(٢) الأحزاب ٥٦
(٣) الطور ٩ ، ١٠
(٤) الاسراء ٦٣
(٥) الأحزاب ١٠
(٦) الأنعام ٨٠
(٧) الأحزاب ٤١
(٨) الأحزاب ٤٩
(٩) آل عمران ١٠٢
(١٠) المزمل ٨
(١١) نوح ١٧
(*-*) مابينهما من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٦٨ .

رابعها : الحال المؤكدة ، نحو : ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًا ﴾ (١) . ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ (٣) . ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٥)

وليس منه ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ (٦) ، لأن التوليه قد لاتكون إدبارًا ، بدليل قوله : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٧) ، ولا ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾ (٨) لأن التبسم قد لايكون ضحكا ، ولا ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ (٩) ، لاختلاف المعنيين إذ كونه حقا فى نفسه غير كونه مصدّقًا لما قبله .

• • •

النوع الرابع ــ التكرير

وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة ، خلافًا لبعض مَنْ غلط . وله فوائد :

منها التقرير ، وقد قيل : الكلام إذا تكرّر تقرّر ، وقدنبّه تعالى على السبب الذى لأجله كرّر الأقاصيص والإنذار فى القرآن بقوله : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (١٠) .

ومنها التأكيد .

ومنها زيادة التنبيه على ماينفى التهمة ، ليكمل تلقّى الكلام بالقبول ، ومنه :

---

(١) مريم ٣٣ — (٢) البقرة ٦٠
(٣) النساء ٧٩ — (٤) البقرة ٨٣
(٥) ق ٣١ — (٦) النمل ١٠
(٧) البقرة ١٤٤ — (٨) النمل ١٩
(٩) البقرة ٩١ — (١٠) طه ١١٣

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ (١) ، فإنه كرر فيه النداء لذلك .

ومنها إذا طال الكلام وخُشِيَ تناسي الأول أُعِيد ثانيًا تطريةً له وتجديدًا لعهده . ومنه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ (٢) ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِمَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ (٣) ، ﴿ ولمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (٤) ، ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (٥) ، ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ ﴾ (٦) .

ومنها التعظيم والتهويل ، نحو : ﴿ الْحَاقَّةُ . ما الْحَاقَّةُ ﴾ (٧) ، ﴿ الْقَارِعَةُ . ما الْقَارِعَةُ ﴾ (٨) ، ﴿ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ما أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (٩) .

فإن قلتَ : هذا النوع أحد أقسام النوع الذى قبله ، فإن منها التأكيد بتكرار اللفظ ، فلا يحسن عدّه نوعًا مستقلاً . قلتُ : هو يجامعه ويفارقه ، ويزيد عليه وينقص عنه ، فصار أصْلاً برأسه ، فإنه يكون التأكيد تكرارًا كما تقدّم فى أمثلته ، وقد لايكون تكرارًا كما تقدم أيضًا ، وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة ، وإن كان مفيدًا للتأكيد معنى .

---

(١) غافر ٣٨ ، ٣٩
(٢) النحل ١١٩
(٣) النحل ١١٠
(٤) البقرة ٨٩
(٥) آل عمران ١٨٨
(٦) يوسف ٤
(٧) الحاقة ١ ، ٢
(٨) القارعة ١ ، ٢
(٩) الواقعة ٢٧

ومنه ماوقع فيه الفصل بين المكررين ؛ فإنّ التأكيد لايفصل بينه وبين مؤكّده نحو ﴿ اتَّقُوا اللهَ ولْتَنْظُرْ نَفْس ماقدّمت لِغَدٍ واتَّقوا الله ﴾ (١) ، ﴿ إنّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، فالآيتان من باب التكرير لاالتأكيد اللفظى الصناعى ، ومنه الآيات المتقدمة فى التكرير للطول .

ومنه ماكان لتعدّد المتعلّق ، بأن يكون المكرّر ثانيًا متعلّقًا بغير ماتعلق به الأول ، وهذا القسم يُسمَّى بالترديد ، كقوله : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ (٣) ، وقع فيها الترديد أربع مرات .

وجُعل منه قوله: ﴿ فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٤) ، فإنها وإن تكررت نَيِّفًا وثلاثين مرة ، فكلّ واحدة تتعلّق بما قبلها ، ولذلك زادت على ثلاثة ، ولو كان الجميع عائدًا إلى شىء واحد لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيد لايزيد عليها ، قاله ابن عبد السلام وغيره .

وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النقمة للتحذير نعمة . وقد سئل : أىّ نعمة فى قوله : ﴿ كلّ من عليها فانٍ ﴾ (٥) ؟ فأُجيب بأجوبة ، أحسنها : النقل من دار الهموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن والبارّ من الفاجر .

وكذا قوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٦) فى سورة المرسلات ؛ لأنه تعالى ذكر قصصًا مختلفة وأتبع كل قصّة بهذا القول ؛ فكأنه قال عقب كل قصّة : « وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِ بهذه القصة »

---

(١) الحشر ١٨
(٢) آل عمران ٤٢
(٣) النور ٣٥
(٤) الرحمن ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ..
(٥) الرحمن ٢٦
(٦) المرسلات ١٩ ، ٢٤ ..

وكذا قوله في سورة الشعراء : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) ؛ كررت ثماني مرات ، كلّ مرة عقب كل قصة ، فالإشارة في كلّ واحدة بذلك إلى قصة النبيّ المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر .

وبقوله : ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، إلى قومه خاصة ، ولمّا كان مفهومه أنّ الأقل من قومه آمنوا ، أتى بوصفَي العزيز الرحيم للإشارة إلى أنّ العزة على من لم يؤمن منهم ، والرحمة لمن آمن.

وكذا قوله في سورة القمر : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾(٢) قال الزّمخشري كرّر ليجدّدوا عند سماع كلّ نبإ منها اتعاظًا وتنبيهًا ، وإنّ كلًّا من تلك الأنباء مستحقٌّ لاعتبار يختص به ، وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة .

قال في عروس الأفراح : فإن قلت: إذا كان المراد بكلّ ماقبله ، فليس ذلك بإطناب ؛ بل هي ألفاظ ؛ كلّ أُريد به غيرما أُريد بالآخر . قلت : إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ ، فكلّ واحد أُريد به ما أُريد بالآخر ، ولكن كُرّر ليكون نصًّا فيما يليه وظاهرًا في غيره . فإن قلتَ : يلزم التأكيد ، قلت : والأمر كذلك ، ولا يرد عليه أن التأكيد لايزاد به عن ثلاثة ؛ لأن ذاك في التأكيد الذي هو تابع . وأما ذكر الشيء في مقامات متعدّدة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع . انتهى .

ويقرُبُ من ذلك ماذكره ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (٣) ،

---

(١) الشعراء ٨ ، ٩ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠

(٢) القمر ١٧ (٣) النساء ١٣١ ، ١٣٢

﴿ وَلِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً ﴾ قال : فإن قيل : ماوجه تكرار قوله : ﴿ وَلِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ فى آيتين إحداهما فى أثر الأخرى ؟ قلنا : لا ختلاف معنى الخبرين عما فى السموات والأرض ؛ وذلك أنَّ الخبر عنه فى إحدى الآيتين ذكرُ حاجته إلى بارئه ، وغنى بارئه عنه ، وفى الأخرى حفظ بارئه إياه وعلمه به وبتدبيره قال : فإن قيل : أفلا قيل : «وكَانَ اللهُ غَنِيًّا حَمِيدا وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً» قيل : ليس فى الآية الأولى مايصلحُ أن تختمَ بوصفه معه بالحفظ والتدبير[(١)] انتهى .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾[(٢)] ، قال الراغب : الكتاب الأولَ ماكتبوه بأيديهم المذكور فى قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[(٣)] والكتاب الثانى التوراة ، والثالث لجنس كتب الله كلها ، أى ماهو من شىء من كتُب الله وكلامه .

ومن أمثلة مايظن تكراراً ، وليس منه ﴿ قُلْ يَا أَيُّها الكافِرُونَ ۝ لاَ أَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ ﴾[(٤)] إلى آخرها ، فإن « لاأعبد ما تعبدون » أى فى المستقبل « ولا أنتم عابدون » ، أى فى الحال « ما أعبد » فى المستقبل « ولا أنا عابد » ، أى فى الحال ما عبدتم فى الماضى « ولا أنتم عابدون » أى فى المستقبل « ما أعبد » ، أى فى الحال . فالحاصل أن القصد نفى عبادته لآلهتهم فى الأزمنة الثلاثة .

وكذا ﴿ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ـ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾[(٥)] ، ثم قال : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾[(٦)] ، ثم قال

---

(١) تفسير الطبرى ٣ : ٢٩٧
(٢) آل عمران ٧٨
(٣) البقرة ٧٩
(٤) الكافرون ١ ، ٢
(٥) البقرة ١٩٨
(٦) البقرة ٢٠٠

﴿ وَاذْكُرُوا اللّٰهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾(١) ؛ فإن المراد بكلّ واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر ، فالأول الذكر فى مُزدلفة عند الوقوف بقُزَح ، وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوه كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ إشارة إلى تكرّره ثانياً وثالثاً ، ويحتمل أن يراد به طواف الإفاضة ، بدليل تعقيبه بقوله : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ ﴾ . والذكر الثالث إشارة إلى رمْى جمرة العقبة ، والذكر الأخير لرمْى أيام التشريق .

ومنه تكرير حرف الإضراب فى قوله : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾(٢) ، وقوله : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾(٣) .

ومنه قوله : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المقترِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالمَعْرُوفِ حقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾(٤) ، ثم قال : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾(٥) فكرّر الثانى ليَعمّ كل مطلقة ، فإنَّ الآية الأُولى فى المطلَّقة قبل الفرض والمسيس خاصّة ؛ وقيل لأن الأُولى لاتُشعر بالوجوب ، ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة : إن شئت أحسنت ، وإن شئت فلا ، فنزلت الثانية ، أخرجه ابن جرير .

ومن ذلك تكرير الأمثال كقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ • وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ • وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ • وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ ﴾(٦)

وكذلك ضرب مثل المنافقين أوّل البقرة بالمستوقِد ناراً ،ثم ضربه بأصحاب الصَّيِّب . قال الزمخشرىّ : والثانى أبلغُ من الأوّل ؛ لأنه أدلّ على فرط.

(١) البقرة ٢٠٣ (٢) الأنبياء ٥
(٣) النمل ٦٦ (٤) البقرة ٢٣٦
(٥) البقرة ٢٤١ (٦) فاطر ١٩ - ٢٢

الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ، قال : ولذلك أُخَر ، وهم يتدرّجون فى نحو هذا ـ من الأهون إلى الأغلظ .

ومن ذلك تكرير القصص ،كقصّة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء، قال بعضهم : ذكر الله موسى فى مائة وعشرين موضعًا من كتابه . وقال ابن العربىّ فى القواصم : ذكر الله قصّة نوح فى خمس وعشرين آية ، وقصّة موسى فى تسعين آية .

وقدألَّف البَدْر بن جماعة كتابًا سمّاه « المقتنص فى فوائد تكرار القصص » وذكر فى تكرير القصص فوائد :

منها أنَّ فى كل موضع زيادة شىء لم يذكر فى الذى قبله ، أو إبدال كلمة بأُخرى لنكتة ، وهذه عادة البُلغاء .

ومنها أنَّ الرجل كان يسمع القصّة من القرآن ، ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَنْ تقدّمهم ؛ فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصّة عيسى إلى قوم آخرين ؛ وكذا سائر القصص ؛ فأراد الله اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأْكيد لآخرين .

ومنها أنَّ فى إبراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالا يخفى من الفصاحة .

ومنها أنَّ الدواعى لاتتوفّر على نقلها كتوفُّرها على نقل الأحكام ؛ فلهذا كرِّرت القصص دون الأحكام .

ومنها أنّه تعالى أنزل هذا القرآن ، وعَجَزَ القومُ عن الإتيان بمثله ، بأىّ نظم جاءوا ، ثمّ أوضح الأمر فى عجزهم ؛ بأن كرر ذكر القصة فى مواضع ،إعلامًا بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله ، أى بأىّ نظم جاءوا ، وبأىّ عبارة عبّروا

ومنها أنه لما تحدّاهم قال : ﴿ فَأْتُوا بِسورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾[١] ، فلو ذكرت القصة فى موضع واحد واكتُفِىَ بها لقال العربىّ :إيتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزل لها سبحانه وتعالى فى تعداد السوَر دفعًا لحجّتهم من كلٍ وجه .

ومنها أن القصَّة لما كرّرت كانَ فى ألفاظها فى كلّ موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وأتت على أُسلوب غير أُسلوب الأُخرى ، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى إخراج المعنى الواحد فى صورٍ متباينة فى النَّظْم وجذب النفوس إلى سماعها لما جُبلت عليه من حب التنقّل فى الأشياء المتجدّدة واستلذاذها بها ، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هُجْنة فى اللَّفظ ،ولا ملل عند سماعه ؛ فباين ذلك كلاَم المخلوقين .

وقد سُئِل :ماالحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقًا واحدًا فى موضع واحد دون غيرها من القصص ؟ وأُجيب بوجوه :

أحدها : أن فيها تشبيب النسوة به . وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالاً ،فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والسَّتر . وقد صحّح الحاكم فى مستدركه حديث النهى عن تعليم النساء سورة يوسف .

ثانيًا : أنها اختصّت بحصول الفَرَج بعد الشدّة . بخلاف غيرها من القصص، فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس . وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم . فلما اختصّت بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

ثالثها : قال الأُستاذ أبو إسحاق الاسفرايينى : إنّما كرّر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقًا واحدًا إشارة إلى عجز العرب ؛ كأن النبى صلى الله

(١) البقرة ٢٣

عليه وسلم قال لهم : إن كان من تلقاء نفسى ، فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلت فى سائر القصص .

قلت : وظهر لى جواب رابع ، وهو أن سورة يوسف نزلتْ بسبب طلب الصحابة أن يقصّ عليهم ، كما رواه الحاكم فى مستدرَكه ، فنزلت مبسوطة تامّة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصّة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفيها .

وجواب خامس ، وهو أقوى ما يجاب به ، أنّ قصص الأنبياء إنما كرّرت ؛ لأن المقصود بها إفادة إهلاك مَنْ كذبوا رسلهم ، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلما كذبوا أُنزِلت قصّة منذرة بحلول العذاب ، كما حلّ على المكذبين ، ولهذا قال تعالى فى آيات : ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [1] ، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ [2] ، وقصّة يوسف لم يُقصد منها ذلك .

وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصّة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وقصّة موسى مع الخضر وقصّة الذّبيح .

فإن قلت : قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين . وليست من قبيل ما ذكرت . قلت : الأُولى فى سورة « كهيعص » ، وهى مكية ؛ أُنزلت خطاباً لأهل مكة ، والثانية ، فى سورة آل عمران ، وهى مدنية أُنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نَجْران حين قدموا ، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجّة والمباهلة .

* * *

(١) الأنفال ٣٨ (٢) الأنعام ٦

النوع الخامس ـ الصفة

وترد لأسباب :

أحدها : التخصيص فى النكرة ، نحو ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾(١) .

الثانى : التوضيح فى المعرفة ، أى زيادة البيان ، نحو : ﴿ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّىِّ ﴾ (٢) .

الثالث : المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى ، نحو : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ● الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ● مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾(٣) ، ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾(٤) .

ومنه ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾(٥) ، فهذا الوصف للمدح ، وإظهار شرف الإسلام والتعريض باليهود وأنهم بُعَداء عن ملة الإسلام الذى هو دين الأنبياء كلهم ، وأنهم بمعزل عنها . قاله الزمخشرىّ .

الرابع : الذم ، نحو : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٦) .

الخامس : التأكيد لرفع الإيهام ، نحو : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾(٧) فإن « إلاهين » للتثنية ، فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهى عن الإشراك ، ولإفادة أن النهى عن «إلاهين » ، إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط ، لالمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك ،ولأن الوحدة ، تطلق ويراد بها النوعية كقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما نحن وبنو المطلب شىء واحد » وتطلق ويراد بها نفى العدّة ؛ فالتثنية باعتبارها ، فلو قيل « لا تتخذوا إلٰهين » فقط

(١) النساء ٩٢
(٢) الأعراف ١٥٨
(٣) الفاتحة ١ ـ ٤
(٤) الحشر ٢٤
(٥) المائدة ٤٤
(٦) النحل ٩٨
(٧) النحل ٥١

لتُوهَم أنه نهى عن اتخاذ جنسين آلهة ؛ وإن جاز أن يُتَخذ من نوع واحد عَدَدًا - آلهة ، ولهذا أُكد بالوحدة قوله : ﴿ إنمَا هُوَ إلٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(١) .

ومثله : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾(٢) . على قراءة تنوين « كلٍّ » وقوله : ﴿ فَإذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾(٣) ، فهو تأْكيد لرفع توهم تعدّد النفخة ؛ لأن هذه الصيغة قد تدلُّ على الكثرة بدليل ﴿ وَإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾(٤) .

ومن ذلك قوله : ﴿ فَإنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾(٥) ، فإن لفظ « كانتا » تفيد التثنية فتفسيره باثنتين لم يُفِد زيادة عليه .

وقد أجاب عن ذلك الأخفش والفارسىّ : بأنه أفاد العدد المحض مجرّدًا عن الصفة ؛ لأنه قد كان يجوز أن يقال : « فإن كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات » فلما قال « اثنتين » ، أَفْهَم أن فرض الثنتين تعلّق بمجرد كونهما ثنتين فقط ، وهى فائدة لاتحصل من ضمير المثنى. وقيل أراد : « فإن كانتا اثنتين فصاعدا » ، فعبّر بالأدنى عنه وعمّا فوقه اكتفاء ، ونظيره : ﴿ فَإنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾(٦) . والأحسن أن الضمير عائد على الشهيدين المطلقين .

ومن الصفات المؤكدة قوله : ﴿ وَلاَ طَائِرٍ يطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾(٧) ، فقوله « يطير » لتأْكيد أن المراد بالطائر حقيقته ، فقد يطلق مجازًا على غيره ، وقوله :

---

(١) الأنعام ١٩
(٢) المؤمنون ٢٧
(٣) الحاقة ١٣
(٤) ابراهيم ٣٤
(٥) النساء ١٧٦
(٦) البقرة ٢٨٢
(٧) الأنعام ٣٨

« بجناحيه » لتأكيد حقيقة الطيران؛ لأنه يطلق مجازًا على شدّة العدو والإسراع فى المشى .

ونظيره ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ (١) ، لأن القول يطلق مجازًا على غير اللسان بدليل ﴿ وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ ﴾ (٢) .

وكذا ﴿ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴾ (٣) ، لأن القلب قد يطلق مجازًا على العين كما أُطلقت العين مجازًا على القلب فى قوله : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَاءٍ عَن ذِكْرِى ﴾ (٤) .

قاعدة

الصفة العامة لاتأتى بعد الخاصة ، لايقال : رجل فصيح متكلم ، بل متكلّم فصيح وأُشكل على هذه قوله تعالى فى إسماعيل : ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ (٥) وأُجيب أنه حال لاصفة ، أى مرسلاً فى حال نبوّته . وقد تقدّم فى نوع التقديم والتأخير أمثلة من هذه

قاعدة

إذا وقعت الصّفة بعد متضايفين أولهما عددجاز إجراؤها على المضاف . وعلى المضاف إليه . فمن الأول ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ (٦) . ومن الثانى ﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ (٧) .

(١) الفتح ١١
(٢) المجادلة ٨
(٣) الحج ٤٦
(٤) الكهف ١٠١
(٥) مريم ٥١
(٦) الملك ٣
(٧) يوسف ٤٣

فائدة

إذا تكررت النعوت لواحد ، فالأحسن إنْ تباعد معنى الصفات العطفُ ، نحو : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ والظاهر وَالْبَاطِنُ ﴾ (١) . وإلا تركه ، نحو : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (٢) .

فائدة

قطع النعوت فى مقام المدح والذّم أبلغ من إجرائها ، قال الفارسىّ : إذا ذُكرت صفاتٌ فى معرض المدح أو الذم ،فالأحسن أن يخالَف فى إعرابها ؛ لأن المقام يقتضى الإطناب ، فإذا خولف فى الإعراب كان المقصودِ أكمل ؛ لأن المعانىَ عند الاختلاف تتنوّع وتتفنّن ، وعند الاتحاد تكون نوعًا واحدًا .

مثاله فى المدح ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ والمُقِيمِينَ الصَّلاةَ والْمُؤْتُونَ الزكاةَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾ (٤) ، إلى قوله : ﴿ والْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ ﴾ (٤) .

وقرئ شاذًّا ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ برفع « ربّ » ونصبه .

ومثاله فى الذّم ﴿ وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (٥) .

---

(١) الحديد ٣
(٢) القلم ١٠ ـ ١٣
(٣) النساء ١٦٢
(٤) البقرة ١٧٧
(٥) المسد ٤

النوع السادس ـ البدل

والقصد به الإيضاح بعد الإبهام ، وفائدته البيان والتأكيد ؛ أمّا الأوّل فواضح أنك إذا قلت : « رأيت زيدًا أخاك » بيّنت أنك تريد بزيد الأخ لاغير ، أمّا التأكيد فلأنّه على نيّة تكرار العامل ، فكأنه من جملتين ؛ ولأنه دلّ على ما دل عليه الأول ، إمّا بالمطابقة فى بدل الكلّ ، أوْ بالتضمن فى بدل البعض ، أو بالالتزام فى بدل الاشتمال .

مثال الأول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾(١) ، ﴿ وإنّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم ۝ صِرَاطِ اللهِ ﴾(٢) ، ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾(٣) .

ومثال الثانى : ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(٤) ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾(٥) .

ومثال الثالث : ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلّا الشَّيْطَانُ أن أذْكُرَهُ ﴾(٦) ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قتالٍ فيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾(٧) ، ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ﴾(٨) ، ﴿ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ ﴾(٩)

وزاد بعضهم بدل الكلّ من البعض ، وقد وجدتُ له مثالا فى القرآن ، وهو قوله : ﴿ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾(١٠) ، فـ « جنات

---

(١) الفاتحة ٦ ، ٧ — (٢) الشورى ٥٢ ، ٥٣
(٣) العلق ١٥ ، ١٦ — (٤) آل عمران ٩٧
(٥) البقرة ٢٥١ — (٦) الكهف ٦٣
(٧) البقرة ٢١٧ — (٨) البروج ٤ و ٥
(٩) الزخرف ٣٣ — (١٠) مريم ٦٠ ، ٦١

عدن » بدل من الجنّة التى هى بعض . وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لا جنّة واحدة ، قال ابن السيّد : وليس كلُّ بدل يقصَد به رفع الإشكال الذى يعرِض فى المبدل منه ، بل من البدل مايراد به التأكيد ، وإن كان ما قبله غنيًّا عنه ، كقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ صِراطِ اللهِ ﴾ (١) ، ألا ترى أنّه لو لم يذكر الصراط الثانى لم يشكّ أحدٌ فى أنّ الصراط المستقيم ، هو صراط الله ! وقد نصّ سيبويه ، على أنّ من البدل ، ماالغرضُ منه التأكيد . انتهى .

وجعل منه ابنُ عبد السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ (٢) ، قال : ولا بيان فيه ؛ لأن الأب لايلتبس بغيره ، ورُدّ بأنه يطلق على الجَدّ ، فأُبدل لبيان إرادة الأب حقيقة .

• • •

النوع السابع ـ عطف البيان

وهو كالصّفة فى الإيضاح ، لكنْ يفارقها فى أنه وضع ليدلّ على الإيضاح باسم مختصٍّ به بخلافها ؛ فإنها وضعت لتدلّ على معنًى حاصل فى متبوعها .

وفرّق ابن كيسان بينه وبين البدل ، بأنّ البدل هو المقصود وكأنك قرّرته فى موضع المبدل منه ، وعطف البيان وما عطف عليه كلٌّ منهما مقصود.

وقال ابن مالك فى شرح الكافية : عطف البيان يجرى مجرى النّعت فى تكميل متبوعه ، ويفارقه فى أن تكميلهُ متبوعه بشرحٍ وتبيين ، لا بدلالة على معنى فى المتبوع ، أو سببيّة ، ومجرى التأكيد فى تقوية دلالته . ويفارقه فى أنه لا يرفع توهّم مجاز ، ومجرى البدل فى صلاحيته للاستقلال ، ويفارقه فى

---

(١) الشورى ٥٢ و ٥٣ (٢) الأنعام ٧٤

أنه غير منوىّ الاطراح. ومن أمثلته: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١) .
﴿ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ (٢) .

وقد يأتى لمجرّد المدح بلا إيضاح . ومنه: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ (٣) ، فالبيت الحرام عطف بيان للمدح لا للإيضاح .

• • •

النوع الثامن : عطف أحد المترادفين على الآخر

والقصد منه التأكيد أيضا . وجعل منه ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾ (٤) ، ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ (٥) .

﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (٦) ، ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (٧) . ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ (٨) ؛ قال الخليل : العِوَج والأَمت بمعنى واحد ، ﴿ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ (٩) ، ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (١٠) ، ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ (١١) ، ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (١٢) ، ﴿ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا ﴾ (١٣) ، ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (١٤) ، فإنَّ « نصب » كلغب وزنًا ومعنى ، ﴿ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (١٥) ، ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ (١٦) ، قال ثعلب : هما بمعنًى .

---

(١) آل عمران ٩٧ (٢) النور ٣٥
(٣) المائدة ٩٧ (٤) يوسف ٨٦
(٥) آل عمران ١٤٦ (٦) طه ١١٢
(٧) طه ٧٧ (٨) طه ١٠٧
(٩) التوبة ٧٨ والزخرف ٨٠ (١٠) المائدة ٤٨
(١١) المدثر ٢٨ (١٢) البقرة ١٧١
(١٣) الأحزاب ٦٧ (١٤) فاطر ٣٥
(١٥) البقرة ١٥٧ (١٦) المرسلات ٦

وأنكر المبرِّد وجود هذا النوع فى القرآن، وأوّلَ ماسبق على اختلاف المعنيين. وقال بعضهم : المخلص فى هذا أن تعتقدأن مجموع المترادفين يحصِّل معنًى لايوجد عند انفرادهما ، فإن التركيب يحدث معنى زائدًا ، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ .

• • •

النوع التاسع : عطف الخاص على العام

وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات .

وحكى أبو حيان عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أنه كان يقول : هذا العطف يسمى بالتجريد ، كأنه جرِّد من الجملة وأُفرِد بالذكر تفضيلاً .

ومن أمثلته : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصلاَةِ الْوُسْطَى ﴾ (١) ، ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصلاَةَ ﴾ (٤) ، فإن إقامتها من جملة التمسّك بالكتاب ، وخُصّت بالذكر إظهارًا لمرتبتها ، لكونها عماد الدين ، وخُصّ جبريل وميكائيل بالذكر ردًّا على اليهود فى دعوى عداوته ، وضمّ إليه ميكائيل لأنه ملَك الرزق الذى هو حياة الأجساد ، كما أنّ جبريل مَلك الوحى الذى هو حياة القلوب والأرواح .

وقيل : إن جبريل وميكائيل لمّا كانا أميرى الملائكة لم يدخلا فى لفظ الملائكة

---

(١) البقرة ٢٣٨ (٢) البقرة ٩٨
(٣) آل عمران ١٠٤ (٤) الأعراف ١٧٠

أولا ، كما أنّ الأمير لايدخل فى مسمّى الجند . حكاه الكرْمانىّ فى العجائب .

ومن ذلك ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَه ﴾(١) ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾(٢) بناء على أنه لايختصّ بالواو ، كما هو رأْىُ ابن مالك فيه وفيما قبله ، وخُصّ المعطوف فى الثانية بالذكر تنبيهًا على زيادة قبحه .

تنبيه

المراد بالخاصّ والعام هنا ما كان فيه الأول شاملاً الثانى ، لا المصطلح عليه فى الأُصول .

* * *

النوع العاشر : عطف العام على الخاص

وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ ، والفائدة فيه واضحة وهو التعميم ، وأُفرِد الأول بالذكر اهتمامًا بشأْنه .

ومن أمثلته : ﴿ إن صَلاَتِي وَنُسُكِي ﴾(٣) . والنُّسك العبادة . فهو أعمّ ، ﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾(٤) ، ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٥) ﴿ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِير ﴾(٦) .

وجعل منه الزمخشرىّ ﴿ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾(٧) ، بعد قوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ﴾ (٧) .

---

(١) النساء ١١٠
(٢) الأنعام ٩٣
(٣) الأنعام ١٦٢
(٤) الحجر ٨٧
(٥) نوح ٢٨
(٦) التحريم ٤
(٧) يونس ٣١

النوع الحادى عشر : الإيضاح بعد الإبهام

قال أهل البيان : إذا أردت أن تُبهم ثم توضح ؛ فإنك تُطنب ؛ وفائدته؛ إما رؤيةُ المعنى فى صورتين مختلفتين : الإبهام والإيضاح ، أو لتمكن المعنى فى النفس تمكنًا زائدًا لوقوعه بعد الطلب ؛ فإنه أعزّ من المنساق بلا تَعبٍ ،أو لتكمل لذّة العلم به ؛ فإن الشيء إذا علم من وجه ما ، تشوّقت النفس للعلم به من باقى وجوهه وتألمت ، فإذا حَصَل العلم من بقية الوجوه كانت لذّته أشدّ من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة .

ومن أمثلته : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (١) ، فإن ﴿ اشرح ﴾ يفيد طلب شرح شيء ما ، و﴿ صدرى ﴾ يفيد تفسيره وبيانه . وكذلك ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (١) ، والمقام يقتضى التأكيد للإرسال المؤذن بتلقى الشدائد. وكذلك ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٢) فإنّ المقام يقتضى التأكيد لأنه مقام امتنان وتفخيم . وكذا ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ (٣) .

ومنه التفصيل بعد الإجمال ، نحو : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (٤) إلى قوله : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (٤) ، وعكسه كقوله : ﴿ ثَلَاثَةِ أيام فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (٥) أعيد ذكر « العشرة » لرفع توهّم أن الواو فى « وسبعة » ، بمعنى « أو » ، فتكون الثلاثة داخلة فيها ؛ كما فى قوله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فى أَرْبَعَةِ أيام ﴾ (٦) ؛ فإن من جملتها

(١) طه ٢٥ ، ٢٦ (٢) الشرح ١
(٣) الحجر ٦٦ (٤) التوبة ٣٦
(٥) البقرة ١٩٦ (٦) فصلت ٩ ، ١٠

اليومين المذكورين أولا ، وليست أربعةً غيرهما . وهذا أحسن الأجوبة فى الآية ، وهو الذى أشار إليه الزمخشرى ، ورجّحه ابن عبد السلام ، وجزم به الزملكانىّ فى « أسرار التنزيل » ، قال : ونظيره ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ (١) ، فإنه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة . قال ابن عسكر (٢) : وفائدة الوعد بثلاثين أوّلا ، ثم بعشر ليتجدّد له قرب انقضاء المواعدة ، ويكون فيه متأهّبامجتمع الرأى ، حاضر الذهن ؛ لأنه لو وعد بالأربعين أولا كانت متساوية ، فلمّا فُصلت استشعرت النفس قرب التمام ، وتجدّد بذلك عزمٌ لم يتقدم .

وقال الكرمانىّ فى العجائب : فى قوله : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ، ثمانية أجوبة : جوابان من التفسير ، وجواب من الفقه ، وجواب من النحو ، وجواب من اللغة ، وجواب من المعنى ، وجوابان من الحساب ، وقد سقتها فى « أسرار التنزيل » .

• • •

النوع الثانى عشر : التفسير .

قال أهل البيان : وهو أن يكون فى الكلام لبْسٌ وخفاء ، فيؤتَى بما يزيله ويفسّره .

ومن أمثلته : ﴿ إن الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾(٣) .

فقوله : « إذا مسّه » إلخ تفسير للهلوع ، كما قال أبو العالية وغيره .

---

(١) الأعراف ١٤٢

(٢) لعله محمد بن على بن الخضر المالقى ، صاحب كتاب « المشرع الروى فى الزيادة على غريبى الهروى » توفى سنة ٦٣٦ هـ . قضاة الأندلس : ٢٣١ .

(٣) المعارج ١٩ — ٢١

﴿ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ (١) ، قال البيهقى ، فى « شرح الأسماء الحسنى » : قوله : ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ﴾ تفسير للقيّوم .

﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ . . . ﴾ (٢) ، الآية ، فيذبحون وما بعده تفسير للسّوم .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب .. ﴾ (٣) الآية ، فـ « خلقه » وما بعده تفسير للمثل .

﴿ لاَ تَتخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (٤) فـ « تلقون » تفسير لاتخاذهم أولياء .

﴿ الصمَد ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد . . . ﴾ (٥) الآية ، قال محمد بن كعب القرظىّ : لم يلِد إلى آخره تفسير للصّمد ، وهو فى القرآن كثير ، قال ابن جنّى : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ماقبلها دونها ؛ لأن تفسير الشىء لاحق به ومتمّم له وجارٍ مجرى بعض أجزائِهِ .

• • •

النوع الثالث عشر : وضع الظاهر موضع المضمر

ورأيت فيه تأليفًا مفردًا لابن الصائغ ، وله فوائد :

منها زيادة التقرير والتمكين ، نحو : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ (٦) ، ﴿ وَبِالحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (٧) ، ﴿ إِنَّ اللهَ لَذُوفَضْل عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ

(١) البقرة ٢٥٥
(٢) البقرة ٤٩
(٣) آل عمران ٥٩
(٤) المتحنة ١
(٥) الاخلاص ٢ ، ٣
(٦) الاخلاص ١ ، ٢
(٧) الاسراء ١٠٥

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[١] ، ﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[٢] .

ومنها : قصد التعظيم ، نحو : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ واللهُ بكلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣] ، ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤] ، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٥] ، ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾[٦] .

ومنها : قصد الإهانة والتحقير ، نحو : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٧] ، ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[٨] .

ومنها : إزالة اللَّبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأوّل : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ ﴾[٩] ، لو قال : « تؤتيه » لأوهم أنه الأول ، قاله ابن الخشّاب . ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عليهم دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾[١٠] لأنه لو قال: «عليهم دائرته » لأوهم أن الضمير عائد إلى الله تعالى . ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾[١١] ، لم يقل : « منه » : لئلا يُتوهمّ عود الضمير إلى الأخ ، فيصير كأنّه مباشر بطلب خروجها ، وليس كذلك ؛ لما فى المباشرة من الأذى الذى تأباه النفوس الأبيّة فأُعيد لفظ « الظاهر » لنفى هذا ، ولم يقل : « من وعائه » ، لئلا يُتَوهم عود الضمير إلى يوسف ؛ لأنّ العائد عليه ضمير « استخرجها » .

(١) غافر ٦١
(٢) آل عمران ٧٨
(٣) البقرة ٢٨٢
(٤) المجادلة ٢٢
(٥) الاسراء ٧٨
(٦) الأعراف ٢٦
(٧) المجادلة ١٩
(٨) الأسراء ٥٣
(٩) آل عمران ٢٦
(١٠) الفتح ٦
(١١) يوسف ٧٦

ومنها : قصد تربية المهابه ، وإدخال الرّوع على ضمير السامع ، بذكر الاسم المقتضى لذلك ، كما تقول : الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا ، ومنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾(١) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾(٢) .

ومنها : قصد تقوية داعية المأمور ، ومنه ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٣) .

ومنها تعظيم الأمر ، نحو : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٤) ، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾(٥) ، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾(٦) .

ومنها : الاستلذاذ بذكره ، ومنه ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾(٧) ، لم يقل : « منها » ، ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة .

ومنها : قصدُ التوصّل من الظاهر إلى الوصف ، ومنه ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾(٧) ، بعد قوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﴾(٨) ، لم يقل : « فآمنوا بالله وبى » ليتمكن من إجراء الصفات التى ذكرها ، وليعلم أنّ الذى وجب الإيمان به والاتباع له هو مَنْ وُصِف بهذه الصفات ، ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك لأنه لا يُوصف .

ومنها : التنبيه على علّية الحكم ، نحو : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

---

(١) النساء ٥٨ (٢) النحل ٩٠
(٣) آل عمران ١٥٩ (٤) العنكبوت ١٩
(٥) العنكبوت ٢٠ (٦) الانسان ١ ، ٢
(٧) الزمر ٧٤ (٨) الأعراف ١٥٨

قِيلَ لَهُمْ ﴾ (١) ، ﴿ فَأَنْزَلْنَا على الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا ﴾ (٢) ، ﴿ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٣) ، لم يقل : « لهم » إعلامًا بأن من عادى هؤلاء فهو كافر ، وإنَّ الله إنما عاداه لكفره . ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾(٤) ، ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (٥) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(٦) .

ومنها : قصد العموم ، نحو : ﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ ﴾ (٧) ، لم يقل : « إنها » لئلا يفهم تخصيص ذلك بنفسه : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ (٨) ، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا ﴾ (٩) .

ومنها : قصد الخصوص ، نحو : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾(١٠) ، لم يقل : « لك » تصريحًا بأنه خاصٌّ به .

ومنها : الإشارة إلى عدم دخول الجملة فى حكم الأولى ، نحو : ﴿ فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ ﴾(١١) ، فإن « ويمح الله » استئناف لا داخلٌ فى حكم الشرط .

ومنها : مراعاة الجناس ، ومنه : ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ...﴾ (١٢) ، السورة ، ذكره الشيخ عز الدين ، ومثله ابن الصائغ بقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾(١٣) ، ثم قال : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾ .

---

(١) الأعراف ١٦٢
(٢) البقرة ٥٩
(٣) البقرة ٩٨
(٤) يونس ١٧
(٥) الأعراف ١٧٠
(٦) الكهف ٣٠
(٧) يوسف ٥٣
(٨) النساء ١٥١
(٩) النساء ٣٧
(١٠) الأحزاب ٥٠
(١١) الشورى ٢٤
(١٢) الناس ١
(١٣) العلق ٢ ، ٥ ، ٦

فإن المراد بالإنسان الأول الجنس ، وبالثانى آدم ، أو مَن يعلم الكتابة أو إدريس ، وبالثالث أبو جهل .

ومنها : مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ فى التركيب ، ذكره بعضهم فى قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ (١) .

ومنها : أن يتحمّل ضميرًا لابدّ منه ، ومنه : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ (٢) لو قال : ﴿ استطعماها ﴾ لم يصحّ ، لأنهما لم يستطعما القرية ، أو « استطعماهم » فكذلك ، لأن جملة « استطعما » صفة لقرية نكرة ، لا لـ « أهل » ، فلا بدّ أن يكون فيها ضمير يعود عليها ، ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر . كذا حرّره السبكىّ فى جواب سؤال سأله الصلاح الصفدى فى ذلك حيث قال :

أسيّدنا قاضى القضاة ومَنْ إذا بدَا وجهُه استحيا له القمرانِ
ومَنْ كفُّه يوم الندَى ويراعُه على طرسه بحرانِ يلتقيانِ
ومن إن دجت فى المشكلات مسائلُ جَلاها بفكرٍ دائمِ اللَّمَعَانِ
رأيتُ كتابَ الله أكبر معجزٍ لأفضل مَنْ يُهْدَى به الثقلانِ
ومن جملة الإعجاز كون اختصارِه بإيجاز ألفاظٍ وبَسْط معانِ
ولكنّنى فى الكهف أبصرت آيةً بها الفِكْرُ فى طول الزّمان عَنانِى
وما هى إلا « استطعما أهلها » فقد نرَى استطعماهم مثله بِبَيان
فما الحكمةُ الغرّاءُ فى وضع ظاهرٍ مكان ضمير إن ذاك لِشانِ
فأرشدْ عَلَى عادات فضلك حَيْرتى فمالِى بها عند البيان يَدانِ

---

(١) البقرة ٢٨٢ (٢) الكهف ٧٧

تنبيه

إعادة الظاهر بمعناه أحسن من إعادته بلفظه كما مرّ فى آيات : ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١] ، ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[٢] ، ونحوها .

ومنه ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٣] ، فإن إنزال الخير مناسب للربوبية ، وأعاده بلفظ « الله » لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للإلٰهية لأن دائرة الربوبية أوسع .

ومنه ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[٤] . وإعادته فى جملة أخرى أحسنُ منه فى الجملة الواحدة لانفصالها ، وبعد الطول أحسن من الإضمار لئلا يبقى الذهن متشاغلاً بسبب مايعود عليه ؛ فيفوته ما شرع فيه ، كقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾[٥] بعد قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾[٦] .

• • •

النوع الرابع عشر : الإيغال ، وهو الإمعان

وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها ،وزعم بعضهم أنه خاصّ بالشعر ، ورُدّ بأنه وقع فى القرآن من ذلك ﴿ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ٭ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٧] ، فقوله : « وهم مهتدون » إيغال ،

---

(١) الأعراف ١٧٠
(٢) الكهف ٣٠
(٣) البقرة ١٠٥
(٤) الأنعام ١
(٥) الأنعام ٨٣
(٦) الأنعام ٧٤
(٧) يس ٢٠ ، ٢١

لأنه يتمّ المعنى بدونه ، إذ الرسول مهتد لامحالة ، لكن فيه زيادة مبالغة فى الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه .

وجعل ابن أبى الإصبع منه ﴿ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إذا وَلَّوْا مُدْبِرِين ﴾[١] فإن قوله : « إذا وَلَّوْا مُدْبِرِين » زائد على المعنى مبالغة فى عدم انتفاعهم . ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِن اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾[٢] زائد على المعنى لمدح المؤمنين والتعريض بالذم لليهود ،وأنهم بعيدون عن الإيقان ، ﴿ إنهُ لحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُون ﴾[٣] ، فقوله : « مثل ما » إلى آخره إيغال زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد ، وأنه واقع معلوم ضرورة لايرتاب فيه أحد .

النوع الخامس عشر : التَّذييل

وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة ، والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ، ويتقرّر عند من فهمه نحو : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وهل نجازى إلاَّ الكفورَ ﴾[٤] ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٥] ﴿ وَمَاجَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[٦] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[٧] ، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[٨] .

* * *

(١) النمل ٨٠
(٢) المائدة ٥٠
(٣) الذاريات ٢٣
(٤) سبا ١٧
(٥) الاسراء ٨١
(٦) الأنبياء ٣٤
(٧) آل عمران ١٨٥
(٨) فاطر ١٤

النوع السادس عشر – الطَّرد والعكس

قال الطِّيبيّ : وهو أن يؤتى بكلامين ، يقرّر الأوّل بمنطوقه مفهومَ الثاني وبالعكس كقوله : ﴿ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾(١) . فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصّة مقرّر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها . وبالعكس . وكذا قوله : ﴿ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٢) .

قلت : وهذا النوع يقابله في الإيجاز نوع الاحتباك .

٭ ٭ ٭

النوع السابع عشر – التكميل

ويسمّى بالاحتراس . وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(٣) . فإنه لو اقتصر على « أذلّة » لتُوهِّم أنه لضعفهم . فدفعه بقوله : « أعزّة » . ومثله ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٤) : لو اقتصر على « أشدّاء » لتُوُهِّمَ أنه لغلظهم . ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾(٥) . ﴿ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾(٦) . احتراس لئلا يُتوهّم نسبة الظلم إلى سليمان . ومثله ﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٧) . وكذا ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ

(١) النور ٥٨ (٢) التحريم ٦
(٣) المائدة ٥٤ (٤) الفتح ٢٩
(٥) طه ٢٢ (٦) النمل ١٨
(٧) الفتح ٢٥

والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [١] ، فالجملة الوسطى احتراس لئلاً يُتوهم أن التكذيب مما فى نفس الأمر .

قال فى عروس الأفراح : فإن قيل : كلّ من ذلك أفاد معنى جديدًا ، فلا يكون إطنابًا . قلنا : هو إطناب لما قبله من حيث رفع توهّم غيره ، وإن كان له معنى فى نفسى .

• • •

النوع الثامن عشر – التتميم

وهو أن يؤتَى فى كلام لايوهِم غير المراد بفضله تفيد نكتة ، كالمبالغة فى قوله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [٢] ، أى مع حب الطعام ، أى اشتهائه فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرًا ومثله : ﴿ وَآتَى الْمالَ عَلَى حُبِّه ﴾ [٣] ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مؤمن فَلاَ يَخَافُ ﴾ [٤] فقوله : «وهو مؤمن» تتميم فى غاية الحسن .

• • •

النوع التاسع عشر – الاستقصاء

وهو أن يتناول المتكلم معنًى فيستقصيه ، فيأْتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية ، بحيث لايترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا ، كقولة تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ... ﴾ [٥] ، الآية فإنه تعالى لو اقتصر على قوله : « جنة » لكان كافيًا ، فلم يقف عند ذلك حتى قال فى تفسيرها : ﴿ من نخيل وأعناب ﴾ فإن مصاب صاحبها بها أعظم ، ثم

(١) المنافقون ١
(٢) الانسان ٨
(٣) البقرة ١٧٧
(٤) طه ١١٢
(٥) البقرة ٢٦٦

زاد ﴿ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ﴾، متمّما لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال : ﴿ له فيها مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ ، فأتى بكل مايكون فى الجنان ليشتدّ الأسف على إفسادها ، ثم قال فى وصف صاحبها : ﴿ وأصابَهُ الكِبَرُ ﴾، ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تعظيم المصاب ، بقوله بعد وصفه بالكبَر :

﴿وله ذرية﴾ ، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بـ " ضعفاء " ثم ذكر استئصال الجنة التى ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال : ﴿ فَأَصَابهَا إِعْصَارٌ ﴾ ، ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لايحصّل سرعة الهلاك ،فقال : ﴿ فيه نار ﴾ ، ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة ، لا تفى باحتراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار . فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله : ﴿ فاحترقت ﴾ فهذا أحسن استقصاء وقع فى كلام وأتمّه وأكمله !.

قال ابن أبى الإصبع : والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل : أن التتميم يرد على المعنى الناقص ليتمّم . والتكميل يرد على المعنى التام فيكمّل أوصافه . والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه ، حتى يستوعبَ جميع ما تقع الخواطر عليه ، فلايبقى لأحد فيه مساغ .

• • •

النوع العشرون ــ الاعتراض

وسمّاه قدامة التفاتًا ، وهو الإتيان بجملة أو أكثر لامحلّ لها من الإعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الإيهام ، كقوله : ﴿ وَيَجْعَلُونَ

لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون ﴾(١) ، فقوله :﴿ سبحانه ﴾اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات ، والشناعة على جاعليها . وقوله : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ (٢) ، فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك .

ومن وقوعه بأكثر من جملة ﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، نساؤكم حرث لكم ﴾(٣) ، فقوله : ﴿ نساؤكم ﴾ متصل بقوله : ﴿ فأتوهن ﴾ ، لأنه بيان له ، وما بينهما اعتراض الحث على الطهارة وتجنب الأدبار . وقوله : ﴿ ياأرض ابلعي ماءك ﴾ إلى قوله : ﴿ وقيل بعدا ﴾ (٤) ، فيه اعتراض بثلاث جمل ، وهي ﴿ وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي﴾ . قال في الأقصى القريب : ونكتته إفادة أن هذا الأمر واقع بين القولين لامحالة ، ولو أتى به آخرا لكان الظاهر تأخره ، فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر. ثم فيه اعتراض في اعتراض ، فإن « وقضي الأمر » معترض بين « وغيض » و « واستوت » لأن الاستواء يحصل عقب الغيض. وقوله : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾إلى قوله : ﴿ متكئين على فرش ﴾(٥) ، فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالاً منه .

ومن وقوع اعتراض في اعتراض ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقرآن كريم ﴾(٦) ، اعتراض بين القسم وجوابه بقوله : ﴿ وإنه لقسم .. ﴾ الآية ، وبين القسم وصفته بقوله : ﴿ لوتعلمون ﴾ تعظيما للمقسم به وتحقيقا لإجلاله ، وإعلاما لهم بأن له عظمة لايعلمونها . قال الطيبي في التبيان : ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة ، مع أن مجيئه مجيء مالا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب .

---

(١) النحل ٥٧
(٢) الفتح ٢٧
(٣) البقرة ٢٢٢ ، ٢٢٣
(٤) هود ٤٤
(٥) الرحمن ٤٦ - ٥٤
(٦) الواقعة ٧٥ - ٧٧

النوع الحادى والعشرون ـ التعليل .

وفائدته ، التقرير والأبلغية ، فإنَّ النفوس أبعث على قبول الأَحكام المعلَّلة من غيرها ، وغالب التعليل فى القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأُولى .

وحروفه : اللَّام ، وإن ، وأنَّ ، وإذ ، والباء ، وكى ، ومن ، ولعلّ ، وقد مضت أمثلتها فى نوع الأدوات .

وممّا يقتضى التعليل لفظ « الحكمة » كقوله : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ [١] ، وذكر الغاية من الخلق نحو قوله : ﴿ جَعَلَ لكمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّماءَ بِنَاءً ﴾ [٢] ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [٣] .

• • •

(١) القمر ٥ (٢) البقرة ٢٢
(٣) النبأ ٦ ، ٧

النوع السابع والخمسون

فى الخبَر والإنشاء

اعلم أن الحذّاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبةً على انحصار الكلام فيهما ، وأنه ليس له قسم ثالث .

وادّعى قوم أن أقسام الكلام عشرة : نداء ، ومسألة ، وأمر ، وتشفُّع ، وتعجّب ، وقَسَم ، وشرط ، ووضع ، وشك ، واستفهام .

وقيل : تسعة ، بإسقاط الاستفهام لدخوله فى المسألة .

وقيل : ثمانية ، بإسقاط التشفع لدخوله فيها .

وقيل : سبعة بإسقاط الشكّ لأنه من قسم الخبر .

وقال الأخفش : هى ستة : خبر ، واستخبار ، وأمر ، ونهى ، ونداء ، وتمَنٍّ .

وقال بعضهم : خمسة : خبر ، وأمر ، وتصريح ، وطلب ، ونداء .

وقال قوم : أربعة : خبر ، واستخبار ، وطلب ، ونداء .

وقال كثيرون : ثلاثة : خبر ، وطلب ، وإنشاء ، قالوا : لأن الكلام إمّا أن يحتمِل التصديق والتكذيب أولا ، الأول الخبر ، والثانى إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء ، وإن لم يقترن بل تأخّرَ عنه فهو الطلب . والمحققون على دخول الطلب فى الإنشاء ، وأنّ معنى « اضرب » مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه ، وأمّاالضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلّق الطلب لانفسه .

وقد اختلف الناس فى حدّ الخبر ، فقيل : لايُحَدّ لِعُسْرِه ،وقيل :لأنه ضرورىّ

لأن الإنسانَ يفرّق بين الإنشاء والخبر ضرورة ، ورجّحه الإمام فى المحصول[1] والأكثر على حدّه ، قال القاضى أبو بكر والمعتزلة : الخبر الكلام الذى يدخله الصدق والكذب ، فأُورِد عليه خبر الله تعالى ، فإنه لا يكونُ إلاَّ صادقًا ؛ فأجاب القاضى بأنَّه يصحّ دخوله لغة .

وقيل : الذى يدخله التصديق والتكذيب ، وهو سالم من الإيراد المذكور .

وقال أبو الحسن البصرىّ : كلام يفيد بنفسه نسبة ؛ فأُورِد عليه نحو « قم » ، فإنه يدخل فى الحدّ ؛ لأن القيام منسوب والطلب منسوب .

وقيل : الكلام المفيد بنفسه إضافةَ أمر من الأمور إلى أمر من الأُمور نفيًا أو إثباتًا .

وقيل : القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفى أوالإثبات.

وقال بعض المتأخرين : الإنشاء مايحصل مدلوله فى الخارج بالكلام ، والخبر خلافه .

وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة : الكلام إنْ أفاد بالوضع طلبًا ، فلا يخلُو إمّا أن يكون بطلب ذكر الماهيّة ، أو تحصيلها ، أو الكف عنها ، والأول الاستفهام ، والثانى الأمر ، والثالث النهى. وإن لم يفد طلبًا بالوضع ؛ فإن لم يحتمل الصدق والكذب سُمّىَ تنبيهًا وإنشاء لأنك نبهت به على مقصودك وأنشأْته : أى ابتكرته من غير أن يكون موجودًا فى الخارج سواء أفاد طلبًا باللازم كالتمنّى والترجّى والنداء والقَسَم ، أم لا : كأنتِ طالق ، وإن احتملهما من حيث هو فهو الخبر .

• • •

(١) المحصول في أصول الفقه لفخر الدين محمد الرازي

فصـــل

القصد بالخبر إفادة المخاطب ، وقد يرد بمعنى الأمر ، نحو : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ (١) ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ (٢) .

وبمعنى النهى ، نحو : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٣) .

وبمعنى الدعاء ، نحو : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٤) ، أى أعنّا ؛ ومنه ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٥) ، فإنه دعاء عليه ، وكذا ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ (٦) .

وجعل منه قوم ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ (٧) ، قالوا : هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد .

ونازع ابنُ العربىّ فى قولهم : إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهى ، قال فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ (٨) : ليس نفيًا لوجود الرَّفث ، بل نفىٌ لمشروعيّته ، فإن الرفث يوجد من بعض الناس ، وأخبار الله تعالى لايجوز أن تقع بخلاف مخبره ؛ وإنما يرجع النفى إلى وجوده مشروعًا لا إلى وجوده محسوسًا ، كقوله ، ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ (٢) ؛ ومعناه مشروعًا لامحسوسًا ، فإنا نجد مطلقات لايتربّصن ،فعاد النفىُ إلى الحكم الشرعىّ لاإلى الوجود الحسّى . وكذا ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٩) ، أى لايمسّه أحد منهم شرعًا ، فإن وجد المسّ فعلى خلاف حكم الشرع ، قال : وهذه الدّفينة التى فاتت العلماء ، فقالوا : إن

---

(١) البقرة ٢٣٣
(٢) البقرة ٢٢٨
(٣) الواقعة ٧٩
(٤) الفاتحة ٥
(٥) المسد ١
(٦) المائدة ٦٤
(٧) النساء ٩٠
(٨) البقرة ١٩٧
(٩) الواقعة ٧٩

الخبر يكون بمعنى النهى ، وما وجد ذلك قط ، ولا يصحّ أن يوجد ؛ فإنهما مختلفان حقيقة ويتباينان وضعًا . انتهى .

• • •

فرع

من أقسامه على الأصحّ التعجب ، قال ابن فارس [١] : وهو تفضيل شىء على أضرابه .

وقال ابن الضائع [٢] : استعظام صفة ، خرج بها المتعجَّب منه عن نظائره .

وقال الزمخشريّ : معنى التعجّب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين ؛ لأن التعجّب لا يكون إلا من شىء خارج عن نظائره وأشكاله .

وقال الرّمانىّ : المطلوب فى التعجّب الإبهام ؛ لأن مِنْ شأن الناس أن يتعجّبوا ممّا لا يُعْرَف سببه ، فكلما استبهم السبب كان التعجّب أحسن . قال : وأصل التعجّب إنّما هو للمعنى الخفى سببه . والصيغة الدّالّة عليه تسمّى تعجّبًا مجازًا . قال : ومن أجل الإبهام لم تَعْمل « نعم » إلاّ فى الجنس من أجل التفخيم ؛ ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر .

ثم قد وضعوا للتعجّب صيغًا من لفظه . وهى « ماأَفْعَل » و « أَفْعِل به » وصيغًا من غير لفظه . نحو « كَبُر » كقوله : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[٣] . ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ ﴾[٤] ، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ ﴾[٥] .

• • •

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا ، من أكابر أئمة اللغة وحذاقها . وصاحب كتاب «الصاحبى» فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها . توفى سنة ٣٩٥ . ابن خلكان ١ : ٣٦ .

(٢) هو على بن محمد بن على بن يوسف الاشبيلى المعروف بابن الضائع ، أحد علماء العربية بالأندلس . توفى سنة ٦٨٠ هـ .

(٣) الكهف ٥

(٤) الصف ٣

(٥) البقرة ٢٨

قاعدة

قال المحقّقون : إذا ورد التعجّب من الله صُرِف إلى المخاطب ، كقوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾(١) ؛ أى هؤلاء يجب أن يتعجّب منهم ، وإنما لا يُوصف تعالى بالتعجّب ؛ لأنه استعْظام يصحبه الجهل ، وهو تعالى منزّه عن ذلك ، ولهذا تُعبِّر جماعة بالتعجِيب بدلَه : أى أنه تعجيب من الله للمخاطبين ، ونظير هذا مجيء الدعاء والترجِّى منه تعالى ، إنّما هو بالنظر إلى ماتفهمه العرب ، أى هؤلاء ممّا يجب أن يقال لهم : عندكم هذا ، ولذلك قال سيبويه فى قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾(٢) والمعنى : اذهبا على رجائكما وطمعكما ، وفى قوله : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾(٣) ، ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٤) : لا نقول هذا دعاء ؛ لأن الكلام بذلك قبيح ، ولكن العرب إنّما تكلّموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم و على مايعنون ، فكأنه قيل لهم : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، أى هؤلاء ممّا وجب هذا القول لهم ؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والهلكة ، فقيل : هؤلاء ممّن دخل فى الهلكة .

* * *

فرع

من أقسام الخبر : الوعد والوعيد ، نحو : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ ﴾(٥) ، ﴿ وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أى مُنْقَلَبٍ ﴾(٦) ، وفى كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء .

* * *

(١) البقرة ١٧٥
(٢) طه ٤٤
(٣) المطففين ١
(٤) المطففين ١٠ والمرسلات
(٥) فصلت ٥٣
(٦) الشعراء ٢٢٧

فرع

من أقسام الخبر النفى ، بل هو شطرُ الكلام كلّه ، والفرق بينه وبين الجحْد ، أن النافى إن كان صادقًا سُمِّىَ كلامه نفيًا ولا يسمّى جَحْدًا ، وإن كان كاذبًا سمِّىَ جحدًا ونفيًا أيضًا ، فكلُّ جَحْد نفى ، وليس كل نفى جَحْدًا ، ذكره أبو جعفر النحاس وابن الشجرىّ وغيرهما .

مثال النفى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [1] .

ومثال الجَحْد نفى فرعون وقومه آيات موسى ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [2] .

وأدوات النفى : لا ، ولات ، وليس ، وما ، وإن ، ولم ، ولمّا ، وقد تقدّمت معانيها ، وما افترقت فيه فى نوع الأدوات .

ونورد هنا فائدة زائدة ، قال الخوِيّ : أصل أدوات النفى لا ، وما ، لأنّ النفى إمّا فى الماضى وإمّا فى المستقبل ، والاستقبال أكثر من الماضى أبدًا ، ولا أخفّ من ما ، فوضعوا الأخفّ للأكثر .

ثم إن النفى فى الماضى ، إمّا أن يكون نفيًا واحدًا مستمرًّا ، أو نفيًا فيه أحكام متعدّدة ، وكذلك النّفى فى المستقبل ؛ فصار النفى على أربعة أقسام ، واختاروا له أربع كلمات : ما ، ولم ، ولن ، ولا ، وأما إنْ ولمّا فليسا بأصلين ، فما ولا فى الماضى والمستقبل متقابلان ، ولمْ كأنه مأخوذ من لا وما ، لأنّ لم نفى للاستقبال لفظًا والمضىّ معنًى ، فأخذ اللّام من « لا » التى هى لنفى المستقبل والميم من « ما » التى هى لنفى الماضى ، وجمع بينهما إشارة إلى أن فى « لم » إشارة إلى المستقبل والماضى ، وقدم اللّام على الميم إشارة إلى أن « لا » هى أصل

(١) الأحزاب ٤٠ (٢) النمل ١٣ ، ١٤

النفى ؛ ولهذا يُنفى بها فى أثناء الكلام ، فيقال : لم يفعل زيد ولا عمرو ، وأمّا «لمّا» فتركيب بعد تركيب ، كأنه قال : لم وما لتوكيد معنى النفى فى الماضى .

وتفيد الاستقبال أيضا ، ولهذا تفيد «لمّا» الاستمرار .

• • •

تنبيهات

الأول : زعم بعضهم أن شرط صحة النفى عن الشىء صحّة اتصاف المنفىّ عنه بذلك الشىء ، وهو مردود بقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[(١)] ، ﴿ وَمَا كان ربُّك نسيا ﴾[(٢)] ، ﴿ لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[(٣)] ونظائره ، والصّواب أن انتفاء الشئ . عن الشىء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا ؛ وقد يكون لكونه لايقع منه مع إمكانه .

الثانى : نفى الذات الموصوفة ، قد يكون نفيًا للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيًا للذّات أيضًا . من الأول ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾[(٤)] ، أى بل هم جسد يأكلونه ، ومن الثانى ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[(٥)] ، أى لاسؤال لهم أصلاً ، فلا يحصل منهم إلحاف ، ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[(٦)] ، أى لاشفيع لهم أصلاً ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[(٧)] ، أى لاشافعين لهم فتنفعهم شفاعتهم ، بدليل ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾[(٨)] . ويسمّى هذا النوع عند أهل البديع نفى الشىء بإيجابه . وعبارة ابن رشيق فى تفسيره : أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشىء وباطنه نفيه ، بأن ينفى ماهو

(١) الأنعام ١٣٢
(٢) مريم ٦٤
(٣) البقرة ٢٥٥
(٤) الأنبياء ٨
(٥) البقرة ٢٧٣
(٦) غافر ١٨
(٧) المدثر ٤٨
(٨) الشعراء ١٠٠

من سببه كوصفه وهو المنفىّ فى الباطن ، وعبارة غيره أن يُنفى الشىء مقيّدًا ، والمراد نفيه مطلقًا مبالغة فى النفى وتأكيدًا له ، ومنه ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ (١) ، فإن « الإله مع الله » لايكون إلا عن غير برهان ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٢) فإنّ قتلهم لا يكون إلا بغير حقّ ﴿ رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (٣) فإنها لا عمد لها أصلاً .

الثالث : قد ينفى الشىء رأسًا لعدم كمال وصفه ، أوانتفاء ثمرته ، كقوله فى صفة أهل النار : ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ (٤) ، فنفى عنه الموت ؛ لأنه ليس بموت صريح ، ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة ، ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٥) ؛ فإنّ المعتزلة احتجّوا بها على نفى الرؤية ؛ فإن النظر فى قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٦) لايستلزم الإبصارَ . ورُدّ بأن المعنى أنها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئًا ، ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٧) ؛ فإنه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القَسَمىّ ، ثم نفاه آخرًا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم . قاله السكاكىّ .

الرابع : قالوا : المجاز يصحّ نفيه بخلاف الحقيقة ، وأُشكل على ذلك ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ ﴾ (٨) فإن المنفىّ فيه هو الحقيقة . وأُجيب بأن المرادَ بالرَّمْى هنا المترتّب عليه ؛ وهو وصوله إلى الكفار ، فالوارد عليه

(١) المؤمنون ١١٧
(٢) البقرة ٦١
(٣) الرعد ٢
(٤) الأعلى ١٣
(٥) الأعراف ١٩٨
(٦) القيامة ٢٣
(٧) البقرة ١٠٢
(٨) الأنفال ١٧

النفي هنا مجاز لاحقيقة ، والتقدير : وما رميت خلقًا إذ رميت كسبًا ، أومارميت انتهاء إذ رميت ابتداء .

الخامس : نفي الاستطاعة ، قد يراد به نفي القدرة والإمكان ، وقد يراد به نفيُ الامتناع ، وقد يراد به الوقوع بمشقّة وكلفة .

من الأول ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾[1] ، ﴿ فلا يستطيعون ردّها ﴾[2] ، ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا له نَقْبًا ﴾[3] .

ومن الثاني : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾[4] ، على القراءتين ، أي هل يفعل ، أو هل تجيبنا إلى أن تسأل ؛ فقد علموا أنه قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال .

ومن الثالث ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾[5] .

• • •

قاعدة

نفي العامّ يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدلّ على ثبوته . وثبوت الخاصّ يدل على ثبوت العامّ ، ونفيه لايدلّ على نفيه ، ولا شكّ أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به ، فلذلك كان نفيُ العام أحسنَ من نفي الخاص ، وإثبات الخاصّ أحسن من إثبات العام ، فالأول كقوله : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ ﴾[6] ، لم يقل : « بضوئهم » بعد قوله : ﴿ أضاءتْ ﴾ لأن النور أعم من الضّوء ، إذ يقال على القليل والكثير ، وإنّما يقال الضوء على النور الكثير ، ولذلك قال : ﴿هُوَ الذى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا﴾[7] .

---

(١) يس ٥٠
(٢) الأنبياء ٤٠
(٣) الكهف ٩٧
(٤) المائدة ١١٢ والقراءة الثانية بالتاء
(٥) الكهف ٦٧
(٦) البقرة ١٧
(٧) يونس ٥

ففى الضوء دلالة على النور ، فهو أخصّ منه ، فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس ، والقصد إزالةُ النور عنهم أصلاً ، ولذا قال عقبه : ﴿ وتركهم فى ظلمات ﴾ .

ومنه ﴿ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾ (١) ، ولم يقل « ضلال » ، كما قالوا : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ ﴾ (٢) ؛ لأنها أعمّ منه ، فكان أبلغ فى نفي الضلال ، وعبّر عن هذا بأنّ نفى الواحد يلزم منه نفى الجنس ألبتّة ، وبأنّ نفى الأدنى يلزم منه نفى الأعلى .

والثانى كقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ (٣) ولم يقل : « طولها » لأن العرض أخصّ ؛ إذ كلّ ماله عرض فله طول ، ولا ينعكس . ونظير هذه القاعدة أن نفى المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفىَ أصل الفعل . وقد أُشكل على هذا آيتان : قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٥) .

وأُجيب عن الآية الأولى بأجوبة :

أحدها : أنّ « ظلّاما » وإن كان للكثرة لكنه جيء به فى مقابلة « العبيد » ، الذى هو جمع كثرة ، ويرشحه أنه تعالى قال : ﴿ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٦) ، فقابل صيغة « فعّال » بالجمع ، وقال فى آية أُخرى : ﴿ عَالِمَ الْغَيْبِ ﴾ (٧) ، فقابل صيغة « فاعل » الدالة على أصل الفعل بالواحد .

الثانى : أنّه نفَى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة ؛ لأن الذى يظلم ،

(١) الاعراف ٦١ (٢) الأعراف ٦٠
(٣) آل عمران ١٣٣ (٤) فصلت ٤٦
(٥) مريم ٦٤ (٦) المائدة ١٠٩
(٧) الزمر ٤٦

إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأَنْ يترك القليل أَوْلَى .

الثالث : أنَّه على النسبة ، أى بذى ظلم ، حكاه ابن مالك عن المحققين .

الرابع : أنه أتى بمعنى « فاعل » لا كثرة فيه .

الخامس : أنَّ أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرًا ، كما يقال : زلَّة العالِم كبيرة .

السادس : أنَّه أراد : ليس بظالم ، ليس بظالم ، ليس بظالم ؛ تأكيدًا للنفى ؛ فعبَّر عن ذلك بـ « ليس بظلام » .

السابع : أنه ورد جوابًا لمن قال « ظَلاَّم » ، والتكرار إذا ورد جوابًا لكلام خاص لم يكن له مفهوم .

الثامن : أنَّ صيغة المبالغة وغيرها فى صفات الله سواء فى الإثبات ، فجرى النفى على ذلك .

التاسع : أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاَّمًا للعبيد من ولاة الجوْر .

ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة ، وبعاشر ، وهو مناسبة رءوس الآى .

• • •

فائدة

قال صاحب الياقوتة : قال ثعلب والمبرّد : العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخبارًا ، نحو : ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾(١) ، والمعنى : إنَّما جعلناهم جسدًا يأكلون الطعامَ ، وإذا كان الجحْد فى أول الكلام

(١) الأنبياء ٨

كان جحدًا حقيقيًا نحو: «ما زيد بخارج»، وإذا كان في أول الكلام جحدان كان أحدهما زائدًا، وعليه ﴿ فيما إنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾(١) في أحد الأقوال.

* * *

فصل

من أقسام الإنشاء الاستفهام؛ وهو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار.

وقيل: الاستخبار ماسبق أولا، ولم يُفهم حقّ الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانيًا كان استفهامًا. حكاه ابن فارس في فقه اللغة.

وأدواته: الهمزة، وهل، وما، ومَنْ، وأيّ، وكَمْ، وكيف، وأيْنَ، وأنّى، ومتى، وأيّان؛ ومرّت في الأدوات.

وقال ابن مالك في المصباح: وما عدا الهمزة نائب عنها؛ ولكونه طلب ارتسام صورة(*) مَا في الخارج في الذهن، لزم ألاّ يكون حقيقة إلاّ إذا صدر من شاكّ مصدّق بإمكان الإعلام؛ فإنّ غير الشاكّ إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدّق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام.

وقال بعض الأئمة: وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنّما يقع في خطاب الله، على معنى أنّ المخاطب عنده عِلْم ذلك الإثبات أو النفي حاصل.

وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازًا. وألّف في ذلك العلاّمة شمس الدين بن الصائغ(٢) كتابًا سمّاه «روض الأفهام في أقسام الاستفهام»،

---

(١) الأحقاف ٢٦

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن الحنبلي المعروف بابن الصائغ، المتوفى ٧٧٦ هـ، ذكره صاحب كشف الظنون.

(*) هذه الكلمة من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٨١

قال فيه : قد توسّعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان ، أوأشربته تلك المعانى ، ولا يختص التجوّز فى ذلك بالهمزة خلافا للصفّار .

الأول : الإنكار ، والمعنى فيه على النفى وما بعده منفى ، ولذلك تصحبه « إلا » كقوله : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) ، ﴿ وَهَلْ نُجَازِى إلا الْكَفُور ﴾ (٢) وعطِف على المنفىّ فى قوله : ﴿ فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِين ﴾ (٣) ، أى لا يهدى ، ومنه ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتبعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ (٥) ، أى لانؤمن ، ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَات وَلَكُمُ الْبَنُون ﴾ (٦) ، ﴿ أَلَكُمُ الذكَرُ وَلَهُ الأُنثَى ﴾ (٧) ، أى لايكون هذا ، ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ (٨) ، أى ماشهدوا ذلك .

وكثيرًا مايصحبه التكذيب وهو فى الماضى بمعنى « لم يكن » ، وفى المستقبل بمعنى « لا يكون » ، نحو : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بالْبَنِين ... ﴾ (٩) الآية ، أى لم يفعل ذلك ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (١٠) ، أى لا يكون هذا الإلزام .

الثانى : التوبيخ ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار ، إلا أن الأول إنكار إبطال ، وهذا إنكار توبيخ ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفَى ، فالنفى هنا غير قصدِىّ والإثبات قصدِىّ ، عكس ما تقدم ، ويعبّر عن ذلك

(١) الأحقاف ٣٥
(٢) سبا ١٧
(٣) الروم ٢٩
(٤) الشعراء ١١١
(٥) المؤمنون ٤٧
(٦) الطور ٣٩
(٧) النجم ٢١
(٨) الزخرف ١٩
(٩) الاسراء ٤٠
(١٠) هود ٢٨

بالتقريع أيضا ، نحو : ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾[١] ، ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَاتَنْحِتُونَ ﴾[٢] ، ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾[٣] .

وأكثر مايقع التوبيخ فى أمر ثابت ، ووُبّخ على فعله كما ذكر ، ويقع على ترك فعل كان ينبغى أن يقع ، كقوله : ﴿ أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ﴾[٤] ، ﴿ مَايَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّر ﴾[٤] ، ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْض الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[٥] .

الثالث : التقرير ، وهو حَمْل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده ، قال ابن جِنّى : ولا يستعمل ذلك بهل ، كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام ، وقال الكِندِيّ : ذهب كثير من العلماء فى قوله : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنْفعونَكُمْ ﴾[٦] : إلى أنّ « هل » تشارك الهمزة فى معنى التقرير والتوبيخ ، إلا أنى رأيت أبا علىّ أبَى ذلك ، وهو معذور لأن ذلك من قبيل الإنكار .

ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لايكون بهل ، إنما يستعمل فيه الهمزة ، ثم نقل عن بعضهم أن « هل » تأتى تقريرًا كما فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ ﴾[٧] .

والكلام مع التقرير موجب ، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ، ويعطف على صريح الموجب ، فالأول كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾[٨] ، ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ﴾[٩] ، ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ ﴾[١٠] والثانى : نحو ﴿ أَكَذَّبْتُمْ

(١) طه ٩٣
(٢) الصافات ٩٥
(٣) الصافات ١٢٥
(٤) فاطر ٣٧
(٥) النساء ٩٧
(٦) الشعراء ٧٢ ، ٧٣
(٧) الفجر ٥
(٨) الشرح ١ ، ٢
(٩) الضحى ٦ ، ٧
(١٠) الفيل ٢ ، ٣

﴿بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾[١] على ماقرره الجرجانيّ من جعلها مثل ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٢].

وحقيقة استفهام التقرير ، أنه استفهام إنكار ، والإنكار نفى ، وقد دخل على النفى ، ونفىُ النفى إثبات ، ومن أمثلته : ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٣] ، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٤] ؛ وجعل منه الزمخشرىّ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كل شيء قدير﴾[٥].

الرابع : التعجّب أوالتعجيب ، نحو : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾[٦] ، ﴿مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾[٧]. وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه فى قوله : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾[٨]

قال الزمخشرىّ : الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجّب من حالهم .

ويحتمل التعجّب والاستفهام الحقيقىّ ﴿ما ولاّهم عن قبلتهم﴾

الخامس : العتاب ، كقوله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾[٩] ، قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلاّ أربع سنين ، أخرجه الحاكم . ومن ألطفه ماعاتب الله به خير خلقه بقوله : ﴿عفا الله عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[١٠] ، ولم يتأدب الزمخشرىّ بأدب الله فى هذه الآية على عادته فى سوء الأدب .

السادس : التذكير، وفيه نوع اختصار ، كقوله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي

(١) النمل ٨٤ (٢) النمل ١٤
(٣) الزمر ٣٦ (٤) الأعراف ١٧٢
(٥) البقرة ١٠٦ (٦) البقرة ٢٨
(٧) النمل ٢٠ (٨) البقرة ٤٤
(٩) الحديد ١٦ (١٠) التوبة ٤٣

آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾[١] . ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢] ، ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾[٣] .

السابع : الافتخار ، نحو : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾[٤] .

الثامن : التفخيم ، نحو : ﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً ﴾[٥] .

التاسع : التهويل والتخويف ، نحو : ﴿ الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ، ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ .

العاشر : عكسه ، وهو التسهيل والتخفيف ، نحو : ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا ﴾[٦] .

الحادى عشر : التهديد والوعيد ، نحو : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾[٧] .

الثانى عشر : التكثير ، نحو : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾[٨] .

الثالث عشر : التسوية ، وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾[٩] .

الرابع عشر : الأمر ، نحو : ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾[١٠] أى أسلموا ، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[١١] أى انتهوا ، ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾[١٢] أى اصبروا

الخامس عشر : التنبيه ، وهو من أقسام الأمر ، نحو : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ

(١) يس ٦٠ — (٢) البقرة ٣٣
(٣) يوسف ٨٩ — (٤) الزخرف ٥١
(٥) الكهف ٤٩ — (٦) النساء ٣٩
(٧) المرسلات ١٦ — (٨) الأعراف ٤
(٩) البقرة ٦ — (١٠) آل عمران ٢٠
(١١) المائدة ٩١ — (١٢) الفرقان ٢٠

كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ (١) أى انظر ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ (٢) ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه ، ولذلك رفع الفعل فى جوابه ، وجعل منه قوله : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ (٣) للتنبيه على الضلال ، وكذا : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلة إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه ﴾ (٤).

السادس عشر : الترغيب ، نحو : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (٥) ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ﴾ (٦) .

السابع عشر : النهى ، نحو : ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ (٧) بدليل ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ (٨) ، ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٩) ، أى لاتغترّ .

الثامن عشر : الدّعاء ، وهو كالنهى ، إلاّ أنّه من الأدنى إلى الأعلى ، نحو : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ ﴾ (١٠) ، أى لا تهلكنا .

التاسع عشر : الاسترشاد ، نحو : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (١١) .

العشرون : التمنّى ، نحو : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ﴾ (١٢) .

الحادى والعشرون : الاستبطاء ، نحو : ﴿ مَتَى نَصْرُ اللهِ ﴾ (١٣) .

الثانى والعشرون : العرض ، نحو : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ (١٤) .

---

(١) الفرقان ٤٥
(٢) الحج ٦٣
(٣) التكوير ٢٦
(٤) البقرة ١٣٠
(٥) البقرة ٢٤٥
(٦) الصف ١٠
(٧) التوبة ١٣
(٨) المائدة ٤٤
(٩) الانفطار ٦
(١٠) الأعراف ١٥٥
(١١) البقرة ٣٠
(١٢) الأعراف ٥٣
(١٣) البقرة ٢١٤
(١٤) النور ٢٢

الثالث والعشرون : التحضيض ، نحو : ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ (١).

الرابع والعشرون : التجاهل ، نحو : ﴿ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾(٢).

الخامس والعشرون : التعظيم ، نحو : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾(٣).

السادس والعشرون : التحقير ، نحو : ﴿ أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾(٤) ، ﴿ أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾ (٥) ، ويحتمله وما قبله قراءة ﴿ مَنْ فِرْعَوْنُ ﴾ (٦).

السابع والعشرون : الاكتفاء ، نحو : ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(٧)

الثامن والعشرون : الاستبعاد ، نحو ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ (٨)

التاسع والعشرون : الإيناس ، نحو : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾(٩)

الثلاثون : التهكم والاستهزاء ، نحو : ﴿ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ (١٠) ، ﴿ أَلاَ تَأْكُلُونَ . مَالَكُمْ لاتَنْطِقُونَ ﴾(١١).

الحادى والثلاثون : التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله ، كقوله : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ ﴾ (١٢) ، قال الموفق عبد اللطيف البغدادىّ : أى مَنْ حق عليه كلمة العذاب ؛ فإنك لاتنقذه ، فَمَنْ

---

(١) التوبة ١٢ (٢) ص ٨

(٣) البقرة ٢٥٥ (٤) الأنبياء ٣٦

(٥) الفرقان ٤١

(٦) سورة الدخان ٣١ ، وانظر البحر المحيط ٨ : ٣٧

(٧) الزمر ٦٠ (٨) الفجر ٢٣

(٩) طه ١٧ (١٠) هود ٨٧

(١١) الصافات ٩١ ، ٩٢ (١٢) الزمر ١٩

للشرط والفاء جواب الشرط ، والهمزة فى ﴿ أفأنت ﴾ دخلت مُعادة مؤكدة لطول الكلام ، وهذا نوع من أنواعها .

وقال الزمخشرىّ : الهمزة الثانية هى الأولى ، كرّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد .

الثانى والثلاثون : الإخبار نحو : ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا ﴾ [١] ، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ ﴾ [٢] .

• • •

تنبيهات

الأول : هل يقال إن معنى الاستفهام فى هذه الأشياء موجود . وانضمّ إليه معنًى آخر . أوتجرد عن الاستفهام بالكلّية ؟ قال فى عروس الأفراح : محلّ نظر ، قال : والّذى يظهر الأوّل . قال : ويساعدُه قول التّنوخىّ فى « الأقصى القريب » : إن « لعلّ » تكون للاستفهام مع بقاء الترجّى؛ قال : وممّا يرجّحه أنّ الاستبطاء فى قولك : كم أدعوك ! معناه أنّ الدعاء وصل إلى حدٍّ لا أعلم عدده ، فأنا أطلب أن أعلَم عدده ، والعادة تقضى بأنّ الشخص إنّما يستفهم عن عدد ما صَدَر منه إذا كَثُر فلم يعلمْه . وفى طلب فهْم عدده ما يُشعر بالاستبطاء .

وأمّا التعجّب فالاستفهام معه مستمر . فمن تعجّب من شىء فهو بلسان الحال سائل عن سببه ، فكأنّه يقول : أىّ شىء عرض لى فى حال عدم رؤية الهدهد ! وقد صرّح فى الكشاف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية .

وأمّا التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقىّ ، لأن معنى « أين تذهب » ؟

---

(١) النور ٥٠ (٢) الإنسان ١

أخبرنى إلى أىّ مكان تذهب ، فإنى لاأعرف ذلك . وغاية الضلال لايشعَر بها إلى أين تنتهى .

وأمّا التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبُوته فهو خبر بأنَّ المذكور عقيب الأداة واقع ، أو طلبُ إقرار المخاطب به من كون السائل يعلم ، فهو استفهام يقرِّر المخاطَب ، أى يطلب منه أن يكون مقرًّا به. وفى كلام أهل الفنّ ما يقتضى الاحتمالين ، والثانى أظهر . وفى الإيضاح تصريح به . ولا بِدْعَ فى صدور الاستفهام ممّن يعلم المستفهَم عنه ؛ لأنه طلب الفهم ، إما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائنا من كان . وبهذا تنحلُّ إشكالات كثيرة فى مواضع الاستفهام . ويظهر بالتأمّل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأُمور المذكورة . انتهى ملخصًا .

الثانى : القاعدة ، أن المنكَر يجب أن يَلِيَ الهمزة ، وأُشكل عليها قوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ [1] . فإنَّ الذى يليها هنا الإصفاء بالبنين وليس هو المنكر ، إنما المنكر قولهم : إِنَّهُ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا .

وأُجيب ، بأنَّ لفظ الإصفاء مُشعر بزعم أن البنات لغيرهم ، أو بأنَّ المراد مجموع الجملتين ، وينحلّ منهما كلام واحد. والتقدير : أَجَمَعَ بين الإصفاء بالبنين واتخاذ البنات !

وأُشكل منه قوله : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [2] . ووجه الإشكال أنه لاجائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبرّ فقط ، كما تقتضيه القاعدة المذكورة لأن أمر البرّ ليس ممّا ينكر ، ولانسيان النفس فقط ؛ لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبرّ لامدخلَ له ، ولامجموعَ الأمرين ؛ لأنه يلزم أن

(١) الاسراء ٤٠ (٢) سورة البقرة ٤٤

تكون العبادة جزء المنكر ، ولا نسيان النفس بشرط الأمر ؛ لأن النسيان منكر مطلقًا ، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر ؛ لأن المعصية لاتزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة ؛ لأن جمهور العلماء على أنَّ الأمر بالبرّ واجب ، وإن كان الإنسان ناسيًا لنفسه وأمرُه لغيره بالبر كيف يضاعف معصية نسيان ولا يأتي الخير بالشر !

قال في عروس الأفراح : ويجاب بأن فعل المعصية مع النهى عنها أفحش ؛ لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض ، وتجعل القول كالمخالف للفعل ، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل ، قال : ولكنَّ الجواب على أنَّ الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة .

• • •

فصل : من أقسام الإنشاء الأمر

وهوطلب فعل غير كفٍّ وصيغته « افعل » و « ليفعل » وهى حقيقة فى الإيجاب نحو ﴿ وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾ (١) ، ﴿ فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ (٢) .

وترد مجازًا لمعان أُخَر :

منها الندب ، نحو : ﴿ وإذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتوا ﴾ (٣)

والإباحة نحو : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ (٤) ، نصّ الشافعى على أن الأمر فيه للإباحة ؛ ومنه ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (٥)

والدّعاءُ من السافل للعالى ، نحو : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِى ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة ٤٣ (٢) النساء ١٠٢
(٣) الأعراف ٢٠٤ (٤) النور ٣٣
(٥) المائدة ٢ (٦) الأعراف ١٥١

والتهديد ، نحو : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ (١) ، إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا .

والإهانة ، نحو : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٢) .

والتسخير ، أى التذليل ، نحو : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً ﴾ (٣) ، عبّر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالا لهم فهو أخصّ من الإهانة .

والتعجيز ، نحو : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ (٤) ، إذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، بل إظهار عجزهم .

والامتنان ، نحو : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ (٥) .

والعجب ، نحو : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ (٦) .

والتسوية ، نحو : ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ (٧) .

والإرشاد ، نحو : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ (٨)

والاحتقار ، نحو : ﴿ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ (٩)

والإنذار ، نحو : ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ (١٠)

والإكرام ، نحو : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾ (١١) .

والتكوين ، وهو أعمّ من التسخير ، نحو : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١٢) .

والإنعام ، أى تذكير النعمة ، نحو : ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (١٣) .

---

(١) فصلت ٤٠ — (٢) الدخان ٤٩
(٣) البقرة ٦٥ — (٤) البقرة ٢٣
(٥) الأنعام ١٤١ — (٦) الاسراء ٤٨
(٧) الطور ١٦ — (٨) البقرة ٢٨٢
(٩) يونس ٨٠ — (١٠) ابراهيم ٣٠
(١١) الحجر ٤٦ — (١٢) البقرة ١١٧
(١٣) الأنعام ١٤٢

والتكذيب ، نحو : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ﴾ [١] . ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ [٢] .

والمشورة ، نحو : ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [٣] .

والاعتبار ، نحو : ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [٤] .

والتعجّب ، نحو : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [٥] ، ذكره السكاكيّ فى استعمال الإنشاء بمعنى الخبر .

• • •

فصل : ومن أقسامه النهى

وهو طلب الكفِّ عن فعل ، وصيغتُه : « لا تفعل » ، وهى حقيقة فى التحريم .

وترد مجازًا لمعانٍ :

منها الكراهة ، نحو : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [٦] .

والدعاء ، نحو : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ [٧] .

والإرشاد ، نحو : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [٨] .

والتسوية ، نحو : ﴿ أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ [٩] .

والاحتقار والتقليل ، نحو : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ... ﴾ [١٠] الآية ، أى فهو قليل حقير .

---

(١) آل عمران ٩٣ (٢) الأنعام ١٥٠
(٣) الصافات ١٠٢ (٤) الأنعام ٩٩
(٥) مريم ٣٨ (٦) الإسراء ٣٧
(٧) آل عمران ٨ (٨) المائدة ١٠١
(٩) الطور ١٦ (١٠) الحجر ٨٨

وبيان العاقبة ، نحو : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾(١) اى عاقبة الجهاد الحياة [لاالموت] (٢) .

واليأس ، نحو : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾ (٣) .

والإهانه ، نحو : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٤) .

• • •

فصل : ومن أقسامه التمنى

وهو طلب حصول شىء على سبيل المحبة ، ولايُشترط إمكان المتمنَّى بخلاف المترجَّى ، لكن نُوزع فى تسمية تمنّى المحال طلبًا بأنَّ مالا يتوقَّع كيف يُطْلَب ؟ قال فى عروس الأفراح : فالأحسن ماذكره الإمام وأتباعه من أن التمنّى والترجِّى والنداء والقَسَم ليس فيها طلب ، بل هو تنبيه . ولا بِدْعَ فى تسميته إنشاء . انتهى .

وقد بالغ قوم فجعلوا التَّمنّى من قِسْم الخبر ، وأن معناه النَّفى ، والزمخشرى ممن جزم بخلافه ، ثم استشكل دخول التكذيب فى جوابه فى قوله : ﴿ يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥) ، وأجاب بتضمنه معنى العِدة فتعلَّق به التكذيب .

وقال غيره : التَّمنى لايصحّ فيه الكذب ، وإنما الكذب فى المتمنَّى الذى يترجّح عند صاحبه وقوعه ، فهو إذًا وارد على ذلك الأعتقاد الذى هو ظنٌّ وهو خبر صحيح .

قال : وليس المعنى فى قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أنَّ ما تمنَّوا ليس بواقع

---

(١) آل عمران ١٦٩
(٢) من ط
(٣) التوبة ٦٦
(٤) المؤمنون ١٠٨
(٥) الأنعام ٢٧ ، ٢٨

لأنه ورد فى معرض الذَّمّ لهم ، وليس فى ذلك المتمنَّى ذمّ ، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنَّهم لايكذبون ، وأنهم يؤمنون .

وحرْف التَّمنى الموضوع له « ليت » ، نحو : ﴿ يَالَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾[١] ، ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾[٢] ، ﴿ يَالَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفوزَ ﴾[٣] .

وقد يُتمنَّى بِهلْ حيث يُعْلَم فقدُه ، نحو : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾[٤] ، وبلو نحو : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فنكونَ ﴾[٥] ، ولذا نصب الفعل فى جوابها .

وقد يتمنَّى بـ « لَعَلّ » فى البعيد فتعطِى حكم « ليت » فى نصب الجواب؛ نحو : ﴿ لَعَلِّى أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ٭ أَسْبَابَ السَّمواتِ فَأَطَّلِعَ ﴾[٦] .

• • •

فصل : ومن أقسامه الترجِّى

نقل القرافى[٧] فى الفُروقِ الإجماعَ على أنه إنشاء، وفرّق بينه بين التمنى بأنَّه فى الممكن والتمنِّى فيه وفى المستحيل ، وبأنَّ الترجِّى فى القريب والتمنِّى فى البعيد ، وبأن الترجِّى فى المتوقَّع والتَّمنى فى غيره ، وبأن التمنِّى فى المعشوق للنفس والترجِّى فى غيره .

وسمعت شيخنا العلامة الكافيَجىّ يقول : الفرْق بين التمنِّى وبين العَرض ، هو الفرق بينه وبين الترجِّى .

(١) الأنعام ٢٧ (٢) يس ٢٦
(٣) النساء ٧٣ (٤) الأعراف ٥٣
(٥) الشعراء ١٠٢ (٦) غافر ٣٦ ، ٣٧

(٧) هو الامام شهاب الدين أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن الصنهاجى المعروف بالقرافى اليه انتهت زعامة المالكية فى عصره مع البراعة فى الأصول العقلية ، واسم كتابه « أنوار البروق فى أنوار الفروق فى أصول الفقه المالكى » توفى سنة ٦٨٤

وحرف الترجّي لعلّ وعسى ، وقد ترد مجازًا لتوقُّع محذور ، ويسمّى الإشفاق نحو : ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (١) .

• • •

فصل : ومن أقسامه النداء .

وهو طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرف نائب مناب « أدعو » . ويصحب في الأكثر الأمر والنهي ، والغالب تقدّمه ، نحو : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ (٢) ﴿ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (٣) ، ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ • قُمِ اللَّيْلَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا ﴾ (٦) .

وقد يتأخّر ، نحو : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٧) .

وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر . نحو : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ (٨) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا ﴾ (٩) .

وقد لاتعقبها ، نحو : ﴿ يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ (١٠) ، ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ﴾ (١١) . ﴿ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ﴾ (١٢) .

وقد تصحبه الاستفهامية ، نحو : ﴿ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ (١٣) ، ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ (١٤) . ﴿ وَيَاقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ ﴾ (١٥) .

---

(١) الشورى ١٧
(٢) البقرة ٢١
(٣) الزمر ١٦
(٤) المزمل ١ ، ٢
(٥) هود ٥٢
(٦) الحجرات ١
(٧) النور ٣١
(٨) الحج ٧٣
(٩) هود ٦٤
(١٠) الزخرف ٦٨
(١١) فاطر ١٥
(١٢) يوسف ١٠٠
(١٣) مريم ٤٢
(١٤) التحريم ١
(١٥) غافر ٤١

وقد ترد صورة النداء لغيره مجازاً ، كالإغراء والتحذير . وقد اجتمعا فى قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ (١) .

والاختصاص . كقوله : ﴿ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ (٢) .

والتنبيه ، كقوله : ﴿ أَلاَ يَا اسجُدُوا ﴾ (٣) .

والتعجُّب ، كقوله : ﴿ يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ (٤)

والتحسّر ، كقوله : ﴿ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا ﴾ (٥)

• • •

قاعدة

أصل النداء بـ « يا » أن تكون للبعيد حقيقة ، أو حكماً ، وقد ينادَى بها القريب لنُكت :

منها إظهار الحرْص فى وقوعه على إقبال المدعوّ نحو : ﴿ يَامُوسَى أَقْبِلْ ﴾ (٦)

ومنها كون الخطاب المتلوّ معتنًى به ، نحو ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدوا رَبَّكُمْ ﴾ (٧)

ومنها قصد تعظيم شأن المدعوّ ، نحو : ﴿ يَارَبِّ ﴾ ، وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (٨) .

ومنها قصد انحطاطه ، كقول فرعون : ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورا ﴾ (٩) .

• • •

(١) الشمس ١٣
(٢) هود ٧٣
(٣) النمل ٢٥
(٤) يس ٣٠
(٥) النبأ ٤٠
(٦) القصص ٤١
(٧) البقرة ٢١
(٨) البقرة ١٨٦
(٩) الاسراء ١٠١

فائدة

قال الزمخشريّ وغيره : كثُر فى القرآن النداءُ بـ « يأيها » دون غيره ؛ لأن فيه أوجهاً من التأكيد ، وأسباباً من المبالغة .

منها ما فى «يا » من التأكيدوالتنبيه ،وما فى « ها » من التنبيه ، وما فى التدرّج من الابهام فى « أيّ » إلى التوضيح ، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد ؛ لأن كلّ ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه ، وعظاته وزَواجره ووعْده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك ؛ ومما أنطق الله به كتابه أمور عظام ، وخطوبٌ جسام ، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون ، فاقتضى الحال أن ينادَوْا بالآكد لأبلغ

فصل ومن أقسامه القَسَم

نقل القرافى الإجماع على أنه إنشاء ، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع ؛ وسيأتى بسط الكلام فيه فى النوع السابع والستين.

• • •

فصل ومن أقسامه : الشرط.[1]

(١) بياض فى جميع الأصول . وانظر عن الشرط البرهان للزركشى .

النوع الثامن والخمسون

فى بدائع القرآن

أفرده بالتصنيف ابنُ أبى الأُصبع[١]، فأورد فيه نحو مائة نوع، وهى: المجاز، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والإرداف، والتمثيل، والإيجاز والاتساع، والإشارة، والمساواة، والبسْط، والإيغال، والتتميم، والتّكميل والاحتراس، والاستقصاء، والتذييل، والزيادة، والترديد، والتكرار، والتفسير، والإيضاح ونفى الشئ بإيجابه، والمذهب الكلامى، والقول بالموجب، والمناقضة، والانتقال، والإسجال، والتسليم، والتمكين، والتوشيح، والتّسهيم، وردّ العُجز على الصدر، وتشابه الأَطراف، ولزوم ما لا يلزم، والتخيير، والتسجيع، والتسريع والإيهام: وهو التورية، والاستخدام، والالتفات، والاطراد، والانسجام، والإدماج، والافتنان والاقتدار، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف اللفظ مع المعنى والاستدراك، والاستثناء، وتأْكيد المدح بما يشبه الذم، والتفويف والتغاير، والتقسيم، والتدْبيج، والتنكيت، والتضمين، والجناس، وجمع المؤتلف المختلف، وحسن النَّسَق، وعتاب المرء نفسَه، والعكس، والعنوان، والفرائد، وَالقَسم، والمبالغة والمطابقة، والمقابلة والموارَبة، والمراجعة، والنّزاهة، والإبداع، والمقارنة، وحسن الابتداء، وحسن الختام، وحسن التّخلُّص، والاستطراد.

فَأمَّا المجاز وما بعده إلى الإيضاح؛ فقد تقدّم بعضها فى أنواع مفردة.

---

(١) بديع القرآن لابن أبى الاصبع المصري المتوفى سنة ٦٥٤، طبع بمطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٧، بتحقيق الدكتور حفني شرف.

وبعضها فى نوع الإيجاز والإطناب مع أنواع أُخر ، كالتعريض والاحتباك ، والاكتفاء ، والطَّرد ، والعكس .

وأما نفى الشىء بإيجابه ، فقد تقدّم فى النوع الذى قبل هذا . وأما المذهب الكلامى والخمسة بعده ، فستأتى فى نوع الجدل مع أنواع أُخَر مزيدة. وأمّا التمكين والثمانية بعده فستأتى فى أنواع الفواصل . وأما حسن التخلص والاستطراد فسيأتيان فى نوع المناسبات ، وأمّا حسن الابتداء وبراعة الختام فسيأتيان فى نوعَىِ الفواتح والخواتم .

وها أنا أورد الباقى مع زوائد ونفائس لاتوجد مجموعة فى غير هذا الكتاب .

• • •

الإيهام .

ويدعى التورية . أن يُذكر لفظ له معنيان . إمّا بالاشتراك أو التواطؤ ، أو الحقيقة أو المجاز ؛ أحدهما قريب والآخر بعيد . ويقصد البعيد ، ويورى عنه بالقريب ، فيتوهّمه السامع من أول وهلة .

قال الزمخشرىّ : لاترى بابًا فى البيان أدقَّ ، ولا ألطف من التورية ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله ، قال : ومن أمثلتها : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [١] . فإنّ الاستواء على معنيين ، الاستقرار فى المكان ، وهو المعنى القريب المورَّى به ، الذى هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه والثانى : الاستيلاء والملك ، وهو المعنى البعيد المقصود ، الذي ورّى عنه بالقريب المذكور . انتهى .

---

(١) طه ٥

وهذه التورية ؛ تسمى مجرّدة ؛ لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورّى به ، ولا المورّى عنه .

ومنها ماتسمّى مرشّحة ، وهى التى ذكر فيها شيء من لوازم هذا أو هذا كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ (١) ؛ فإنه يحتمل الجارحه وهو المورّى به ، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ، ويحتمل القوّة والقدرة ، وهو البعيد المقصود .

قال ابنُ أبي الأُصبع فى كتابه « الإعجاز » : ومنها : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾(٢) ، فالضّلال يحتمل الحبّ وضدّ الهدى ، فاستعمل أولاد يعقوب ضدّ الهُدَى تورية عن الحبّ .

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ (٣) . على تفسيره بالدّرْع ؛ فإنّ البدن يطلق عليه وعلى الجسد ، والمرادُ البعيد وهو الجسد .

فقال : ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتَبِعُوا قبلتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُم ﴾ (٤) . ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربىّ ، وتوجّهت إليه اليهود وتوجهت النصارى إلى المشرق كانت قبلة الإسلام وسطاً بين القبلتين ، قال تعالى : ﴿ وكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ (٥) ، أى خيار وظاهر اللفظ يوهِم التوسّط مع ما يعضده من توسّط قبلة المسلمين ، صدق على لفظة ، « وسط » ها هنا أن يسمّى تعالى به لاحتمالها المعنيين . ولمّا كان المراد أبعدَها وهو الخيار ، صَلَحت أن تكون من أمثلة التورية .

(١) الذاريات ٤٧
(٢) يوسف ٩٥
(٣) يونس ٩٢
(٤) البقرة ١٤٥
(٥) البقرة ١٤٣

قلت : وهى مرشحة بِلازم المورَّى عنه ، وهو قوله : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (١) ، فإنه من لوازم كونهم خياراً ، أى عُدولاً ، والإتيان قبلها من قسم المجرّدة .

ومن ذلك قوله : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (٢) ، فإنَّ النجم يطلق على الكوكب ، ويرشّحه له ذكر الشمس والقمر ، وعلى مالَا ساق له من النبات وهو المعنى البعيد : له ، وهو المقصود فى الآية .

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر أن من التوريه فى القرآن قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ (٣) فإن « كافة » بمعنى « مانع » أى تكفُّهم عن الكفر والمعصية ، والهاء للمبالغة ، وهذا معنًى بعيد ، والمعنى القريب المتبادرأن المراد جامعة بمعنى « جميعًا » ، لكن منَع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكَّد فكما لا تقول : رأيت جميعًا الناس ، لا تقول رأيت كافةً الناس

• • •

الاستخدام

هو والتورية أشرف أنواع البديع ، وهما سِيّان ، بل فضّله بعضهم عليها ، ولهم فيه عبارتان : .

إحداهما : أن يؤتَى بلفظ له معنيان فأكثر مرادًا به أحد معانيه ، ثم يؤتَى بضميره مرادًا به المعنى الآخر ، وهذه طريقة السكاكىّ وأتباعه .

والأُخرى أن يؤتّى بلفظ مشترك ، ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر ، وهذه طريقة بَدْر الدين بن مالك فى المِصْباح ، ومشى

(١) البقرة ١٤٣ (٢) الرحمن ٦
(٣) سبأ ٢٨

عليها ابن أبى الإصبع [١] ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [٢] الآية ، فلفظ « كتاب » يحتمل الأمد المحتوم ، والكتاب المكتوب ، فلفظ « أجل » يخدم المعنى الأول ، و « يمحو » يخدم الثانى .

ومثّل غيره بقوله تعالى : ﴿ لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى . . . ﴾ [٣] الآية ، فالصلاة تحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها ، وقوله : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُون ﴾ [٣] يخدم الأول ، ﴿ إلاَّ عابرى سبيل ﴾ [٣] يخدم الثانى

قيل : ولم يقع فى القرآن على طريقة السكاكىّ

قلت : وقد استخرجتُ بفكرى آيات على طريقته ، منها قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ ﴾ [٤] ، فأمر الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أريد بلفظه الأخير ، كما أخرج ابن مردوية من طريق الضحاك عن ابن عباس ، فى قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ ﴾ ، قال : محمد ، وأعيد الضمير عليه فى ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (٤) مراداً به قيام الساعة والعذاب .

ومنها ـ وهى أظهرها ـ قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [٥] ، فإنَّ المراد به آدم ، ثم أعاد عليه الضمير مراداً به ولَده فقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [٥]

ومنها قوله تعالى : ﴿ لاَتَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [٦] ثم قال : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (١) أى أشياء ، لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التى سأل عنها الصحابة ، فنهوا عن سؤالها

• • •

(١) بديع القرآن ١٠٤
(٢) الرعد ٣٨
(٣) النساء ٤٣
(٤) النحل ١
(٥) المؤمنون ١٢ ، ١٣
(٦) المائدة ١٠١ ، ١٠٢

الالتفات

نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعنى من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التعبير بالأول، وهذا هو المشهور وقال السكاكىّ: إمّا ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره وله فوائد:

منها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضَّجر، والمَلالُ، لما جُبلت عليه النفوس من حبّ التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوالٍ واحد، وهذه فائدته العامة

ويختص كلّ موضع بنكت ولطائف باختلاف محلّه كما سنبيينه

مثاله من المتكلم إلى الخطاب ـ ووجهُه حثُّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة ـ قوله تعالى ﴿ وَمَالِىَ لَاأَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]، والأصلُ «وإليه أرجع»، فالتفت من مثاله من المتكلم إلى الخطاب، ونكتته أنه أخرج الكلام فى معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما أنه يريد لهم مايريد لنفسه ثم التفت إليهم لكونه فى مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى

كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات، وفيه نظر؛ لأنه إنما يكون منه إذا قصد الإخبارَ عن نفسه فى كلتا الجملتين، وهنا ليس كذلك، لجواز أن يريد بقوله: «ترجعون» المخاطبين لا نفسه

وأجيب، بأنه لو كان المراد ذلك لمَاصَحَّ الاستفهامُ الإنكارى، لأن رجوع العَبْد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعبدَه غير ذلك الراجع فالمعنى: كيف لاأعبد مَن إليه رجوعى، وإنّما عدل عن «وإليه أرجع» إلى «وإليه ترجعون» لأنه

(١) يس ٢٢

داخل فيهم ، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ، وهى تنبيههم على أنه مثلهم فى وجوب عبادة مَنْ إليه الرجوع

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١) ، ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾(٢)

ومثاله من المتكلم إلى الغيبة ،ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم ، وقصده من السامع ،حضر أو غاب ، وأنه ليس فى كلامه ممن يتلوّن ويتوجّه ويبدى فى الغيبة خلاف مايبديه فى الحضور- قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا • لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ﴾(٣) ، والأصل « لنغفر لك »﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾(٤) والأصل « لنا » ﴿ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ • رحمةً مِنْ رَبِّكَ ﴾(٥) والأصل « منّا » ﴿ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٦) ؛ إلى قوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ والأصل « وبى » ، وعَدَل عنه لنكتتين ؛ إحداهما ، دفع التهمة عن نفسه بالعصبيّة لها والأخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوّة

ومثاله من الخطاب إلى التكلّم لم يقعْ فى القرآن ، ومثّل له بعضهم بقوله : ﴿فاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾(٧) ، ثم قال : ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا﴾(٧) وهذا المثال لايصحّ لأنّ شرط الالتفات أن يكون المرادُ به واحداً

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾(٨) ، والأصل « بكم » ونكتة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم ، التعجّبُ

---

(١) الأنعام ٧١
(٢) الأنعام ٧٢
(٣) الفتح ١ ، ٢
(٤) الكوثر ١ ، ٢
(٥) الدخان ٥ ، ٦
(٦) الأعراف ١٥٨
(٧) طه ٧٢ ، ٧٣
(٨) يونس ٢٢

من كفرهم وفعلهم ، إذ لو استمرّ على خطابهم لفاتت تلك الفائدة .

وقيل : لأن الخطاب أوّلاً كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم ، بدليل ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (١) فلو كان « وجرين بكم » للزم الذمّ للجميع ، فالتفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ماذكره عنهم فى آخر الآية عدولاً من الخطاب العام إلى الخاص .

قلت : ورأيت عن بعضِ السلف فى توجيهه عكسَ ذلك ؛ وهو أن الخطاب أوّله خاصّ وآخره عام ، فأخرج ابنُ أبي حاتم عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال فى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ (١) ، قال : ذكَرَ الحديث عنهم ، ثم حدّث عن غيرهم ، ولم يقل : « وجرين بكم » ، لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم ؛ وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلْق . هذه عبارته ؛ فلله درّ السلف ما كان أوقفهم على المعانى اللطيفة التى يدأب المتأخّرون فيها زماناً طويلا ، ويُفْنون فيها أعمارهم ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى ! ومما ذكر فى توجيهه أيضاً أنهم وقت الركوب حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين . ثم لما جرت الرياح بما تشتهى السفن . وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان . على عادة الإنسان أنه إذا أمن . غاب قلبه عن ربه فلما غابوا ذكّرهم الله بصيغة الغيبة . وهذه إشارة صوفية .

ومن أمثلته أيضاً : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ والْفُسُوقَ والعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾(٣) ، ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ‌ۚ يُطَافُ عَلَيْهِمْ ﴾ . والأصل « عليكم » ، ثم قال : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) . فكرّر الالتفات

---

(١) يونس ٢٢ (٢) الروم ٣٩

(٣) الحجرات ٧ (٤) الزخرف ٧٠ ، ٧١

ومثاله من الغيبة إلى التكلم ﴿ والله الذى أرسل الرياحَ فتثيرُ سحابًا فسقناهُ ﴾(١) ، ﴿ وأوحَى فى كُلِّ سماءٍ أمرَها وزينا ﴾(٢) ، ﴿ سُبحانَ الذى أسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا ﴾ ، ثم التفت ثانيًا إلى الغيبة ، فقال : ﴿ إنهُ هُوَ السميعُ البَصِيرُ ﴾ (٣) وعلى قراءة الحسن « ليريَه » بالغيبة يكون التفاتًا ثانيًا من « باركنا » ، وفى « آياتنا » التفات ثالث ، وفى « أنه » التفات رابع ؛ قال الزمخشريّ : وفائدته فى هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة ، وأنه لايدخل تحت قدرة أحد

ومثاله من الغيبة إلى الخطاب ﴿ وَقَالُوا اتخَذَ الرحْمَنُ وَلَدًا ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ شيئًا إدا ﴾ (٤) ، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكناهُمْ فى الأَرْضِ مَالَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ (٥) ، ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرابًا طَهورًا ۝ إن هَذَا كَانَ لَكُمْ جزاءً ﴾(٦) ﴿ إنْ أَرادَ النبِيّ أَنْ يَسْتَنْكِحهَا خالِصَةً لَكَ ﴾(٧)

ومن محاسنه ما وقع فى سورة الفاتحة ، فإنَّ العبد إذا ذكر الله تعالى وحده ثم ذكر صفاته التى كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال . وآخرها ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ المفيد أنه مالك الأمر كله فى يوم الجزاء يجد من نفسه حاملا لايقدر على دفعه على خطاب مَنْ هذا صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات وقيل : إنما اختير لفظ الغيبة للحمد ، وللعبادة الخطاب للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة فى الرتبة ؛ لأنك تحمد نظيرك ولا تعبده ، فاستعمل لفظ « الحمد »

---

(١) فاطر ٩
(٢) فصلت ١٢
(٣) الاسراء ١
(٤) مريم ٨٨ ، ٨٩
(٥) الأنعام ٦
(٦) الانسان ٢١ ، ٢٢
(٧) الأحزاب ٥٠

مع الغيبة ، ولفظ العبادة ، مع الخطاب لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ماهو أعلى رتبة . وذلك على طريقة التأدب . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ مصرحًا بذكر المنعم وإسناد الإنعام إليه لفظًا ، ولم يقل : « صراط المنعم عليهم » فلمّا صار إلى ذكر الغضب زوى عنه لفظه : فلم ينسبه إليه لفظًا . وجاء باللفظ منحرفًا عن ذكر الغاضب ، فلم يقل : « غير الذين غضبت عليهم » تفاديًا عن نسبة الغضب إليه فى اللّفظ حال المواجهة . وقيل : لأنه لمّا ذكر الحقيق بالحمد . وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانًا ورحيمًا ومالكًا ليوم الدين . تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن . حقيق بأن يكون معبودًا دون غيره ، مستعانًا به . فخوطب بذلك لتميّزه بالصفات المذكورة تعظيمًا لشأنه ؛ حتى كأنه قيل : « إيّاك يامن هذه صفاته نخصّ بالعبادة والاستعانة . لاغيرك »

قيل : ومن لطائفه التنبيه على أنّ مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته . وقيام حجاب العظمة عليهم ؛ فإذا عرفوه بما هوله ، وتوسّلوا للقرب بالثناء عليه ؛ وأقرّوا بالمحامد له وتعبّدوا له بما يليق بهم ، تأهّلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

• • •

تنبيهات

الأول : شرط الالتفات أن يكون الضمير فى المنتقَل إليه عائدا فى نفس الأمر إلى المنتقَل عنه . وإلا يلزم عليه أن يكون فى « أنت صديقى » التفات

الثانى : شرطه أيضا . أن يكون فى جملتين ، صرّح به صاحب الكشاف وغيره وإلاَّ يلزم عليه أن يكون نوعًا غريبًا .

الثالث : ذكر التَّنُوخيّ فى « الأقصى القريب » وابن الأثير وغيرهما نوعًا غريبًا من الالتفات ، وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه ؛ كقوله : ﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بعد ﴿ أنعمت ﴾ ، فإنَّ المعنى : « غير الذين غضبت عليهم » ، وتوقَّف فيه صاحب عروس الأفراح .

الرابع : قال ابن أبى الإصبع : جاء فى القرآن من الالتفات قِسمٌ غريب جدا ؛ لم أظفر فى الشعر بمثاله ، وهو أن يقدّم المتكلم فى كلامه مذكورين مرتبين ثم يخبر عن الأول منهما ، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثانى ، ثم يعود إلى الإخبار عن الأول ، كقوله : ﴿ إنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [١] ، انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى ، ثم قال منصرفًا عن الإخبار عن ربه تعالى إلى الإخبار عن الإنسان : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [٢] ، قال : وهذا يحسن أن يسمّى التفات الضمائر .

الخامس : يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر ؛ ذكره التنوخىّ وابن الأثير ، وهو ستّة أقسام أيضًا

مثاله من الواحد إلى الاثنين : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِى الْأَرْضِ ﴾ [٣] .

وإلى الجمع ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [٤] .

ومن الاثنين إلى الواحد ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾[٥] ، ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾[٦]

---

(١) العاديات ٦ ، ٧
(٢) العاديات ٨
(٣) يونس ٧٨
(٤) الطلاق ١
(٥) طه ٤٩
(٦) طه ١١٧

وإلى الجمع ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (١) .

ومن الجمع إلى الواحد ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

وإلى الاثنين ﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٢) .

السادس - ويقرب منه أيضاً - الانتقال من الماضى أو المضارع أو الأمر إلى آخر مثاله من الماضى إلى المضارع ﴿ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ ﴾ (٣) ، ﴿ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾ (٤) . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٥)

وإلى الأمر ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ (٦) ، ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا ﴾ (٧) .

ومن المضارع إلى الماضى ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ ﴾ (٨) ، ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ (٩) .

وإلى الأمر ﴿ قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ ﴾ (١٠) .

ومن الأمر إلى الماضى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا ﴾ (١١) .

وإلى المضارع ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٢)

• • •

(١) يونس ٨٧
(٢) الرحمن ٣٣ ، ٣٤
(٣) فاطر ٩
(٤) الحج ٣١
(٥) الحج ٢٥
(٦) الاعراف ٢٩
(٧) الحج ٣٠
(٨) النمل ٨٧
(٩) الكهف ٤٧
(١٠) هود ٥٤
(١١) البقرة ١٢٥
(١٢) الأنعام ٧٢

الاطراد

هو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها فى الولادة . قال ابن أبي الإصبع : ومنه[1] فى القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿ واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إبْرَاهِيمَ وَإسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [2] . قال : وإنّما لم يأت به على الترتيب المألوف ؛ فإن العادة الابتداء بالأب ثم الجد ، ثم الجدّ الأعلى لأنه لم يرد هنا مجرّد ذكر الآباء ، وإنّما ذكرهم ليذكر ملّتهم التى اتّبعها ، فبدأ بصاحب الملّة ، ثم بمن أخذها عنه ، أولاً فأولاً على الترتيب . ومثله قول أولاد يعقوب : ﴿ نَعْبُدُ إلٰهَكَ وَإلٰهَ آبَائِكَ إبْرَاهِيمَ وَإسماعِيلَ وَإسْحَاقَ ﴾ [3]

• • •

الانسجام

هو أن يكون الكلام لخلوّه من الانعقاد* منحدراً كتحدّر الماء المنسجم ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّة ، والقرآن كلّه كذلك . قال أهل البديع : وإذا قوىَ الانسجام فى النثر جاءت قراءته موزونة بلا قَصْد ، لقوّة انسجامه ، ومن ذلك ماوقع فى القرآن موزوناً .

فمنه من بحر الطويل : ﴿ فَمَنْ شَاء فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ [4]

ومن المديد : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأعْيُنِنَا ﴾ [5] .

ومن البسيط : ﴿ فَأصْبَحُوا لا يُرَى إلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾ [6] .

---

(١) بديع القرآن ١٤١ — (٢) يوسف ٣٨

(٣) البقرة ١٣٣ — (٤) الكهف ٢٩

(٥) هود ٣٧ — (٦) الأحقاف ٢٥

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٩٠ « من المعاقدة » .

ومن الوافر: ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾(١)

ومن الكامل : ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(٢)

ومن الهزج : ﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾(٣).

ومن الرجز : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾(٤).

ومن الرمل : ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾(٥).

ومن السريع : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾(٦).

ومن المنسرح : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾(٧).

ومن الخفيف : ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾(٨).

ومن المضارع : ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾(٩).

ومن المقتضب : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾(١٠)،

ومن المجتث ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١١).

ومن المتقارب ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾(١٢).

• • •

(١) التوبة ١٤ (٢) البقرة ٢١٣
(٣) يوسف ٩٣ (٤) الانسان ١٤
(٥) سبأ ١٣ (٦) البقرة ٢٥٩
(٧) الانسان ٢ (٨) النساء ٧٨
(٩) غافر ٣٢ ، ٣٣ (١٠) البقرة ١٠
(١١) الحجر ٤٩ (١٢) الأعراف ١٨٣

الإدماج

قال ابن الإصبع : هو أن يُدمِج المتكلمُ غرضًا فى غرضٍ ، أو بديعًا فى بديع ، بحيث لايظهر فى الكلام إلاَّ أحد الغَرَضين أو أحد البديعين ، كقوله تعالى : ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَى وَالآخِرَة﴾ [١] ، أُدمجت المبالغة فى المطابقة لأَنَّ انفراده تعالى بالحمد فى الآخرة ــ وهى الوقت الذى لايُحمد فيه سواه ــ مبالغة فى الوصف بالانفراد بالحمد ، وهو وإن خرج مخرج المبالغة فى الظاهر ، فالأمر فيه حقيقة فى الباطن ، فإنه رب الحمد ، والمنفرد به فى الدارين [٢] . انتهى .

قلت : والأَوْلى أن يقال فى هذه الآية : إنَّها من إدماج غرض فى غرض ، فإن الغرض منها تفرّده تعالى بوصف الحمد وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء .

• • •

الافتنان

هو الإتيان فى كلام بفنَّين مختلفين كالجمع بين الفخر والتَّعزية فى قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ • وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَام﴾ [٣] ؛ فإنه تعالى عَزَّى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ماهو قابل للحياة ، وتمدّح بالبقاء بعد فناء الموجودات فى عشر لفظات ؛ مع وصفه ذاته بعد ــ انفراده بالبقاء ــ بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى ! .

ومنه ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا . .﴾ [٤] ، الآية ، جمع فيها بين هناء وعَزاء .

---

(١) القصص ٧٠ (٢) بديع القرآن ١٧٢
(٣) الرحمن ٢٧ (٤) مريم ٧٢

الاقتدار

هو أن يُبرز المتكلم المعنى الواحد فى عدّة صور اقتدارًا منه على نظْم الكلام وتركيبه ، وعلى صياغة قوالب المعانى والأغراض ؛ فتارة يأتى به فى لفظ الاستعارة وتارة فى صورة الإرداف ، وحينًا فى مخرج الإيجاز ، ومرّة فى قالب الحقيقة . قال ابن أبى الإصبع : وعلى هذا أتت جميعُ قصص القرآن ، فإنك ترى القصة الواحدة التى لا تختلف معانيها تأتى فى صور مختلفة ، وقوالب من الألفاظ متعدّدة حتى لا تكاد تشتبه فى موضعين منه ، ولابدّ أن تجد الفرق بين صورها ظاهرًا[1]

• • •

ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى

الأول : أن تكون الألفاظ يلائم بعضُها بعضًا ، بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله ، رعايةً لحسن الجوار والمناسبة .

والثانى : أن تكون ألفاظ الكلام ملائمةً للمعنى المراد ؛ فإن كان فخمًا كانت ألفاظه فخمة ، أو جزلا فجزلة . أو غريبًا فغريبة . أو متداولاً فمتداولة . أو متوسطًا بين الغرابة والاستعمال ، فكذلك .

فالأول كقوله تعالى : ﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾[2] أتى بأغرب ألفاظ القَسَم . وهى التاء ، فإنها أقلّ استعمالاً . وأبعدُ من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء ، والواو . وبأغرب صيغ الأفعال التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ؛ فإن « تزال » . أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً منها . وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحَرَض . فاقتضى حسن الوضع فى النظم أن تجاوَر كل لفظة

(١) بديع القرآن ٢٨٩ (٢) يوسف ٨٥

بلفظةٍ من جنسها في الغرابة ؛ توخيًّا لحسن الجوار ، ٭ ورغبةً في ائتلاف المعاني بالألفاظ. ولتتعادل الألفاظ. في الوضع وتتناسب في النظم ، ولمّا أراد غير ذلك قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾(١) ، فأتى بجميع الألفاظ. متداوَلة لاغرابة فيها .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾(٢) لمّا كان الركون إلى الظالم ، وهو المَيْل إليه ، والاعتماد عليه دون مشاركتِه في الظلم ، وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم ، فأتى بلفظ « المسّ » الذى هو دون الإحراق والاصطلاء .

وقوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(٣) ، أتى بلفظ « الاكتساب » المشعر بالكلفة والمبالغة فى جانب السّيئة لثقلها .

وكذا قوله : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا ﴾(٤) فهو أبلغ من « كُبّوا » ، للإشارة إلى أنهم يُكبّون كبًّا عنيفًا فظيعًا .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ ﴾(٥) ، فإنه أبلغ من « يصرخون » للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخًا منكرًا خارجًا عن الحدّ المعتاد .

﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾(٦) ، فإنه أبلغ من « قادر » ؛ للإشارة إلى زيادة التمكّن فى القدرة ، وأنه لارَادّ له ولا معقّب .

ومثل ذلك ﴿ وَاصْطَبِرْ ﴾(٧) ، فإنه أبلغ من « اصبر » ، و « الرحمن »

(١) الأنعام ١٠٩
(٢) هود ١١٣
(٣) البقرة ٢٨٦
(٤) الشعراء ٩٤
(٥) فاطر ٣٧
(٦) القمر ٤٢
(٧) مريم ٦٥
(٭) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ٩١ « ورعاية »

فإنه أبلغ من « الرحيم » :فإنه يشعر باللطف والرفق ،كما أن الرحمن مُشعر بالفخامة والعظمة .

ومنه الفرق بين سَقَى وأسقى ، فإن « سَقَى » لما لا كلفة معه فى السقيا ، ولهذا أورده تعالى فى شراب الجنة فقال : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾(١) ، و « أسقى » لما فيه كلفة ،ولهذا أورده فى شراب الدنيا ، فقال : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾(٢) ، ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾(٣) ، لأن السقيا فى الدنيا لاتخلو من الكلفة أبدًا .

الاستدراك والاستثناء

شرط كونهما من البديع أن يتضمّنا ضربًا من المحاسن زائدا على مايدّل عليه المعنى اللغوىّ .

مثال الاستدراك : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾(٤) فإنه لواقتصر على قوله : «لم تومنوا » لكان منفرًا لهم ؛ لأنهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقاد إيمانًا ، فأوجبت البلاغة ذكر الاستدراك ، ليُعلم أن الإيمان موافقةُ القلب اللسان ، وإن انفرد اللسان بذلك يسمّى إسلامًا ، لايسمّى إيمانًا .وزاد ذلك إيضاحًا بقوله : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(٤) ، فلمّا تضمّن الاستدراك إيضاحَ ما عليه ظاهرُ الكلام مِنَ الإشكال عُدّ من المحاسن

ومثال الاستثناء : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾(٥) ، فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهّد عُذْرَ نوحٍ فى دعائه على قومه بدعوة

(١) الانسان ٢١
(٢) المرسلات ٢٧
(٣) الجن ١٦
(٤) الحجرات ١٤
(٥) العنكبوت ١٤

أهلكتهم عن آخرهم ؛ إذ لو قيل : « فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا » لم يكن فيه من التهويل مافى الأوّل ؛ لأن لفظ « الألف » فى الأول أول مايطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقيّة الكلام ، وإذا جاء الاستثناء لم يبقَ له بعدما تقدمه وقعٌ يزيل ماحصل عنده من ذكر الألف .

• • •

الاقتصاص

ذكره ابن فارس : وهو أن يكون كلام فى سورة مقتصا من كلام فى سورة أخرى أو فى تلك السورة ، كقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(١) ، والآخرة دار ثواب لاعمل فيها ؛ فهذا مقتصّ من قوله : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾(٢)

ومنه : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾(٣) ، مأخوذ من قوله ﴿ أُولَئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾(٥) ، مقتصٌ من أربع آيات : لأن الأشهاد أربعة : الملائكة فى قوله : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾(٦) ، والأنبياء فى قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾(٧) . وأمّة محمد فى قوله : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾(٨) ، والأعضاء فى قوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ... ﴾(٩) الآية .

---

(١) العنكبوت ٢٧
(٢) طه ٧٥
(٣) الصافات ٥٧
(٤) سبأ ٣٨
(٥) غافر ٥١
(٦) ق ٢١
(٧) النساء ٤١
(٨) البقرة ١٤٣
(٩) النور ٢٤

وقوله : ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾(١) ، قرئ مخففًا ومشددًا ، فالأول مأخوذ من قوله : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾(٢) ، والثانى من قوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾(٣) .

• • •

الإبدال

هو إقامة بعض الحروف مقام بعض ، وجعل منه ابن فارس ﴿ فانفَلَق ﴾(٤) أى انفرق ، ولهذا قال : ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾(٤) ، فالرّاء واللّام متعاقبتان .

وعن الخليل فى قوله تعالى : ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيارِ ﴾(٥) ، إنه أريد « فحاسوا » فجاءت الجيم مقام الحاء . وقد قرىء بالحاء أيضًا . وجعل منه الفارسىّ : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾(٦) ، أى الخيل ؛ وجعل منه أبو عبيدة ﴿ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾(٧) أى تصدِدَةً .

• • •

تأكيد المدح بما يشبه الذم

قال ابن أبى الإصبع : هو فى غاية العزة فى القرآن . قال : ولم أجد منه إلاّ آية واحدة ، وهى قوله : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾(٨) ، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ماعابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم أن ما يأتى بعده مما يوجب أن يُنْقَمَ على فاعله مما

---

(١) غافر ٣٢ (٢) الأعراف ٤٤
(٣) عبس ٣٤ (٤) الشعراء ٦٣
(٥) الإسراء ٥ (٦) ص ٣٢
(٧) الأنفال ٣٥ (٨) المائدة ٥٩

يذم به ، فلمّا أتى بعد الاستثناء مايوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنًا تأكيدَ المدح بما يشبه الذّم .

قلت : ونظيرها قوله : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُوله مِنْ فَضْلِهِ ﴾(١) ، وقوله : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ ؛(٢) فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضى الإخراج ، فلمّا كان صفةَ مدحٍ يقتضى الإكرامَ لا الإخراج كان تأكيدًا للمدح بما يشبه الذم .

وجعل منه التنوخىّ فى الأقصى القريب : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا • إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾(٣) ، استثنى « سلامًا سلامًا » ، الذى هو ضدّ اللغو والتأثيم ، فكن ذلك مؤكدًا لانتفاء اللغو والتأثيم . انتهى .

• • •

التفويف

هو إتيان المتكلم بمعانٍ شتّى من المدح والوصف ، وغير ذلك من الفنون ، كلُّ فن فى جملة منفصلة عن أختها ، مع تساوى الجمل فى الزّنة ، وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة .

فمن الطويلة ﴿ الذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِين • وَالذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين • وَالذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِين ﴾(٤)

ومن المتوسطه ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فى اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّت مِنَ الْحَىِّ ﴾ (٥) .

(١) التوبة ٧٤
(٢) الحج ٤٠
(٣) الواقعة ٢٥ ، ٢٦
(٤) الشعراء ٧٨ ــ ٨١
(٥) آل عمران ٢٧

قال ابن أبي الإصبع : ولم يأت المركب من القصيرة فى القرآن [١] .

التقسيم

هو استيفاء أقسام الشىء الموجودة ، لا الممكنة عقلا ، نحو : ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٢] ، إذ ليس فى رؤية البرق إلاّ الخوف من الصواعق والطمع فى الأمطار ؛ ولا ثالث لهذين القسمين .

وقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾[٣] ، فإن العالم لايخلو من هذه الأقسام الثلاثة ، إمّا عاصٍ ظالم لنفسه ، وإمّا سابق مبادر المخيرات ، وإمّا متوسّط بينهما مقتصد فيها .

ونظيرها ﴿ وكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاَثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾[٤] .

وكذا قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾[٥] ، استوفى أقسام الزمان ، ولا رابع لهما .

وقوله : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ ﴾[٦] ، استوفى أقسام الخلق فى المشى .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[٧] ، استوفى جميع هيآت الذاكر .

---

(١) بديع القرآن ١٠٠ ، والعبارة فيه : « ولم يأت شىء من المركب من الجمل القصيرة فى شىء من الكلام الفصيح » .

(٢) الرعد ١٢

(٣) فاطر ٣٢

(٤) الواقعة ٧ ـ ١٠

(٥) مريم ٦٤

(٦) النور ٤٥

(٧) آل عمران ١٩١

وقوله : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾[1] ، استوفى جميع أحوال المتزوّجين ، ولا خامس لها .

التدبيج

هو أن يذكر المتكلم ألوانًا يقصد التورية بها والكناية ، قال ابن أبي الإصبع : كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[2] ، قال : المراد بذلك ـ والله أعلم ـ الكناية عن المشتبه ، والواضح من الطرق ؛ لأن الجادّة البيضاء هي الطريق التي كَثُر السلوك عليها جدًا ، وهي أوضح الطرق وأبينها ، ودونها الحمراء ، ودون الحمراء السوداء ، كأنها في الخفاء والالتباس ضدّ البيضاء في الظهور والوضوح . ولمّا كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفيْن وواسطة ، فالطرف الأعلى في الظهور والبياض ، والطرف الأدنى في الخفاء والسواد والأحمر بينهما على وضع الألوان في التركيب ، وكانت ألوان الجبال لاتخرج عن هذه الألوان الثلاثة والهداية بكلّ علم نصِب للهداية منقسمة هذه القسمة ، أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك ، فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم[3] .

• • •

التنكيت

هو أن يقصد المتكلمُ إلى شيء بالذكر دون غيره ، ممّا يسدُّ مسدّه ، لأجل نكتة في المذكور ترجّح مجيئه على سواه . كقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ

(١) الشورى ٤٩ ، ٥٠ (٢) فاطر ٢٧

(٣) بديع القرآن ٢٤٢ ، مع تصرف

الشِّعْرَى ﴾ (٣) ، خصَّ الشِّعرى بالذِّكْر دون غيرها من النجوم ، وهو تعالى ربّ كلّ شيء ؛ لأن العرب كان ظهَرَ فيهم رجلٌ يُعْرَف بابن أبي كَبْشَة ، عَبَدَ الشِّعرى ، ودعا خلقًا إلى عبادتها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾(١) التي ادُّعِيت فيها الربوبية .

• • •

التجريد

هو أن يُنتزع من أمرٍ ذي صفة آخر مثله ، مبالغةً في كمالها فيه نحو « لي من فلان صديق حميم » ، جرّد من الرجل الصديق آخر مثله متّصِفٌ بصفة الصّداقة . ونحو مررت بالرجل الكريم والنَّسمة المباركة ، جرّدوا من الرّجل الكريم آخر مثله متصفًا بصفة البركة ، وعطفوه عليه : كأنه غيره ، وهوهو .

ومن أمثلته في القرآن : ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ ﴾(٢) ؛ ليس المعنى أنّ الجنة فيها دار خلد وغير دار خلد ، بل هي نفسها دار الخلد ؛ فكأنه جرّد من الدار دارًا . ذكره في « المحتسب وجعل منه ﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾(٣) على أن المراد بالميّت النطفة . قال الزمخشري . وقرأ عبيد بن عمير ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةٌ كَالدِّهَانِ ﴾(٤) بالرّفع ، بمعنى حصلت منها وردة ، قال : وهو من التجريد ، وقرىء أيضًا ﴿ يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾(٥) قال ابن جني : هذا هو التجريد ، وذلك أنه يريد « وَهَبْ لي مِن

---

(١) النجم ٤٩
(٢) فصلت ٢٨
(٣) الأنعام ٩٥
(٤) الرحمن ٣٧
(٥) مريم ٦

لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى منه وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ » وهو الوارث نفسه ، فكأنه جرّد منه وارثا .

• • •

التعديد

هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ، وأكثر مايوجد فى الصفات ، كقوله : ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِى لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ . . . ﴾(٢) الآية .

وقوله : ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ . .. ﴾(٣) الآية .

• • •

الترتيب

هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها فى الْخِلْقة الطبيعية ، ولا يدخل فيها وصفًا زائدًا ، ومثّله عبد الباقى اليمنى بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾(٤) ، وبقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا... ﴾(٥) الآية .

• • •

---

(١) الحشر ٢٣ (٢) التوبة ١١٢
(٣) التحريم ٥ (٤) غافر ٦٧
(٥) الشمس ١٤

الترقّي والتدلّي

تقدّما في نوع التقديم والتأخير .

• • •

التضمين

يطلق على أشياء :

أحدها : إيقاع لفظ موقع غيره لتضمّنه معناه ، وهو نوع من المجاز تقدم [الكلام] فيه .

الثاني : حصول معنى فيه من غير ذكر له اسم هو عبارة عنه ، وهذا نوعٌ من الإيجاز ، تقدّم أيضاً .

الثالث : تعلق مابعد الفاصلة بها ، وهذا مذكور في نوع الفواصل .

الرابع : إدراج كلام الغَير في أثناء الكلام لقصدِ تأكيد المعنى ، أو ترتيب لنظم وهذا هو النوع البديعيّ ، قال ابن أبي الإصبع : ولم أظفر في القرآن بشيء منه إلا في موضعين تضمّنا فصلين من التوراة والإنجيل قوله : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ... ﴾ (١) الآية ، وقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . . . ﴾ (٢) الآية .

ومثله ابن النقيب (٣) وغيره بإيداع حكايات المخلوقين في القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (٤) . وعن المنافقين:

---

(١) المائدة ٤٥ (٢) الفتح ٢٩

(٣) ابن النقيب هو محمد بن سليمان بن الحسن البلخي ، جمال الدين بن النقيب ، فقيه من فقهاء الحنفية، وله تفسير ، قيل انه في سبعين مجلدة . توفي سنة ٦٩٨ : الفوائد البهية ١٦٨ .

(٤) البقرة ٣٠

﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾(١) ، ﴿ وقالت اليهود ﴾(٢) ، ﴿ وقالت النصارى ﴾(٢)
قال : وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية .

• • •

الجناس

هو تشابه اللفظين فى اللفظ ، قال فى كنز البراعة : وفائدته الميل إلى الإصغاء إليه ، فإنه مناسبة الألفاظ تُحدث ميلاً وإصغاء إليها ، ولأنَّ اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوّق إليه .

وأنواع الجناس كثيرة ، منها التامّ بأن يتفقا فى أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾(٣) وقيل : ولم يقع منه فى القرآن سواه : واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعاً آخر : وهو ﴿ يَكَادُ سَنَا برقه يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾(٤) . ﴿ يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصَارِ ﴾(٥) .

وأنكر بعضهم كون الآية الأولى من الجناس ، وقال : الساعة فى الموضعين بمعنى واحد . والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى . ولا يكون أحدهما حقيقة ، والآخر مجازاً ، بل يكونان حقيقتين ، وزمان القيامة وإن طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة ، فإطلاق الساعة على القيامة مجاز ، وعلى الآخرة حقيقة ، وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس ، كما لو قلت : « ركبت حماراً ولقيت حماراً » ، تعنى بليداً .

---

(١) البقرة ١٣ (٢،٢) البقرة ١١٣
(٣) الروم ٥٥ (٤) النور ٤٣
(٥) النور ٤٤

ومنها المصحّف : ويسمّى جناس الخط ، بأن تختلف الحروف فى النقط كقوله : ﴿ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (١)

ومنها المحرّف بأن يقع الاختلاف فى الحركات ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ۞ فانظرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (٢) .

وقد اجتمع التصحيف والتحريف فى قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (٣) .

ومنها الناقص ، بأن يختلف فى عدد الحروف ، سواء كان الحرف المزيد أولاً أو وسطاً أو آخراً ، كقوله : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاق ﴾ (٤) . ﴿ ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (٥) .

ومنها المذيّل ، بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف فى الآخر أو الأوّل ، وسمّى بعضهم الثانى بالمتوّج ، كقوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ ﴾ (٦) ، ﴿ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (٧) ، ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ ﴾ (٨) ، ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ ﴾ (٩) ﴿ مذبذبين بين ذَلِكَ ﴾ (١٠) .

ومنها المضارع ، وهو أن يختلفا بحرف مقارب فى المخرج ، سواء كان فى الأول أو الوسط أو الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ (١١) .

---

(١) الشعراء ٧٩ ، ٨٠
(٢) الصافات ٧٢ ، ٧٣
(٣) الكهف ١٠٤
(٤) القيامة ٢٩ ، ٣٠
(٥) النحل ٦٩
(٦) ٩٧
(٧) القصص ٤٥
(٨) الأعراف ٨٦
(٩) العاديات ١١
(١٠) النساء ١٤٣ .
(١١) الأنعام ٢٦

ومنها اللاحق ، بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك ، كقوله : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ (١) ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٢) ، ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ ﴾ (٤) .

ومنها المرفوّ ، وهو ما تركّب مِنْ كلمة وبعض أُخرى ، كقوله : ﴿ جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ ﴾ (٥) .

ومنها اللفظىّ ، بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء ، كقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٦) .

ومنها تجنيس القلب ، بأن يختلفا فى ترتيب الحروف ، نحو ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٧) .

ومنها تجنيس الاشتقاق ، بأن يجتمعا فى أصل الاشتقاق ، ويسمّى المقتضب ، نحو ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ (٨) . ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ (٩) ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ (١٠) .

ومنها تجنيس الإطلاق ، بأن يجتمعا فى المشابهة فقط كقوله : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ (١١) ، ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ (١٢) ، ﴿ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي ﴾ (١٣) ، ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ ﴾ (١٤) ، ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ

(١) الهمزة ١ (٢) العاديات ٧ ، ٨
(٣) غافر ٧٥ (٤) النساء ٨٣
(٥) التوبة ١٠٩ (٦) القيامة ٢٢ ، ٢٣
(٧) طه ٩٤ (٨) الواقعة ٨٩
(٩) الروم ٤٣ (١٠) الأنعام ٧٩
(١١) الرحمن ٥٤ (١٢) الشعراء ١٦٨
(١٣) المائدة ٣١ (١٤) يونس ١٠٧

أَرَضِيتُمْ ﴾[1] ، ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾[2] .

تنبيه

لكون الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك عند قوّة المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[3] ، قيل : ما الحكمة فى كونه لم يقل : «وما أنت بمصدّق» ، فإنه يؤدى معناه مع رعاية التجنيس .

وأجيب ؛ بأن فى «مؤمن لنا» من المعنى ما ليس فى «مصدّق» ، لأن معنى قولك : «فلان مصدّق لى» قال لى : صدقتَ ، وأمّا «مؤمن» فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ، ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ، فلذلك عبّر به .

وقد زلّ بعض الأدباء ، فقال فى قوله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾[4] : لو قال : «وتدعون» لكان فيه مراعاة للتجنيس .

وأجاب الإمام فخر الدين : بأن فصاحة القرآن ليست لرعاية هذه التكليفات بل لأجل قوّة المعانى وجزالة الألفاظ .

وأجاب غيره بأن مراعاة المعانى أولى من مراعاة الألفاظ ، ولو قال : «أتدعون» و «تدعون» ، لوقع الالتباس على القارئ ؛ فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفًا . وهذا الجواب غير ناضج .

وأجاب ابن الزملكانى : بأن التجنيس تحسين ، وإنما يُستعملُ فى مقام الوعد والإحسان ، لا فى مقام التهويل .

---

(١) التوبة ٣٨ (٢) فصلت ٥١
(٣) يوسف ١٧ (٤) الصافات ١٢٥

وأجاب الخويِّي : بأن « تدع » أخصّ من « تذر » لأنه بمعنى ترك الشيء مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق ، نحو الإيداع فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ، ولهذا يختار لها مَنْ هو مؤتمنٌ عليها .

ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة ، وأما « تذر » فمعناه الترك مطلقًا ، أو الترك مع الإعراض والرفض الكليّ .

قال الراغب : يقال : فلان يَذَرُ الشيء ، أى يقذفه لقلة الاعتداد به ، ومنه الوذرة قطعة من اللحم لقلة الاعتداد به ، ولا شكّ أن السِّياق إنما يناسب هذا دون الأول ؛ فأُريد هنا تبشيع حالهم فى الإعراض عن ربّهم ، وأنهم بلغوا الغاية فى الإعراض . انتهى

• • •

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة فى حكم ، كقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) ، جمع المال والبنون فى الزينة .

وكذلك قوله : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (٢)

• • •

الجمع والتفريق

هو أن تُدخل شيئين فى معنًى ، وتفرّق بين جهتَى الإدخال ؛ وجعل منه الطيبيّ قوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... ﴾ (٣) الآية ، جمع النفسين

(١) الكهف ٤٦ (٢) الرحمن ٥ ، ٦

(٣) الزمر ٤٢

فى حكم التوفّى ، ثم فرّق بين جهتى التوفى بالحكم بالإمساك والإرسال ، أى الله يتوفّى بالإمساك والإرسال ؛ أى الله يتوفّى الأنفس التى تُقبَض والتى لم تقبَض ، فيمسِك الأُولى ويرسل الأُخرى .

• • •

الجمع والتقسيم

وهو جمع متعدّد تحت حكم ، ثم تقسيمه ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ ﴾ (١) .

• • •

الجمع مع التفريق والتقسيم

كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاتَكَلَّم نَفْسٌ إلاَّ بِإِذْنِهِ... ﴾ (٢) الآيات . فالجمع فى قوله : « لاتكلّم نفس إلا بإذنه » ، لأنها متعدّدة معنًى ، إذ النكرة فى سياق النفى تعمّ ، والتفريق فى قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ، والتقسيم فى قوله : ﴿ فَأَمَّا الذِينَ شَقُوا ﴾ ، ﴿ وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ﴾ (٢)

• • •

جمع المؤتلف والمختلف

هو أن يريد التّسوية بين ممدوحيْن ، فيأتى بمعانٍ مؤتلفة فى مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر ، بزيادة فضل لايُنْقِص الآخر ، فيأتى لأجل

---

(١) فاطر ٣٢ (٢) هود ١٠٥ ـ ١٠٨ وما بعدها

ذلك بمعانٍ تخالف معنى التسوية ، كقوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ ... ﴾(١) الآية ، سوّى فى الحكم والعلم ، وزاد فضل سليمان بالفهم .

• • •

حسن النسق

هو أن يأتىَ المتكلِّمُ بكلماتٍ متتاليات معطوفات متلاحمات ، تلاحمًا سليمًا مستحسَنًا ، بحيث إذا أُفرِدَتْ كلُّ جملة منه قامت بنفسها ، واستقلّ معناها بلفظها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ... ﴾(٢) الآية ، فإنَّ جُمَلَهُ معطوف بعضها على بعض بواو النَّسَق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة ، من الابتداء بالاسم الذى هو انحسار الماء عن الأرض ، المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينةُ ، من الإطلاق من سِجْنها ، ثم انقطاع مادّة السماء المتوقَّف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ، ومنه إخلاف ماكان بالأرض ، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادّتين الذى هو متأخر عنه قطعًا ، ثم بقضاء الأمر الذى هو هلاك مَنْ قُدِّر هلاكه ، ونجاة مَنْ سبق نجاته ، وأُخِّرَعمّا قبله ؛ لأنَّ علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها ، وخروجهم موقوف على ماتقدّم . ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الأمن من الاضطراب ، ثم خَتم بالدعاء على الظالمين ؛ لإفادة أن الغَرَق وإن عمّ الأرض فلم يشمل إلّا من استحقّ العذاب لظلمِه .

• • •

---

(١) الأنبياء ٧٨ (٢) هود ٤٤

عتاب المرء نفسه

منه : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي . . . ﴾[١] ، الآيات .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ... ﴾[٢] ، الآيات .

العكس

هو أن يؤتى بكلام يقدّم فيه جزء ويؤخّر آخر ، ثم يقدّم المؤخر ، ويؤخّر المقدم ، كقوله تعالى : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٣] ، ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾[٤] ، ﴿ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[٥] ، ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾[٦] ، ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[٧] .

وقد سُئل عن الحكمة فى عكس هذا اللفظ ، فأجاب ابن المنير ؛ بأنّ فائدته الإشارة إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة .

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب : الحقّ أنّ كل واحد من فعل المؤمنة والكافر منفىّ عنه الحِلّ ، أما فعل المؤمنة فيحرم لأنها مخاطبة ، وأمّا فعل الكافر فنفى عنه الحِلّ باعتبار أن هذا الوطء مشتمل على المفسدة ، فليس الكفار مورد الخطاب ، بل الأئمة ومَنْ قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك ؛ لأنّ الشرع أمر بإخلاء الوجود من المفاسد ، فاتّضح أنّ المؤمنة نفى عنها الحلّ باعتبار ، والكافر نفى عنه الحلّ باعتبار .

(١) الفرقان ٢٧ — (٢) الزمر ٥٦
(٣) الأنعام ٥٢ — (٤) الحج ٦١
(٥) يونس ٣١ — (٦) البقرة ١٨٧
(٧) الممتحنة ١٠

قال ابن أبي الإصبع : ومن غريب أُسلوب هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا • وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾(١) ، فإن نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى ، لتقديم العمل فى الأولى على الإيمان وتأخيره فى الثانية عن الإسلام .

ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوىّ ، وما لا يستحيل بالانعكاس ، وهو أن تقرأ الكلمة من آخرها إلى أولها ، كما تُقرأ من أولها إلى آخرها كقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾(٢) ، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾(٣) ، ولا ثالث لهما فى القرآن .

• • •

العنوان

قال ابن أبي الإصبع :(٤) هو أن يأخذ المتكلم فى غرض ، فيأتى لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة فى ألفاظ ، تكون عنوانًا لأخبارٍ متقدّمة ، وقصصٍ سالفة ؛ ومنه نوع عظيم جدًا ، وهو عنوان العلوم ، بأن يذكر فى الكلام ألفاظًا تكون مفاتيحَ لعلوم ومداخل لها .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا . . . ﴾(٥) الآية ، فإنّه عنوان قصة بلْعام .

ومن الثانى قوله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ... ﴾(٦) الآية ، فيها عنوان علم الهندسة(٧) ، فإنّ الشكل المثلّث أول الأشكال .

---

(١) النساء ١٢٤ ، ١٢٥
(٢) الأنبياء ٣٣
(٣) المدثر ٣
(٤) بديع القرآن ٢٥٧
(٥) الأعراف ١٧٥
(٦) المرسلات ٣٠
(٧) بديع القرآن : « وهذا عنوان العلم المنسوب الى اقليدس » .

وإذا نُصب فى الشمس على أىّ ضلع من أضلاعه ،لايكون له ظِلٌّ ، لتحديد رءوس زواياه ، فأمر الله تعالى أهل جهنّم بالانطلاق إلى ظلّ هذا الشكل تهكُّما بهم .

وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾(١) الآيات ، فيها عنوان علم الكلام ، وعلم الجدَل ، وعلم الهيئة (٢) .

• • •

الفرائد

هو مختصٌّ بالفصاحة دون البلاغة ؛ لأنه الإتيان بلفظةٍ تتنزّل منزلة الفريدة من العقد – وهى الجوهرة التى لانظير لها – تدلّ على عِظم فصاحة هذا الكلام ، وقوة عارضته ، وجزالة منطقه ، وأصالة عربيّته ، بحيث لو أُسقطتْ من الكلام عزّت على الفصحاء [غرابتها] (٣) .

ومنه لفظ : « حصحص » فى قوله : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾(٤) ، و « الرّفث » فى قوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾(٥) .

ولفظة « فُزِّع » فى قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ (٦) .

و« خائنة الأعين » فى قوله : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾(٧) .

وألفاظ قوله : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾(٨) ، وقوله : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (٩) .

---

(١) الأنعام ٧٥

(٢) بديع القرآن : « وهذا عنوان العلم المعروف بالمجسطى » .

(٣) من بديع القرآن ٢٨٧

(٤) يوسف ٥١

(٥) البقرة ١٨٧

(٦) سبأ ٢٣

(٧) غافر ١٩

(٨) يوسف ٨٠

(٩) الصافات ١٧٧

القسم

هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء ، فيحلف بما يكون فيه فخرٌ له ، أو تعظيمٌ لشأنه ،أوتنويه لقدره ، أوذمٌّ لغيره ، أوجاريًا مجرى الغزل والترفق ، أو خارجًا مخرج الموعظة والزهد ، كقوله : ﴿ فَوَرَبِّ السَّماء والأَرْضِ إِنَّهُ لحقٌ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾(١) . أقسم سبحانه وتعالى بقسم يوجب الفخر ، لتضمّنه التمدّح بأعظم قدرة ، وأجل عظمة .

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٢) ، أقسم سبحانه وتعالى بحياة نبيّه صلى الله عليه وسلم تعظيمًا لشأنه ، وتنويهًا بقدره . وسيأتى فى نوع الإقسام أشياء تتعلق بذلك .

• • •

اللف والنشر

هوأن يُذكر شيئان أو أشياء ، إمّا تفصيلاً بالنصّ على كلّ واحد ، أو إجمالا بأن يؤتَى بلفظ يشتمل على متعدّد ، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك ، كلٌّ واحديرجع إلى واحدمن المتقدم ، ويفوِّض إلى عقل السامع ردّ كلّ واحد إلى مايليق به . فالإجمالىّ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (٣) ، أى وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلاّ اليهود ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلاّ النصارى ؛ وإنما سوّغ الإجمال فى اللفّ ثبوت العناد بين اليهود والنصارى ، فلايمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة ، فوُثق بالعقل فى أنه يردّ كلّ قول إلى فريقه لأمْنِ اللّبس ، وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران .

---

(١) الذاريات ٢٣ (٢) الحجر ٧٢

(٣) البقرة ١١١

قلت : وقد يكون الإجمال فى النشر لافى اللف ؛ بأن يؤتى بمتعدد ، ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهما ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (١) على قول أبي عبيدة : إن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل ، وقد بينته فى أسرار التنزيل .

والتفصيل قسمان :

أحدهما : أن يكون على ترتيب اللف ، كقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فيه ولتبتغوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢) فالسكون راجع إلى الليل ، والابتغاء راجع إلى النهار .

وقوله تعالى : ﴿ ولاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ (٣) ، فاللوم راجع إلى البخل ، ومحسوراً راجع إلى الإسراف ، لأن معناه : منقطعا لاشيء عندك .

وقوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا . . . ﴾ الآيات ، فإن قوله : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ﴾ راجع إلى قوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فَآوَى ﴾ و ﴿ وأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ﴾ راجع إلى قوله : ﴿ وَ وَجَدَكَ ضَالا ﴾ فإن المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره ، و﴿ وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ راجع إلى قوله : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ (٤) رأيت هذا المثال فى شرح الوسيط للنووى المسمى بالتنقيح .

والثانى : أن يكون على عكس ترتيبه ، كقوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وجُوهُهُمْ . . . ﴾ (٥) .

وجعل منه جماعة قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُول والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى

(١) البقرة ١٨٧
(٢) القصص ٧٣
(٣) الاسراء ٢٩
(٤) الضحى ٨
(٥) آل عمران ١٠٦

نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ (١) ، قالوا : « متى نصر الله » : قول الذين آمنوا « ألا إنَّ نصر الله قريب » قول الرسول .

وذكر الزمخشريّ قسماً آخر ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢) ، قال : هذا من باب اللفّ ، وتقديره : « وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » ، إلا أنَّه فصل بين « منامكم » و« ابتغاؤكم » بالليل والنهار لأنهما زمانان ، والزمان الواقع فيه كشىء واحد مع إقامة اللفّ على الاتحاد .

• • •

المشاكلة

ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقًا ، أو تقديرًا .

فالأول كقوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (٣) . ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ ﴾ (٤) ، فإن إطلاق النفس والمكر فى جانب البارئ تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه . وكذا قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٥) ؛ لأنَّ الجزاء حقٌّ لا يوصف بأنه سيئة ، ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ (٦) ، ﴿ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾ (٧) ، ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾ (٨) ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٩) .

ومثال التقديريّ قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللهِ ﴾ (١٠) ، أى تطهير الله ؛ لأن

---

(١) البقرة ٢١٤ (٢) الروم ٢٣
(٣) المائدة ١١٦ (٤) آل عمران ٥٤
(٥) الشورى ٤٠ (٦) البقرة ١٩٤
(٧) الجاثية ٣٤ (٨) التوبة ٧٩
(٩) البقرة ١٤ ، ١٥ (١٠) البقرة ١٣٨

الإيمان يطهّر النفوس . والأصل فيه أنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمّونه المعمودية ، ويقولون : إنه تطهير لهم ، فعبّر عن الإيمان « بصبغة الله » للمشاكلة بهذه القرينة .

• • •

المزاوجة

أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء ، أو ما جرى مجراهما ، كقوله :

إذا مَا نَهَى النَّاهى فلجَّ بِىَ الهوى أصاخَت إلى الواشى فلجَّ بها الهجر[1]

ومنه فى القرآن : ﴿ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[2] .

• • •

المبالغة

أن يذكر المتكلّم وصفًا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ فى المعنى الذى قصده . وهى ضربان : مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حدّ الاستحالة ، ومنه ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[3] ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[4] ومبالغة بالصيغة ، وصيغ المبالغة : « فعلان » كالرحمن . و « فعيل » كالرحيم « وفعّال » كالتوّاب والغفار والقهّار . و « فَعُول » كغفور وشكور وودود . و « فَعِل » كحذِر وأشر وفرِح . و « فُعَال » بالتخفيف ، كعُجاب وبالتشديد ككبّار ، و « فُعَل » كلُبَد وكبَر ، و « فُعْلى » كالعليا والحسنى وشورى والسوءى .

(١) البحترى ، ديوانه ١ : ٢١٧
(٢) الأعراف ١٧٥
(٣) النور ٣٥
(٤) الأعراف ٤٠

فائدة

الأكثر على أن « فَعْلان » أبلغ من « فَعيل » ، ومن ثَمّ قيل : « الرحمن » أبلغُ من « الرحيم » ونصره السهيليّ بأنّه ورد على صيغة التثنية ، والتثنية تضعيف ، فكأنّ البناء تضاعفت فيه الصّفة . وذهب ابنُ الأنباريّ إلى أن « الرحيم » أبلغ من « الرحمن » ورجّحه ابن عسكر بتقديم « الرحمن » عليه ، وبأنّه جاء على صيغة الجمع ، كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية . وذهب قُطْرب إلى أنّهما سواء .

• • •

فائدة

ذكر البرهان الرشيديّ أن صفات الله التي على صيغة المبالغة كلّها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ؛ لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر ممّا له . وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها ، وأيضاً فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزّهة عن ذلك ، واستحسنه الشيخ تقيّ الدين السّبكيّ .

وقال الزّركشي في البرهان : التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان :

أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

والثاني : بحسب تعدّد المفعولات ، ولا شك أن تعدّدها لا يوجب للفعل زيادة . إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعدّدين ، وعلى هذا القسم تنزّل صفاته تعالى ويرتفع الإشكال ؛ ولهذا قال بعضهم في « حكيم » : معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع .

وقال في الكشاف : المبالغة في التّوّاب للدلالة على كثرة مَنْ يتوب عليه

من عباده ، أولأنه بليغ فى قبول التوبة . نُزِّل صاحبها منزلة من لم يذنب قطْ. لسعة كرمه .

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً على قوله :﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ، وهو أن « قديراً » من صيغ المبالغة ، فيستلزم الزيادة على معنى « قادر » . والزيادة على معنى « قادر » محال ، إذ الإيجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كلّ فرد فرد .

وأُجيب : بأنّ المبالغة لمّا تعذّر حملها على كلّ فرد وجب صرفُها إلى مجموع الأفراد التى دل السّياق عليها ، فهى بالنسبة إلى كثرة المتعلّق لا الوصف .

• • •

المطابقة

وتسمّى الطباق : الجمع بين متضادّين فى الجملة ؛ وهو قسمان : حقيقىّ ومجازىّ ، والثانى يسمّى التكافؤ ، وكلّ منهما إما لفظىّ أو معنوىّ ، وإمّا طباق إيجاب أو سلب .

ومن أمثلة ذلك ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (٢) . ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾(٣) ، ﴿ لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٤) . ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ (٥) .

ومن أمثلة المجازىّ ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ (٦) . أىْ ضَالاً فَهَدَيْنَاهُ .

ومن أمثلة طباق السلب ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾(٧) . ﴿ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ (٨) .

(١) البقرة ٢٨٤
(٢) التوبة ٨٢
(٣) النجم ٤٣ ، ٤٤
(٤) الحديد ٢٣
(٥) الكهف ١٨
(٦) الأنعام ١٢٢
(٧) المائدة ١١٦
(٨) المائدة ٤٤

ومن أمثلة المعنوى ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۞ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ (١) معناه « ربنا يعلم إنا لصادقون » .

﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ (٢) ، قال أبو علىّ الفارسىّ : لمّا كان البناء رفعًا للمبنىّ قوبل بالفراش الذى هو على خلاف البناء .

ومنه نوع يسمّى الطباق الخفىّ ، كقوله : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾(٣) ، لأن الغرق من صفات الماء ، فكأنّه جمع بين الماء والنار ، قال ابن منقذ (٤) : وهى أخفى مطابقة فى القرآن .

وقال ابن المعتز (٥) : من أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٦) ؛ لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

ومنه نوع يسمّى ترصيع الكلام ، وهواقتران الشىء بما يجتمع معه فى قدر مشترك كقوله : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ (٧) ، أى بالجوع مع العرى ؛ وبابه أن يكون مع الظمأ ، وبالضحى مع الظمأ ، وبابه أن يكون مع العرى ، لكنّ الجوع والعرْى اشتركا فى الخلوّ فالجوع خلوّ الباطن من الطعام ، والعرى خلوّ الظاهر من اللباس ، والظمأ والضحى اشتركا فى الاحتراق ، فالظمأ : احتراق الباطن من العطش والضُّحى : احتراق الظاهر من حر الشّمس .

(١) يس ١٥ ، ١٦ (٢) البقرة ٢٢

(٣) نوح ٢٥

(٤) هو أسامة بن منقذ الأمير الشيرزى ، صاحب كتاب البديع وغيره من كتب الأدب والتاريخ ، توفى سنة ٥٨٤ .

(٥) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله ، الخليفة ، الشاعر المبدع ، صاحب كتاب البديع وغيره ، توفى مقتولا سنة ٢٩٦ .

(٦) البقرة ١٧٩ (٧) طه ١١٨ ، ١١٩

ومنه نوع يسمّى المقابلة ، وهي أن يذكر لفظان فأكثر ، ثم أضدادهما على الترتيب ، قال ابن أبي الإصبع : والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين :

أحدهما : أن « الطّباق » لايكون إلّا من ضدّين فقط ، والمقابلة لاتكون إلا بما زاد من الأربعة إلى العشرة .

والثاني : أن الطّباق لايكون إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وبغيرها .

قال السكاكيّ : ومن خواصّ المقابلة أنّه إذا شرط في الأول أمر شرط في الثاني ضدّه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . . . ﴾ (1) الآيتين ؛ قابل بين الإعطاء والبخل ، والاتقاء والاستغناء ، والتصديق والتكذيب ، واليسرى والعسرى ، ولمّا جعل التيسير في الأول مشتركًا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق ، جعل ضده ، وهو التعسير مشتركا بين أضدادها .

وقال بعضهم : المقابلة إمّا لواحد بواحد ، وذلك قليل جدًّا ، كقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (2) .

أو اثنين باثنين ، كقوله : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (3)

أو ثلاثة بثلاثة كقوله : ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (4) ، ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (5) .

وأربعة بأربعة ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى . . . ﴾ (6) الآيتين .

وخمسة بخمسة ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا . . ﴾ (7) الآيات ، قابل بين « بعوضة فما فوقها » وبين « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا » ،

---

(1) الليل ٥
(2) البقرة ٢٥٥
(3) التوبة ٨٢
(4) الأعراف ١٥٧
(5) البقرة ١٥٢
(6) الليل ٥
(7) البقرة ٢٦

و « وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا » ، وبين « يضلّ » و « يهدى » ، وبين « ينقضون » و « ميثاقه » ، وبين « يقطعون » و « أن يوصل » .

أو ستة بستة ، كقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ . . . ﴾(١) ، الآية ، ثم قال ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ . . . ﴾ (١) ، الآية : قابل « الجنات » ، والأنهار ، والخلد ، والأزواج ، والتطهير ، والرضوان ، بإزاء النساء ، والبنين ، والذهب والفضة ، والخيل المسوّمة ، والأنعام ، والحرث .

وقسّم آخرُ المقابلَةَ إلى ثلاثة أنواع : نظيرىّ ، ونقيضىّ ، وخلافىّ .

مثال الأول : مقابلة السِّنة بالنوم فى الآية الأولى فإنّهما جميعا من باب الرقاد المقابَل باليقظة فى آية ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُود ﴾ (٢) ، وهذا مثال الثانى ؛ فإنّهما نقيضان .

ومثال الثالث : مقابلة الشرّ بالرشد فى قوله : ﴿ وأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُم رَشَدا ﴾(٣) ، فإنّهما خلافان لا نقيضان ، فإن نقيض الشرّ الخير ، والرشد الغىّ .

• • •

المواربة

براء مهملة وباء موحّدة أن يقول المتكلّم قولا يتضمّن ما يُنكَر عليه ، فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجهًا من الوجوه يتخلّص به ، إمّا بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص ، قال ابن أبى الإصبع : ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب : ﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ

(١) آل عمران ١٤ ، ١٥ (٢) الكهف ١٨

(٣) الجن ١٠

سَرَقَ ﴾[١] ، فإنه قرىء : « إن ابنك سُرِّقَ ولم يسرق » ، فأتى بالكلام على الصحة بإبدال ضمة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها[٢] .

• • •

المراجعة

قال ابن أبي الإصبع : هي أن يحكي المتكلم مراجعةً في القول جرت بينه وبين محاوره ، بأوجز عبارة وأعدل سَبْك ، وأعذب ألفاظ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٣] جَمعت هذه القطعة — وهي بعض آية — ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام ؛ من الخبر والاستخبار ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ؛ بالمنطوق والمفهوم[٤] .

قلت : أحسن من هذا أن يقال ، جَمعت الخبر والطلب ، والإثبات والنفي ، والتأكيد والحذف ، والبشارة والنذارة ، والوعد والوعيد .

• • •

النزاهة

هي خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش ، حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء ، وقد سئل عن أحسن الهجاء : هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لايقبح عليها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٥] ، فإن ألفاظ ذم هؤلاء

(١) يوسف ٨١
(٢) بديع القرآن ٩٥
(٣) البقرة ١٢٤
(٤) بديع القرآن ٣٠٠
(٥) النور ٤٨ ، ٥٠

المخبَر عنهم بهذا الخبر أتت منزهّة عمّا يقبح فى الهجاء من الفحش . وسائر هجاء القرآن كذلك (١) .

• • •

الإبداع

بالباء الموحّدة. أن يشتمل الكلام على عدّة ضروب من البديع ، قال ابن أبى الإصبع : ولم أرَ فى الكلام مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءكِ ﴾ (٢) فإن فيها عشرين ضربًا من البديع ، وهى سبع عشرة لفظة ؛ وذلك : المناسبة التامة فى « ابلعى » « وأقلعى » ، والاستعارة فيهما ، والطباق بين الأرض والسماء ، والمجاز فى قوله تعالى : ﴿ يَاسَمَاء ﴾ فإن الحقيقة يامطر السماء ، والإشارة فى « وغيض الماء » ، فإنه عبّر به عن معان كثيرة ، لأن الماء لايغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء ، فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء . والإرداف فى : « واستوت » . والتمثيل فى : « وقضى الأمر » . والتعليل ، فإنّ « غَيْض الماء » . عِلّة الاستواء ، وصحة التقسيم ، فإنه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه ، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء ، والماء النابع من الأرض ، وغَيْض الماء الذى على ظهرها . والاحتراس فى الدعاء ؛ لئلا يتوهّم أن الغَرق لعمومه شَمَل من لايستحق الهلاك ، فإن عَدْلَه تعالى يمنع أن يدعوَ على غير مستحقّ ، وحسن النسق وائتلاف اللفظ مع المعنى ، والإيجاز ؛ فإنه تعالى قصّ القصة مستوعبة بأخصر عبارة ، والتسهيم ؛ لأنّ أول الآية يدل على آخرها ، والتهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن ، كلّ لفظة سهلة مخارج الحروف ، عليها رونق

(١) بديع القرآن ٢٩٣ (٢) هود ٤٤

الفصاحة مع الخلوّ من البشاعة وعقادة التركيب . وحسن البيان ؛ من جهة أنّ السامع لايتوقف فى فهم معنى الكلام ، ولا يشكل عليه شىء منه ، والتمكين ؛ لأنّ الفاصلة مستقرّة فى محلها ، مطمئنة فى مكانها ، غير قلقة ولامستدعاة ، والانسجام ، [وهو تحدّر الكلام بسهولة وعذوبة سبك ، مع جزالة لفظ ؛ كما ينسجم الماء القليل من الهواء] [١] .

هذا ما ذكره ابن أبى الإصبع [٢] .

قلت : فيها أيضا الاعتراض .

• • •

(١) من بديع القرآن

(٢) بديع القرآن ٣٤٠ ـ ٣٤٣

النوع التاسع والخمسون

فى فواصِل الآىْ

الفاصلة كلمة آخر الآية ، كقافية الشِّعر وقرينة السجع .

وقال الدّانى[١] : كلمة آخر الجملة .

قال الجعبرى[٢] : وهو خلاف المصطلح ، ولا دليلَ له فى تمثيل سيبويه[٣] ، بـ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾[٤] ، و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[٥] ، وليسا رأس آيٍ ؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية[٦] .

وقال القاضى أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها إفهام المعانى .

وفرق الدّانى بين الفواصل ورءوس الآى ، فقال : الفاصلة هى الكلام المنفصِل عمّا بعده . والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس ، وكذلك الفَواصل يكنَّ رءوس آيٍ وغيرها ؛ وكلّ رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ؛ قال : ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى ﴿ يوم يأْتِ ﴾ ، و ﴿ مَا كُنَّا نَبْغ ﴾ - وليسا رأس آيتين بإجماع - مع ﴿ إِذَا يَسْرِ ﴾[٧] وهو رأس آية باتفاق .

---

(١) هو الامام عثمان بن سعيد أبو عمرو الدانى ، أحد أئمة القراءات ، وصاحب كتاب التيسير والمقنع والاكتفاء وغيرها من الكتب التى تتعلق بالقراءات توفى سنة ٤٤٤ هـ . انباه الرواة ٢ : ٣٤١ .

(٢) هو ابراهيم بن عمر بن ابراهيم الجعبرى . صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز المعانى ، وكتاب روضة الطرائف فى رسم المصاحف . توفى سنة ٧٣٢ هـ . الدرر الكامنة ١ : ٥٠

(٣) الكتاب ٢ : ٢٨٩

(٤) هود ١٠٥

(٥) الكهف ٦٤

(٦) نقله فى البرهان ١ : ٥٣

(٧) الفجر ٤

وقال الجعبريّ : لمعرفة الفواصل طريقان : توقيفيّ ، وقياسيّ . أما التوقيفيّ فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائمًا تَحَقَّقْنَا أنه فاصلة ، وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرّة ووصله أُخرى ، احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة ، أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدّم تعريفها . وأما القياسيّ فهو ما أُلحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسِب ، ولا محذورَ في ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ، وإنما غايتهُ أنه محلّ فصل أو وصل والوقف على كلّ كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياس إلى طريق تعرّفه ، فنقول : فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر ، ومايذكر من عيوب القافية مِن اختلاف الحدّ[1] والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة ، وقافية الأُرجوزة من نوع إلى آخر ، بخلاف قافية القصيدة ، ومن ثمّ ترى ﴿ يَرجعون ﴾ مع ﴿ عليم ﴾[2] ﴿ والميَعاد ﴾ مع ﴿ الثواب ﴾[3] ، ﴿ والطارق ﴾ مع ﴿ الثاقب ﴾[4] .

والأَصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة ، ومن ثمّ أجمع العادُّون على ترك عدّ ﴿ ويأْتِ بآخرين ﴾[5] ، ﴿ وَلا الملائكة المقرّبون ﴾[6] في النساء ، ﴿ كذَّب بها الأولون ﴾[7] ، بسبْحَان ، و﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينِ ﴾[8] بمريم ، و ﴿ لعلَّهُمْ يتَّقون ﴾[9] ، بطه ، و ﴿ من الظلمات إلى النور ﴾[10] ،

---

(١) البرهان «الحذو» وفي طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٠٠ « الحركة » .
(٢) آل عمران ٧٢ ، ٧٣
(٣) آل عمران ١٩٤ ، ١٩٥
(٤) الطارق ١ ، ٢
(٥) النساء ١٣٣
(٦) النساء ١٧٢
(٧) الاسراء ٥٩
(٨) مريم ٩٧
(٩) طه ١١٣
(١٠) الطلاق ١١

﴿ أنَّ الله على كل شىء قدير ﴾ (١) بالطلاق ، حيث لم يشاكل طرفيه .

وعلى تركِ عدّ ﴿ أفغيْرَ دِينِ اللهِ يبْغُون ﴾ (٢) بآل عمران ، و ﴿ أفحُكم الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُون ﴾ (٣) بالمائدة ، وعدّوا نظائرها للمناسبة ، نحو : ﴿ لأُولِي الألْبَاب ﴾ (٤) بآل عمران وَ ﴿ عَلَى اللهِ كذبا ﴾ (٥) بالكهف ، ﴿ وَالسَّلْوى ﴾ (٦) ، بطه (٧) .

وقال غيره : تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب ؛ لتحسين الكلام بها ، وهى الطريقة التى يُباينُ القرآنبها سائرَ الكلام ، وتسمّىفواصل ؛ لأنه ينفصل عنده الكلامان وذلك أنَّ آخرالآية فصل بينها وبين مابعدها ، وأخذًا من قوله تعالى : ﴿ كِتابٌ فُصلتْ آياتُهُ ﴾ (٨) . ولا يجوز تسميتها قوافىَ إجماعا ؛ لأن الله تعالى لمّا سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنّها منه ، وخاصة فى الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة فى الشعر ؛ لأنّها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعدّاه . وهل يجوز استعمال السجع فى القرآن ؟ خلاف ، الجمهور على المنع ؛ لأنَّ أصلَه من سجع الطير فشرُف القرآن أن يُستعارَ لشىء منه لفظ أصله مهمل ؛ ولأجل تشريفهْ عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ولأن القرآن من صفاته تعالى ، فلا يجوز وصفه بصفة لم يَردِالإذنُ بها .

قال الرمانىّ فى إعجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال : فى القرآن سجع ، وفرّقوا بأنَّ السجع هوالذى يقصَد فى نفسه ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التى تتبع المعانى ، ولا تكون مقصودة فى نفسها ، قال : ولذلك

---

(١) الطلاق ١٢
(٢) آل عمران ٨٣
(٣) المائدة ٥٠
(٤) آل عمران ١٩٠
(٥) الكهف ١٥
(٦) طه ٨٠
(٧) نقله في البرهان ١ : ٩٩ ، ١٠٠
(٨) فصلت ٣

كانت الفواصل بلاغة ، والسجع عيبا وتبعه على ذلك القاضى أبو بكر الباقلانىّ ، ونقله عن نصّ أبي الحسن الأشعرىّ ، وأصحابنا كلهم . قال : وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع فى القرآن ، وزعموا أن ذلك ممّا يَبين به فضلُ الكلام ، وأنه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة ، كالجناس والالتفات ونحوهما ، قال : وأقوى ما استدلُّوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون ولمكان السجع قيل فى موضع : ﴿ هارونَ وموسى ﴾ (١) ولما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون قيل : ﴿ موسى وهارون ﴾ (٢) ، قالوا : وهذا يفارق أمرَ الشعر لأنه لايجوز أن يقع فى الخطاب إلاّ مقصودا إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القَدْر الذى تسميه شعرا ؛ وذلك القدر مما يتّفق وجوده من المفحم ، كما يتفق وجوده من الشاعر . وأما ما جاء فى القرآن من السجع فهو كثير لايصّح أن يتفق غير مقصود إليه .

وبنو الأمر فى ذلك على تحديد معنى السجع ، فقال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على حدٍّ واحد .

وقال ابن دريد : سجعت الحمامةُ معناه ردّدت صوتها ؛ قال القاضى : وهذا غيرصحيح ، ولو كان القرآن سجعًا لكان غيرَ خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز ، وكيف والسجع ممّا كان تألفه الكهّان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدرُ بأن يكون حجةً من نفى الشعر ؛ لأن الكهانة تنافى النبوّات بخلاف الشعر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أسَجْعٌ كسجع الكهان ! » فجعله مذمومًا .

---

(١) طه ٧٠ (٢) الشعراء ٤٨

قال : وما توهَّموا أنّه سجع باطل ؛ لأَن مجيئه على صورته لا يقتضى كونَه هو ؛ لأَن السجع يتبع المعنى فيه اللفظَ الذى يؤدّى السجع ، وليس كذلك ما اتفق ممّا هو فى معنى السجع من القرآن ؛ لأَن اللفظ وقع فيه تابعًا للمعنى ؛ وفَرْقٌ بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بأَلفاظه التى تؤدّى المعنى المقصود منه ، وبين أن يكون المعنى منتظمًا دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم المعنى بنفسه دونَ السجع ، كان مستجلبًا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى .

قال : وللسَّجْع منهج محفوظ وطريق مضبوط ، مَنْ أخلّ به وقع الخللُ فى كلامه ونُسِب إلى الخروج عن الفصاحة ، كما أنَّ الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئًا ، وأنْتَ ترى فواصل القرآن متفاوتة ، بعضها متدانى المقاطع ، وبعضُها يمتدّ حتى يتضاعف طولُه عليه ، وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الأَول بعد كلام كثير ؛ وهذا فى السجع غير مرضىّ ولا محمود .

قال : وأمّا ما ذكروه من تقديم موسى على هارون فى موضع ، وتأْخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ؛ بل الفائدة فيه إعادةُ القصة الواحدة بأَلفاظ مختلفة تؤدّى معنًى واحدًا ، وذلك من الأَمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبيّن فيه البلاغة ، ولهذا أُعيدَت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة ، تنبيهًا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً به ومتكرّرًا ؛ ولو أمكنهم المعارضة لقصدُوا تلك القصّة ، وعبّروا عنها بأَلفاظ لهم تؤدّى إلى تلك المعانى ونحوها ، فعلى هذا القصد - بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأْخيرها - إظهار الإعجاز دون السجع ؛ إلى أن قال : فبانَ بذلك أنَّ الحروف الواقعة فى الفواصل متناسبة موقع النظائر التى تقع فى الأَسجاع لا تخرجُها عن حدّها ، ولا تدخلها فى باب السجع ، وقد بيّنا أنهم يذمّون كلَّ

سجع خرج عن اعتدال الأجزاء؛ فكان بعض مصاريعه كلمتين ، وبعضها أربع كلمات ، ولايرونْ ذلك فصاحةً ، بل يرونه عجزًا ، فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع ، لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل يزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن . انتهى كلام القاضى فى كتاب الإعجاز[١] .

ونقل صاحب عروس الأفراح عنه ، أنه‌ذهب فى الانتظار إلى جواز تسمية الفواصل سجعاً .

وقال الخفاجىّ فى سر الفصاحة : قول الرّمانىّ إنّ السجع عيب والفواصل بلاغة غلط ؛ فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى - وهو غير مقصود متكلف - فذلك بلاغة والفواصل مثله ، وإن أراد به ماتقع المعانى تابعة له - وهو مقصودٌ متكلَّف - فذلك عيب ، والفواصل مثله . قال : وأظنُّ الذى دعاهم إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصِل ، ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعًا ، رغبتُهم فى تنزيه القرآن عن الوصف الّلاحق بغيره من الكلام المروىّ عن الكَهَنة وغيرهم . وهذا غرض فى التسمية قريب ، والحقيقة ماقلناه. قال : والتحرير أنّ الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل .

قال : فإن قيل : إذا كان عندكم أن السجع محمود ، فهلا ورد القرآن كله مسجوعًا وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعًا وبعضه غير مسجوع ؟ قلنا : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عُرْفهم وعادتهم؛ وكان الفصيح منهم لايكون كلامه كله مسجوعًا لِمَا فيه من أمارات التكلف والاستكراه ، لاسيما مع طول الكلام ، فلم يُرِده كلَّه مسجوعًا جريًا منهم على عرفهم فى اللطافة الغالبة أو الطبقة •

(١) اعجاز القرآن ١٠٠

(*) الاثبات من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٠٢ .

العالية من كلامهم ، ولم يخلُ من السجع ؛ لأنه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة .

وقال ابن النفيس [١] : يكفى فى حسن السجع ورودُ القرآن به ، قال : ولا يقدح فى ذلك خلوّه فى بعض الآيات ؛ لأن الْحَسَن قد يقتضى المقامُ الانتقال إلى أحسنَ منه .

قال حازم : مِن الناس من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة فى الطول والقصَر ، لما فيه من التكلف إلا مايقع الإلمام به فى النادر من الكلام .

ومنهم مَنْ يرى أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام فى قَالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جداً .

ومنهم - وهو الوسط - مَنْ يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام ، فقد يدعو إلى التكلُّف ، فرئىَ ألّا يستعمل فى جملة الكلام وألّا يخلى الكلام منه جملة ، وأنه يُقبَل منه ما اجتلبه الخاطر عفواً بلا تكلُّف .

قال : وكيف يعاب السجع على الإطلاق ، وإنَّما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع فى كلامهم ، وإنَّما لم يجىء على أسلوب واحدٍ ؛ لأنه لايحسن فى الكلام جميعًا أن يكون مستمرًا على نَمَطٍ واحد ، لما فيه من التكلف ، ولما فى الطبع من الملل ؛ ولأن الافتنان فى ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ؛ فلهذا وردت بعض آى القرآن متماثِلَة المقاطع ، وبعضها غير متماثل .

* * *

(١) هو على بن أبى الحزم القرشى علاء الدين المعروف بابن النفيس ، أعلم أهل عصره بالطب ، سكن مصر ، وتوفى بها سنة ٦٩٨ هـ . ذكره ابن السبكى فى طبقات الشافعية ٥ : ١٢٩ وكتابه طريق الفصاحة ، ذكره صاحب كشف الظنون : ١١١٤ .

فصل

ألّف الشيخ شمس الدين بن الصائغ كتاباً سمّاه إحكام الراى فى أحكام الآى ، قال فيه [١] :

اعلم أن المناسبة أمرمطلوب فى اللغة العربية ، يرتكب لها أُمور من مخالفة الأُصول . قال : وقد تتبّعتُ الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاةً للمناسبة فعثرت منها على نيّفٍ عن الأربعين حكماً .

أحدُها تقديم المعمول ، إمّا على العامل ، نحو : ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾[٢] ، قيل : ومنه : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٣] ، أو على معمول آخر أصله التقديم ، نحو : ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾[٤] ، إذا أعربنا « الكبرى » مفعول « نُرِى » أو على الفاعل نحو : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾[٥] . ومنه تقديم خبر كان على اسمها . نحو : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٦] .

الثانى : تقديم ما هو متأخر فى الزمان . نحو : ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾[٧] ولولا مراعاة الفواصل لقدّمت « الأُولى » ؛ كقوله : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾[٨] .

الثالث : تقديمُ الفاضل على الأفضل . نحو : ﴿ بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[٩] ، وتقدّم مافيه .

---

(١) احكام الراى فى أحكام الآى لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى . المعروف بابن أبى الفرس ، المتوفى سنة ٧٧٦ . ذكره فى كشف الظنون .

(٢) سبأ ٤٠
(٣) الفاتحة ٥
(٤) طه ٢٣
(٥) القمر ٤١
(٦) الاخلاص ٤
(٧) النجم ٢٥
(٨) القصص ٧٠
(٩) طه ٧٠

الرابع : تقديم الضمير على ما يفسّره ، نحو ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (١) .

الخامس: تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة ، نحو : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ (٢) .

السادس : حذف ياء المنقوص المعرّف ، نحو : ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَال ﴾ (٣) ، ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (٤) .

السابع : حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (٥)

الثامن : حذف ياء الإضافة ، نحو : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُر ﴾ (٦) ، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٧) .

التاسع : زيادة حرْف المدّ ، نحو : ﴿ الظنونا ﴾ ، و﴿ الرسولا ﴾ ، و﴿ السبيلا ﴾ ، ومنه إبقاؤه مع الجازم ، نحو : ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (٨) ، ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ (٩) ، على القولِ بأنه نهى .

العاشر : صرْف ما لا ينصرف ، نحو : ﴿ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا ﴾ (١٠) .

الحادى عشر : إيثار تذكير اسم الجنس، كقوله : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (١١)

الثانى عشر : إيثار تأنيثه ، نحو : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (١٢) . ونظير هذين قوله فى القمر : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ (١٣) . وفى الكهف ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (١٤) .

---

(١) طه ٦٧ — (٢) الإسراء ١٣
(٣) الرعد ٩ — (٤) غافر ٣٢
(٥) الفجر ٤ — (٦) القمر ١٦
(٧) الرعد ٣٢ — (٨) طه ٧٧
(٩) الأعلى ٦ — (١٠) الإنسان ١٥ ، ١٦
(١١) القمر ٢٠ — (١٢) الحاقة ٧
(١٣) القمر ٥٣ — (١٤) الكهف ٤٩

الثالث عشر : الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما فى السبع فى غير ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ (١) ولم يجيء « رشْدًا » فى السبع ، وكذا ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٢) ، لأن الفواصل فى السورتين محرّكة الوسط ، وقد جاء فى ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ ﴾ (٣) ، وبهذا يبطُل ترجيح الفارسىّ قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم ، ونظير ذلك قراءة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٤) بفتح الهاء وسكونها ، ولم يُقرأْ ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (٤) إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة .

الرابع عشر : إيراد الجملة التى رُدّ بها ماقبلها على غير وجه المطابقة فى الإسمية والفعلية ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) ، لم يطابق بين قولهم : « آمنا » ، وبين ما ، ورُدّ به فيقول و« لم يؤمنوا » ، أو « ما آمنوا » لذلك .

الخامس عشر : إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك ، نحو ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٦) ولم يقل : « الذين كذبوا » .

السادس عشر : إيراد أحد جزأىِ الجملتين على غير الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الأخرى ، نحو : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٧) .

السابع عشر : إيثار أغرب اللفظتين ، نحو : ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ (٨) ولم

---

(١) الجن ١٤
(٢) الكهف ١٠
(٣) الأعراف ١٤٦
(٤) المسد ٣
(٥) البقرة ٨
(٦) العنكبوت ٣
(٧) البقرة ١٧٧
(٨) النجم ٢٢

يقل « جائرة » ﴿ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ﴾(١) ، ولم يقل « جهنم » أو النار ، وقال فى المدثر : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (٢) ، وفى سأل ﴿ إنها لَظَىٰ ﴾ (٣) ، وفى القارعة ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾(٤) لمراعاة فواصل كلّ سورة .

الثامن عشر : اختصاص كل من المشتركين بموضع ، نحو : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾(٥) ، وفى سورة طه ﴿ إن فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِى النُّهَىَ ﴾(٦)

التاسع عشر : حذف المفعول ، نحو : ﴿ فَأَما مَنْ أَعْطَى وَاتقى ﴾ (٧) ، ﴿ مَاوَدعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾(٨) . ومنه حذف متعلق « أفعل التفضيل » ، نحو : ﴿ يَعْلَمُ السِّر وَأَخْفَى ﴾ (٩) ، ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١٠) .

العشرون : الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو : ﴿ فَلاَ يُخْرِجَنكُما مِنَ الْجَنةِ فَتَشْقَى ﴾ (١١) .

الحادى والعشرون : الاستغناء به عن الجمع ، نحو :﴿ واجْعَلْنَا لِلْمُتقِين إمَامًا ﴾(١٢) ، ولم يقل : « أئمة » ، كما قال :﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمةً يَهْدُونَ ﴾(١٣) . ﴿ إن الْمُتقِينَ فِى جَنات وَنَهَرٍ ﴾(١٤) ، أى أنهار .

الثانى والعشرون : الاستغناء بالتثنية عن الإفراد ، نحو ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (١٥) ، قال الفرّاء : أراد « جنة » ، كقوله : ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَى ﴾ (١٦) ، فثنّى لأجل الفاصلة . قال : والقوافى تحتمل من الزيادة

(١) الهمزة ٤
(٢) المدثر ٢٦
(٣) المعارج ١٥
(٤) القارعة ٩
(٥) ابراهيم ٥٢
(٦) طه ١٢٨
(٧) الليل ٥
(٨) الضحى ٣
(٩) طه ٧
(١٠) الأعلى ١٧
(١١) طه ١١٧
(١٢) الفرقان ٧٤
(١٣) الأنبياء ٧٣
(١٤) القمر ٥٤
(١٥) الرحمن ٤٦
(١٦) النازعات ٤١

والنقصان مالا يحتمله سائر الكلام ، ونظير ذلك قول الفرّاء أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ (١) فإنهما رجلان : قُدار وآخر معه ، ولم يقل « أشقياها » للفاصلة ، وقد أنكر ذلك ابن قُتيبة وأغلظ فيه . وقال : إنما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همزٍ ، أو حرفٍ ، فأما أن يكون الله وعَدَ بجنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآى ، معاذ الله ! وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٢) ، ثم قال : ﴿فيهما ﴾(٢) ، وأما ابن الصائغ فإنه نقل عن الفرّاء أنه أراد « جنّات فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة . ثم قال : وهذا غير بعيد ، قال : وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ ، وهذا هو الثالث والعشرون .

الرابع والعشرون : والاستغناء بالجمع عن الإفراد ، نحو : ﴿ لَابَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ (٣) أى ولا خُلَّة ، كما فى الآية الأُخرى ، وجُمع مراعاةً للفاصلة .

الخامس والعشرون : إجراء غير العاقل مجرى العاقل ، نحو : ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٤) ، ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٥) .

السادس والعشرون : إمالة مالايمال ، كآى طه والنَّجم .

السابع والعشرون : الإتيان بصيغة المبالغة ، كقدير وعليم مع ترك ذلك فى نحو هو القادر وعالم الغيب ، ومنه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٦) .

الثامن والعشرون : إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٧) ، أُوثر على « عجيب » لذلك .

---

(١) الشمس ١٢
(٢) الرحمن ٤٨ ، ٥٠
(٣) ابراهيم ٣١
(٤) يوسف ٤
(٥) الأنبياء ٣٣
(٦) مريم ٦٤
(٧) ص ٥

التاسع والعشرون : الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (١) .

الثلاثون : إيقاع الظاهر . موضع المضمر ، نحو : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾(٢) ، وكذا آية الكهف(*) .

الحادى والثلاثون : وقوع « مفعول » موقع « فاعل » ، كقوله : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾(٣) ، ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾(٤) ، أى ساترًا وآتيًا .

الثانى والثلاثون : وقوع « فاعل » موقع « مفعول » ، نحو : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (٥) ، ﴿ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (٦) .

الثالث والثلاثون : الفصل بين الموصوف والصفة ، نحو : ﴿ أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾(٧) إن أعرب « أحوى » صفة « المرعى » ، أى حالا .

الرابع والثلاثون : إيقاع حرف مكان غيره ، نحو : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (٨) والأصل « إليها » .

الخامس والثلاثون : تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ ، ومنه : ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩) ؛ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة .

السادس والثلاثون : حذف الفاعل ونيابة المفعول ، نحو : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾(١٠)

(١) طه ١٢٩
(٢) الأعراف ١٧٠
(٣) الاسراء ٤٥
(٤) مريم ٦١
(٥) الحاقة ٢١
(٦) الطارق ٦
(٧) الأعلى ٤ ، ٥
(٨) الزلزلة ٥
(٩) التوبة ١٢٨
(١٠) الليل ١٩
(*) وهى الآية ٣٠ من سورة الكهف .

السابع والثلاثون : إثبات هاء السكت ، نحو : ﴿ مَالِيَه ﴾ [١] ، ﴿ سُلْطَانِيَهْ ﴾ [٢] ﴿ مَاهِيَهْ ﴾ [٣] .

الثامن والثلاثون : الجمع بين المجرورات ، نحو : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُم بِهِ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾[٤] ، فإن الأحسن الفصل بينها ، إلا أنّ مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير « تبيعًا » .

التاسع والثلاثون : العدول عن صيغة المضىّ إلى صيغة الاستقبال ، نحو ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [٥] والأصل « قتلتم » .

الأربعون : تغيير بنية الكلمة ، نحو : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [٦] والأصل « سينا » .

تنبيه

قال ابن الصائغ لايمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم – كما جاء فى الأثر – « لاتنقضى عجائبه » .

• • •

فصل

قال ابن أبى الإصبع : لاتخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء : التمكين ، والتصدير ، والتوشيح ، والإيغال .

التمكين

فالتَّمكين – ويسمّى ائتلاف القافية – أن يمهِّد الناثر للقرينة ، أو الشاعر للقافية ؛ تمهيدًا تأتى به القافية أو القرينة متمكِّنةً فى مكانها ، مستقرّةً فى قرارها ،

(١) الحاقة ٢٨
(٢) الحاقة ٢٩
(٣) القارعة ١٠
(٤) الاسراء ٦٩
(٥) البقرة ٨٧
(٦) التين ٢

مطمئنّةً فى موضعها ، غير نافرة ولا قَلِقة ، متعلّقًا معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًّا ، بحيث لو طرحت لاختلّ المعنى واضطرب الفَهْم ، وبحيث لو سُكت عنها كمله السامع بطبعه .

ومن أمثلة ذلك : ﴿ يَاشُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ... ﴾[١] الآية ، فإنه لمّا تقدم فى الآية ذكرُ العبادة ، وتلاه ذكر التصرّف فى الأموال ، اقتضى ذلك ذكرَ الحلم والرُّشد على الترتيب لأن الحلم يناسب العبادات ، والرُّشد يناسب الأموال .

وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾[٢] ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[٢] فأتى فى الآية الأُولى بـ « يهدلهم » ، وختمها بـ « يسمعون » ، لأن الموعظة فيها مسموعة ، وهى أخبار القرون ، وفى الثانية بـ « يروا » ؛ وختمها بـ « يبصرون » لأنها مرئية .

وقوله : ﴿ لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وهو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[٣] فإن اللطيف يناسب مالا يدرَك بالبصر ، والخبير يناسب مايدركه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ إلى قوله ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[٤] ؛ فإنّ فى هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها . وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها ، قبل أن يسمع آخرها ، فأخرج ابن أبى حاتم من طريق الشعبىّ ، عن زيد بن ثابت ، قال : أملَى لىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ ، قال معاذ بن جبل : ﴿ فَتَبَارَكَ

(١) هود ٨٧ (٢) السجدة ٢٦ ، ٢٧
(٣) الأنعام ١٠٣ (٤) المؤمنون ١٢ ـ ١٤

اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مِمّ ضحكت يارسول الله ؟ قال : بها خُتِمت !

وحكى أن أعرابيًّا سمع قارئًا يقرأ ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (١) « فاعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ » ، ولم يكن يقرأ القرآن فقال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ، [ومرّ بهما رجل فقال : كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقال الرجل ﴿ فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ فقال ، هكذا ينبغى] (٢) ، الحكيم لايذكر الغفران عند الزلل ؛ لأنه إغراء عليه .

تنبيهات

الأول : قد تجتمع فواصل فى موضع واحد ؛ ويخالَف بينها كأوائل النحل فإنه تعالى بدأ بذكر الأفلاك ، فقال : ﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ (٣) ثم ذكر خلق الإنسان من نطفة ، ثم خلق الأنعام ، ثم عجائب النبات ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ • يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤) ، فجعل مقطع هذه الآية التفكّر ؛ لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار ، ولمّا كان هنا مظنّة سؤال ، وهو أنه لم لايجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر ، وكان الدليل لايتمّ إلا بالجواب عن هذا السؤال كان مجال التفكر والنظر والتأمّل باقيًا . فأجاب تعالى عنه من وجهين :

أحدهما : أن تغيّرات العالم السفلى مربوطة بأحوال حركات الأفلاك ، فتلك الحركات كيف حصلت ، فإن كان حصولها بسبب أفلاك ،أخرى لزم التسلسل ،

(١) البقرة ٢٠٩
(٢) زيادة من تفسير القرطبى يستقيم بها الكلام
(٣) النحل ٣
(٤) النحل ١٠ ، ١١

وإن كان من الخالق الحكيم ، فذاك إقرار بوجود الإله تعالى ، وهذا هو المراد بقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [١] ، فجعل مقطع هذه الآية العقل ، وكأنه قيل : إن كنت عاقلا ، فاعلم أن التسلسل باطلٌ ؛ فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها غير متحرّك ، وهو الإله القادر المختار .

والثانى : أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبّة الواحدة واحدة . ثم إنَّا نرى الورقة الواحدة من الورْد أحدُ وجهيها فى غاية الحمرة ، والآخر فى غاية السواد ؛ فلو كان المؤثِّر موجبًا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت فى الآثار ؛ فعلمنا أن المؤثِّر قادر مختار ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [٢] ، كأنه قيل : اذكر ماترسّخ فى عقلك أنّ الواجب بالذات والطبع لايختلف تأثيره ، فإذا انظرت حصولَ هذا الاختلاف ، علمتَ أنَّ المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل المختار ، فلهذا جعل مقطع الآية التذكُّر .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ . . . ﴾ [٣] ، الآيات ، فإنَّ الأُولى ختمت بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، والثانية بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، والثالثة بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، لأنَّ الوصايا التى فى الآية الأُولى إنما يُحمل على تركها عدمُ العقل الغالب على الهوى ؛ لأنَّ الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدالّ على توحيده وعظمته ، وكذلك عقوق الوالدين لايقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الوَلد بكل طريق ، وكذلك قتل الأولاد بالوأْدِ من الإملاق مع وجود الرازق الحىّ الكريم ، وكذلك إتيان الفواحش

---

(١) النحل ١٢ (٢) النحل ١٣

(٣) الأنعام ١٥١ ـ ١٥٣

لايقتضيه عقل ، وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب فى القاتل ، فحسُن بعد ذلك « يعقلون » ، وأما الثانية فلتعلّقها بالحقوق المالية والقولية ، فإن من علم أن له أيتامًا يخلّفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتامَ غيره إلاّ بما يحِبُّ أن يعامَل به أيتامه ، ومَنْ يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له ، لمْ يحبّ أن يكون فيه خيانة ولا بخسٌ . وكذا من وَعد لو وعِد ، لم يحب أن يخلَف ، ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله ، فترْكَ ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبّر ذلك وتأمّله ، فلذلك ناسب الختم بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تذَكَّرُونَ ﴾ ، وأما الثالثة فلأنّ ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤدٍّ إلى غضبه وإلى عقابه ، فحَسُن ﴿ لعلكمْ تتقون ﴾ ، أى عقاب الله بسببه .

ومن ذلك قوله فى الأنعام أيضًا : ﴿ وَهُوَ الذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ . . . ﴾ (١) الآيات ، فإنه ختم الأولى بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ، والثانية بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ . والثالثة بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختصّ بالعلماء بذلك ، فناسب ختمه بـ « يعلمون » ، وإنشاء الخلائق من نفسٍ واحدة ، ونقلهم من صلبٍ إلى رحمٍ ثم إلى الدنيا ، ثم إلى حياة وموت ، والنظر فى ذلك والفكر فيه أدقّ ، فناسب ختمه بـ « يفقهون » لأن الفقه فَهمُ الأشياء الدقيقة . ولمّا ذكر ماأنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك ، ناسب ختمه بالإيمان الداعى إلى شكره تعالى على نعمه .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) . حيث ختم الأولى بـ « تؤمنون » . والثانية بـ « تذكرون » ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد ؛ فقول

(١) الأنعام ٩٧ ـ ٩٩ .
(٢) الحاقة ٤١ ، ٤٢ .

من قال : شَعَر ، كُفْرٌ وعناد مَحْضٌ ، فناسب ختمه بقوله : ﴿ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ . وأما مخالفته لنظم الكهّان وألفاظ السجع فتحتاج إلى تذكُّر وتدبّر ؛ لأن كلاًّ منهما نثر ، فليست مخالفته له فى وضوحها لكلّ أحد كمخالفته الشعر ؛ وإنما تظهر بتدبّر ماق القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعانى الأنيقة ، فحسن ختمه بقوله : ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين فى موضعين والمحدَّث عنه واحد لنكتة لطيفة ، كقوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١) ، ثم قال فى سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) ؛ قال ابن المنيِّر : كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة ، فأنت آخذها وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونُك ظلومًا ، وكونك كفَّارًا ؛ يعنى لعدم وفائك بشكرها ، ولى عند إعطائها وصفان وهما : إنى غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفرانى ، وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرَك إلاَّ بالتوقير ، ولا أجازى جفاك إلاَّ بالوفاء .

وقال غيره : إنما خصّ سورة إبراهيم بوصف المنَعم عليه ، وسورة النحل بوصف المنعِم ؛ لأنه فى سورة إبراهيم فى مساق وصف الإنسان ، وفى سورة النحل فى مساق صفات الله وإثبات لألوهيته .

ونظيره قوله تعالى فى سورة الجاثية : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) ، وفى فصلت ختم بقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٤) ، ونكتة ذلك أن قبل الآية الأولى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ

---

(١) ابراهيم ٣٤ . (٢) النحل ١٨ .
(٣) الجاثية ١٥ . (٤) فصلت ٤٦ .

آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) ، فناسب الختام بفاصلة البعث لأن قبله وصفهم بإنكاره ، وأما الثانية فالختام فيها مناسب ؛ لأنه لايضيع عملا صالحًا ، ولا يزيد على من عمل سيئًا .

وقال فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فقد افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٢) ، ثم أعادها ، وختم بقوله : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فقد ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٣) ، ونكتة ذلك أن الأولى نزلت فى اليهود ، وهم الذين افتروا على الله ما ليس فى كتابه ، والثانية نزلت فى المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشدّ .

ونظيره قوله فى المائدة : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ (٤) ، ثم أعادها فقال : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥) ، ثم قال فى الثالثة : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦) ، ونكتته أنَّ الأُولى نزلتْ فى أحكام المسلمين ، والثانية فى اليهود ، والثالثة فى النصارى . وقيل : الأولى فيمَن جحَد ماأنزل الله ، والثانية فيمَنْ خالفه مع علمه ولم ينكره ، والثالثة فيمن خالفه جاهلاً . وقيل : الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر ، عبّر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة ، واجتناب صورة التكرار .

وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدَّث عنه مختلف ، كقوله فى سورة النور : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ، إلى قوله ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧) ، ثم قال :

---

(١) الجاثية ١٤ .
(٢) النساء ٤٨ .
(٣) النساء ١١٦ .
(٤) المائدة ٤٤ .
(٥) المائدة ٤٥ .
(٦) المائدة ٤٧ .
(٧) النور ٥٨

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

التنبيه الثانى : من مشكلات الفواصل قوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) . فإن قوله : « وإن تغفرلهم » يقتضى أن تكون الفاصلة « الغفور الرحيم » وكذا نقلت عن مصحف أُبَىّ وبها قرأ ابن شَنَبوذ ، وكر فى حكمته أنه لايغفر لمن استحق العذاب إلاّ مَنْ ليس فوقه أحد يردُّ عليه حكمَه ، فهو العزيز أى الغالب ، والحكيم هو الذى يضع الشىء فى محله . وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء فى بعض الأفعال فيتوهّم أنه خارج عنها ، وليس كذلك ، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن ، أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترَض عليك لأحد فى ذلك ، والحكمة فيما فعلتَه .

ونظير ذلك قوله فى سورة التوبة : ﴿ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣) وفى سورة الممتحنة : ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٤) ، وفى غافر : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ (٥) ، إلى قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٥) ، وفى النور : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦) ، فإنّ بادىء الرأى يقتضى « توّاب رحيم » ، لأنّ الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبّر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللّعان وحكمته ، وهى السّتْر عن هذه الفاحشة العظيمة .

ومن خفىّ ذلك أيضاً قوله فى سورة البقرة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِى

(١) النور ٥٩ (٢) المائدة ١١٨ .
(٣) التوبة ٧١ . (٤) الممتحنة ٥ .
(٥) غافر ٨ . (٦) النور ١٠ .

الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، وفى آل عمران : ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) ، فإنَّ المتبادر إلى الذهن فى آية البقرة الختم بالقدرة ، وفى آية آل عمران الختم بالعلم والجواب أن آية البقرة لما تضمّنت الإخبار عن خلق الأرض ، ومافيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقًا مستويًا محكما من غير تفاوت ، والخالقُ على الوصف المذكور يجب أن يكون عالمًا بما فعله كليًّا وجزئيًّا ، مجملا ومفصلاً ، ناسب ختمُها بصفة العلم ، وآية آل عمران لما كانت فى سياق الوعيد على موالاة الكفار ، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب . ناسب ختمها بصفة القدرة .

ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣) . فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر فى بادئ الرأى وذكر فى حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبّح ولا عصيان فى حقّها وأنتم تعصون ، ختم به مراعاة للمقدّر فى الآية وهو العصيان ، كما جاء فى الحديث : « لولا بهائمُ رُتع وشيوخ رُكّع ، وأطفال رُضّع ، لصُبّ عليكم العذاب صبًّا (*) » .

وقيل : التقدير : حليما عن تفريط المسبّحين . غفورًا لذنوبهم . وقيل : حليما عن المخاطبين الذين لايفهقون التسبيح بإهمالهم النظر فى الآيات والعبر ليعرفُوا حقه بالتأمل فيما أودِع فى مخلوقاته ممّا يوجب تنزيهه

(١) البقرة ٢٩ . (٢) آل عمران ٢٩ .

(٣) الاسراء ٤٤ .

(*) اضافت طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٠٧ : بعد ذلك «ولرص رصا»

التنبيه الثالث : فى الفواصل ما لا نظير له فى القرآن ، كقوله عقب الأمر بالغضّ فى سورة النور : ﴿ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) ، وقوله عقب الأمر بالدّعاء والاستجابة : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) .

وقيل : فيه تعريض بليلة القَدْر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان ، أىْ لَعَلَّهُمْ يُرْشَدُونَ إلى معرفتها .

• • •

(التصدير)

وأما التّصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدّمت فى أول الآية ، وتسمّى أيضًا ردّ العجُز على الصدر .

وقال ابن المعتز : هو ثلاثة أقسام :

الأوّل : أن يوافق آخر الفاصلة ، آخر كلمة فى الصدر ، نحو : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ والمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ (٣)

والثانى : أن يوافق أول كلمة منه ، نحو : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٤) ، ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ (٥) .

الثالث : أن يوافق بعض كلماته ، نحو : ﴿ وَلَقَدْ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِينَ سَخِرُوا مِنهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٦) . ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بعض وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٧) ﴾ .

(١) النور ٣٠ .
(٢) البقرة ١٨٦ .
(٣) النساء ١٦٦ .
(٤) آل عمران ٨ .
(٥) الشعراء ١٦٨ .
(٦) الأنعام ١٠ .
(٧) الاسراء ٢١ .

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾(١) ، إلى قوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ ، ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (٢) .

• • •

(التوشيح)

وأمّا التوشيح ، فهو أن يكون فى أوّل الكلام مايستلزم القافية . والفرق بينه وبين التصدير ، أن هذا دلالته معنوية ، وذاك لفظية ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ . . ﴾ (٣) الآية ، فإنّ « اصطفى » لايدّل على أنّ الفاصلة « العالمين » لاباللفظ ؛لأن لفظ « العالمين » غير لفظ « اصطفى » ، ولكن بالمعنى ؛ لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختاراً على جنسه . وجنس هؤلاء المصطفين العالمون .

وكقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ . . . ﴾ (٤) ، الآية قال ابن أبى الإصبع . فإن من كان حافظًا لهذه السورة متفطّنا إلى أن مقاطع آيها النون المردَفة ، وسمع فى صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة « مظلمون » لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ، أي دخل فى الظلمة ، ولذلك سمِّيَ تَوْشِيحًا ؛ لأن الكلام لما دلَّ أوله على آخره نزِّل المعنى منزلة الوشاح ، ونُزِّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يحوّل عليها الوشاح .

• • •

(الإيغال)

وأما الإيغال ، فتقدم فى نوع الإطناب .

---

(١) طه ٦١ .
(٢) نوح ١٥ .
(٣) آل عمران ٣٣ .
(٤) يس ٣٧ .

فصـــل

(فى أقسام الفواصل)

قسم البديعيون السجع ، ومثله الفواصل إلى أقسام : مطرّف ، ومتوازٍ ، ومرصّع ، ومتوازن ، ومتماثِل .

فالمطرّف : أن تختلف الفاصلتان فى الوزن وتتفقا فى حروف السجع ، نحو : ﴿ مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (١) .

والمتوازى:أن يتفقا وزنا وتقفية ، ولم يكن مافى الأولى مقابلا لما فى الثانية فى الوزن والتقفية ، نحو : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ (٢) .

والمتوازن أن يتفقا فى الوزن دون التقفية ، نحو : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (٣) .

والمرصّع أن يتفقا وزنًا وتقفية ، ويكون مافى الأُولى مقابلا لما فى الثانية كذلك ، نحو : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (٤) . ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (٥) .

والمتماثل أن يتساويا فى الوزن دون التقفية ، وتكون أفراد الأُولى مقابلة لما فى الثانية ، فهو بالنسبة إلى المرصّع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازى . نحو ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٦) .

فالكتاب والصراط يتوازنان وكذا المستبين والمستقيم ، واختلفا فى الحرف الأخير .

---

(١) نوح ١٣ ، ١٤ .
(٢) الغاشية ١٣ ، ١٤ .
(٣) الغاشية ١٥ ، ١٦ .
(٤) الغاشية ٢٥ ، ٢٦ .
(٥) الانفطار ١٣ ، ١٤ .
(٦) الصافات ١١٧ ، ١١٨ .

فصـــل

بقى نوعان بديعيّان متعلقان بالفواصل :

أحدهما : التشريع ، وسمّاه ابن أبى الإصبع : التوءم ، وأصله أن يبنىَ الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض، فإذا أسقط منها جزءا أو جزءين صار الباقى بيتًا من وزنٍ آخر . ثم زعم قوم اختصاصه به .

وقال آخرون : بل يكون فى النثر بأن يكون مبنيا على سجعتين لو اقتصر على الأُولى منهما كان الكلام تامًّا مفيدًا . وإن ألحقت به السجعة الثانية كان فى التَّمام ، والإفادة على حاله مع زيادة معنى مازاد من اللفظ .

قال ابن أبى الإصبع : وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن ؛ فإن آياتها لو اقتصر فيها على أُولى الفاصلتين دون ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (١) ، لكان تامًّا مفيدًا وقد كمُل بالثانية ، فأفاد معنى زائدًا من التقريرِ والتوبيخ .

قلت : التمثيل غير مطابق ، والأَوْلى أن يمثَّل بالآيات التى فى إثباتها ما يصلح أن تكون فاصلة . كقوله : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٢) . وأشباه ذلك .

الثانى : الالتزام ، ويسمى لزوم مالا يلزم ؛ وهو أن يُلتزم فى الشعر أو النثر حرفٌ أو حرفانِ فصاعدا قبل الروىّ بشرط عدم الكلفة . مثال التزام حرف ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (٣) التزم الهاء قبل الراء ، ومثله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . . . ﴾ (٤) الآيات التزم فيها الراء قبل الكاف ،

---

(١) الرحمن ١٨ . (٢) الطلاق ١٢ .
(٣) الضحى ٩ ، ١٠ . (٤) الشرح ١ .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ • الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ (١) التزم فيها النون المشددة قبل السين ، ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ • وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١) ﴾ .

ومثال التزام حرفين ﴿ وَالطُّورِ • وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ (٣) ﴿ ماأنت بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ • وإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (٤) ، ﴿ بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ • وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ • وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ (٥) .

ومثال التزام ثلاثة أحرف ﴿ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ • وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٦) .

تنبيهات

الأول : قال أهل البديع : أحسن السجع ونحوه ماتساوت قرائنه ، نحو : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ • وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ • وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ (٧) ، ويليه ماطالت قرينته الثانية ، نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى • مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (٨) أو الثالثة نحو : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوه • ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ • ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ . . . ﴾ (٩) الآية .

وقال ابن الأثير : الأحسن فى الثانية المساواة وإلاّ فأطول قليلاً ، وفى الثالثة أن تكون أطول. وقال الخفاجيّ : لايجوز أن تكون الثانية أقصرَ من الأولى.

الثانى : قالوا أحسن السجع ماكان قصيراً لدلالته على قوة المنشىء ، وأقله كلمتان نحو ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ • قُمْ فَأَنْذِرْ . . . ﴾ (١٠) الآيات ، ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ

---

(١) التكوير ١٥ ، ١٦ .
(٢) الانشقاق ١٧ ، ١٨ .
(٣) الطور ١ ، ٢ .
(٤) القلم ٢ ، ٣ .
(٥) القيامة ٢٦ ـ ٢٨ .
(٦) الأعراف ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(٧) الواقعة ٢٨ ـ ٣٠ .
(٨) النجم ١ ، ٢ .
(٩) الحاقة ٣٠ ـ ٣٢ .
(١٠) المدثر ١ ، ٢ .

عُرْفًا . . . ﴾ (١) الآيات ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا . . . ﴾ (٢) الآيات ، ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ... ﴾ (٣) الآيات ، والطويل ما زاد عن العشر ، كغالب الآيات . وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر .

الثالث : قال الزمخشرى فى كشافه القديم : لا تحسُن المحافظة على الفواصل لمجرّدها إلاّ مع بقاء المعانى على سردها ، على المنهج الذى يقتضيه حسنُ النظم والْتِآمه ، فأمّا أن تُهمَل المعانى ويُهتمّ بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤدّاه فليس من قبيل البلاغة ، وبنى على ذلك أن التقديم فى ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) ، ليس لمجرّد الفاصلة ، بل لرعاية الاختصاص.

الرابع : مبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، كقوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ مع قوله : ﴿ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ و ﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ مع قوله : ﴿ قَدْ قُدِرَ ﴾ ، ﴿ وَدُسُرٍ ﴾ ، ﴿ مستمرٌ ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ مع قوله : ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ (٧)

الخامس : كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المدّ واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكّن من التطريب بذلك ، كما قال سيبويه : إنهم إذا ترنّموا يلحقون الألف والياء والنون ، لأنهم أرادوا مدّ الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنّموا . وجاء فى القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع .

السادس : حروف الفواصل إمّا متماثلة وإما متقاربة :

---

(١) المرسلات ١ .
(٢) الذاريات ١ .
(٣) العاديات ١ .
(٤) البقرة ٤ .
(٥) الصافات ٩ - ١١ .
(٦) القمر ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ .
(٧) الرعد ١١ ، ١٢ .

فالأولى مثل ﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ (١) .

والثانى مثل ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٢) ، ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٣)

قال الإمام فخر الدين وغيره : وفواصل القرآن لاتخرج عن هذين القسمين بل تنحصر فى المتماثلة والمتقاربة ، قال : وبهذا يترجّح مذهب الشافعىّ على مذهب أبي حنيفة فى عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسملة . وجعَل ﴿ صراط الذين ﴾ إلى آخرها آية ؛ فإن من جعل آخر الآية السادسة ﴿ أنعمت عليهم ﴾ مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات السورة لا بالمماثلة ولا بالمقاربة ، ورعاية التشابه فى الفواصل لازمة .

السابع : كثُر فى الفواصل التضمين والإيطاء لأنهما ليسا بعيبين فى النثر ، وإن كانا عيبين فى النظم ، فالتضمين أن يكون مابعد الفاصلة متعلقًا بها ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ ﴾ (٤) ، والإيطاء تكرّر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى فى الإسراء : ﴿ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٥) ، وختم بذلك الآيتين بعدها .

• • •

---

(١) الطور ١ ــ ٤ . (٢) الفاتحة ٣ ، ٤ .

(٣) ق ١ ، ٢ . (٤) الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٥) الاسراء ٩٣ .

النوع الستون

في فواتح السُّوَر

أفردها بالتأليف ابن أبي الإصبع في كتاب سماه « الخواطر السوانح في أسرار الفواتح » (١) وأنا ألخص هنا ماذكره مع زوائد من غيره .

اعلم أن الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام ، لايخرج شيء من السور عنها .

الأول : الثناء عليه تعالى ، والثناء قسمان : إثبات لصفات المدح ، ونفيٌ وتنزيه من صفات النقص ، فالأولُ التحميد في خمس سور ، وتبارك في سورتين والثاني التسبيح في سبع سور .

قال الكرماني في متشابه القرآن : التسبيح كلمة استأثر الله بها ، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل ؛ لأنه الأصل ، ثم بالماضي في الحديد والحشر ؛ لأنه أسبق الزمانين . ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن . ثم بالأمر في الأعلى ؛ استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها .

الثاني : حروف التهجّي في تسع وعشرين سورة ، وقد مضى الكلام عليها مستوعَباً في نوع المتشابه ، ويأتي الإلمام بمناسباتها في نوع المناسبات .

الثالث : النّداء في عشر سور : خمس بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم : الأحزاب ، والطلاق ، والتحريم ، والمزّمّل ، والمدّثر ، وخمس بنداء الأمّة : النساء ، والمائدة ، والحج ، والحجرات ، والممتحنة .

(١) حققه الدكتور حفني شرف ، وطبع بمصر سنة ١٩٦٠ م .

الرابع : الجمل الخبرية ، نحو « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ » ، « بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ » ، « أَتَى أَمْرُ اللهِ » ، « اقْتَرَبَ للناس حِسَابُهُمْ » ، « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » ، « سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا » ، « تَنْزِيلُ الْكِتَابِ » « الَّذِينَ كَفَرُوا » ، « إِنَّا فَتَحْنَا » « اقتربت الساعة » ، « الرحمن علّم » ، « قد سمع الله » « الحاقة » ، « سأل سائل » ، « إنا أرسلنا نوحًا » ، « لاأقسم » فى موضعين « عبس » ، « إنا أنزلناه » « لم يكن » ، « القارعة » ، « ألهاكم » ، « إنا أعطيناك » ، فتلك ثلاث وعشرون سورة .

الخامس : القسَم فى خمس عشرة سورة ؛ سورة أقسم فيها بالملائكة ، وهى « والصافات » وسورتان بالأفلاك : البروج والطارق ، وستّ سور بلوازمها فالنجم قسم بالثريّا ، والفجر بمبدأ النهار « والشمس بآية النهار » والليل بشطر الزمان ، والضحى بشَطْر النهار ، والعصر بالشَّطْر الآخر أو بجملة الزمان ، وسورتان بالهواء الذى هو أحد العناصر : والذّاريات ، والمرسلات ، وسورة بالتربة التى هى منها أيضًا ، وهى : الطور ، وسورة بالنبات وهى : والتين . وسورة بالحيوان الناطق وهى : والنازعات ، وسورة بالبهيم وهى : والعاديات.

السادس : الشَّرْط فى سبع سور : الواقعة ، والمنافقون ، والتكوير ، والانفطار ، والانشقاق ، والزلزلة ، والنَّصر .

السابع : الأمر فى ست سور : قل أوحى ، اقرأ ، قل ياأيُّها الكافرون ، قل هو الله أحد ، قل أعوذ ، المعوذتين .

الثامن : الاستفهام فى ستّ سور : عمّ يتساءلون ؛ هل أتى ، هل أتاك ، ألم نشرحْ ، ألم تر ، أرأيت .

(**) الاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٠٩ .

التاسع : الدّعاء فى ثلاث : ويل للمطففين ، ويل لكل همزة ، تبّت .

العاشر : التعليل فى : لإيلاف قريش ، هكذا جمع أبو شامة ، قال : وما ذكرناه فى الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ، وكذا الثناء كله خبر إلا « سبح » ، فإنه يدخل فى قسم الأمر وسبحان يحتمل الأمر الدعاء والخبر . ثم نظم ذلك فى بيتين فقال .

أثنى على نفســـه سبحانه بثبو ... تِ الحمدوالسلب لما استفتح السُّوَرَا

والأمرشرط الندا والتعليلوالقسمَ الدّ ... عا حروف التَّهجِّى استفهم الخبرا*

وقال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء ؛ وهو أن يُتأنَّق فى أوّل الكلام ، لأنه أول مايقرع السمع ، فإن كان محررًا أقبل السامع على الكلام ووعاه ، وإلا أعرض عنه ، ولو كان الباق فى نهاية الحسن فينبغى أن يؤتَى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظمًا وسبكًا ، وأصحّه معنًى . وأوضحه وأخلاه من التعقيد ، والتقديم والتأخير الملبِس ، أو الذى لايناسب .

قالوا : وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها ، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء ، وغير ذلك .

ومن الابتداء الحسن نوع أخصُّ منه يسمَّى براعة الاستهلال ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلَّم فيه ، ويشير إلى ماسيق الكلام لأجله ؛ والعلمُ الأسنى فى ذلك سورة الفاتحة ، التى هى مطلع القرآن . فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقىّ فى شعب الإيمان : أخبرنا

(*) والبيت فى ط الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٠٩

والأمر والشرط والتعليل والقسم الد ... عاء حروف التهجى استفهم الخبرا

أبو القاسم بن حبيب ، أنبأنا محمد بن صالح بن هانىء ، أنبأنا الحسين ابن الفضل ؛ حدثنا عَفّان بن مسلم ، عن الربيع بن صُبيح ، عن الحسن ، قال :أنزل الله مائةً وأربعة كتب ،أودَعَ علومها أربعة منها : التوراة ، والإنجيل والزّبور ، والفُرقان ، ثم أودع علوم التّوراة والإنجيل والزبور والفرقانالقرآن ، ثم أودع علوم القرآن المفصّل ، ثم أودع علوم المفصّل فاتحة الكتاب ، فمن عِلمَ تفسيرها ، كانَ كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة .

وقد وُجّه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة : علم الأصون ومداره على معرفة الله وصفاته ، وإليه الإشارة بـ﴿ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم﴾ومعرفة النبوّات ، وإليه الإشارة بـ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ومعرفة المعاد ، وإليه الإشارة بـ﴿ مالك يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وعلم العبادات وإليه الإشارة بـ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرّية ، وإليه الإشارة بـ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ؛ ليعلم المطّلع على ذلك سعادة من أطاع الله ، وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، فنبّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن ؛ وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال ، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنَة ، والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة .

وكذلك أوّل سورة « اقرأ » ، فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة ؛ من براعة الاستهلال لكونها أوّل ما أنزل منالقرآن ، فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله ، وفيه الإشارة إلى علْم الأحكام ، وفيها مايتعلق

بتوحيد الربّ وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل . وفى هذه الإشارة إلى أُصولِ الدين ، وفيها مايتعلق بالإخبار من قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [١] ؛ ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمّى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصدَه بعبارة وجيزة فى أوله .

(١) العلق ٥ .

النَّوعُ الحادى والسِّتُّون

فى خواتِمِ السُّوَر

هى أيضًا مثل الفواتح فى الحُسْن ؛ لأنها آخر مايَقْرَع الأسماع ، فلهذا جاءت متضمِّنة للمعانى البديعة ،مع إيذان السامع بانتهاء الكلام ، حتى لايبقى معه للنفوس تشوّفٌ إلى ما يُذكر بعد ، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ، وتحميد وتهليل ، ومواعظ ، ووعْد ووعيد إلى غير ذلك ، كتفصيل جملة المطلوب فى خاتمة الفاتحة إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ. من المعاصِى المسبِّبة لغضب الله والضلال ، ففصّل جملة ذلك بقوله : ﴿ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، والمراد المؤمنون ، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيّده ليتناول كلَّ إنعام . لأن من أنْعم الله عليه بنعمة الإيمان ، فقد أنعم عليه بكل نعمة ، لأنها مستتبعة لجميع النِّعم ؛ ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ المَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ ، يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهى نعمة الإيمان ، وبين السلامة من غضب الله تعالى والضَّلال المسبّبين عن معاصيه وتعدّى حدوده .

وكالدّعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة .

وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ .

والفرائض التى ختمت بها سورة النساء ؛ وحسُنَ الخَتْم بها لما فيها من أحكام الموت الذى هو آخر أمر كلّ حىٍّ ، ولأنها آخر ما أُنزل من الأحكام

كالتبجيل والتعظيم الذى ختمت به المائدة .

وكالوعد والوعيد الَّذى ختمت به الأنعام .

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به الأعراف .

وكالحضّ على الجهاد وصِلَة الأرحام الذى ختم به الأنفال

وكوصف الرسول ومدحه ، والتهليل الذى ختمت به براءة .

وتسليته عليه الصلاة والسلام الذى ختمت به يونس ، ومثلها خاتمة هود

ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به يوسف ،والردّ (١) على مَنْ كذّب الرسول الذى خُتم به الرعد .

ومن أوضح ماآذن بالختام خاتمة إبراهيم : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ . . . ﴾ الآية . ومثلها خاتمة الأحقاف ، وكذا خاتمة الحجر بقوله : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ، وهو مفسَّر بالموت . فإنها فى غاية البراعة .

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة . وخُتمت بقوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

وانظر إلى براعة آخر آية نزلت . وهى قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزِمة للوفاة .

وكذلك آخر سورة نزلت وهى سورة النصر . فيها الإشعار بالوفاة . كما أخرج البخارىّ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس . أن عمر سألهم عن قوله : ﴿ إذا جاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ . فقالوا : فتح المدائن والقصور . قال : ما تقول يابن عباس ؟ قال أجلٌ ضُرِب لمحمد . نُعِيَتْ له نفسه .

وأخرج أيضًا عنه قال : كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر . فكأنَّ بعضهم وجَد فى نفسه . فقال : لَمِ تُدْخل هذا معنا . ولنا أبناء مثله ! فقال

---

(١) ط : « والوعيد والرد » .　(٢) البقرة ٢٨١ .

عمر : إنه من قد علمتم ، ثم دعاهم ذات يوم فقال : ما تقولون فى قول الله : ﴿ إِذَاجَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟ فقال بعضهم : أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا ، فقال لى : أكذلك تقول يابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به ، قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، وذلك علامة أجلك ، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ، فقال عمر : إنى لا أعلم منها إلا ما تقول .

* * *

النَّوع الثَّانى وَالسِّتُّون
فى مناسَبَةِ الآياتِ والسُّوَر .

أفرده بالتأليف العلامة أبوجعفر بن الزبير شيخ أبي حيان فى كتاب سمّاه « البرهان فى مناسبة ترتيب سورة القرآن » ، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعيّ (١) فى كتاب سمّاه « نَظْم الدّرر فى تناسب الآى والسور » ، وكتابِى الّذى صنعْته فى أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات ، مع ماتضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخّصت منه مناسبات السور خاصّة فى جزء لطيف ، سميّته « تَنَاسق الدُّرر فى تناسب السور ».

وعلم المناسبة علم شريف ، قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين وقال فى تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط .

وقال ابن العربيّ فى « سراج المريدين » : ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعانى منتظمة المباني ، علم عظيم لم يتعرّض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله لنا فيه ، فلمّا لم نجد له حَمَلَة ، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة ، ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه .

وقال غيره : أول مَنْ أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابورى ، وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسيّ إذا قرئ عليه : لم جُعِلت

(١) هو ابراهيم بن عمر برهان الدين البقاعى، منسوب الى البقاع ، من بلاد سوريا ، مؤرخ اديب توفى سنة ٨٨٥ . البدر الطالع ١ : ١٩ .

هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة فى جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يُزْرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : المناسَبة علم حسَن ، لكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متَّحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ، ومن ربَطَ ذلك فهو متكلِّف بما لا يقدر عليه إلّا بربط ركيكٍ يُصان عن مثله حسن الحديثُ فضلا عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل فى نيّف وعشرين سنة ، فى أحكامٍ مختلفة ، شرِعت لأَسباب مختلفة ، وما كان كذلك لايتأتّى ربط بعضه ببعض.

وقال الشيخ ولىّ الدين الملّوىّ : قَدْ وهِمَ من قال : لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرّقة . وفصلُ الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأْصِيلا ، فالمصحف على وِفْق ما فى اللوح المحفوظ ، رتبَة سورُه كلُّها وآياته بالتوقيف ، كما أنزل جملة إلى بيت العزَّة ؛ ومن المعجز البيِّن أُسلوبه ونظمه الباهر ، والّذى ينبغى فى كلّ آية أن يبحث أوّل كل شىء عن كونها مكمِّلة لما قبلها أومستقلة ؛ ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففى ذلك علم جَمٌّ ، وهكذا فى السُّوَر ، يُطلاب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له . انتهى .

وقال الإمام الرازىّ فى سورة البقرة : ومَنْ تأمّل فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعلّ الذين قالوا : إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلاّ أنى رأيتُ جمهور المفسّرين معرِضين على هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار وليس الأمر فى هذا الباب كما قيل :

والنَّجمُ تَستصغر الأَبصار صورتَهُ والذَّنب للطَّرف لا للنَّجم فى الصغر

فصل

المناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها فى الآيات ونحوها إلى معنًى رابط بينها ، عامّ أو خاصّ ، عقلىّ أو حسىّ أو خيالىّ أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنىّ ، كالسّبب والمسبب ، والعلّة والمعلول ، والنظيرين والضّدّين ، ونحوه .

وفائدة جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكَم المتلائم الأجزاء ، فنقول : ذكْر الآية بعد الأخرى إمّا أن يكون ظاهر الارتباط ، لتعلّق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح . وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل ؛ وهذا القسم لاكلام فيه .

وإما ألا يظهر الارتباط ،بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع المبدوء به .

فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة فى الحكم أولا ؛ فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ماسبق تقسيمه كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فى الأَرْض وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) ، للتضادّ بين القبض والبسط ، والولوج والخروج ، والنزول والعروج ، وشبه التضادّ بين السماء والأرض ، وممّا الكلام فيه التضادّ ذكر الرحمة بعدذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة ؛ وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر

---

(١) الحديد ٤ . (٢) البقرة ٢٤٥ .

أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا ، ليكون باعثًا على العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليُعلم عظم الآمر والناهى ، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك .

وإن لم تكن معطوفة ، فلابدَّ من دعامة تؤذن باتصال الكلام ؛ وهى قرائن معنوية تؤذن بالربط .

• • •

وله أسباب :

أحدها : التنظير ، فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء ، كقوله : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ عقب قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (١) ؛ فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضى لأمره فى الغنائم على كُرهٍ من أصحابه كما مضى لأمره فى خروجه من بيته لطلب العِير أو للقتال وهم له كارهون والقصد أنَّ كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج ، وقد تَبين فى الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعزِّ الإسلام ، فكذا يكون فيما فعله فى القسمة ، فليطيعوا ما أُمِروا به ويتركوا هوى أنفسهم .

الثانى : المضادّة ، كقوله فى سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ . . . ﴾ (٢) الآية ، فإن أوّل السورة كان حديثًا عن القرآن ، وأنَّ من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان ، فلمّا أكمل وصف المؤمنين عقّب بحديث الكافرين ؛ فبينهما جامع وهمى بالتضادّ من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل : « وبضدّها تتبيّن الأشياء » .

فإن قيل : هذا جامع بعيد ، لأن كونه حديثًا عن المؤمنين ، بالعرض

(١) الأنفال ٤ ، ٥ . (٢) البقرة ٦ .

لا بالذات والمقصود بالذات الذى هو مساق الكلام ، إنما هو الحديث عن القرآن لأنه مفتتح القول .

قيل : لايشترط فى الجامع ذلك ، بل يكفى التعلّق على أيّ وجه كان ، ويكفى فى وجه الربط ماذكرنا ؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به : والحثّ على الإيمان . ولهذا لمّا فرغ من ذلك قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ (١) ، فرجع إلى الأوّل .

الثالث : الإستطراد ، كقوله تعالى : ﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢) ؛ قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد ، عقب ذكر بدُوّ السوءات وخَصْف الورق عليهما ، إظهارًا للمنّة فيما خلق من اللباس ، ولما فى العُرْي وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعارًا بأن السِّتْر باب عظيم من أبواب التقوى

وقد خرّجت على الاستطراد قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٣) ، فإنّ أول الكلام ذُكِر للردّ على النصارى الزاعمين نبوّة المسيح ، ثم استطرد للردّ على العرب الزاعمين بنبوّة الملائكة .

ويقرب من الاستطراد ـ حتى لايكادان يفترقان ـ حسنُ التخلّص ، وهو أن ينتقل ممّا ابتدىء به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسًا ، دقيق المعنى ؛ بحيث لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثانى ، لشدّة الالتئام بينهما .

وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم فى قوله : لم يقع منه فى القرآن شىء لما فيه من التكلّف . وقال : إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذى هو

(١) البقرة ٢٣ . (٢) الأعراف ٢٦ ؛
(٣) النساء ١٧٢ ؛

طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم . وليس كما قال ، ففيه من التخلُّصات العجيبة ما يحيِّر العقول .

وانظر إلى سورة الأعراف ، كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة ، ثم ذكر موسى ، إلى أنْ قصّ حكاية السَّبْعين رجلا ودعائه لهم ، ولسائر أمته بقوله : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ ﴾ ، وجوابه تعالى عنه ، ثم تخلّص بمناقب سيِّد المرسلين بعد تخلُّصه لأمته بقوله ﴿ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ ﴾ (١) من صفاتهم كيت وكيت ، وهم الذين يتبعون الرسول النبىّ الأمىّ . وأخذ فى صفاته الكريمة وفضائله .

وفى سورة الشعراء حكَى قول إبراهيم : ﴿ وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ، فتخلص منه إلى وصف المعَاد بقوله : ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ .. ﴾ الخ (٢) .

وفى سورة الكهف حكَى قولَ ذِي القرنين فى السدّ بعد دَكِّه الذى هو من أشراط الساعة ، ثم النفخ فى الصور وذكر الحشر ، ووصف مآل الكفار والمؤمنين .

وقال بعضهم : الفرقُ بين التخلُّص والاستطراد ؛ أنك فى التخلُّص تركت ما كنت فيه بالكلّية ، وأقبلت على ما تخلصت إليه ، وفى الاستطراد تمرّ بذكر الأمر الذى استطردتَ إليه مروراً كالبرق الخاطف ، ثم تتركه وتعود إلى ما كنتَ فيه كأنّك لم تقصده وإنما عرض عروضاً .

قيل : وبهذا يظهر أنّ ما فى سورتى الأعراف والشعراء من باب الاستطراد

---

(١) الأعراف ١٥٦ . (٢) الشعراء ٨٧ ، ٨٨ .

لاالتخلُّص ؛ لعوده فى الأعراف إلى قصةموسى بقوله : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ .. ﴾(١) إلى آخره . وفى الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأُمم .

ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطًا للسامع ، مفصولاً بهذا ، كقوله فى سورة « ص » بعد ذكر الأنبياء : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (٢) فإن هذا القرآن نوع من الذِّكْر ، لمّا انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعًا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ، ثم لما فرغ قال : ﴿ هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ (٣) ، فذكر النار وأهلها .

قال ابن الأثير (٤) : هذا فى هذا المقام من الفصل الذى هو أحسن من الوصل وهى علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر .

ويقرب منه أيضًا حسن المطلب . قال الزَّنجانيّ والطِّيبىّ : وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة ، كقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥) .

قال الطِّيبيّ : وممّا اجتمع فيه حسن التخلُّص والمطلب معًا قوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٦) إلى قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

• • •

(١) الأعراف ١٥٩ . (٢) ص ٤٩ .

(٣) ص ٥٥ .

(٤) هو أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد ضياء الدين بن الأثير ، صاحب كتاب المثل السائر ، ووزير الملك الأفضل نور الدين بن صلاح الدين . توفى سنة ٦٣٧ .

(٥) الفاتحة ٥ . (٦) الشعراء ٧٧ ، ٧٨ .

قاعدة

قال بعض المتأخّرين : الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات فى جميع القرآن ، هو أنك تنظر إلى الغرض الذى سِيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات فى القُرْب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام فى المقدّمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له ، التى تقتضى البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ؛ فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكْم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا عقلته تبيّن لك وجهُ النظم مفصلا بين كل آية وآية فى كل سورة سورة . انتهى .

• • •

تنبيه

من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها ، من ذلك قوله تعالى فى سورة القيامة : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... ﴾ [١] . الآيات ، فإن وجه مناسبتها لأوّل السورة وآخرها عَسِرٌ جدًّا ، فإن السورة كلها فى أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شىء ، وحتى ذهب القفّال [٢] فيما حكاه الفخر الرازىّ ، أنها نزلت فى الإنسان المذكور قبلُ فى قوله : ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [٣] ، قال يُعرَضُ عليه كتابة ، فإذا أخذ فى القراءة تلجلج خوفًا ، فأسرع فى القراءة ؛ فيقال له : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ إنَّ عَلَيْنَا أن نجمع عملك . وأن نقرأ عليك ، [فإذا قرأناه] [٤]

(١) القيامة ١٧ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن اسماعيل الفقيه الشافعى الشاشى المعروف بالقفال الكبير ، صاحب المصنفات فى الفقه والأصول والتفسير . توفى سنة ٣٦٥ شذرات الذهب ٣ : ٥٢ .

(٣) القيامة ١٣ .

(٤) من ط وطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١١٤ .

فاتّبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت ، ثم إنَّ علينا بيان أمر الإنسان ومايتعلق بعقوبته . انتهى .

وهذا يخالفُ ماثبت فى الصحيح أنها نزلت فى تحريكِ النبىّ صلى الله عليه وسلم لسانَه حالة نزول الوحى عليه .

وقد ذكر الأئمّة لها مناسبات :

منها أنه تعالى لمّا ذكر القيامة ، وكان من شأْن من يقصّر عن العمل لها حبُّ العاجلة ، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة ، فنبّه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلّ منه ؛ وهو الإصغاء إلى الوحى ، وتفهّم ما يرد منه ، والتشاغل بالحفظ قد يصدّ عن ذلك ، فأمر بألّا يبادر إلى التحفُّظ ؛ لأن تحفيظه مضمون على ربِّه ، وليصْغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضى فيتبع ما اشتمل عليه . ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجَع الكلام إلى ما يتعلّق بالإنسان المبتدأ بذكره ومن هو من جنسه ، فقال : ﴿ كلاَّ ﴾ ، وهى كلمة ردْع كأنّه قال : « بل أنتم يابنى آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون فى كل شىء ومن ثَمّ تحبّون العاجلة » .

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينيّة فى الدنيا التى تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركا ، كما قال فى الكهف : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ (١) إلى أن قال : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ . . . ﴾ (١) الآية ، وقال فى سبحان ﴿ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَـٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ (٢) إلى أن قال : ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) الكهف ٤٩ ـ ٥٤ (٢) الاسراء ٧١ ـ ٨٩

صَرَّفنَا للنَّاسِ فِى هَذَا القُرآن . . ﴾ الآية . وقال فى طه : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ إلى أن قال : ﴿ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (١) .

ومنها أن أول السورة لما نزل إلى ﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (٢) ، صادف أنه صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة ، بادر إلى تحفظ الذى نزل ، وحرّك به لسانه من عجلته خشيةً من تفلته، فنزل ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾(٢) إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٢) ثم عاد إلى الكلام إلى تكملة ماابتدىء به

قال الفخر الرازى : ونحوه مالو ألقَى المدرّس على الطالب مثلاً مسألة ، فتشاغل الطالب بشىء عرض له ، فقال له : ألقِ إلىّ بالك وتفهّمْ ماأقول ، ثم كمّل المسألة ؛ فمن لا يعرف السبب يقول : ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة ، بخلاف مَنْ عرف ذلك .

ومنها : أن « النفس » لمّا تقدّم ذكرُها فى أول السورة ، عدَل إلى ذكر « نفس » المصطفى كأنه قيل : هذا شأن النفوس ، وأنت يامحمد نفسك أشرف النفوس ، فلتأخذ بأكمل الأحوال .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ . . . ﴾ (٣) الآية ، فقد يقال : أىّ رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت ؟ .

وأجيب : بأنه من باب الاستطراد ؛ لما ذكر أنها مواقيت للحجّ ، وكان هذا من أفعالهم فى الحج - كما ثبت فى سبب نزولها - ذُكر معه من باب الزيادة فى الجواب على مافى السؤال ؛ كما سئل عن ماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه الحلّ ميتتهُ » .

---

(١) طه ١٠٢ - ١١٤ (٢) القيامة ١٥ - ١٩ .
(٣) البقرة ١٨٩ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ . . . ﴾ الآية ، فقد يقال : ماوجه اتصاله بما قبله وهو قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ . . . ﴾ (١) الآية ؟ .

وقال الشيخ أبو محمد الجوينىّ (٢) فى تفسيره : سمعت أبا الحسن الدهّان يقول : وجْه اتصاله ، هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أى فلا يجرمنّكم ذلك ، واستقبلوه فإن لله المشرق والمغرب .

• • •

فصل

من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها ، وقد أفردتُ فيه جزءا لطيفًا سميته : « مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع » .

وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته ، وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣) ، وخروجه من وطنه ، وخُتِمت بأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بألّا يكون ظهيراً للكافرين ، وتسليته عن إخراجه من مكة ووعده بالعَوْد إليها لقوله فى أول السورة : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ ﴾ (٣) .

قال الزمخشرىّ : وقد جعل الله فاتحة سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأورد فى خاتمتها ﴿ إِنَّهُ لَايُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ (٤) ؛ فشتّان مابين الفاتحة والخاتمة ! .

وذكر الكِرْمانىّ فى العجائب مثله .

---

(١) البقرة ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) هو أبو المعالى عبد الملك بن أبى عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى العراقى ، شيخ الغزالى ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى ، توفى سنة ٤٧٨ . ابن خلكان ١ : ٢٧٨ .

(٣) القصص ٧ ، ١٧ .

(٤) المؤمنون ١ ، ١١٧ .

وقال فى سورة « ص » بدأها بالذكر ، وختمها به فى قوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١)

وفى سورة « ن » بدأها بقوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ، وختمها بقوله : ﴿ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٢) .

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ماقبلها ؛ حتى أن منها مايظهر تعلقها به لفظًا ، كما فى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ (٣) ، فقد قال الأخفش : اتصالها بها من باب ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٤) .

وقال الكواشىّ فى تفسير المائدة : لما ختم سورة النساء أمرًا بالتوحيد والعدل بين العباد أكَّدَ ذلك بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٥) .

وقال غيره : إذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ، وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله ، فإنه مناسب لختام ماقبلها من قوله : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٧) ، كما قال تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨) ، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به .

---

(١) ص ٨٧ .
(٢) القلم ٢ ، ٥١ .
(٣) الفيل ٥ ، قريش ١ .
(٤) القصص ٨ .
(٥) المائدة ١ .
(٦) الزمر ٧٥ .
(٧) سبأ ٥٤ .
(٨) الأنعام ٤٥ .

وكافتتاح سورة البقرة بقوله ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ ، فإنه إشارة إلى الصراط في قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، كأنهم لمّا سألوا الهداية إلى الصراط ، قيل لهم ذلك : الصراط الذى سألتم الهداية إليه هو الكتاب ، وهذا معنى حَسَن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة .

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للّتى قبلها ، لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ، فذكر فيها فى مقابلة البخل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أي الخير الكثير ، وفى مقابلة ترك الصلاة : ﴿ فصلِّ ﴾ أى دم عليها ، وفى مقابلة الرّياء : ﴿ لربِّك ﴾ أيِ لرضاه لا للناس ، وفى مقابلة منع الماعون : ﴿وانحر ﴾ ، وأراد به التصدّق بلحم الأضاحى .

وقال بعضهم : لترتيب وضع السُّور فى المصحف أسبابٌ تطلع على أنه توقيفيّ صادر عن حكيم :

أحدُها : بحسب الحروف ، كما فى الحواميم .

الثاني : لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة .

الثالث : للتوازن فى اللفظ ، كآخر « تبّت » وأول « الإخلاص » .

الرابع : لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح .

قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمّنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه فى دين الإسلام ، والصّيانة عن دين اليهوديّة والنصرانية . وسورة البقرة تضمّنت قواعدَ الدين ، وآل عمران مكمِّلة لمقصودها . فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبُهات الخصوم ، ولهذا وردَ

فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى . وأوجب الحجّ فى آل عمران ، وأمّا فى البقرة فذكر أنه مشروع ، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه ، وكان خطاب النصارى فى آل عمران أكثر ، كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والإنجيل فرع لها ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم لمّا هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهادُه للنصارى فى آخر الأمر ، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السّوَر المكيّة فيها الدين الذى اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب به جميع الناس ، والسُّوَر المدنيّة فيها خطاب من أقرّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بياأهل الكتاب ، يابنى إسرائيل ، ياأيها الذين آمنوا ، وأما سورة النساء فتضمّنت أحكام الأسباب التى بين الناس ، وهى نوعان : مخلوقة لله ، ومقدُورة لهم كالنسب والصهر ، ولهذا افتتحت بقوله : ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ثم قال : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ، فانظر هذه المناسبة العجيبة فى الافتتاح ، وبراعة الاستهلال ، حيث تضمّنت الآية المفتتح بها ما أكثر السّورة فى أحْكامه ، من نكاح النساء ومحرّماته ، والمواريث المتعلقة بالأرحام ، وأنّ ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ، ثم خلق زوجة منه ، ثم بثّ منهما رجالا ونساء فى غاية الكثرة ، وأمّا المائدة فسُورة العقود تضمّنت بيان تمام الشرائع ، ومكملات الدين ، والوفاء بعهود الرسل ، وما أُخذ على الأمة ، وبها تم الدين ، فهى سورة التكميل ، لأن فيها تحريم الصيد على المحرِم الذى هو من تمام الإحرام ، وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين ، وعقوبة المعتدين من السّرّاق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطّيبات الذى هو من تمام عبادة الله تعالى ، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، كالوضوء والتيمّم ، والحكم بالقرآن على كلّ

دين ، ولهذا كثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام ، وذكر فيها أنَّ مَن ارتدّ عوّض الله بخير منه ، ولايزال هذا الدّين كاملا ، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لِمَا فيها من إشارات الختم والتمام . وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيّات من أحسن الترتيب .

وقال أبو جعفر بن الزبير : حكى الخطّابى أنّ الصحابة لما اجتمعوا على القرآن ، وضعوا سورة القَدْر عقِب العَلق ، استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية فى قوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ، الإشارة إلى قوله : « اقْرَأْ » ، قال القاضى أبو بكر بن العربى : وهذا بديع جدًّا .

• • •

فصـــل

قال فى البرهان : ومن ذلك افتتاح السّور بالحروف المقطّعة واختصاص كلّ واحدة بما بُدئت به ؛ حتى لم يكن لترد « الٓمٓ » فى موضع « الٓر » ولا « حٰمٓ » فى موضع « طٰسٓ » . قال : وذلك أن كلّ سورة بدئت بحرف منها ، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثلٌ له ، فحقّ لكل سورة منها ألّا يناسبها غير الواردة فيها ؛ فلو وضع « قٓ » موضع « نٓ » لعُدِمَ التناسب الواجب مراعاته فى كلام الله ، وسورة « قٓ » بدئت به ، لما تكرّر فيها من الكلمات بلفظ القاف : من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مرارًا . والقُرْب من ابن آدم وتلقّى الملكين ، وقول العتيد ، والرقيب ، والسائق ، والإلقاء فى جهنم ، والتقدّم بالوعد ، وذكر المتقين ، والقلب ، والقرون ، والتنقيب فى البلاد ، وتشقق الأرض ، وحقُوق الوعيد وغير ذلك .

وقد تكرّر فى سورة يونس من الكلم الواقع فيها « الرّاء » مائتا كلمة أو أكثر ؛ فلهذا افتتحت بـ « الٓر » .

واشتملت سورة « صٓ » على خصومات متعددة ، فأولها خصومة النبى صلى الله عليه وسلم مع الكفار ، وقولهم : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَٰهًا واحدًا ﴾[1] ، ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهلِ النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى ، ثمَّ تخاصم إبليس فى شأن آدم ، ثم فى شأن بنيه وإغوائهم .

و « الٓمٓ » جمعت المخارج الثلاثة : الْحَلق ، واللسان ، والشفتين على ترتيبها ، وذلك إشارة إلى البداية التى هى بدء الخلق ، والنهاية التى هى بدء الميعاد ، والوسط الذى هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهى ، وكلّ سورة افْتُتِحَتْ بها فهى مشتملة على الأمور الثلاثة .

وسورة الأعراف زيد فيها الصاد على « الٓمٓ » ، لما فيها من شرح القصص ؛ قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ؛ ولما فيها من ذكر ﴿ فلاَ يكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ ، ولهذا قال بعضهم : معنى « الٓمٓصٓ » ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ .

وزيد فى الرعد راء لأجل قوله : ﴿ رَفَعَ السَّمٰوَاتِ ﴾ ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما .

واعلم أن عادة القرآن العظيم فى ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها مايتعلق بالقرآن كقوله : ﴿ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ﴿ الٓمٓ ۞ اللهُ لَاإِلَٰهَ إِلَّاهُوَالْحَىُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالحقِّ ﴾ ، ﴿ الٓمٓصٓ ۞ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ . ﴿ الٓر ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ ﴿ طه ۞ مَاأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ، ﴿ طسٓمٓ ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ ، ﴿ يسٓ ۞ وَالْقُرْآنِ ﴾ ، ﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ ، ﴿ حمٓ ۞ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ﴿ ق وَالْقُرْآنِ ﴾ ، إلاَّ ثلاث سور : العنكبوت ، والروم ، ون . ليس فيها ما يتعلّق به . وقد ذكرتُ حكمة ذلك فى « أسرار التنزيل » .

---

(1) ص ٥ .

وقال الحرالي فى معنى حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال » : اعلم أن القرآن منزّل عند انتهاء الخلق ، وكمال كلّ الأمر ، بدأ فكان المتخلّق (*) به جامعا لانتهاء كل خلق ، وكمال كلّ أمر ، فذلك هو صلى الله عليه وسلم قُثَمُ (*) الكون، وهو الجامع الكامل ، ولذلك كان خاتمًا ، وكتابه كذلك ، وبدأ المعاد من حين ظهوره ، فاستوفى صلاحَ هذه الجوامع الثلاث التى قد خلتْ فى الأولين بداياتها ، وتمت عنده غاياتها : « بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق » ، وهى صلاح الدنيا والدين والمعاد التى جمعها قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهمّ أصلح لى دينى الذى هو عِصْمة أمرى ، وأصْلِح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى . » . وفى كل صلاح إقدام وإحجام ، فتصير الثلاثة الجوامع ستّة ، هى حروف القرآن الستّة ، ثم وُهب حرفًا جامعًا سابعًا فردًا ، لا زوج له ، فتمّت سبعة ، فأدنى تلك الحروف هو حرفا صلاح الدنيا ، فلها حرفان : حرف الحرام الذى لاتصلح النفس والبدن إلاّ بالتطهر منه لبعده عن تقويمها ، والثانى : حرف الحلال الذى تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها ، وأصْل هذين الحرفين فى التوراة ، وتمامهما فى القرآن .

ويلى ذلك حرفا صلاح المعاد ، أحدهما : حرف الزجر والنهى ، الذى لاتصلح الآخرة إلّا بالتطهر منه لبعده عن حُسْناها* والثانى : حرف الأمر الذى تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناها* ، وأصل هذين الحرفين فى الإنجيل وتمامهما فى القرآن .

(١) البرهان ١ : ١٦٩ ، ١٧١ بتصرف .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١١٧ « المتحلى به » .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١١٧ « قسيم الكون » .

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١١٧ «حسناتها» . «لحسناتها» .

ويلي ذلك حرفا صلاح الدين : أحدها حرف المحكَم الذي بان للعبد فيه خطاب ربّه ،والثانى حرف المتشابه الذى لايتبيّن للعبد فيه خطاب ربّه من جهة قصور عقله عن إدراكه .

فالحروف الخمسة للاستعمال ، وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز ، وأصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدّمة كلها ، وتمامها فى القرآن ، ويختصّ القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل الأعلى ، ولمّا كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله بهأُمّ القرآن ، وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التى بثّها فى القرآن ، فالأُولى تشتمل على حرف الحمد السّابع ، والثانية تشتمل على حرفى الحلال والحرام اللّذَيْنِ أقامت الرحمانية بهما الدنيا ، والرحيميّة الآخرة ، والثالثة تشتمل على أمر الملك القيّم على حرفَىِ النهى اللذين يبدأ أمرهما فى الدين ، والرّابعة تشتمل على حرفَىِ المحكم فى قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، والمتشابه فى قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، ولمّا افتتح أمّ القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه .

انتهى كلام الحرالى والمقصود منه هو الأخير ، وبقيته ينبو عنه السمع ، وينفر منه القلب ، ولاتميل إليه النفس ، وأنا استغفر الله من حكايته ؛ على أنى أقول فى مناسبة ابتداء البقرة بـ « الم » أحسن ممّا قال ، وهو أنه لمّا ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظّاهر لكلّ أحد بحيث لايعذَر أحد فى فهمه ، ابتدئت البقرة بمقابله ، وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل ، أو المستحيله .

• • •

فصل

ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها ، وقد تقدّم فى النوع السابع عشر الإشارة إلى ذلك . وفى عجائب الكرمانىّ : إنّما سميت السور السبع « حم » على الاشتراك فى الاسم ، لما بينهنّ من التشاكل الذى اختصّت به ، وهو أن كل واحدة منها استُفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب ، مع تقارب المقادير فى الطول والقصر ، وتشاكل الكلام فى النظام .

• • •

فوائد منثورة فى المناسبات

فى تذكرة الشيخ تاج الدين السبكىّ - ومن خطه نقلت : سأل الإمام : ما الحكمة فى افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح ، والكهف بالتحميد ؟ وأجاب بأن التسبيح - حيث جاء - مقدّمٌ على التحميد ، نحو : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ﴿ سُبْحَانَ الله والحمدُ لله ﴾ .

وأجاب ابن الزّملكانىّ : بأن سورة « سبحان » لما اشتملت على الإسراء الذى كذّب المشركون به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبُه تكذيب لله سبحانه وتعالى ، أتى « بسبحان » لتنزيه الله تعالى عما نُسب إلى نبيه من الكذب ، وسورة الكهف لمّا أنزِلت بعد سؤال المشركين عن قصّة أصحاب الكهف وتأخر الوحى ، نزلت مبيّنة أنّ الله لم يقطع نعمته عن نبيّه ولا عن المؤمنين ، بل أتمّ عليهم النعمة بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة .

فى تفسير الخُوبىّ ابتدئت الفاتحة بقوله : ﴿ الحمدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ فوصَف بأنه مالك جميع المخلوقين ، وفى الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصَف بذلك ، بل بفرد من أفراد صفاته ، وهو خَلْق السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَالظُّلُماتِ

وَالنور فى الأنعام ، وإنزال الكتاب فى الكهف ، وملْك مافى السموات وما فى الأرض فى سبأ ، وخلقهما فى فاطر ؛ لأَنَّ الفاتحة أُم القرآن ومطلعه ، فناسب الإتيان فيها بأَبلغ الصفات وأَعمّها وأَشملها .

فى العجائب للكرمانىّ : إن قيل : كيف جاء « يسأَلونك » أَربع مرات بغير واو : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾[1] ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾[2] ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾[3] ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾[4] ، ثم جاء ثلاث مرات بالواو :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾[5] ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾[6] ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾[7] ؟ . قلنا : لأَنَّ سؤالهم عن الحوادث الأُوَل وقع متفرّقا ، وعن الحوادث الأُخَر وقع فى وقت واحد ، فجىء بحرف الجمع دلالة على ذلك .

فإن قيلَ : كيف جاء ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ ﴾[8] ، وعادة القرآن مجىء « قل » فى الجواب بلافاء ؟ أجاب الكرمانىّ بأَنَّ التقدير : «لو سئلت عنها فقل » .

فإن قيل : كيف جاء ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[9] ، وعادة السؤال يجىء جوابه فى القرآن « بقل » ؟ قلنا : حذفت للإشارة إلى أن العبد فى حالة الدعاء فى أشرف المقامات ، لاواسطة بينه وبين مولاه .

• • •

(١) البقرة ١٨٩ .
(٢) البقرة ٢١٥ .
(٣) البقرة ٢١٧ .
(٤) البقرة ٢١٩ .
(٥) البقرة ٢١٩ .
(٦) البقرة ٢٢٠ .
(٧) البقرة ٢٢ .
(٨) طه ١٠٥ .
(٩) البقرة ١٨٦ .

ورَد فى القرآن سورتان : أولهما ﴿ يـأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ [١] فى كل نصفِ سورة ، فالتى فى النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ ، والتى فى الثانى على شرح المعاد ،

• • •

---

(١) هما سورتان : النساء والحج .

النَّوعُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّون

فى الآيات المشتبهات

أفرده بالتصنيف خلق ، أولهم – فيما أحسب – الكِسائىّ ، ونظمه السخاوىُّ ، وألَّف فى توجيهه الكِرْمانىّ كتابه « البرهان فى متشابه القرآن » (١) وأحسن منه « درّة التنزيل وغرّة التأويل » (٢) لأبى عبد الله الرّازىّ ، وأحسن من هذا « مِلاكُ التأويل » لأبى جعفر ابن الزبير (٣) . ولم أَقِفْ عليه ، وللقاضى بدر الدين بن جماعة فى ذلك كتاب لطيف سمّاه « كشف المعانى عن متشابه المثانى » (٤) ، وفى كتابى أسرار التنزيل المسمى « قطف الأزهار فى كشف الأسرار » من ذلك الجمّ الغفير .

والقصد به إيراد القصّة الواحدة فى صور شتّى ، وفواصل مختلفة ، بل تأتى فى موضع واحد مقدّمًا ، وفى آخر مؤخّرًا ، كقوله فى البقرة : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (٥) ، وفى الأعراف : ﴿وَقُولُوا حطةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ (٦) . وفى البقرة : ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ (٧) ، وسائر القرآن ﴿وَمَا أُهل لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ (٨) .

---

(١) ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : الشيخ برهان الدين ابو القاسم محمود بن حمزة الكرمانى . المتوفى بعد سنة خمسمائة .

(٢) ذكره أيضا صاحب كشف الظنون ، وقال : للامام فخر الدين محمود بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . تكلم فيه على الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة التى يقصد الملحدون التطرق منها الى عيبها .

(٣) منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(٤) ذكره صاحب كشف الظنون .

(٥) البقرة ٥٨ .

(٦) الأعراف ١٦١ .

(٧) البقرة ١٧٣ .

(٨) المائدة ٣ .

أوفى موضع بزيادة ، وفى آخر بدونها ، نحو : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ (١) فى البقرة وفى يس ﴿وَسَوَاء عليهمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ (٢) . وفى البقرة ﴿وَيَكُون الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (٣) وفى الأنفال ﴿كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (٤) .

أو فى موضع معرفا ، وفى آخر منكرًا ، أو مفردًا وفى آخر جمعًا ، أو بحرف وفى آخر بحرفٍ آخر ، أو مدغمًا وفى آخر مفكوكا وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات .

وهذه أمثلة منه بتوجيهها :

قوله تعالى فى البقرة : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٥) . وفى لقمان ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ . . .﴾ (٦) لأنه لمّا ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب « المتقين » ، ولمّا ذكر ثمّ الرحمة ناسب « المحسنين » .

قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ (٧) ، وفى الأعراف ﴿فَكُلَا﴾ (٨) بالفاء ، قيل : لأن السكنى فى البقرة الإقامة ، وفى الأعراف اتخاذ المسكن . فلمّا نسب القول إليه تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ، ولذا قال فيه « رغدًا » ، وقال : ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ، لأنه أعمّ . وفى الأعراف « ويآدمُ » . فأتى بالفاء الدالّة على ترتيب الأكل على السّكنى المأمور باتخاذها ، لأن الأكل بعد الاتخاذ ، و « من حيث » لاتعطى عموم معنى ﴿حيث شِئْتُما﴾ .

قوله تعالى : ﴿واتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شيئًا ولا يُقْبَلُ مِنْهَا

(١) البقرة ٦ . (٢) يس ١٠ .
(٣) البقرة ١٩٣ . (٤) الأنفال ٣٩ .
(٥) البقرة ٢ . (٦) لقمان ٣ .
(٧) البقرة ٣٥ . (٨) الأعراف ١٩ .

شفاعةٌ ولا يؤخذ مِنْهَا عدلٌ ﴾ (١) ، وقال بعد ذلك : ﴿ ولاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ولا تَنْفَعُهَا شَفَاعَة ﴾ (٢) ففيه تقديم العدل وتأخيره ، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى ، وذُكر فى حكمته أنَّ الضمير فى «منها» راجع فى الأُولى إلى النفس الأُولى ، وفى الثانية إلى النفس الثانية ، فبيَّنَ فى الأُولى أنَّ النفس الشافعة الجازية عن غيرها لايُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عَدْل ، وقدّمت الشفاعة لأنَّ الشافع يقدم الشفاعة على العدل ، وبيّن فى الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لايقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع منها ، وقدّم العَدْللأنالحاجة إلى الشفاعة إنَّما تكون عند ردّه ، ولذلك قال فى الأُولى ﴿ لايُقْبَلُ منها شَفَاعَة ﴾ وفى الثانية : «وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَة» ؛ لأَن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له .

قوله تعالى :﴿ وإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ ﴾(٣) وفى إبراهيم ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ (٤) بالواو ، لأَن الأُولى من كلامه تعالى لهم فلم يعدّد عليهم المحن تكرّمًا فى الخطاب ؛ والثانية من كلام موسى فعَدّدها . وفى الأَعراف ﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾ (٥) وهو من تنويع الأَلفاظ المسمّى بالتفنّن .

قوله تعالى : ﴿ وإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ . . . ﴾ (٦) الآية ، وفى آية الأَعراف اختلاف أَلفاظ ، ونكتته أن آية البقرة فى معرضِ ذكر النعم عليهم حيث قال : ﴿ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِى ﴾ (٧) إلى آخره ، فناسب نسبة القول إليهتعالى ، وناسب قوله : «رغدًا» لأَن المنعم به أتمّ ، وناسب تقديم ﴿ وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾(٨) وناسب «خطاياكم» لأَنه جمع كثرة وناسب

(١) البقرة ٤٨ .
(٢) البقرة ١٢٣ .
(٣) البقرة ٤٩ .
(٤) ابراهيم ٦ .
(٥) الأعراف ١٤١ .
(٦) البقرة ٥٨ .
(٧) البقرة : ٤٧ .
(٨) البقرة ٥٨ .

الواو فى « وسنزيد » لدلالتها على الجمع بينهما ، وناسب الفاء فى ﴿فكلوا﴾ لأن الأكل مترتب على الدخول . وآية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إلَهاً كما لهم آلهةٌ ﴾(١) ، ثم اتخاذهم العجل ، فناسب ذلك ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ﴾(٢) وناسب ترك « رغدا » . والسكنى تجامع الأكل فقال : ﴿ وَكُلُوا ﴾ ،وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو فى «سنزيد» ولمّا كان فى الأعراف تبعيض الهادين بقوله :﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالْحَقِّ﴾(٣) ناسب تبعيض الظالمين بقوله ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (٣) ، ولم يتقدّم فى البقرة مثله فترك . وفى البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم ، والإرسال أشدُّ وقعًا من الإنزال ، فناسب سياق ذكر النعمة فى البقرة ذلك ، وختم آية البقرة بـ ﴿ يَفْسُقُونَ ﴾ (٤) ، ولايلزم منه الظلم ، والظلم يلزم منه الفسق ، فناسب كل لفظة منها سياقه .

وكذا فى البقرة : ﴿ فَانْفَجَرَتْ ﴾ (٥) ، وفى الأعراف ﴿ فانْبَجَسَتْ ﴾ (٦) لأن الانفجار أبلغ فى كثرة الماء ،فناسب سياق ذكر النعم التعبير به .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ (٧) ، وفى آل عمران ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (٨) قال ابن جماعة : لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود إحداهما قالت : إنّما نعذّب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا ، والأخرى قالت إنما نعذب أربعين ، عدة أيام عبادة آبائهم العجل ، فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبّر بجمع الكثرة ، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة .

(١) الأعراف ١٣٨ .
(٢) الأعراف ١٦١ .
(٣) الأعراف ١٥٩ ، ١٦٢
(٤) البقرة ٥٩ .
(٥) البقرة ٦٠ .
(٦) الأعراف ١٦٠ .
(٧) البقرة ٨٠ .
(٨) آل عمران ٢٤ .

وقال أبو عبد الله الرازيّ : إنّه من باب التفنن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ (١) ، وفى آل عمران : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هدى اللَّهِ ﴾ (٢) ، لأن الهدى فى البقرة المراد به تحويل القبلة ، وفى آل عمران المراد به الدّين لتقدّم قوله ﴿ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ (٢) ومعناه إن دين الله الإسلام .

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (٣) ، وفى إبراهيم ﴿ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ (٤) لأن الأول دعا به قبل مصيره بلدًا عند ترك هاجر وإسماعيل به ، وهو وادٍ ، فدعا بأن يصير بلدًا ، والثانى دعا به بعد عوده وسكنى جُرْهم به ومصيره بلدًا فدعا بأمنه .

قوله تعالى . ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ (٥) . وفى آل عمران ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ (٦) ، لأن الأُولى خطابٌ للمسلمين ، والثانية خطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، و « إلى » يُنتهى بها من كل جهة و « على » لا يُنتهى بها إلا من جهة واحدة وهى العلوّ والقرآن يأتى المسلمين من كلّ جهة ، يأتى مبلّغه إياهم منها وإنما أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم [من جهة العلوّ خاصة ، فناسب قوله : « علينا » ، ولهذا أكثر ماجاء فى جهة النبىّ صلى الله عليه وسلم] (٧) بـ « على » ، وأكثر ماجاء فى جهة الأمة بـ « إلى » .

قوله تعالى : ﴿ تلك حدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ (٨) ، وقال بعد ذلك ، ﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ (٩) ، لأنّ الأولى وردت بعد نواهٍ فناسب النّهى عن قربانها والثانية بعد أوامر ، فناسب النهى عن تعدّيها وتجاوزها بأن يوقف عندها

---

(١) البقرة ١٢٠ . (٢) آل عمران ٧٣ .
(٣) البقرة ١٢٦ . (٤) ابراهيم ٣٥ .
(٥) البقرة ١٣٦ . (٦) آل عمران ٨٤ .
(٧) تكملة من ط وطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٢٠ .
(٨) البقرة ١٨٧ . (٩) البقرة ٢٢٩ .

قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ (١) . وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (١) لأنّ الكتاب أُنزل منجّمًا فناسب الإتيان بـ « نزّل » الدالّ على التكرير بخلافهما ؛ فإنهما أُنزلا دفعة .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ (٢) . وفى الإسراء ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ (٣) ، لأن الأُولى خطاب للفقراء المقلّين ، أى لا تقتلوهم من فقركم . فحسن ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ ﴾ مايزول به إملاقكم . ثم قال « وإياهم » . أي نرزقكم جميعًا ، والثانية خطاب للأغنياء ، أى خشية فقرٍ يحصل لكم بسببهم ، ولذا حسن ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ .(٣)

قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٤) . وفى فصلت ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥) قال ابن جماعة : لأنّ آية الأعراف نزلت أوّلا . وآية فصّلت نزلت ثانيًا . فحسن التعريف . أى هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الّذى تقدّم ذكره أولا عند نزوغ الشيطان .

قوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (٦) . وقال فى المؤمنين ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٧) . وفى الكفار : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٨) . لانّ المنافقين ليسوا متناصرين على دين معيّن وشريعة ظاهرة ، فكان بعضهم يهودا . وبعضهم مشركين . فقال : ﴿ من بعض ﴾ أي فى الشك والنفاق . والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام . وكذلك الكفار

(١) آل عمران ٣ .
(٢) الأنعام ١٥١ .
(٣) الاسراء ٣١ .
(٤) الأعراف ٢٠٠ .
(٥) فصلت ٣٦
(٦) التوبة ٦٧ .
(٧) التوبة ٧١ .
(٨) الأنفال ٧٣ .

المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين ، كما قال تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبهم شَتَّى ﴾ [1] .

فهذه أمثلة يُستضاء بها ، وقد تقدم منها كثير فى نوع التقديم والتأخير ، وفى نوع الفواصل ، وفى أنواع أُخر .

• • •

تم الجزء الثالث من كتاب الإتقان فى علوم القرآن ، ويليه الجزء الرابع
وأوله النوع الرابع والستون
فى إعجاز القرآن

(١) الحشر ١٤ .

فهرس الموضوعات

النوع الثالث والأربعون

فى المحكم والمتشابه

• • •

النوع الرابع والأربعون

فى مقدمه ومؤخره

• • •

النوع الخامس والأربعون

فى عامّه وخاصّه

• • •

النوع السادس والأربعون

فى مجمله ومبيّنه

• • •

النوع السابع والأربعون

فى ناسخه ومنسوخه

• • •

النوع الثامن والأربعون

في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض

• • •

النوع التاسع والأربعون

في مطلقه ومقيده

• • •

النوع الخمسون

في منطوقه ومفهومه

• • •

النوع الحادي والخمسون

في وجوه مخاطباته

• • •

النوع الثانى والخمسون

فى حقيقته ومجازه

* * *

النوع الثالث والأربعون

فى تشبيهه واستعاراته

• • •

النوع الرابع والخمسون

في كناياته وتعريضه

• • •

النوع الخامس والخمسون

في الحصر والاختصاص

• • •

النوع السادس والخمسون

فى الإيجاز والإطناب

• • •

النوع السابع والخمسون

فى الخبر والإنشاء

النوع الثامن والخمسون

فى بديع القرآن

• • •

النوع التاسع والخمسون

فى فواصل الآى

• • •

النوع الستون

في فواتح السور

• • •

النوع الحادى والستون

في خواتم السور

• • •

النوع الثانى والستون

في مناسبة الآيات والسور

• • •

النوع الثالث والستون

في الآيات المشتبهات

الإتقان في علوم القرآن

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع

منشورات

رضي - بيدار - عزيزي

الكتاب	الاتقان فی علوم القرآن
المؤلّف	جلال الدين الاسيوطی
المحقّق	محمّد أبوالفضل ابراهيم
الطبعة	الثانية
التأريخ	١٣٦٣ ـ هـ ـ ش
الجزء	الثالث والرابع
عدد الصفحات	٧٤٤
الناشر	منشورات الرضی ـ بيدار
المطبعة	مطبعة أمير
عدد النسخ	١٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

النوع الرابع والستون

فى إعجاز القُرآن

أفرده بالتصنيف خلائق ؛ منهم الخطابىّ ، والرمانىّ ، والزَّملكانىّ ، والإمام الرازىّ ، وابن سُراقة ، والقاضى أبو بكر الباقلانىّ : قال ابن العربىّ : ولم يصنّف مثل كتابه .

اعلم أنَّ المعجزة أمرٌ خارق للعادة ، مقرون بالتحدّى ، سالم عن المعارضة ؛ وهى إما حسّيّة وإمّا عقلية ، وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسّيّةً لبلادتهم وقلّة بصيرتهم ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم ، وكمال أفهامهم ، ولأنَّ هذه الشريعة لمّا كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خُصّت بالمعجزة العقليه الباقية ؛ ليراها ذوو البصائر ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مامن الأنبياء نبىّ إلاَّ أُعطِىَ مامثلُه آمن عليه البشر ؛ وإنما كان الذى أوتيتُه وحيًا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » . أخرجه البخارىّ ، قيل إن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا مَن حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرّة إلى يوم القيامة وخرقُه العادةَ فى أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيّبات ، فلا يمرّ عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شىء مما أخبَر به أنّه سيكون ؛ يدلّ على صحة دعواه . وقيل : المعنى أنَّ المعجزات الواضحة الماضية كانت حسّيّة تشاهَد بالأبصار ؛ كناقة صالح وعصا موسى ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ، فيكون مَن يتبعه لأجلها أكثر ؛ لأن الذى يشاهَد

بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذى يشاهد بعين العقل باقٍ ، يشاهده كل مَن جاء بعد الأول مستمراً .

قال فى فتح البارى : ويمكن نَظم القولين فى كلام واحدٍ ؛ فإن محصلهما لايُنافى بعضُه بعضاً ، ولا خلاف بين العقلاء ، أنَّ كتاب الله تعالى معجزٌ لم يقدر واحدٌ على معارضته بعد تحدّيهم بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ﴾ [1] ، فلولا أن سماعه حجّة عليه لم يقف أمره على سماعة ، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِن رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ • أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [2] ، فأخبر أن الكتاب آية من آياته ، كافٍ فى الدلالة ، قائم مقام معجزات غيره وآيات مَن سواه من الأنبياء ، ولمّا جاء به النبى صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ وكانوا أفصحَ الفصحاء ، ومصاقعَ الخطباء ، وتحدّاهم على أن يأتوا بمثله . وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا ، كما قال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [3] ثم تحدّاهم بعشرِ سُورٍ منه فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ • فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ﴾ [4] ثم تحدّاهم بسورة فى قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .. ﴾ [5] الآية ، ثم كرّر فى قوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ ... ﴾ [6] الآية . فلمّا عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة

---

(١) التوبة ٦
(٢) العنكبوت ٥٠ ، ٥١
(٣) الطور ٣٤
(٤) هود ١٣ ، ١٤
(٥) يونس ٣٨
(٦) البقرة ٢٣

تشبهه على كثرة الخطباء والبلغاء ، نادَى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1] ، هذا وهُم الفصحاء اللُّدّ وقد كانوا أحرصَ شىء على إطفاء نوره وإخفاء أمرِه ، فلو كان فى مقدرتهم معارضتُه لعدلوا إليها قطعًا للحجّة ، ولم يُنقَل عن أحدٍ منهم أنه حدّث نفسه بشىء من ذلك ولا رامه ، بل عدلوا إلى العِناد تارة ، وإلى الاستهزاء أخرى ، فتارة قالوا : « سِحر » وتارة قالوا : « شعر » وتارة قالوا « أساطير الأولين » ، كلّ ذلك من التحيّر والانقطاع ، ثم رضُوا بتحكيم السيف فى أعناقِهم وسَبْى ذراريهم وحُرَمهم ، واستباحة أموالهم ، وقد كانوا آنف شىء وأشدّه حميّة ، فلو علموا أن الإتيان بمثله فى قدرتهم لبادروا إليه . لأنه كان أهون عليهم ؛ كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال : جاء الوليد بن المغيرة إلى النّبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : ياعمّ ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه ؛ فإنّك أتيت[2] محمدًا لتعرض لما قبله[3] ، قال : قد علمتْ قريش أنّى من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك كاره له ، قال : وماذا أقول ! فوالله ما فيكم رجل أعلمُ بالشعر منّى ، ولا برجَزِه ، ولا بقصيده ، ولا بأشعارالجن ، والله مايشبهُ الذى يقول شيئا من هذا ؛ ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر[4] أعلاه ، مغدِق أسفله ، وإنه ليعلو ولايعلَى عليه ، وإنه ليحطِّم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومُك حتى تقول فيه ، قال : دعنى حتى أُفكّر ، فلما فكّر قال :هَذَا « سِحْرٌ يُؤْثَرُ » ، يأْثره عن غيره .

(١) الاسراء ٨٨
(٢) ط : «لتلا تأتى»
(٣) ط : «قاله»
(٤) فى الأصل : «مثمر» ، وما أثبته من ط

قال الجاحظ : بَعَثَ الله محمدًا صلى الله عليه وسلم أكثر ماكانت العرب شاعرًا وخطيبًا ، وأحكمَ ماكانت لغةً ، وأشدّ ماكانت عُدّةً ، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيدِالله وتصديقِ رسالته ، فدعاهم بالحجّة ، فلما قطَع العذر ، وأزال الشبهة ، وصار الذى يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية ، دون الجهل والحَيرة ، حملهم على حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحربَ ، ونصبُوا له ، وقتل مِن عِلْيتهِم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم ، وهو فى ذلك يحتجّ عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحًا ومساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبًا بسورة واحدة ، أو بآيات يسيرة ، فكلّما ازداد تحدّيًا لهم بها ، وتقريعًا لعجزهم عنها تكشّف من نقصهم ماكان مستورًا ، وظهر منه ماكان خفيًّا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجّة قالوا له : أنت تعرف من أخبار الأُمم مالا نعرف ؛ فلذلك يمكنُك مالا يمكننا . قال : فهاتوها مفتريات ، فلم يرُم ذلك خطيب ، ولاطمع فيه شاعر ، ولاطبع فيه لتكلّفه ، ولو تكلّفه لظهر ذلك ، ولوظهر لوجدمَنْ يستجيده ويحامى عليه ويكايد فيه ، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ، فدلّ ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم ، واستحالة لغتِهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم وكثرة مَنْ هجاه منهم ، وعارض شعراء أصحابه ، وخطباء أمّته لأنّ سورةً واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره ، وأبلغَ فى تكذيبه وأسرعَ فى تفريق أتباعه من بذْل النفوس ، والخروج من الأوطان ، وإنفاق الأموال ، وهذا من جليل التدبير الذى لايخفى على من هو دون قريش والعرب فى الرأى والعقل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب ، والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، والقِصار الموجزة ، ولهم الأسجاع والمزدَوج ، واللفظ المنثور ، ثمّ يتحدّى به أقصاهم بعدَ أن أظهر عجز أدناهم ، فمحال – أكرمك الله – أن يجتمع هؤلاء كلُّهم على الغلط فى الأمر الظاهر ، والخطإ المكشوف البين ،

مع التقريع بالنقص ، والتوقيف على العجز ، وهم أشدُّ الخلق أنفةً ، وأكثرهم مفاخرةً ، والكلام سيّد عملهم ، وقد احتاجوا إليه ، والحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض ، فكيف بالظاهر ! وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثا وعشرين سنة على الغلط فى الأمر الجليل المنفعة ، فكذلك محال أن يتركُوه ، وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه ! انتهى .

• • •

فصل

لمّا ثبَتَ كونُ القرآن معجزة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمامُ بمعرِفة وجه الإعجاز ، وقد خاض الناس فى ذلك كثيراً ، فبين محسن ومسىء ، فزعم قومٌ أنَّ التَّحدّى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات ، وأنَّ العرب كُلِّفتْ فى ذلك مالا يطاق ، وبه وقع عجزها . وهو مردود؛ لأن مالا يمكن الوقوف عليه لا يُتصوّر التحدى به ، والصواب ماقاله الجمهور أنّه وقع بالدّالِّ على القديم وهو الألفاظ .

ثم زعم النظّام[1] أن إعجازه بالصَّرْفة ، أى أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم ، لكن عاقهم أمر خارجىّ ، فصار كسائر المعجزات. وهذا قول فاسد بدليل : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾[2] الآية ، فإنه يدلّ على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم ، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى ، وليس عَجْزُ الموتى مما يحتفَل

---

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ وأحد رءوس المعتزلة ، واليه تنسب الفرقة النظامية . توفى فى خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر آراءه فى المواقف ٦٢٢

(٢) سورة الاسراء ٨٨

بذكره ، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن ، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز ! بل المعجز هو الله تعالى ، حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله .

وأيضاً فيلزم من القول بالصَّرْفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدّى ، وخلوّ القرآن من الإعجاز ، وفى ذلك خرقٌ لإجماع الأُمة ؛ أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن .

قال القاضى أبو بكر : وممّا يبطل القول بالصَّرْفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة - وإنما منع منها الصَّرْفة - لم يكن الكلام معجزاً ، وإنَّما يكون بالمنع معجزاً ، فلا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره فى نفسه . قال : وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم : إنَّ الكل قادرون على الإتيان بمثله ؛ وإنما تأخَّروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلَّموه لوصلوا إليه به ، ولا بأعجبَ من قول آخرين : إن العجز وقع منهم ؛ وأما من بعدهم ففى قدرته الإتيان بمثله ؛ وكل هذا لا يعتدّ به [١] .

وقال قوم : وجه إعجازه مافيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة ، ولم يكن ذلك منْ شأْن العرب .

وقال آخرون : ما تضمّنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية مَنْ شاهدها وحضرها .

وقال آخرون : ماتضمّنه من الإخبار عن الضمائر ، من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ ﴾ [٢] ، ﴿ وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللهُ ﴾ [٣] .

---

(٢) اعجاز القرآن ٤٢ ، ٤٤ بتصرف (٣) آل عمران ١٢٢

(٤) المجادلة ٨

وقال القاضى أبو بكر : وجْهُ إعجازه ما فيه من النَّظْم والتأْليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلام العرب ، ومُباينٌ لأساليب خطاباتهم . قال : ولهذا لم يمكنهم معارضته .

قال : ولا سبيلَ إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التى أودعوها فى الشعر ، لأنه ليس ممّا يخرق العادة ،بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به ، كقول الشعر ، ورصْف الخطب وصناعة الرسالة ، والحِذْق فى البلاغة ، وله طريق تُسْلَك ، فأما شأْو نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى ، ولا إمام يُقتدى به ، ولا يصحّ وقوع مثله اتفاقًا . قال : ونحن نعتقد أن الإعجاز فى بعض القرآن أظهر ، وفى بعضه أدقّ وأغمض .

وقال الإمام فخر الدين : وَجْه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسّلامة من جميع العيوب .

وقال الزَّمْلُكانىّ : وجه الإعجاز راجع إلى التأْليف الخاصّ به ، لا مطلق التأْليف، بأن اعتدلت مفرداته تركيبًا وزنة ، وعَلَتْ مركَّباته معنًى ، بأن يوقَع كل فنٍّ فى مرتبته العليا فى اللفظ والمعنى .

وقال ابن عطية : الصحيح والذى عليه الجمهور والحذّاق فى وجه إعجازه ، أنه بنظمه وصحّة معانيه وتَوالِى فصاحة ألفاظه ؛ وذلك أنّ الله أحاط بكل شىء علمًا ، وأحاط بالكلام كله علمًا ، فإذا ترتبت [1] اللفظة من القرآن ، علِم بإحاطته أىّ لفظة تصلح أن تلِيَ الأُولى وتُبيِّن المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبَشَر يعمّهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية

(١) ط : «ترتيب»

القصوى من الفصاحة ، وبهذا يبطل قول من قال : إن العرب كان فى قدرتها الإتيان بمثله ، فصرفوا عن ذلك ، والصحيح أنه لم يكن فى قدرة أحد قط . ولهذا ترى البليغ ينقّح القصيدة أو الخطبة حولاً ، ثم ينظر فيها فيغيّر فيها وهلمّ جرّا ، وكتاب الله تعالى لو نُزِعَتْ منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد . ونحن تتبيّن لنا البراعة فى أكثره ويخفى علينا وجهها فى مواضع ، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلامة الذّوق ، وجوْدة القريحة . وقامت الحجّة على العالم بالعرب ؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة ، ومظنّة المعارضة ، كما قامت الحجة فى معجزة موسى بالسَّحَرة ، وفى معجزة عيسى بالأطِبّاء ، فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرعُ ماتكون فى زمن النبىّ الذى أراد إظهاره ، فكان السحر قد انتهى فى مدّة موسى إلى غايته وكذلك الطبّ فى زمن عيسى ، والفصاحة فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم[(١)]

وقال حازم فى منهاج البلغاء : وجه الإعجاز فى القرآن من حيثُ استمرّت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها فى جميعه ؛ استمرارًا لايوجد له فترة ، ولايقدِرُ عليه أحد من البشر وكلام العرب ومَنْ تكلّم بلغتهم ،لاتستمرّ الفصاحة والبلاغة فى جميع أنحائها فى العالى منه إلّا فى الشىء اليسير المعدود ، ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طِيب الكلام ورونقه ،فلا تستمرّ لذلك الفصاحة فى جميعه ، بل توجد فى تفاريق وأجزاء منه[(٢)] .

وقال المراكشىّ فى شرح المِصْباح : الجِهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكُّر فى علم البيان ، وهو كما اختاره جماعة فى تعريفه مايحترز به عن الخطإ فى تأدية المعنى ، وعن تعقيده ، وتعرف به وجوهُ تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى

(١) مقدمة التفسير المطبوعة ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ونقله الزركشى فى البرهان ٢ : ٩٧

(٢) نقله فى البرهان ٢ : ١٠١

الحال ؛ لأنَّ جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه ، وإلاَّ لكانت قبل نزوله معجزة ، ولا مجرَّد تأْليفها ؛ وإلاَّ لكان كلّ تأْليفٍ معجزا ، ولا إعرابها وإلاَّ لكان كل كلام معرَب معجزا ، ولا مجرد أسلوبه وإلاَّ لكان الابتداء بأُسلوب الشعر معجزاً ، والأُسلوب الطريق ، ولكان هَذَيان مسيلمة معجزاً ؛ ولأنَّ الإعجاز يوجد دونه أىّ الأُسلوب فى نحو : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (١) ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ ﴾ (٢) ، ولا بالصَّرْف عن معارضتهم ؛ لأن تعجّبهم كان من فصاحته ولأنَّ مسيلمة وابن المقفّع ، والمعرّى وغيرهم قد تعاطوها فلم يأْتوا إلا بما تمجّه الأَسماع ، وتنفِر منه الطباع ، ويُضحَك منه فى أحوال تركيبه ، وبها ، أى بتلك الأَحوال أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء ، فعلى إعجازه دليل إجمالىٌّ ، وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها ، فغيرُها أحرى ، ودليل تفصيلىّ مقدّمته التفكُّر فى خواص تركيبه ، ونتيجتهُ العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شىء علماً.

وقال الأَصبهانىّ فى تفسيره : اعلَمْ أنَّ إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز يتعلَّق بنفسه ، والثانى بصرف الناس عن معارضته ، فالأَوّل إمّا أن يتعلَّق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه ، أما الإعجاز المتعلّق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلّق بعنصره ؛ الذى هو اللفظ والمعنى ؛ فإن ألفاظه ألفاظهم ، قال تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٣) ، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ﴾ (٤) ، ولا بمعانيه فإن كثيراً منها موجود فى الكتب المتقدّمة ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾ (٥) ، وما هو فى القرآن من المعارف الإلٰهية وبيان المبدإ والمعاد والإخبار بالغيْب ؛ فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن ، بل لكونها حاصلة من غير سَبْق تعليم وتعلُّم ، ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب ؛ سواء كان بهذا النظم ،

(١) يوسف ٨٠ (٢) الحجر ٩٤
(٣) يوسف ٢ (٤) الشعراء ١٩٥
(٥) الشعراء ١٩٦

أو بغيره ، مورِدًا [1] بالعربية أو بلغة أخرى ، بعبارة أو بإشارة ؛ فإذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره ، وباختلاف الصّورِ يختلف حكم الشيء واسمه لابعنصره ، كالخاتم والقُرْط والسُّوار ، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها ، لا بعنصرها الذى هو الذّهب والفضة والحديد ، فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمّى خاتما ، وإن كان العنصر مختلفا ، وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها ، وإن كان العنصر واحدًا .

قال : فظهر من هذا أنّ الإعجاز المختصّ بالقرآن يتعلّق بالنظم المخصوص

وبيان كون النظم معجزًا يتوقّف على بيان نظم الكلام ، ثم بيان أنّ هذا النظم مخالف لنظم ماعداه ، فنقول : مراتب تأْليف الكلام خمس :

الأُولى : ضمّ الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض ، لتحصل الكلمات الثلاث : الاسم والفعل والحروف .

والثانية : تأْليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض ، لتحصل الجمل المفيدة ، وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعًا فى مخاطباتهم ، وقضاء حوائجهم ، ويقال له : المنثور من الكلام .

والثالثة : ضمّ بعض ذلك إلى بعض ضماً له مبادٍ ومقاطع ، ومداخل ومخارج ، ويقال له : المنظوم .

والرابعة : أن يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ، ويقال له المسجّع .

والخامسة : أن يجعل له مع ذلك وزن ، ويقال له الشعر : والمنظوم ، إمّا محاورة ويقال له الخطابة وإمّا مكاتبة ويقال له الرسالة ؛ فأنواع الكلام لاتخرج

(١) ط : «مؤديه»

عن هذه الأقسام ، ولكلّ من ذلك نظم مخصوص ، والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شىء منها ، يدلّ على ذلك أنّه لا يصحّ أن يقال له ، رسالة ، أو خطابة ، أو شعر ، أو سجع ، كما يصحّ أن يقال : هو كلام ، والبليغ إذا قرع سمعَه فَصَلَ بينه وبين ماعداه من النظم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ • لايَأْتِيه الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِن خَلْفِهِ ﴾ [١] ، تنبيهاً على أن تأليفه ليس على هيئة نظمٍ يتعاطاه البَشَر ، فيمكن أن يغيَّر بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأُخرى

قال : وأمّا الإعجاز المتعلّق بصرف النّاس عن معارضته ، فظاهر أيضاً إذا اعتبر ؛ وذلك أنّه مامن صناعة محمودة كانت أومذمومة ؛ إلاّ وبينها وبين قوم مناسبات خفيّة ، واتفاقات حمليّة ؛ بدليل أنّ الواحد يؤثر حرفةً من الحرف ، فينشرح صدره بملابستها ، وتطيعه قواه فى مباشرتها ، فيقبلها بانشراحِ صدرٍ ، ويزاولها باتّساع قلب [٢] ، فلمّا دعا اللهُ أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل وادٍ من المعانى بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن ، وعجزهم عن الإتيان بمثله ، ولم يتصدّوا لمعارضته لم يخفَ على أُولى الألباب أنّ صارفاً إلٰهيّاً صرفَهم عن ذلك ، وأىّ إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عَجَزَةً ، فى الظاهر عن معارضته ، مصروفةً فى الباطن عنها . انتهى .

وقال السّكاكىّ فى المفتاح : اعلم أنّ إعجاز القرآن يدرَك ، ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفُها ، وكالملاحة ، وكما يدرك طيب النَّغم العارض لهذا الصوت ، ولا يدركَ تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة إلاّ باتقان عِلمى المعانى والبيان والتمرّين فيهما .

---

(١) فصلت ٤١ ، ٤٢ (٢) ط : «قلبه»

وقال أبو حيان التوحيديّ : سئل بُندار الفارسيّ عن موضع الإعجاز من القرآن فقال : هذه مسألة فيها حَيْف على المعنى ، وذلك أنه شبيه بقولك : ما موضع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان ؛ بل متى أشرت إلى جملته فقد حقَّقته ودللت على ذاته ، كذلك القرآن ، لشرفه لايشار إلى شيء فيه إلا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ، ومعجزة لمحاوِله ، وهدى لقائله ، وليس فى طاقة البشَر الإحاطة بأغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه ؛ فلذلك حارت العقول ، وتاهت البصائر عنده .

وقال الخطابيّ [(١)] : ذهب الأكثرون من علماء النظر ، إلى أنَّ وجه الإعجاز فيه من جهةِ البلاغة ، لكن صعُب عليهم تفصيلهُا ، وصغَوْا فيه إلى حكم الذوق.

قال : والتحقيق أنَّ أجناس الكلام مختلِفة ، ومراتبها فى درجات البيان متفاوتة ؛ فمنها البليغ الرَّصِين الجزل ، ومنها الفصيح الغريب السهل ، ومنها الجائز الطَّلق الرَّسْل ؛ وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود ؛ فالأول أعلاها ، والثانى أوسطها ، والثالث أدناها وأقربها ، فحازت بلاغات القرآن من كلّ قسم من هذه الأقسام حصّة ، وأخذت من كل نوع شُعبة ، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نَمَط من الكلام يجمع صفتَيِ الفخامة والعُذوبة ، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادَّيْن ؛ لأن العذوبة نِتاج السهولة ؛ والجزالة والمتانة يعالجان نوعًا من الزّعورة ؛ فكان اجتماع الأمرين فى نظمه ، مع نبوّ كلّ واحد منهما عن الآخر فضيلة خُصَّ بها القرآن ؛ ليكون آية بيِّنة لنبيه صلى الله عليه وسلم .

وإنما تعذَّر على البشر الإتيان بمثلِه لأُمورٍ ؛ منها أنَّ علمَهم لايحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التى هى ظروف المعانى ، ولا تدرِك إفهامهم جميع

---

(١) هو أحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى ، فى كتابه بيان اعجاز القرآن ، طبع ضمن ثلاثة رسائل بمطبعة المعارف .

معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوهِ النظوم [١] التى بها يكون ائتلافها ، وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها إلى أن يأتُوا بكلام مثله ، وإنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظٌ حاصل ، ومعنى به قائم ، ورباطٌ لهما ناظم. وإذا تأمّلت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة ؛ حتى لاترى شيئًا من الألفاظ أفصحَ ولا أجزل ، ولا أعذب من ألفاظه ؛ ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا ، وأشدَّ تلاؤمًا [٢] وتشاكلاً من نظمه ؛ وأما معانيه فكلّ ذى لبٍّ يشهد له بالتقدّم فى أبوابه ، والترقّى إلى أعلى درجاته .

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرّق فى أنواع الكلام ؛ فأمّا أن تُوجد مجموعة فى نوع واحد منه ، فلم توجد إلا فى كلام العليم القدير ، فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمّنًا أصحّ المعانى من توحيدِ لله تعالى وتنزيهه له فى صفاته ، ودعاء [٣] إلى طاعته ، وبيانٍ لطريق عبادته ، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة ، ومِن وَعْظ وتقويم ، وأمرٍ بمعروفٍ ، ونهيٍ عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجْر عن مساويها ، واضعًا كل شىء منها موضعه الذى لايرى شىء أولى منه ، ولا يتوهّم فى صورة العقل أمرٌ أليق به منه ، مودعًا أخبار القرون الماضية ، ومانزل من مَثُلات الله بمَن مَضَى وعاند منهم ، منبئًا عن الكوائن المستقبلة فى الأعصار الآتية من الزمان ، جامعًا فى ذلك بين الحجة والمحتَجّ له ، والدليل والمدلول عليه ؛ ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا عليه ، وإنباءً عن وجوب ماأمر به ونهى عنه .

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتّسق

(١) ط : «المنظوم»

(٢) ط «تلاوته» ، تحريف

(٣) ط : «دعائه»

أمر تعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرتهم ، فانقطع الخلق دونه ، وعَجَزُوا عن معارضته بمثله ، أو مناقضته فى شكله . ثم صار المعاندون له يقولون مرة إنه شعر لمّا رأوْه منظومًا ، ومرة إنه سحر لمّا رأوه معجوزًا عنه ، غير مقدور عليه. وقد كانوا يجدون له وقعًا فى القلوب ، وقرعًا فى النفوس ، يُرهبهم ويحيّرهم ، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعًا من الاعتراف ، ولذلك قالوا : إنّ له لحَلاوةً وإن عليه لَطَلاوةً . وكانوا مرة بجهلهم يقولون : ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (١) ، مع علمهم أن صاحبهم أُمّيّ ، وليس بحضرته مَن يُملى أو يكتب فى نحو ذلك من الأمور التى أوجبها العناد والجهل والعجز .

ثم قال : وقد قلت فى إعجاز القرآن وجهًا ذهب عنه الناس : وهو صنيعهُ فى القلوب وتأثيره فى النفوس ، فإنك لاتسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولامنثورًا ، إذا قرع السمع خلَص له إلى القلب ، من اللذة والحلاوة فى حال ، ومن الرَّوْعة والمهابة فى حال آخر ، مايخلُص منه إليه ، قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ (٣) . انتهى .

وقال ابن سراقة : اختلف أهل العِلْم فى وجه إعجاز القرآن ، فذكروا فى ذلك وجوهًا كثيرة كلها حكمة وصوابٌ ، وما بلغوا فى وجوه إعجازه جزءًا واحدًا من عشر معشاره ، فقال قوم : هو الإيجاز مع البلاغة .

وقال آخرون : هو البيان والفصاحة ،

---

(١) الفرقان ٥ (٢) الحشر ٢١

(٣) الزمر ٢٣ ، وما نقله الخطابى من كتابه ص ٢٢ ، ٢٣

وقال آخرون : هو الرّصف والنظم .

وقال آخرون : هو كونه خارجًا عن جنس كلام العرب من النظم ، والنثر ، والخطب والشعر ، مع كون حروفه فى كلامهم ومعانيه فى خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم ، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم ، وجنس آخر متميِّز عن أجناس خطابهم ؛ حتى إن من اقتصر على معانيه ، وغيّر حروفه أذهب رونقه ، ومَن اقتصر على حروفه وغيّر معانيه أبطل فائدته ؛ فكان فى ذلك أبلغَ دلالة على إعجازه .

وقال آخرون : هو كون قارئه لايكلّ ، وسامعه لايَمَلّ ، وإن تكررّت عليه تلاوته .

وقال آخرون : هو مافيه من الإخبار عن الأُمور الماضية .

وقال آخرون : هو مافيه من علم الغيب والحكم على الأُمور بالقطع .

وقال آخرون : هو كونه جامعًا لعلوم يطول شرحها ، ويشقّ حصرها . انتهى .

وقال الزركشىّ فى البرهان : أهلُ التحقيق على أن الإعجاز وَقَع بجميع ماسبق من الأقوال ؛ لابكلّ واحد على انفراده ؛ فإنه جمع ذلك كلّه . فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده ، مع اشتماله على الجميع ، بل وغير ذلك ممّا لم يسبق ؛ فمنها الرَّوْعة التى له فى قلوب السامعين وأسماعهم ، سواء المقرّ والجاحد . ومنها أنه لم يزَل ولايزال غضًّا طريًّا فى أسماع السامعين ، وعلى ألسنة القارئين . ومنها جمعه بين صفتَى الجزالة والعذوبة ؛ وهما كالمتضادّين لايجتمعان غالبا فى كلام البشر . ومنها جعله آخر الكتب غنيًا عن غيره وجعلُ غيره من الكتب المتقدمة قد يَحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) .

(١) النمل ٧٦ . وانظر البرهان ٢ : ١٠٦ ، ١٠٧ .

وقال الرُّمانيّ : وجوهُ إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة ، مع توفّر الدواعي ، وشدّة الحاجة ، والتحدّى للكافة ، والصرفة ، والبلاغة ، والإخبار عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة . قال : ونقض العادة هو أنّ العادة كانت جاريةً بضروب من أنواع الكلام معروفة ، منها الشعر ، ومنها السجع ، ومنها الخُطب ، ومنهـا الرسائل ، ومنهـا المنثور الذى يدُور بين الناس فى الحديث ؛ فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة ، لها منزلةٌ فى الحُسْن تفوق به كلَّ طريقة ، وتفوق الموزون الذى هو أحسن الكلام . قال : وأمّا قياسه بكلّ معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة ، إذ كان سبيل فلْقِ البحر وقلب العصا حيّةً ، وما جرى هذا المجرى فى ذلك سبيلا واحداً فى الإعجاز ، إذ خرج عن العادة ، وقعد(*) الخلق فيه عن المعارضة .

وقال القاضى عياض (١) فى الشِّفا : اعلم أنّ القرآن منطوٍ على وجوهٍ من الإعجاز كثيرة . وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه :

أولها : حسن تأليفه والتئام كلِمه وفصاحته . ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام ، وأرباب هذا الشأن .

الثانى : صورة نظمه العجيب ، والأُسلوب الغريب ، المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظيرٌ له . قال : وكل واحد من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها ، والأُسلوب الغريب بذاته ، نوع إعجاز على التحقيق ، لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما ، إذ كل واحد

(١) هو القاضى عياض بن موسى بن عياض اليحصبى الأندلسى ، صاحب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وغيره وامام وقته فى الحـديث وعلومـه · توفى سنة ٥٤٤ هـ · الديباج المذهب ١٦٨

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٢٦ «وصده»

خارج عن قدرتها ، مباين لفصاحتها وكلامها ، خلافًا لمن زعم أن الإعجاز فى مجموع البلاغة والأُسلوب .

الثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيّبات وما لم يكن ، فوُجد كما ورد.

الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأُمم البائدة ، والشرائع الدائرة ؛ ممّا كان لايعلم منه القصة الواحدة إلاَّ الفذّ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلّم ذلك ، فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأْتى به على نصّه ؛ وهو أُمّىٌّ لايقرأ ولا يكتب .

قال : فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيِّنةٌ لا نزاع فيها . ومن الوجوه فى إعجازه غير ذلك آىٌ وردت بتعجيز قوم فى قضايا وإعلامهم أنهم لايفعلونها ، فما فعلوا ولا قدروا على ذلك ، كقوله لليهود : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾[١] ، فما تمنّاه أحدٌ منهم ، وهذا الوجه داخل فى الوجه الثالث .

ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته ، وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مُطْعِم أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، قال : فلمّا بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾[٢] كاد قلبى أن يطير . قال : وذلك أوّل ما وقَر الإسلام فى قلبى . وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفرِدوا بالتصنيف .

ثم قال : ومن وجوه إعجازه كونه آيةً باقية ، لايعدم مابقيت الدنيا ؛ مع تكفّل الله بحفظه .

---

(١) البقرة ٩٤ ، ٩٥ (٢) الطور ٣٥ ـ ٣٧

ومنها أن قارئه لايملُّه ، وسامعه لايمجُّه ، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبّة ، وغيره من الكلام يعادَى إذا أُعِيد ، ويُمَلّ مع الترديد ، ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه «لايخلُقُ على كثرة الترداد»[1] .

ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلمها أحد ، فى كلمات قليلة ، وأحرف معدودة .

قال : وهذا الوجه داخل فى بلاغته ؛ فلايجب أن يعدّ فنًّا مفردًا فى إعجازه .

قال : والأوجه التى قبله تعدّ فى خواصّه وفضائله ، لاإعجازه . وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأُول فليُعتمد عليها . انتهى.

• • •

تنبيهات

الأول : اختُلف فى قَدْر المعجز من القرآن . فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلّق بجميع القرآن . والآيتان السابقتان تردّه .

وقال القاضى : يتعلق الإعجاز بسوره ؛ طويلة كانت أو قصيرة ، تشبثًا بظاهر قوله : ﴿ بسورة ﴾ .

وقال فى موضع آخر : يتعلّق بسورة أو قدرها من الكلام ، بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة ، قال : فإذا كانت آية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز .

قال : ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقلّ من هذا القدْر .

وقال قوم : لا يحصل الإعجاز بآية ، بل يشترط الآيات الكثيرة .

---

(١) فى الأصل : «الرده»

وقال آخرون : يتعلق بقليل القرآن وكثيره ، لقوله : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (١) ، قال القاضى : ولا دلالة فى الآية ، لأن الحديث التامّ لاتتحصل حكايته فى أقل من كلمات سورة قصيرة .

الثانى : اختُلف فى أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ قال القاضى : فذهب أبو الحسن الأشعرىّ إلى أنّ ظهور ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم يُعلم ضرورة ، وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال : قال : والذى نقوله : إن الأعجمىّ لايمكنه أن يعلم إعجازه إلاّ استدلالاً ، وكذلك من ليس ببليغ ، فأما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب العرب ، وغرائب الصنعة ؛ فإنّه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله .

الثالث : اختُلف فى تفاوت القرآن فى مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه فى أعلى مراتب البلاغة ، بحيث لا يوجد فى التراكيب ماهو أشدّ تناسباً ولا اعتدالاً فى إفادة ذلك المعنى منه ؛ فاختار القاضى المنعَ ، وأن كلّ كلمة فيه موصوفة بالذِّروة العليا ؛ وإن كان بعض الناس أحسنَ إحساساً له من بعض . واختار أبو نصر القُشيرىّ وغيره التفاوت ، فقال : لاندّعى أن كل مافى القرآن أرفع الدرجات فى الفصاحة ، وكذا قال غيره فى القرآن الأفصح والفصيح .

وإلى هذا نَحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم أورد سؤالاً وهو أنه : لِمَ لَمْ يأْت القرآن جميعه بالأفصح ؟ وأجاب عنه الصّدر موهوب الجزرىّ بما حاصله : أنه لوجاء القرآن على ذلك ؛ لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجْمع بين الأفصح والفصيح ، فلا تتمّ الحجة فى الإعجاز ، فجاء على نمط كلامهم المعتاد ليتمّ ظهور العجز عن معارضته ، ولا يقولوا مثلا : أتيتَ بما لا قُدرة لنا على جنسه ؛ كما لايصحّ من البصير أن يقول للأعمي : قد غلبتك بنظرى ؛

(١) الطور ٣٤

لأنه يقول له : إنما تتمّ لك الغلَبة ، لو كنت قادراً على النظر . وكان نظرُك أقوى من نظرى ، فأمّا إذ فقد أصل النظر ، فكيف يصح منى المعارضة !

الرابع : قيل الحكمة فى تنزيه القرآن عن الشعر الموزون ، مع أن الموزون من الكلام ، رتبته فوق رتبة غيره ؛ أن القرآن منبع الحق ، ومجمع الصدق ، وقصارى أمر الشاعر التخييل ؛ بتصوّر الباطل فى صورة الحق والإفراط فى الإطراء والمبالغة فى الذمّ والإيذاء دون إظهار الحقّ ، وإثبات الصدق ، ولهذا نزّه الله نبيّه عنه ، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحابُ البرهان القياساتِ المؤدية فى أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شِعريّة . وقال بعض الحكماء : لم يُرَ متديّن صادق اللّهجة ، مفلقٌ فى شعره .

وأما ماوُجد فى القرآن ممّا صورته صورة الموزون ، فالجواب عنه أنّ ذلك لايسمّى شعراً ، لأنّ شَرْط الشعر القصد ؛ ولوكان شعراً لكان كلُّ مَن اتّفق له فى كلامه شىء موزون شاعراً ، فكان الناس كلهم شعراء ؛ لأنه قلّ أن يخلوَ كلام أحد عن ذلك ، وقد ورد ذلك على ألسنة الفصحاء ، فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطعن عليه ؛ لأنهم كانوا أحرص شَىء على ذلك ، وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى فى الانسجام . وقيل : البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمّى شعراً ، وأقلّ الشعر بيتان فصاعداً ، وقيل : الرّجز لايسمّى شعراً أصلاً . وقيل : أقلّ مايكون من الرّجز شعراً أربعة أبيات ، وليس ذلك فى القرآن بحال .

الخامس : قال بعضهم : التحدّى إنّما وقع للإنس دون الجن ؛ لأنهم ليسوا من أهل اللسان العربىّ الذى جاء القرآن على أساليبه ، وإنما ذكروا فى قوله : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾(١) تعظيما لإعجازه ؛ لأن للهيئة الاجتماعية

(١) النساء ٨٢

من القوّة ماليس للأفراد ، فإذا فرض اجتماع الثّقَلين فيه ، وظاهرَ بعضُهم بعضًا ، وعَجَزوا عن المعارضة ، كان الفريق الواحد أعْجَز .

وقال غيره : بل وقع للجنّ أيضًا والملائكة منويّون فى الآية ؛ لأنهم لايقدرون أيضًا على الإتيان بمثل القرآن .

قال الكرمانىّ فى غرائب التفسير : إنما اقتصر فى الآية على ذكر الإنس والجنّ ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثًا إلى الثّقَلين دون الملائكة .

السادس : سُئِل الغزالىّ عن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

فأجاب : الاختلاف لفظ مشترَك بين معان ، وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه ؛ بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن ، يقال : هذا كلام مختلف ، أى لايشبه أوله آخِرَه فى الفصاحة ، أو هو مختلف الدّعوَى ، أى بعضه يدعُو إلى الدين ، وبعضه يدعو إلى الدنيا ؛ وهو مختلف النظم ، فبعضه على وزن الشعر ، وبعضه منزحفٌ ، وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة ، وبعضه على أسلوب يخالفه ، وكلام الله منزّه عن هذه الاختلافات ، فإنه على منهاج واحدٍ فى النظم مناسب أولُه آخِرَه ، وعلى درجة واحدة فى غاية الفصاحة ، فليس يشتمل على الغثّ والسمين ، ومسوق لمعنى واحدٍ ، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدُّنيا إلى الدين ، وكلام الآدميين تتطرّق إليه هذه الاختلافات إذ كلامُ الشعراء والمترسِّلين - إذا قيس عليه - وُجد فيه اختلافٌ فى منهاج النظم ، ثم اختلاف فى درَجات الفصاحة ، بل فى أصل الفصاحة ؛ حتى يشتمل على الغثّ والسّمين ، فلا تَتساوى رسالتان ولا قصيدتان ، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة ، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض

(١) النساء ٨٢

مختلفة ؛ لأن الشعراء والفصحاء فى كلّ وادٍ يهيمون ، فتارة يمدَحون الدنيا وتارة يذمونها ، وتارة يمدحون الْجُبْنَ ويسمونه حزما ، وتارة يذمونه ويسمّونه ضَعفًا ، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمّونها صرامة ، وتارة يذمّونها ويسمّونها تهوّرًا ، ولا ينفك كلام آدمىّ عن هذه الاختلافات ؛ لأنّ منشأها اختلافُ الأغراض والأحوال ، والإنسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ، وتتعذّر عليه عند الانقباض ، وكذلك تختلفُ أغراضه ، فيميل إلى الشىء مرّة ، ويميل عنه أخرى ، فيوجب ذلك اختلافًا فى كلامه بالضرورة ، فلا يُصادف إنسانٌ يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة – وهى مُدّة نزول القرآن – فيتكلّم على غرض واحدٍ ومنهاج واحد ، ولقد كان النبىّ صلى الله عليه وسلم بَشرًا تختلف أحواله . فلو كان هذا كلامُه أوكلام غيره من البَشر لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا .

السابع : قال القاضى : فإن قيل : هل تقولون إن غير القرآن من كلام الله معجز ، كالتوراة والإنجيل ؟ قلنا : ليس شىء من ذلك بمعجز فى النظم والتأليف ، وإن كان معجزًا كالقرآن فيما يتضمّن من الإخبار بالغيوب ؛ وإنما لم يكن معجزًا لأن الله تعالى لم يصفْه بما وصف به القرآن ؛ ولأنّا قد علمنا أنه لم يقع التحدّى إليه ، كما وقع فى القرآن ولأنّ ذلك اللسان لا يتأتّى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع فيه التفاضل الذى ينتهى إلى حدّ الإعجاز ، قد ذكر ابن جنّى فى الخاطريات فى قوله : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾[1] : إنّ العدول عن قوله : « وإما أن نُلقى » لغرضين : أحدهما لفظىّ ، وهو المزاوجة لرءوس الآىِ ، والآخر معنوىّ ، وهو أنه تعالى أراد أن

(١) طه ٦٥

يخبر عن قوة أنفس السَّحرة واستطالتهم على موسى ، فجاء عنهم باللفظ أتمّ وأوفى منه فى إسنادهم الفعل إليه .

ثم أورد سؤالا ، وهو : إنّا نعلم أنّ السحرة لم يكونوا أهل لسان ، فنذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام ! وأجاب بأن جميع ما ورد فى القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية ، إنما هو معرب عن معانيهم ، وليس بحقيقة ألفاظهم ، ولهذا لايشك فى أن قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ (١) أن هذه الفصاحة لم تجرعلى لغة العجم .

الثامن : قال البارزىّ فى أول كتابه « أنوار التحصيل فى أسرار التنزيل » : اعلم أنّ المعنى الواحد قد يخبَرُ عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض ؛ وكذلك كلٌّ واحد من جزأىِ الجملة ، قد يعبّر عنه بأفصح مايلائم الجزء الآخر ، ولا بدّ من استحضار معانى الجمل ، أواستحضار جميع مايلائمها من الألفاظ ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها ، واستحضارُ هذا متعذّر على البشر فى أكثر الأحوال ؛ وذلك عتيد حاصل فى علم الله تعالى ، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه ، وإن كان مشتملا على الفصيح والأفصح ، والمليح والأملح ، ولذلك أمثلة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (٢) ، لو قال مكانه : « وثمر الجنتين قريب » ، لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين ، ومن جهة أن الثمر لايشعر بمصيره إلى حال يُجنى فيها ، ومن جهة مؤاخاة الفواصل . ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ﴾ (٣) ، أحسن من التعبير بـ « تقرأ » لثقله بالهمزة . ومنها ﴿ لاريب فيه ﴾ (٤) أحسن من « لاشك فيه »

---

(١) طه ٦٣ (٢) الرحمن ٥٤

(٣) العنكبوت ٤٨ (٤) البقرة ٢

لثقل الإدغام ، ولهذا كثر ذكر الريب ، ومنها : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا ﴾[(١)] ، أحسن من « ولاتضعفوا » لخفته ، و ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى ﴾[(٢)] أحسن من « ضَعُف » لأن الفتحة أخف من الضمّة ، ومنها ﴿ آمن ﴾[(٣)] أخفّ من « صدّق » ، ولذا كان ذكره أكثر من ذكر التصديق . و ﴿ آثرك الله ﴾[(٤)] أخفّ من « فضّلك » و ﴿ آتى ﴾[(٥)] أخف من « أعطى » . و ﴿ أنذر ﴾[(٦)] أخفّ من « خوّف » ، و ﴿ خيرٌ لكم ﴾[(٧)] أخفّ من « أفضل لكم » ، والمصدر فى نحو : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ ﴾[(٨)] ، ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[(٩)] ، أخف من « مخلوق » و « الغائب » و ﴿ تنكح ﴾[(١٠)] أخف من « تتزوج » ، لأن « تفعل » أخفّ من « تفعّل » ، ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر .

ولأجل التخفيف والاختصار ، استعمل لفظ الرحمة والغضب والرضا والحبّ والمقت فى أوصاف الله تعالى ، مع أنه لايوصف بها حقيقة ؛ لأنّه لو عُبِّر عن ذلك بالألفاظ الحقيقة لطال الكلام ؛ كأن يقال : يعامله معاملة المحبّ والماقت . فالمجاز فى مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره . وابتنائه على التشبيه البليغ ، فإن قوله : ﴿ فلمّا آسَفُونا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[(١١)] ، أحسن من « فلما عاملونا معاملة المغضب » ، أو « فلما أتوا إلينا بما يأتيه المغضب » . انتهى

التاسع : قال الرّمانىّ : فإن قال قائل : فلعلّ السور القصار يمكن فيها المعارضة ! قيل : لايجوز فيها ذلك من قبَل أن التحدّى قد وقع بها ، فظهر

---

(١) آل عمران ١٣٩
(٢) مريم ٤
(٣) البقرة ٦٢
(٤) يوسف ٩١
(٥) البقرة ١٧٧
(٦) الأحقاف ٢١
(٧) البقرة ١٨٤
(٨) لقمان ١١
(٩) البقرة ٣
(١٠) البقرة ٢٣٠
(١١) الزخرف ٥٥

العجز عنها فى قوله : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾[(١)] ، فلم يخصّ بذلك الطوال دون القصار . ، فإن قال : فإنه يمكن فى القصار أن تغيَّر الفواصل ، فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها ، فهل يكون ذلك معارضة؟ قيل له : لا ، من قبَل أن المفحم يمكنه أن ينشىء بيتًا واحدًا ، ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون ، فلو أنَّ مفحمًا رام أن يجعل بدل قواف قصيدة رؤبة [(٢)] :

• وقاتِمِ الأعماقِ خاوى المخترقْ   مشتبه الأعلامِ لمّاعِ الخفَقْ •

• بكلّ وفدِ الريحِ من حيث انخرقْ •

فجعل بدل المخترق « الممزَّق » وبدل الخفق « الشفق » ، وبدل انخرق « انطلق » ، لأمكنه ذلك ولم يثبت له به قول الشعر . ولا معارضة رؤبة فى هذه القصيدة عند أحد له أدنى معرفة ، فكذلك سبيل من غيَّر الفواصل .

---

(١) يونس ٣٨   (٢) خزانة الأدب ١ : ٣٩

النوع الخامس والستون

فى العلوم المستنبَطة من القرآن

قال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ [(١)] ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [(٢)] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ستكون فِتَن » ، قيل : وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأُ ماقبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكمُ ما بينكم » أخرجه الترمذىّ وغيره .

وأخرج سعيد بن منصور ، عن ابن مسعود ، قال : « مَنْ أراد العلم فعليه بالقرآن ، فإن فيه خبر الأولين والآخرين » قال البيهقىّ : يعنى أصول العلم .

وأخرج البيهقىّ عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودَع علوم الثلاثة الفرقان .

وقال الإمام الشافعىّ رضى الله عنه : جميع ماتقوله الأمة شَرْح للسنَّة ؛ وجميع السنَّة شرح للقرآن .

وقال أيضًا : جميع ما حكم به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فهو مما فهمه من القرآن .

قلت : ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « إنِّى لاأُحِلّ إلا ما أحلّ الله ، ولا أُحرِّم إلاّ ما حرّم الله فى كتابه » ، أخرجه بهذا اللفظ الشافعىّ فى الأُمّ .

---

(١) الأنعام ٣٨ (٢) النحل ٨٩

وقال سعيد بن جبير : ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه فى كتاب الله .

وقال ابن مسعود : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى ؛ أخرجهما ابن أبى حاتم .

وقال الشافعيّ أيضاً : ليست تنزل بأحد فى الدين نازلة إلا فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها ، فإن قيل : من الأحكام ماثبت ابتداء بالسنة ، قلنا : ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة ؛ لأن كتاب الله أوجب علينا اتّباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفرض علينا الأخذ بقوله .

وقال الشافعيّ مرة بمكة : سلونى عمّا شئتم أخبركم عنه فى كتاب الله ؛ فقيل له : ماتقول فى المُحْرِم يقتل الزنبور؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) .

وحدثنا سفيان بن عُيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعيّ بن حِراش عن حُذيفة بن اليمان ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقْتَدُوا باللَّذَيْن من بعدى : أبى بكر وعمر » .

و حدثنا سفيان ، عن مسعر بن كِدام ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق ابن شهاب ، عن عمر بن الخطاب ؛ أنه أمر بقتل المحرم الزُّنبور .

وأخرج البخاريّ ، عن ابن مسعود ، أنه قال : لعن الله الواشِمات والمتوشّمات (٢) والمتنمّصات (٣) والمتفلّجات للحسن ، المغيّرات خلق الله تعالى ؛ فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد ، فقالتْ له : إنه بلغنى أنَّك لعنت كيت وكيت ! فقال : ومالى

---

(١) الحشر ٧

(٢) قال ابن الأثير : الوشم أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر

(٣) قال ابن الأثير : النامصة والمتنمصة : التى تنتف الشعر من وجهها .

لا ألعن مَنْ لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى كتاب الله تعالى ! فقالت : لقد قرأت ما بين اللّوحين فما وجدت فيه كما تقول ؛ قال : لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه ، أما قرأتِ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] قالت بلى ، قال : فإنّه قد نهى عنه .

وحكى ابن سُرَاقة فى كتاب الإعجاز ، عن أبى بَكْر بن مجاهد ، أنه قال يوما : ما من شىء فى العالم إلاّ وهو فى كتاب الله ، فقيل له : فأين ذكر الخانات فيه ؟ فقال فى قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾[2] فهى الخانات .

وقال ابن برّجان : ما قال النبى صلى الله عليه وسلم من شىء فهو فى القرآن به أو فيه أصله ، قرُب أو بعد ، فهِمه من فهمه ، وعمِهَ عنه من عمه ، وكذا كلّ ما حكم أو قضى ، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده ، بذل وسعه ، ومقدار فهمه .

وقال غيره : ما من شىء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهّمه الله ، حتى إن بعضهم استنبط عُمُرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، ثلاثا وستين سنة من قوله فى سورة المنافقين : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾[3] ، فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وعقّبها بالتغابن ليظهر التغابن[4] فى فقده .

وقال ابن أبى الفضل المرسىّ فى تفسيره : جمع القرآن علومَ الأوّلين والآخرين بحيث لم يُحِطْ بها علمًا حقيقة إلاّ المتكلّم بها ، ثم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ؛ ثم ورث عنه معظم ذلك ساداتُ الصحابة وأعلامُهم ، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع

(١) الحشر ٧ (٢) النور ٢٩

(٣) المنافقون ١١

(٤) قال الراغب : «التغابن يوم تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم فى الدنيا» .

لى عِقَال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهِمم ، وفَتَرَت العزائم ، وتضاءل أهل العلم ، وضعُفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ،فنوّعوا علومه ،وقامت كلُّ طائفة بفنٍّ من فنونه ،فاعتنى قوم بضبط لغاتِه ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه وعددها ، وعدد كلماته وآياته وسُوَره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سَجَداته ، والتعليم عند كل عشر آيات ، إلى غير ذلك من حَصْر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة ؛من غير تعرُّضٍ لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع فيه ، فُسمُّوا القراء .

واعتنى النحاة بالمعرَب منه والمبنِىّ من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ،وأوسعوا الكلام فى الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال ، واللازم والمتعدّى ورسوم خط الكلمات ، وجميع ما يتعلّق به حتى إن بعضهم أعرب مشكله ، وبعضهم أعربه كلمةً كلمة .

واعتنى المفسّرون بألفاظه ، فوجدوا منه لفظًا يدل على معنى واحد ولفظًا يدلّ على معنيين . ولفظًا يدلُّ على أكثر ؛ فأجروا الأول على حكمه ، وأوضحوا معنى الخفىّ منه ، وخاضوا فى ترجيح أحد محتملات ذى المعنيين والمعانى ؛ وأعمل كلٌّ منهم فكرَه ، وقال بما اقتضاه نظره .

واعتنى الأُصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية ، مثل قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، فاستنبطوا منه أدلَّة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عمّا لا يليق به ، وسمّوا هذا العلم بأُصول الدين .

وتأمّلت طائفة منهم معانى خطابه ، فرأت منها ما يقتضى العُموم ، ومنها

(١) الأنبياء ٢٢

ما يقتضى الخصوص ، إلى غير ذلك ، فاستنبطوا منه أحكام اللغة[1] من الحقيقة والمجاز ، وتكلموا فى التخصيص والإخبار ، والنصّ [والاجتهاد] ، والظاهر ، والمجمل ، والمحكم والمتشابه ،والأمر والنهى ، والنسخ ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء ، وسمّوا هذا الفنّ أصولَ الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر ، فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، فأسسوا أصوله ، وفرّعوا فروعه ، وبسطوا القول فى ذلك بسطًا حسنًا وسمّوه بعلم الفروع وبالفقه أيضًا .

وتلمّحت طائفة ما فيه من قصص القرآن السالفة والأمم الخالية ، ونقلوا أخبارهم ودوّنوا آثارهم ووقائعهم ،حتى ذكروا بدء الدنيا وأوّل الأشياء ، وسمّوا ذلك بالتاريخ والقصص .

وتنبّه آخرون لِمَافيه من الحكَم والأمثال والمواعظ التى تقلقل قلوب الرجال وتكاد تُدكدك الجبال ،فاستنبطوا ممّا فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير ، والتبشير ، وذكر الموت والمعاد ، والنشر والحشر ، والحساب والعقاب ، والجنّة والنار فصولاً من المواعظ ، وأصولاً من الزواجر ، فسُمُّوا بذلك الخطباء والوعّاظ .

واستنبط قوم ممّا فيه من أصول التعبير ؛ مثل ماورد فى قصة يوسف فى البقرات السمان ، وفى منامَىْ صاحبَىِ السجن ، وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة ، وسمّوه تعبير الرؤيا . واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فإن عزّ عليهم إخراجها منه فمن السنّة التى هى شارحة للكتاب ؛ فإن عسر فمن الحكَم والأمثال ، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام فى مخاطباتهم ، وعرْف عاداتهم الذى أشار إليه القرآن بقوله : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾[2]

---

(١) الأصل : «اللغات» ، وما اثبته من ط (٢) الأعراف ١٩٩

وأخذ قوم ممّا فى آية المواريث من ذكر السّهام وأربابها ، وغير ذلك علم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسُّدس والثُّمن حسابَ الفرائض ، ومسائل العَوْل ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .

ونظر قوم إلى مافيه من الآيات الدّالاَّت على الحِكَم الباهرة فى الليل والنهار ، والشمس والقمر ومنازله ، والنجوم والبروج وغير ذلك ؛ فاستخرجوا منه علم المواقيت.

ونظر الكتّاب والشعراء إلى مافيه من جزالة اللفظ. وبديع النظم وحسن السّياق ، والمبادئ والمقاطع والمخالص ، والتلوين فى الخطاب ، والإطناب والإيجاز وغير ذلك ، فاستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع .

ونظر فيه أربابُ الإشارات وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم من ألفاظه معانٍ ودقائق جعلوا لها أعلامًا اصطلحوا عليها ، مثل الفناء ، والبقاء ، والحضور ، والخوف ، والهيبة ، والأُنس ، والوحشة ، والقبض ، والبسط. ، وما أشبه ذلك ، هذه الفنون التى أخذتها الملّة الإسلامية منه .

وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل ، مثل الطبّ ، والجَدَل ، والهيئة ، والهندسة ، والجبر ، والمقابلة ، والنّجامة وغير ذلك ؛ أما الطبّ فمداره على حفظ نظام الصّحة واستحكام القوة ؛ وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيّات المتضادة ، وقد جمع ذلك فى آية واحدة وهى قوله تعالى : ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (١) . وعرّفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله فى قوله تعالى : ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (٢) ، ثم زاد على طبّ الأجسام بطبّ القلوب وشفاء الصدور .

(١) الفرقان ٦٧ (٢) النحل ٦٩

وأما الهيئة ففي تضاعيف سُوَره ، من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والأرض ، وما بثّ فى العالم العلوىّ والسفلى من المخلوقات .

وأما الهندسة ففى قوله : ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ . . . ﴾ [١] ، الآية ..

وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين ، والمقدّمات ، والنتائج ، والقول بالموجب والمعارضة ، وغير ذلك شيئًا كثيرًا ، ومناظرة إبراهيم نمروذ ومحاجّته قومَه أصلٌ فى ذلك عظيم .

وأما الجبر والمقابلة ، فقدقيل : إن أوائل السور فيها ذكر مُدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة ،وإن فيها تاريخ بقاءهذه الأمة ، وتاريخ مدة أيام الدنيا ، ومامضى وما بقى ، مضروب بعضها فى بعض .

وأما النّجامة ففى قوله : ﴿ أو أثارةٍ من علم ﴾ [٢] ، فقد فسّره بذلك ابن عباس

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التى تدعو الضرورة إليها ، كالخياطة فى قوله : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾ [٣] .

والحدادة ﴿ آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ [٤] ، ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . . . ﴾ [٥] الآية .

والبناء فى آيات .

والنجارة ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٦] .

---

(١) المرسلات ٣٠ (٢) الأحقاف ٤
(٣) الاعراف ٢٢ (٤) الكهف ٩٦
(٥) سبا ١٠ (٦) هود ٣٧

والغزل ﴿ نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ [١] .

والنسج ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [٢] .

والفلاحة ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ... ﴾ [٣] الآيات .

والصيد فى آيات .

والغوص ﴿ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [٤] ، ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً ﴾ [٥] .

والصياغة ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا ﴾ [٦] .

والزجاجة ﴿ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾ [٧] ، ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ [٨]

والفخارة ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ ﴾ [٩] .

والملاحة ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ ... ﴾ [١٠] الآية .

والكتابة ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [١١] .

والخبز ﴿ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا ﴾ [١٢] .

والطبخ ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [١٣] .

والغسل والقصارة ، ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [١٤] ، قال الحواريون : وهم القصارون .

والجزارة ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [١٥] .

---

(١) النحل ٩٢
(٢) العنكبوت ٤١
(٣) الواقعة ٦٣
(٤) ص ٣٧
(٥) النحل ١٤
(٦) الأعراف ١٤٨
(٧) النمل ٤٤
(٨) النور ٣٥
(٩) القصص ٣٨
(١٠) الكهف ٧٩
(١١) العلق ٤
(١٢) يوسف ٣٦
(١٣) هود ٦٩
(١٤) المدثر ٤
(١٥) المائدة ٣

والبيع والشراء فى آيات .

والصبغ ﴿ صِبْغَةَ اللهِ ﴾(١) ، ﴿ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾(٢) .

والحجارة ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ (٣) . والكيالة والوزن فى آيات . والرمى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾(٤) ، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾(٥) وفيه من أسماء الآلات ، وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ماوقع ويقع فى الكائنات مايحقق معنى قوله : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾(٦) انتهى كلام المرسى ملخَّصاً .

وقال ابن سراقة : من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب ، والموافقة ، والتأليف ، والمناسبة ، والتنصيف والمضاعفة ؛ ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق فى قوله ، وأن القرآن ليس من عنده ؛ إذْ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ، ولا تلقَّى الحساب وأهل الهندسة .

وقال الراغب : إن الله تعالى كما جعل نبوّة النبيين بنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم مختتمة ، وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ، ومن وجه مكمّلة متممة ، جعل كتابه المنزّل عليه متضمّنا لثمرة كتبه التى أولاها أولئك ، كما نبه عليه بقوله : ﴿ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً • فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ (٧) ، وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجمّ ، بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه ، والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ

(١) البقرة ١٣٨
(٢) فاطر ٢٧
(٣) الشعراء ١٤٩
(٤) الأنفال ١٧
(٥) الأنفال ٦٠
(٦) الأنعام ٣٨
(٧) البينة ٢ ، ٣

مَانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾[1] ، فهو وإن كان لايخلو للناظر فيه من نورٍ ما يريه ونفع ما يوليه :

كالبدْر من حيث التفتَّ رأيتَه   يَهدِى إلى عينيْك نورًا ثاقبا

كالشَّمس فى كبِدِ السماء وضوءُها   يغشَى البلاد مشارقًا ومغاربا

وأخرج أبو نعيم وغيره ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، قال : قيل لموسى عليه السلام : ياموسى ؛ إنما مَثل كِتاب أحمد فى الكتب بمنزلة وعاءٍ فيه لبنٍ ؛ كلما مخَضْتَه أخرجت زبْدته .

وقال القاضى أبو بكر بن العربىّ فى قانون التأويل : علومُ القرآن خمسون علما ، وأربعمائة علم ، وسبعة آلاف علم ، وسبعون ألف علم ؛ على عدد كلم القرآن ، مضروبة فى أربعة ، إذْ لكلٍّ كلمة ظهر وبطن ، وحدّ ومطلع ؛ وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط ؛ وهذا ما لا يحصَى ، ولا يعلمه إلا الله . قال : وأمّا علوم القرآن فثلاثة : توحيد ، وتذكير ، وأحكام ، فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتذكير منه الوعد والوعيد ، والجنّة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام ، منها التكاليف كلها ، وتبيين المنافع والمضارّ ، والأمر والنهى والنَّدب . ولذلك كانت الفاتحة أمّ القرآن ؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة : وسورة الإخلاص لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة ، وهو التوحيد[2] .

وقال ابن جرير : القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد ، والإخبار ، والدّيانات ، ولهذا كانت سورة الإخلاص ثُلثه ؛ لأنها تشمل التوحيد كلَّه .

وقال علىّ بن عيسى : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئًا : الإعلام ، والتشبيه

---

(١) لقمان ٢٧   (٢) نقله في البرهان ١ : ١٧

والأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، وتعليم الإقرار بسم الله ، وبصفاته وأفعاله ، وتعلم الاعتراف بإنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدين ،والبيان عن الرغبة والرهبة ، والخير والشرّ ، والحَسن والقبيح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ،ومدح الأبرار ، وذم الفجّار ، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتقريع ، والبيان عن ذم الأخلاق ، وشرف الآداب .

وقال شيذَلة : وعلى التحقيق إنّ تلك الثلاث التى قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها ، فإن القرآن لايُستدرَك ، ولا تُحصَى عجائبه .

وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كلّ شىء ، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن مايدل عليها . وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والأرض ، ومافى الأُفق الأعلى وتحت الثرى ، وبدء الخلق ، وأسماء مشاهير الرّسل والملائكة . وعيون أخبار الأُمم السالفة ، كقصة آدم مع إبليس فى إخراجه من الجنة ، وفى الولَد الذى سمّاه عبد الحارث ، ورفع إدريس ، وغَرق قوم نوح ، وقصة عاد الأُولى والثانية ، وثمود والناقة ، وقوم يونس ، وقوم شعيب ، والأَولين والآخرين ، وقوم لوط ، وقوم تُبّع ، وأصحاب الرّسّ ، وقصة إبراهيم فى مجادلة قومه ومناظرته نمروذ ، ووضعه إسماعيل مع أمه بمكة ، وبنائه البيت ، وقصة الذبيح . وقصة يوسف وما أبسطها ، وقصة موسى فى ولادته وإلقائه فى اليمّ ، وقتل القِبْطىّ ،ومسيره إلى مدين وتزوّجه بنت شعيب ، وكلامه تعالى بجانب الطور ، ومجيئه إلى فرعون وخروجه وإغراق عدوّه ، وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة ، وقصة القتيل ، وذبح البقرة ، وقصته مع الخضر ، وقصته فى قتال الجبّارين ، وقصة القوم الذين ساروا فى سرَب من الأرض إلى الصين ، وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته . وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ ، وفتنته ،

وقصة القوم الذين خرجوا فرارًا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم ، وقصة ذى القرنين ومسيره إلى مغرب الشمس ومطلعها ، وبنائه السدّ ، وقصة أيوب ، وذى الكِفْل ، وإلياس ، وقصة مريم وولادتها ، وعيسى وإرساله ورفعه ، وقصة زكريا وابنه يحيى ، وقصة أصحاب الكهف ، وقصة أصحاب الرقيم ، وقصة بخت نَصّر ، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة ، وقصة أصحاب الجنة ، وقصة مؤمن آل يس ، وقصة أصحاب الفيل .

وفيه من شأن النبى صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم به ، وبشارة عيسى ، وبعثه وهجرته ، ومن غزواته : سريّة ابن الحضرمىّ فى البقرة ، وغزوة بَدْر فى سورة الأنفال ، وأحد فى آل عمران ، وبدر الصغرى فيها ، والخندق فى الأحزاب ، والحُديبية فى الفتح ، والنّضير فى الحَشْر ، وحُنين وتبوك فى براءة ، وحجّة الوداع فى المائدة ، ونكاحه زينب بنت جحْش وتحريم سريّته ، وتظاهر أزواجه عليه ، وقصة الإفك ، وقصة الإسراء ، وانشقاق القمر ، وسِحْر اليهود إياه .

وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت ، وقبض الروح وما يُفعل بها بعد ، وصعودها إلى السماء ، وفتح الباب للمؤمنة وإلقاء الكافرة ، وعذاب القبر والسؤال فيه ، ومقرّ الأرواح ، وأشراط الساعة الكبرى ، وهى نزول عيسى ، وخروج الدّجال ، ويأجوج ومأجوج ، والدابّة ، والدّخان ، ورفع القرآن ، والخسف ، وطلوع الشمس من مغربها ، وغلق باب التوبة ، وأحوال البعث من النفخات الثلاث : نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام . والحشر والنشر ، وأهوال الموقف ، وشدة حر الشمس ، وظل العرش ، والميزان والحوض ، والصراط ، والحساب لقوم ونجاة آخرين منه ، وشهادة الأعضاء ، وإتيان الكتب بالأيمان والشمائل وخلف الظهر ، والشفاعة ، والمقام المحمود ،

والجنّة وأبوابها ومافيها من الأنهار ، والأَشجار والثمار والحليّ والأواني والدّرجات ورؤيته تعالى . والنّار وأبوابها وما فيها من الأودية ، وأنواع العقاب وألوان العذاب ، والزقّوم ، والحميم .

وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد فى حديث ، ومن أسمائه مطلقاً ألف اسم ، ومن أسماء النبى صلى الله عليه وسلم جملة .

وفيه شُعَب الإيمان البضع والسبعون ، وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمس عشرة .

وفيه أنواع الكبائر ، وكثير من الصغائر . وفيه تصديق كلّ حديث وَرَدَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ إلى غير ذلك ممّا يحتاج شرحه الى مجلّدات .

وقد أفرد الناس كتباً فيما تضمّنه القرآن من الأحكام كالقاضى إسماعيل وبكر بن العلاء ، وأبى بكر الرازىّ والكيا الهرّاسىّ ، وأبى بكر بن العربىّ ؛ وعبد المنعم بن الفرس وابن خويز مَنداد . وأفرد آخرون كتباً فيما تضمنه من علم الباطن ، وأفرد ابن بُرّجان كتاباً فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث .
وقد ألّفت كتاباً سميته «الإكليل فى استنباط التنزيل» ذكرت فيه كلّ مااستُنبط منه من مسألة فقهية أو أصلية ، أو اعتقادية ، وبعضاً مما سوى ذلك ، كثير الفائدة جمّ العائدة ، يجرى مجرى الشرح لما أجملته فى هذا النوع ؛ فليراجعه من أراد الوقوف عليه .

فصل

قال الغزالىّ وغيره : آيات الأحكام خمسمائة آية . وقال بعضهم : مائة وخمسون ، قيل : ولعلّ مرادهم المصرّح به ؛ فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام .

قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام فى كتاب الإمام فى أدلة الأحكام :

معظم آى القرآن لايخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة ، وأخلاقٍ جميلة ، ثم من الآيات ماصرّح فيه بالأحكام ، فمنها مايُؤخذ بطريق الاستنباط ؛ إما بلاضمّ إلى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله :﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾[1] ، وصحة صوم الجُنُب من قوله : ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾[2] إلى قوله : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ . . . ﴾[2] الآية ، وإما به كاستنباط أنّ أقل الحمل ستة أشهر من قوله : ﴿ وفصاله فى عامين ﴾[3] ، قال : ويستدل على الأحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر ، وتارة بالإخبار مثل ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾[4] ، ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾[5] ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾[6] ، وتارة بما رتّب عليها فى العاجل أو الآجل من خيرٍ أو شر ، أو نفع أو ضرّ ، وقد نوّع الشارع ذلك أنواعًا كثيرة ، ترغيبًا لعباده ، وترهيبًا وتقريبًا إلى أفهامهم ، فكلّ فعل عظّمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو أحبّه أو أحبّ فاعله ، أو رضىَ به أو رضَى عن فاعله ، أو وصفَه بالاستقامة أو البركة أو الطيب ، أو أقسم به أو بفاعله كالإقسام بالشفع والوتر ، وبخيل المجاهدين ، وبالنفس اللوّامة ، أو نصبَه سببًا لذكره لعبده أو لمحبته أو لثواب عاجل أوآجل ، أو لشكره له ، أو لهدايته إياه ، أولإرضاءفاعله ، أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته أو لقبوله أو لنصرة فاعله ، أو بشارته ، أو وصف فاعله بالطّيب ، أو وصف الفعل بكونه معروفًا ، أو نفي الحزن والخوف عن فاعله ، أو وعده بالأمن ، أو نُصب سببًا لولايته ، أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله ، أو وصفه بكونه قُرْبة ، أو بصفة مدح ، كالحياة والنور والشفاء ؛ فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب ، وكلّ فعل طلب الشارعُ تركَه ، أوذمَّه أو ذمّ فاعله ، أو عَتبَ عليه ،

(١) المسد ٤
(٢) البقرة ١٨٧
(٣) لقمان ١٤
(٤) البقرة ١٨٧
(٥) المائدة ٣
(٦) البقرة ١٨٣

أو مقت فاعله أو لعَنه ، أو نفى محبّته أو محبة فاعله ، أو الرِّضا به أو عن فاعله ، أو شبّه فاعله بالبهائم أو بالشياطين ، أو جعله مانعًا من الهدى أو من القبول ؛ أو وصفه بسوء أو كراهة ، أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضُوه ، أو جُعل سببًا لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل ، أو لذمّ أو لوم أو ضلالة أو معصية ؛ أو وصف بخبْث أو رجس أو نجس ، أو بكونه فسقًا أو إثمًا ، أو سببًا لإثم أو رجس ، أو لعن أو غضب ، أو زوال نعمة ، أو حلول نقمة ، أو حَدّ من الحدود ، أو قسوة أو خزى ، أو ارتهان نفس ، أو لِعَداوة الله ومحاربته ، أو لاستهزائه ، أو سخريته ، أو جعله الله سببًا لنسيانه فاعله ، أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم ، أو بالصفح عنه ، أو دعا إلى التوبة منه ، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار ، أو نسبه إلى عمل الشيطان ، أو تزيينه ، أو تولّى الشيطان لفاعله ، أو وصفه بصفة ذمّ ككونه ظلمًا أو بغيًا ، أو عدوانًا أو إثمًا أو مرضًا ، أو تبرّأ الأنبياء منه أو من فاعله ، أو شكوا إلى الله من فاعله ، أو جاهروا فاعله بالعداوة ، أو نهُوا عن الأسى والحزن عليه ، أو نصَب سببًا لخيبة فاعله عاجلاً أو آجلاً ، أو رتّب عليه حرمان الجنة وما فيها ، أو وصف فاعله بأنه عدوّ لله ، أو بأن الله عدوه ، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله ، أو حمّل فاعله إثمَ غيره ، أو قيل فيه : لاينبغى هذا أو لايكون ، أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه ، أو أمِر بفعل مضادّه ، أو بهجرِ فاعله ، أو تلاعَن فاعلوه فى الآخرة ، أو تبرّأ بعضُهم من بعض ، أو دعا بعضهم على بعض ، أو وصف فاعله بالضلالة ، وأنه ليس من الله فى شىء ، أو ليس من الرسول وأصحابه ، أو جُعل اجتنابه سببًا للفلاح ، أو جعله سببًا لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين ، أو قيل : هل أنت منته ، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله ، أو رتب عليه إبعادًا أو طردًا ، أو لفظة « قُتِل من فعله » أو « قاتله

الله »، أو أخبر أنَّ فاعله لايكلّمه الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليه ولا يزكّيه : ولايصلح عمله ، ولا يهدى كيده أو لايفلح ، أو قَيَّض له الشيطان ، أو جعل مسببًا لإزاغة قلب فاعله، أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل ؛ فهو دليل على المنع من الفعل ، ودلالتُه على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة .

وتُستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ، ونفى الجناح والحرج والإثم والمؤاخذة ، ومن الإذن فيه والعفو عنه ، ومن الامتنان بما فى الأعيان من المنافع ، ومن السكوت عن التحريم ، ومن الإنكار على من حرّم الشىء من الإخبار بأنه خَلَق أو جعَل لنا ، والإخبار عن فعل مَن قبلنا من غير ذمّ لهم عليه . فإن اقترن بإخباره مدْح ، دلّ على مشروعيته وجوبًا أو استحبابًا . انتهى كلام الشيخ عز الدين.

وقال غيره : قد يُستنبط من السكوت . وقد استدلّ جماعة على أنَّ القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسان فى ثمانية عشر موضعًا ، وقال : إنه مخلوق ؛ وذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعًا ولم يقل إنه مخلوق ، ولمّا جمع بينهما غاير ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الإِنْسَانَ ﴾ .

• • •

النوع السادس والستون

فى أمثالِ القُرْآن

أفرده بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماوردىّ (١) من كبار أصحابنا ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٣) .

وأخرج البيهقىّ عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، و محكَم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتَّبِعوا المحكَم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال » .

قال الماوردىّ : من أعظم علْم القرآن علم أمثالِه ، والنَّاس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال ، وإغفالهم الممثَّلات ، والمثل بلا ممثَّل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام .

وقال غيره :قد عدّه الشافعى ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال :ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدّوالّ على طاعته ، المبيِّنة لاجتناب معصيته .

وقال الشيخ عز الدين : إنما ضرب الله الأمثال فى القرآن تذكيرًا ووعظًا ، فما اشتمل منها على تفاوت فى ثوابٍ ، أو على إحباط عمل ، أو على مدح أو ذمّ أو نحوه ، فإنّه يدلّ عَلَى الأحكام .

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردى الفقيه الشافعى ، صاحب كتاب الأحكام السلطانية وادب الدنيا والدين ، وغيرها ، توفى ببغداد سنة ٤٥٠ .

(٢) الروم ٥٨ . (٣) العنكبوت ٤٣

وقال غيره : ضَرب الأمثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحثّ ، والزجر ، والاعتبار ، والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره بصورة المحسوس ، فإنّ الأمثال تصوّر المعانى بصورة الأشخاص ؛ لأنها أثبت فى الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواسّ ، ومن ثَمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفىّ بالجلىّ ، والغائب بالمشاهد . وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذمّ ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ (١) ، فامتنّ علينا بذلك لما تضمنتْه من الفوائد .

وقال الزركشىّ فى البرهان : ومن حكمته تعليم البيان ؛ وهو من خصائص هذه الشريعة .

وقال الزمخشرىّ : التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعانى ، وإدناء المتوهَّم من الشاهد ، فإن كان المتمثَّل له عظيما ، كان المتمثّل به مثله ، وإن كان حقيرًا كان المتمثّل به كذلك .

وقال الأصبهانىّ : لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأنٌ ليس بالخفىّ فى إبراز خفيّات الدقائق ، ورفع الأستار عن الحقائق ، تريك المتخيّل فى صورة المتحقّق ، والمتوهَّم فى معرِض المتيقَّن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفى ضرب الأمثال تبكيتٌ للخصم الشديد الخصومة ، وقمعٌ لسوْرة الجامح الأبىّ ؛ فإنه يؤثّر فى القلوب ما لا يؤثّر وصف الشىء فى نفسه ؛ ولذلك أكثر الله تعالى فى كتابه وفى سائر كتبه الأمثال ، ومن سور الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال ، وفشت فى كلام النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وكلام الأنبياء والحكماء .

---

(١) ابراهيم ٤٥

فصـــل

أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرّح به، وكامِنٌ لاذكرَ للمثل فيه؛ فمن أمثلة الأوّل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا..﴾ [1] الآيات ضرَب فيها للمنافقين مَثَلَيْن: مثلا بالنار، ومثلا بالمطر.

أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا يعتزّون بالإسلام فينا كحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلمّا ماتُوا سلبَهم الله العزّ كما سلب صاحبُ النار ضوءه، ﴿وتركهم فى ظلمات﴾، يقول فى عذاب. ﴿أو كصيّب﴾ هو المطر، ضرب مثله فى القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ يقول: ابْتِلَاء، ﴿ورَعْد وبَرْق﴾، تَخْوِيف، ﴿يكَاد البرق يخطف أبْصارَهم﴾ يقول: يكاد محكم القرآن يدلّ على عورات المنافقين، ﴿كلما أضاء لهم مشوْا فِيه﴾ [2]، يقول كلما أصاب المنافقون فى الإسلام عزًّا اطمأنّوا، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا، ليرجعوا إلى الكفر، كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [3] الآية.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا..﴾ (٣) الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عباس، قال: هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكّها، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [4]، وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ﴾ [4] وهو اليقين، كما يجعل الحليّ فى النار، فيؤخذ خالصه، ويُترك خبثه فى النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشكّ.

---

(١) البقرة ١٧ (٢) البقرة ١٩، ٢٠

(٣) الحج ١١ (٤) الرعد ١٧

وأخرج عن عطاء قال : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر .

وأخرج عن قتادة ، قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثلٍ واحد ، يقول : كما اضمحلّ هذا الزَّبد فصار جُفاء لايُنتفع به ، ولا تُرجى بركته ، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله ، وكما مكث هذا الماء فى الأرض فأمرعت وربَتْ بركتُه ، وأخرجت نباتها ،وكذلك الذهب والفضة حين أُدخل النار ، فأُذهب خبثه . كذلك يبقى الحقّ لأهله . وكما اضمحلّ خبَث هذا الذهب حين أُدخِل فى النار ، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ... ﴾[1] الآية ، أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عباس ، قال : هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن ، يقول : هو طيب وعمله طيب ، كما أن البلد الطيِّب ثمرها طيِّب ، والذى خبث ضرب مثلا للكافر ، كالبلد السبخة المالحة ، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ . . . ﴾[2] الآية ؛ أخرج البخاريّ عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب يومًا لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية نزلت : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ؟ قالوا : الله أعلم ، [فغضب عمر وقال : قولوا : نعلم أولا نعلم !] فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء ، فقال : يابن أخى قل ولا تحقرْ نفسك ، قال ابنُ عباس : ضُربَتْ مثلا لعملٍ ، قال عمر : أىّ عملٍ؟ قال ابن عباس : لرجل غنيّ عمل بطاعة الله ، ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله .

• • •

(١) الأعراف ٥٨ (٢) البقرة ٢٦٦

وأما الكامنة ، فقال الماوردىّ : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب ابن إبراهيم ، يقول : سمعت أبى ، يقول : سألتُ الحسينَ بن الفضل فقلت : إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ؛ فهل تجد فى كتاب الله « خير الأمور أوساطها » ؟ قال : نعم ، فى أربعة مواضع قوله تعالى : ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (٤) .

قلت : فهل تجد فى كتاب الله « مَنْ جهل شيئًا عاداه » ؟ قال : نعم ، فى موضعين ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ (٥) ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (٦) .

قلت : فهل تجد فى كتاب الله : « احذر شرّ من أحسنت إليه » ؟ قال : نعم ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (٧) .

قلت : فهل تجد فى كتاب الله « ليس الخبر كالعيان » ؟ قال : فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٨) .

قلت : فهل تجد « فى الحركات البركات » ؟ قال : فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٩) .

---

(١) البقرة ٦٨ — (٢) الفرقان ٦٧
(٣) الاسراء ٢٩ — (٤) الاسراء ١١٠
(٥) يونس ٣٩ — (٦) الأحقاف ١١
(٧) التوبة ٧٤ — (٨) البقرة ٢٦٠
(٩) النساء ١٠٠

قلت : فهل تجد « كما تدين تدان » ؟ قال : فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءا يُجْزَ بِهِ ﴾ (١) .

قلت : فهل تجد فيه قولهم : « حين تَقْلِى تدرى » ؟ قال : ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يرونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (٢) .

قلت : فهل تجد فيه « لايُلدغ المؤمن من جحر مرتين » ؟ قال : ﴿ هَلْ آمَنُكُم عَلَيْهِ إلاَّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٣) .

قلت : فهل تجد فيه « من أعان ظالمًا سُلِّط عليه » ؟ قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٤) .

قلت : فهل تجد فيه قولهم : « لاتلد الحيّة إلاّ حيّة » ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَلِدُوا إلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (٥) .

قلت : فهل تجد فيه : « للحيطان آذان » ؟ قال : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ (٦) .

قلت : فهل تجد فيه : « الجاهل مرزوق والعالم محروم » ؟ قال : ﴿ مَنْ كان فِى الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا ﴾ (٧) .

قلت : فهل تجد فيه « الحلال لا يأتيك إلاقوتا ، والحرام لا يأتيك إلا جُزافًا » ؟ قال : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ ﴾ (٨) .

• • •

(١) النساء ١٢٣
(٢) الفرقان ٤٢
(٣) يوسف ٦٤
(٤) الحج ٤
(٥) نوح ٢٧
(٦) التوبة ٤٧
(٧) مريم ٧٥
(٨) الأعراف ١٦٣

فائدة

عقد جعفر بن شمس الخلافة فى كتاب الآداب بابًا فى ألفاظ من القرآن ، جارية مجرى المثل ؛ وهذا هو النوع البديعى المسمّى بإرسال المثل ، وأورد من ذلك قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (١)

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تنفقوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٢) .

﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾(٣) .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ ﴾ (٤) .

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ (٥) .

﴿ قُضِىَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٦) .

﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (٧) .

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَايَشْتَهُونَ ﴾ (٨) .

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ (٩)

﴿ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ (١٠) .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (١١) .

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (١٢) .

---

(١) النجم ٥٨
(٢) آل عمران ٩٢
(٣) يوسف ٥١
(٤) يس ٧٨
(٥) الحج ١٠
(٦) يوسف ٤١
(٧) هود ٨١
(٨) سبأ ٥٤
(٩) الأنعام ٦٧
(١٠) فاطر ٤٣
(١١) الإسراء ٨٤
(١٢) البقرة ٢١٦

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (١) .

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾ (٢) .

﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٣) .

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ ﴾ (٤) .

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ (٥) .

﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ () .

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ (٧)

﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (٨) .

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٩) .

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ (١٠) .

﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (١١) .

﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١٢) .

﴿ قُلْ لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ (١٣) .

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (١٤) .

---

(١) المدثر ٣٨ — (٢) المائدة ٩٩
(٣) التوبة ٩١ — (٤) الرحمن ٦٠
(٥) البقرة ٢٤٩ — (٦) يونس ٩١
(٧) الحشر ١٤ — (٨) فاطر ١٤
(٩) الروم ٣٢ — (١٠) الأنفال ٢٣
(١١) سبأ ١٣ — (١٢) البقرة ٢٨٦
(١٣) المائدة ١٠٠ — (١٤) الروم ٤١

﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ﴾ [١] .

﴿ لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ ﴾ [٢] .

﴿ وَقَلِيلٌ مَاهُمْ ﴾ [٣] .

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [٤] .

فى ألفاظٍ أُخر .

• • •

(١) الحج ٧٣
(٢) الصافات ٦١
(٣) ص ٢٤
(٤) الحشر ٢

النوع السابع والستون

فى أقسام القرآن .

أفرده ابن القيّم [١] بالتصنيف فى مجلد سمّاه « التبيان » ، والقصد بالقَسَم تحقيق الخبر وتوكيده ، حتى جعلوا مثل ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [٢] قَسَماً ، وإن كان فيه إخبار بشهادة ؛ لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمّى قَسَماً .

وقد قيل : مامعنى القَسَم منه تعالى ؛ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدّق بمجرد الإخبار من غير قَسَم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده ! .

وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القَسَم إذا أرادت أن تؤكّد أمراً . وأجاب أبو القاسم القشيرىّ بأن الله ذكر القَسَم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أنّ الحكم يفصّل باثنين : إما بالشهادة وإمّا بالقَسَم ، فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة . فقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ [٣] . وقال : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [٤] وعن بعض الأعراب أنه لمّا سمع قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [٥] صرخ وقال : مَنْ ذا الذى أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين ! .

---

(١) هو شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي . صاحب ابن تيمية ، وأحد أفراد العلماء في التفسير والحديث وأصول الدين ، وصاحب المصنفات في كل ذلك وغيرها توفى سنة ٧٥١ .

(٢) المنافقون ١

(٣) آل عمران ١٨

(٤) يونس ٥٣

(٥) الذاريات ٢٢ ، ٢٣

ولا يكون القَسَم إلا باسم معظَّم ؛ وقد أقسم الله تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع :

الآية المذكورة بقوله : ﴿ قُلْ إِى وَرَبِّى ﴾ (١) .

﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (٢) .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ (٣) .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤) .

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) .

﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ (٦) .

والباقى كله قسم بمخلوقاته ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ ، ﴿ وَالصَّافَّاتِ ﴾ ﴿ وَالشَّمْسِ ﴾ ، ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ ، ﴿ وَالضُّحَى ﴾ ، ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾

فإن قيل : كيف أقسم بالخَلْق وقد ورد النهى عن القسم بغير الله ! .

قلنا : أجيب عنه بأوجه :

أحدُها : أنه على حذف مضاف ؛ أى وربِّ التين وربِّ الشمس ؛ وكذا الباقى .

الثانى : أنَّ العَرب كانت تعظِّم هذه الأشياء ، وتُقْسِم بها . فنزل القرآن على مايعرفون .

الثالث : أنَّ الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسِم أو يجلّه وهو فوقَه ،والله تعالى

---

(١) يونس ٥٣ (٢) التغابن ٧

(٣) مريم ٦٨ (٤) الحجر ٩٢

(٥) النساء ٦٥ (٦) المعارج ٤٠

ليس شىء فوقه ، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته ؛ لأنها تدلّ على بارئ وصانع .

وقال ابن أبى الإصبع فى أسرار الفواتح : القسَم بالمصنوعات يستلزم القسَم بالصانع ؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل ؛ إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل .

وأخرج ابنُ أبى حاتم ، عن الحسن ، قال : إنّ الله يُقسم بما شاء من خلقه ، وليس لأحدٍ أن يقسم إلا بالله .

وقال العلماء : أقسم الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله: ﴿لعمرك﴾ لتعرف الناس عظمته عندالله ومكانته لديه .أخرج ابن مَرْدويه عن ابن عباس : قال : ماخلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرمَ عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيره ، قال : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) .

وقال أبو القاسم القشيرى : القَسَم بالشىء لايخرج عن وجهين ، إما لفضيلة أو لمنفعة ، فالفضيلة كقوله : ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ، والمنفعة نحو : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ (٢) .

وقال غيره : أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء ؛ بذاته كالآيات السابقة ، وبفعله نحو : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾(٣) وبمفعوله نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (٤) ، ﴿ وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ (٥)

والقَسَم إمّا ظاهر كالآيات السابقة ، وإمّا مضمر ، وهو قسمان : قَسَم دلّت

(١) الحجر ٧٢
(٢) التين ١ ـ ٣
(٣) الشمس ٥ ـ ٧
(٤) النجم ١
(٥) الطور ١ ، ٢

عليه اللام نحو : ﴿لَتُبْلَوُنَّ فى أَمْوَالِكُمْ﴾(١) ، وقسمٌ دلّ عليه المعنى ، نحو : ﴿ وإنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٢) تقديره : « والله » .

وقال أبو علىّ الفارسى : الألفاظ الجارية مجرى القسَم ضربان :

أحدهما : ماتكون كغيرها من الأخبار التى ليست بقسم ، فلا تجاب بجوابه كقوله : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ﴾ (٤) ، ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ (٥) ، وهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما ، وأن يكون حالا لخلُوّه من الجواب .

والثانى ما يتلقى بجواب القسَم ، كقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ (٦) ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ (٧) .

وقال غيره : أكثر الأقسام فى القرآن المحذوفة الفعل لاتكون إلا بالواو ، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل ، كقوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ ﴾ (٨) ، ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ﴾ (٩) ، ولا تجدُ الباء مع حذف الفعل ، ومن ثَمّ كان خطأ مَنْ جعل قسما ﴿ بالله إن الشركَ لَظُلْمٌ ﴾ (١٠) ﴿ بما عهِد عندك ﴾ (١١) ، ﴿ بِحَقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾(١٢) .

وقال ابن القيِّم : اعلم أنه سبحانه وتعالى يُقسم بأُمور على أُمور ، وإنما يقسم بنفسه المقدّسة الموصوفة بصفاته ، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته ،

---

(١) آل عمران ١٨٦ (٢) مريم ٧١
(٣) الحديد ٨ (٤) البقرة ٦٣
(٥) التوبة ٩٦ (٦) آل عمران ١٨٧
(٧) النور ٥٣ (٨) النور ٥٣
(٩) التوبة ٦٢ (١٠) لقمان ١٣
(١١) الزخرف ٤٩ (١٢) المائدة ١١٦

وإقسامُه ببعض المخلوقات دليل على أنّها من عظيم آياته ؛ فالقَسمَ إما عَلَى جملة خبرية وهوالغالب ، كقوله : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾(١) وإما على جملة طلبيّة كقوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) ؛ مع أن هذا القَسم قد يُراد به تحقيق المقسَم عليه ؛ فيكون من بابالخبر ، وقد يرادبه تحقيق القَسم ؛ فالمقسَم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه ، فلابدّ أن يكون ممّا يحسن فيه ، وذلك كالأُمور الغائبة والخفيةإذا أقسم على ثبوتها ؛ فأما الأُمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، فهذه يُقسِم بها ولا يقسم عليها ، وما أقسم عليه الربُّ فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مقسَماً به ولا ينعكس ، وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ، ويحذفه أُخرى ؛ كما يحذف جواب « لو » كثيرا للعلم به .

والقسَم لما كان يكثر فى الكلام ، اختُصِر فصار فعلُ القسم يحذف ، ويكتفَى بالباء ، ثم عوِّض من الباء الواو فى الأَسماء الظاهرة ، والتاء فى اسم الله تعالى ، كقوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ (٣) .

قال : ثم هو سبحانه وتعالى يقسِم على أصول الإيمان التى تجب على الخلق معرفتُها ، تارة يقسم على التوحيد ، وتارة يقسم على أنَّ القرآن حقٌّ ، وتارة على أنَّ الرسول حقٌّ ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ، وتارة يقسم على حال الإنسان .

فالأول كقوله : ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إلىقوله : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾(٤)

---

(١) الذاريات ٢٣ (٢) الحجر ٩٢ ، ٩٣

(٣) الأنبياء ٥٧ (٤) الصافات ١ ـ ٤

والثانى كقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (١).

والثالث كقوله : ﴿ يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢) ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى .. ﴾ (٣) الآيات .

والرابع كقوله : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ : إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (٤) ، ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ (٥)

والخامس كقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى .. ﴾ (٦) الآيات ، ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ (٧) ، ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ... ﴾ (٨) ، ﴿ وَالتِّينِ ﴾ إلى قوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.. ﴾ (٩) ، الآيات ، ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى كَبَدٍ ﴾ (١٠) .

قال : وأكثرُ مايُحذف الجواب إذا كان فى نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه ؛ فإنَّ المقصود يحصل بذكره ، فيكون حذف المقسَم عليه أبلغ وأوجز ، كقوله : ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ ﴾ (١١) ، فإن فى المقسَم به من تعظيم القرآن ، ووصفه بأنه « ذو الذكر » المتضمن لتذكير العباد مايحتاجون إليه والشرف والقدر ، مايدلّ على المقسَم عليه : وهو كونه حقًّا من عند الله غير مفترًى كما يقول الكافرون ، ولهذا قال كثيرون : إن تقدير الجواب « إن

(١) الواقعة ٧٥ ــ ٧٧
(٢) يس ١ ــ ٣
(٣) النجم ١ ــ ٢
(٤) الذاريات ١ ــ ٦
(٥) المرسلات ١ ــ ٧
(٦) الليل ١ ــ ٤
(٧) العاديات ١ ــ ٦
(٨) العصر ١ ، ٢
(٩) التين ١ ــ ٤
(١٠) البلد ١ ــ ٤
(١١) ص ١

القرآن لحق » ، وهذا مطَّردٌ فى كل ماشابه ذلك ، كقوله : ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[1] وقوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[2] ، فإنه يتضمّن إثبات المعاد ، وقوله : ﴿ وَالْفَجْرِ . . . . ﴾[3] الآيات ، فإنها أزمان تتضمّن أفعالا معظمة من المناسك وشعائر الحج التى هى عبودية محضة لله تعالى وذلّ وخضوع لعظمته ، وفى ذلك تعظيم ماجاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

قال : ومن لطائف القَسَم قوله : ﴿وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ...﴾[4] الآيات ، أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له ؛ وذلك متضمّن لتصديقه له * ، فهو قسَم على النبوّة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته . وتأمل مطابقة هذا القَسَم (* وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل المقسم عليه *) وهو نور الوحْى الذى وافاه بعد احتباسه عنه . حتى قال أعداؤه :ودّع محمدا ربُّه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

• • •

---

(١) ق ١ (٢) القيامة ١

(٣) الفجر ١ (٤) الضحى ١ ، ٢

(*) زادت طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٣٩ «فهو قسم على صحة ثبوته وعلى جزائه فى الآخرة» .

(*-*) الاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٣٩ .

النوع الثامن والستون

في جَدَل القُرآن

أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفيّ (١) ؛ قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلّة ، وما مِنْ برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يُبْنَى من كلّيات المعلومات العقلية والسمعية إلاّ وكتاب الله قد نَطق به ، لكن أورده على عادة العرب ، دون دقائق طرق المتكلمين ، لأمرين :

أحدهما : بسبب ماقاله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٢) .

والثانى : إنَّ المائل إلى طريق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجّة بالجليل من الكلام ؛ فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحطّ إلى الأغمض الذى لا يعرفه إلاّ الأقلّون ؛ ولم يكن ملغزا . فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجّة خلقه فى أجلى صورة ؛ ليفهم العامة من جليّها مايقنعهم ، وتلزمهم الحجة ، وتفهم الخواصّ من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهمُ الخطباء (٣) .

وقال ابن أبى الإصبع : زعم الجاحظ أن المذهب الكلامىّ لايوجَد منه شىء فى القرآن ، وهو مشحون به ، وتعريفه أنه احتجاج المتكلّم على مايريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام . ومنه نوع منطقى تُستنتَج منه النتائج الصحيحة من المقدّمات الصادقة ، فإن الإسلاميين من أهل هذا

(١) هو العلامة سليمان بن عبد القادر بن عبد الكريم المعروف بنجم الدين الطوفى المتوفى سنة ٧١٦ . الدرر الكامنة ٢ : ١٥٤ .

(٢) ابراهيم ٤

(٣) نقله في البرهان ٢ : ٢٤

العلم ذكروا أن أوّل سورة الحج إلى قوله : ﴿ وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ منْ فى القُبُور ﴾[١] خمس نتائج تستنتَج من عشر مقدمات : قوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ ﴾[٢] . لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنَّه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظما لها . وذلك مقطوع بصحّته ، لأنه خبرٌ أخبر به مَنْ ثبت صدقه عمّن ثبتت قدرته ، منقول إلينا بالتواتر ، فهو حقٌّ ، ولا يخبر بالحقّ عمّا سيكون إلاَّ الحقّ ، فالله هو الحق وأخبر تعالى أنه يحيي الموتى ؛ لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ، ليشاهدوا تلك الأهوال التى يعملها الله من أجلهم ؛ وقد ثبت أنه قادر على كلّ شىء . ومن الأشياء إحياء الموتى فهو يُحيِي الموتى ، وأخبر أنه على كل شىء قدير ، لأنه أخبر أنه من يتَّبع الشياطين ، ومَنْ يجادل فيه بغير علمٍ يذقه عذاب السعير ، ولا يقدر على ذلك إلاَّ مَنْ هو على كل شىء قدير ، فهو على كلّ شىء قدير . وأخبر أن الساعة آتية لاريب فيها ؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلقَ الإنسان مِنْ تُراب ، إلى قوله : ﴿ لكَيلا يعْلَم من بعدِ عِلْمٍ شَيئًا ﴾[٣] وضرب لذلك مثلا بالأرض الهامدة التى ينزل عليها الماء ، فتهتز وتربو ، وتُنبت من كلّ زوج بهيج ، ومن خَلَق الانسان على ماأخبر به فأوجده بالخلْق ثم أعدمه بالموت ، ثم يعيده بالبعث . وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلْق ، ثم أماتها بالمحْل ، ثم أحياها بالخصب ؛ وصدق خبرُه فى ذلك كلّه بدَلالة الواقع المشاهد على المتوقّع الغائب ؛ حتى انقلب الخبر عيانا صدق خبره فى الإتيان بالساعة ، ولا يأْتى بالساعة إلاَّ من «يَبْعث مَنْ فى القبور» لأنَّها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة ، فهى آتية لا ريب فيها ، وهو سبحانه وتعالى يبعث مَنْ فى القبور[٤] .

(١) الحج ٧ (٢) الحج ٦

(٣) الحج ٥ (٤) بديع القرآن ٣٧ ، ٣٨

وقال غيره : استدلّ سبحانه وتعالى على المعاد الجسمانىّ بضروب :

أحدها قياس الإعادة على الابتداء ، كما قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(١) ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾(٢) ﴿ أفعَيِينا بالخلْق الأوَّلِ ﴾(٣)

ثانيها : قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأَوْلى ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ . . . ﴾(٤) الآية .

ثالثها : قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات .

رابعها : قياس الإعادة على إخراج النار من الشَّجر الأخضر . وقد روى الحاكم وغيره أن أبىّ بن خلَف جاء بعظم ففتَّه ، فقال : أيحيى الله هذا بعد مابَلِىَ ورمّ ! فأنزل الله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(٥) ، فاستدلّ سبحانه وتعالى بردّ النشأة الأخرى إلى الأولى ، والجمع بينهما بعلّة الحدوث ثم زاد فى الحجاج بقوله : ﴿ الذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا ﴾(٥) وهذه فى غاية البيان فى ردّ الشىء إلى نظيرة ، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما .

خامسها : فى قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بلى . . ﴾(٦) ، الآيتين ، وتقريرهما أن اختلاف المختلفين فى الحقّ لايوجب انقلاب الحقّ فى نفسه ، وإنما تختلف الطرق الموصّلة إليه ،والحقّ فى نفسه واحد ، فلمّا ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لامحالة ، وكان لا سبيل لنا فى حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفًا يوجب الائتلاف ، ويرفع عنا الاختلاف إذ كان الاختلاف مركوزًا فى فِطَرنا ، وكان لايمكن ارتفاعه وزوالُه إلا بارتفاع

(١) الأعراف ٢٩
(٢) الأنبياء ١٠٤
(٣) ق ١٥
(٤) يس ٨١
(٥) يس ٧٩ ، ٨٠
(٦) النحل ٣٨ ، ٣٩

هذه الجِبِلَّة ، ونقلها إلى صورة غيرها ، صحّ ضرورة أنَّ لنا حياةً أخرى غير هذه الحياة ، فيها يرتفع الخلاف والعناد ، وهذه هى الحالة التى وعد الله بالمصير إليها فقال : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾(١) ، حقد ، فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضحَ دليل على كونِ البعث الذى ينكره المنكرون . كذا قرّره ابن السيِّد .

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحدٌ ، بدلالة التمانع المشار إليها فى قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾(٢) ، لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجرى تدبيرهُما على نظام ، ولا يتّسق على أحكام ، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما ؛ وذلك لأنه لو أراد أحدُهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته ، فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزّىء الفعل إنْ فُرِض الاتفاق ، أولامتناع اجتماع الضدّين إن فُرِض الاختلاف ، وإمّا ألاّ تنفُذ ارادتهما ، فيؤدّى إلى عجزهما ، أولا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدّى إلى عجزه ، والإله لايكون عاجزًا .

• • •

فصل

من الأنواع المصطلح عليها فى علم الجدَل السَّبْر والتقسيم ، ومن أمثلته فى القرآن قوله تعالى : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ من الضَّأْنِ اثْنَيْنِ . . . ﴾(٣) الآيتين فإن الكفار لمّا حرموا ذكورَ الأنعام تارة وإناثها أخرى ، ردّ تعالى ذلك عليهم بطريق السَّبر والتقسيم فقال : إنَّ الخَلْقَ لله ، خلق من كُلّ مما زَوْجٍ مما ذكرًا وأنثى ، فمِمّ جاء تحريم ما ذكرتم ؟ أى ماعلّته ؟لايخلو إما أن يكون

(١) الأعراف ٤٣ (٢) الأنبياء ٢٢

(٣) الأنعام ١٤٣ ، ١٤٤

من جهة الذكورة أو الأنوثة ، أو اشتمال الرَّحِم الشامل لهما ، أو لايدرَى له عِلَّة ، وهو التعبّدىّ ،بأن أخِذ ذلك عن الله تعالى ، والأخذ عن الله تعالى ؛ إمّا بوحى وإرسال رسول ، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقّى ذلك عنه ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا ﴾[1] ، فهذه وجوه التحريم ؛ لاتخرج عن واحد منها . والأوّل يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حرامًا ، والثانى يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حرامًا ؛ والثالث يحرم عليه تحريم الصِّنفين معًا ، فبطل مافعلوه من تحريم بعض فى حالة وبعضٍ فى حالة ، لأنَّ العِلّة على ماذكر تقتضى إطلاقَ التحريم ، والأخذُ عن الله بلاواسطة باطل ولم يدّعوه وبواسطةرسول كذلك ، لأنه لم يأْت إليهم رسول قَبْلَ النبىّ صلى الله عليه وسلم وإذا بَطل جميعُ ذلك ثبت المدّعَى . وهو أن ماقالوه افتراء على الله وضلال .

ومنها القول بالموجب ، قال ابن أبى الاصبع : وحقيقته ردّ كلام الخصم من فحوَى كلامه .

وقال غيره : هو قسمان :

أحدهما : أن تقع صفةٌ فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حكم ؛ فيثبتها لغير ذلك الشىء ، كقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ... ﴾[2] الآية ، فـ « الأعز » وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم ، و « الأذل » عن فريق المؤمنين ، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله فى الردّ عليهم صفة العزّة لغير فريقهم ، وهو الله ورسوله والمؤمنون ، وكأنه قيل : صحيح ذلك ، ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذل ، لكن هم الأذل المخرَج ، والله ورسوله الأعزُّ المخرِج .

---

(١) الأنعام ١٤٤ (٢) المنافقون ٨

والثانى : حَمْلُ لفظ. وقع فى كلام الغير على خلاف مرادِه مماً يحتمله بذكر متعلَّقه ، ولم أر مَنْ أورد له مثالا من القرآن ، وقدظفرت بآية منه ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ الذِينَ يؤْذُونَ النَّبىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قل أُذُنُ خيرٍ لَّكُمْ ﴾[١] .

ومنها التسليم ، وهو أن يفرض المحال ، إمّا منفيًا أو مشروطًا بحرف الامتناع ، لكوْن المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ، ثم يسلِّم وقوع ذلك تسليمًا جدليًا ، ويُدَلُّ على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعِه ، كقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وما كَانَ مَعَهُ مِنْ إلٰهٍ إذًا لَذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض ﴾[٢] . المعنى : ليس مع الله من آلهٍ ، ولو سلِّم أن معه سبحانه وتعالى إلهًا لزم من ذلك التسليم ذهاب كلِّ إله من الأثنين بما خلق ، وعلوّ بعضِهم على بعض ، فلايتمّ فى العالم أمرٌ ، ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله ؛ والواقع خلاف ذلك ، ففرْض إلهيْن فصاعدًا محال لما يلزم منه المحال .

ومنها الإسجال ، وهو الإتيان بألفاظ تسجِّل على المخاطب وقوعَ ماخُوطب به ، نحو ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَاوَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾[٣] ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التِي وَعَدْتَهُمْ ﴾[٤] فإن فى ذلك إسجالاً بالايتاء والإدخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لايخلف وعده .

ومنها الانتقال ، هو أن ينتقل المستدلّ إلى استدلال غير الذى كان آخذًا فيه ، لكون الخصم لم يفهم وجهَ الدلالة من الأوّل ، كما جاء فى مناظره الخليل الجبارَ لمّا قال له ﴿ رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِي ويُمِيت ﴾[٥] فقال الجبّار : ﴿ أنا أُحْيِى وأُمِيت ﴾ ، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ، ومن لايجب عليه فقتله ، فعلم

---

(١) التوبة ٦١
(٢) المؤمنون ٩١
(٣) آل عمران ١٩٤
(٤) غافر ٨
(٥) البقرة ٢٥٨

الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل . فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد الجبّار له وجهًا يتخلّص به منه . فقال : ﴿ فإنَّ الله يأْتى بالشمسِ مِنَ المَشْرِق فأْتِ بِهَا مِنَ المغرِبِ ﴾ [١] ؛ فانقطع الجبّار وبهت ولم يمكنه أن يقول : أنا الآتى بها من المشرق ؛ لأن مَنْ هو أسن منه يكذبه .

ومنها المناقضة ، وهى تعليق أمر على مستحيل ، إشارة إلى استحالة وقوعِهِ كقوله تعالى : ﴿ ولاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجمَلُ فى سَمِّ الخِيَاط ﴾ [٢] .

ومنها مجاراة الخصم ليعثر . بأن يسلِّم بعض مقدماته ، حيث يراد تبكيته وإلزامه . كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا إنْ أَنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أنْ تَصُدُّونَا عمَّا كَان يَعْبُدُ آباؤُنَا فَأْتُونَا بسُلْطَانٍ مُبِين . قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إنْ نَحْنُ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ . . . ﴾ [٣] الآية ، فقولهم : ﴿إنْ نَحْنُ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ . . ﴾ الآية ، فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية ، فكأنَّهم سلَّموا انتفاء الرسالة عنهم ، وليس مرادًا ، بل هو مِنْ مجاراة الخصم ليعثر ، فكأنهم قالوا : ما ادّعيتم من كوننا بشرًا حق لا ننكره ولكن هذا لاينافى أن يمنّ الله تعالى علينا بالرسالة .

• • •

(١) البقرة ٢٥٨

(٢) الأعراف ٤٠

(٣) ابراهيم ١٠ ، ١١

النوع التاسع والستون

فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

فى القرآن من أسماء الأنبياء والمرسلين خمس وعشرون ، هم مشاهيرهم :

(أسماء الأنبياء والمرسلين فى القرآن)

١ - آدم أبو البشر ؛ ذكر قومٌ أنه « أفعل » ، وصفٌ مشتقٌ من الأُدْمة ؛ ولذا منع الصرف .

قال الجواليقىّ : أسماء الأنبياء كلها أعجميّة إلاَّ أربعة : آدم ، وصالح ، وشعيب ومحمد (١) .

وأخرج ابنُ أبى حاتم من طريق أبى الضُّحى . عن ابن عباس ، قال : إنما سُمِّىَ آدم لأنه خُلِق من أديم الأرض .

وقال قوم : هو اسم سريانىّ أصله « آدام » بوزن « خاتام » ، عُرِّب بحذف الألف الثانية .

وقال الثعلبىّ : التراب بالعبرانيَّة آدام ، فسمِّىَ آدم به .

قال ابن أبى خيثمة : عاش تسعمائة سنة وستين سنة .

وقال النّووى فى تهذيبه : اشتهر فى كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة (٢) .

٢ - نوح ؛ قال الجواليقىّ : أعجمىّ معرّب (٣) . زاد الكرمانىّ . ومعناه بالسريانية « الساكن » (٤) .

---

(١) المعرب ١٢
(٢) تهذيب الاسماء واللغات ١ : ٩٥
(٣) المعرب ٣٣٠
(٤) ط : «الشاكر» .

وقال الحاكم فى المستدرَك : إنما سُمِّىَ نوحًا لكثرة بكائه على نفسه ، واسمه عبد الغفار . قال : وأكثر الصحابة على أنه قَبْل إدريس .

وقال غيره : هو نوح بن لَمْك - بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف - ابن مُتُوشَلَح - بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها ،وفتح الشين المعجمة واللام ، بعدها معجمة - بن أَخْنُوخ - بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم معجمة ؛ وهو إدريس فيما يقال .

وروى الطَّبرانىّ عن أبى ذر قال : قلت : يارسول الله ، مَنْ أوَّلُ الأنبياء ؟ قال : آدم ، قلت : ثمّ مَنْ ؟ قال : نوح . وبينهما عشرون قرنًا .

وفى المستدرَك عن ابن عباس قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون . وفيه عنه مرفوعًا : « بعث الله نوحًا لأربعين سنة ؛ فلبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا » .

وذكر ابن جرير أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عامًا وفى التهذيب للنووىّ ، أنه أطول الأنبياء عمرًا [1] .

٣ - إدريس ؛ قيل إنّه قبْل نوح . قال ابن إسحاق : كان إدريس أوّل بنى آدم أُعطِىَ النبوّة ، وهو أخنوخ بن يَرْد بن مهلائيل بن أَنُوش بن قينان بن شيث ابن آدم .

وقال وهب بن منبه : إدريس جدّ نوح ، الذى يقال له خَنوخ وهو اسم سريانىٌّ ؛ وقيل : عربىٌّ مشتقٌّ من الدراسة ، لكثرة درسه الصحف .

وفى المستدرك بسندٍ واهٍ عن الحسن عن سَمُرة ، قال : كان نبىّ الله إدريس أبيض طويلا ، ضخم البطن ، عريض الصدر ، قليل شعر الجسد ، كثير

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٣٤

شعر الرأس. وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى ، وفى صدره نكتة بياض من غير بَرَص ، فلما رأى الله من أهل الأرض مارأى من جَورْهم واعتدائهم فى أمر الله ، رفعه إلى السماء السادسة ، فهو حيث يقول : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [١] .

وذكر ابنُ قتيبة أنه رُفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة .

وفى صحيح ابنِ حبَّان ، أنه كان نبيًّا رسولا ، وأنه أوّل من خطَّ بالقلم ،

وفى المستدرك عن ابن عباس قال : كان فيما بين نوح وإدريس ألف سنة .

٤ - إبراهيم ؛ قال الجواليقى : هو اسم قديم ليس بعربىّ ، وقد تكلّمت به العرب على وجوه ؛ أشهرها إبراهيم ، وقالوا : إبراهام ، وقرئ به فى السبع [٢] وإبراهم بحذف الياء وإبْرَهَم [٣] وهو اسم سريانىّ معناه أبٌ رحيم ، وقيل : مشتقّ من البرهمة ، وهى شدّة النظر ، حكاه الكِرمانىّ فى عجائبه . وهو ابن آزر ، ، واسمه تارَح - بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة - بن ناحُور - بنون ومهملة مضمومة - بن شاروخ - بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة - بن راغوا - بغين معجمة - بن فالخ ، بفاء ولام مفتوحة ومعجمة - ابن عابر - بمهملة وموحدة - بن شالخ - بمعجمتين - بن أرفخشد بن سام بن نوح .

قال الواقدى : ولد إبراهيم على رأس ألفىْ سنة من خلق آدم .

وفى المستدرك من طريق ابن المسيب عن أبى هريرة ، قال : اختتن إبراهيم بعد عشرين ومائة سنة . ومات ابن مائتى سنة .

وحكى النّووىّ وغيره قولاً أنّه عاش مائة وخمسة وسبعين [٤] .

---

(١) مريم ٥٧ (٢) المعرب ١٢

(٣) هى قراءة هشام بن عمار ، أحد القراء السبعة . وانظر التيسير لأبى عمرو الدانى

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٤ : ٩٨

٥ – إسماعيل ؛ قال الجواليقىّ : ويقال بالنون آخره[١] .

قال النووىّ وغيره : هو أكبر ولد إبراهيم[٢] .

٦ – إسحاق ؛ ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة ، وعاش مائة وثمانين سنة .وذكر أبو علىّ بن مسكويه فى كتاب نديم الفريد ، أن معنى إسحاق بالعبرانية : الضحّاك .

٧ – يعقوب ؛ عاش مائة وسبعًا وأربعين سنة .

٨ – يوسف فى صحيح ابن حبّان من حديث أبى هريرة ، مرفوعًا « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

وفى المستدرَك عن الحسن ، أن يوسف أُلقِىَ فى الجبّ ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ولقَى أباه بعد الثمانين ؛ وتوفِّىَ وله مائة وعشرون .

وفى الصحيح أنه أُعْطِىَ شَطْر الحسن ، قال بعضهم : وهو مرسل لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾[٣] . وقيل : ليس هو يوسف بن يعقوب ، بل يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب . ويشبه هذا ما فى العجائب للكرمانىّ فى قوله ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[٤] ، أن الجمهور على أنه يعقوب ابن ماثان ، وأنّ امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان ، قال : والقولُ بأنه يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم غريب . انتهى .

وما ذكر أنّه غريب هو المشهور ، والغريب الأوّل ، ونظيره فى الغَرابة قول نوف البِكالِىّ : إن موسى المذكور فى سورة الكهف فى قصة الخضر ليس هو موسى

---

(١) المعرب ١٤ (٢) تهذيب الاسماء واللغات ١١٢ : ١٢٠
(٣) غافر ٣٤ (٤) مريم ٦

بنى إسرائيل ، بل موسى بن مَنشى بن يوسف ، وقيل ابن إفرائيم بن يوسف وقد كذَّبه ابن عباس فى ذلك . وأشدُّ من ذلك غرابة ، ماحكاه النقاش والماوردىّ أنَّ يوسف المذكور فى سورة غافر من الجنِّ ، بعثه الله رسولا إليهم ؛ وما حكاه ابن عساكر أن عمران المذكور فى آل عمران هو والد موسى ، لا والد مريم .

وفى يوسف ست لغات ؛ بتثليث السين مع الواو والهمز [وبتركه][1] . والصواب أنه عجمىّ لا اشتقاق له .

٩ ـ لوط ؛ قال ابن إسحاق : هو لُوط بن هارون بن آزَر . وفى المستدرك عن ابن عباس ، قال : لوط ، ابن أخى إبراهيم .

١٠ ـ هود ، قال كعب كان أشبه النَّاس بآدم ، وقال ابن مسعود كان رجلا جَلْدًا ، أخرجهما فى المستدرك .

وقال ابن هشام : اسمه عابر بن أَرْفَخْشذ بن سام بن نوح .

وقال غيره : الراجح فى نسبه أنه هود بن عبد الله بن رباح بن حاوذ بن عاد بن عُوص ابن إرَم بن سام بن نوح .

١١ ـ صالح ؛ قال وَهْب : هو ابن عُبيد بن حاير بن ثمود بن حاير بن سام ابن نوح بُعث إلى قومه حين راهق الحلُم ، وكان رجلا أحمر إلى البياض ، سَبْط الشعر ، فلبث فيهم أربعين عامًا .

وقال نوف الشامىّ : صالح من العرب ، لمّا أهلك الله عادًا عمرت ثَمود بعدها ، فبعث الله إليهم صالحًا ، غلامًا شابًا ، فدعاهم إلى الله حتّى شمِط وكبر ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبىّ إلاّ هود وصالح ، أخرجهما فى المستدرك .

---

(١) من تهذيب الاسماء واللغات ١ : ١٦٧

وقال ابن حَجَر وغيره : القرآن يدلّ على أن ثمودًا كان بعد عاد ، كما كان عاد بعد قوم نوح .

وقال الثعلبيّ ، ونقله عن النّووى فى تهذيبه ، من خطه نقلت : هو صالح ابن عبيد بن أسيف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاد بن عُوص ابن إرَم بن سام بن نوح ، بعثه الله إلى قومه وهو شابّ ، وكانوا عربًا ، منازلهم بين الحجاز والشام ، فأقام فيهم عشرين سنة ، ومات بمكة ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة[1] .

١٢ ـ شعيب ، قال ابنُ إسحاق : هو ابن ميكاييل ـ كذا بخط الذهبيّ فى اختصار المستدرك ـ وقال غيره : ابن ملكاين ، وقيل ابن ميكيل بن يشجن بن لاوى بن يعقوب . ورأيت بخط النووىّ فى تهذيبه : ابن ميكاييل بن يشجن ابن مدين بن إبراهيم الخليل ، كان يقال له خطيب الأنبياء ، وبعث رسولا إلى أمّتَيْن ، مدين وأصحاب الأَيْكة ، وكان كثير الصلاة . وعمىَ فى آخر عمره

واختار جماعة أن مدين وأصحاب الأَيكة أمة واحدة .

قال ابن كثير : ويدلّ لذلك أن كلاًّ منهما وُعظ بوفاء المكيال والميزان ، فدلّ على أنهما واحد . واحتجّ الأول بما أخرجه عن السُّدّىّ وعكرمة قالا : مابَعث الله نبيًّا مرّتين إلاّ شعيبًا ، مرّة إلى مدين ، فأخذهم الله بالصيْحة ، ومرّة إلى أصحاب الأَيْكة ، فأخذهم الله بعذاب يوم الظلّة .

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه ، من حديث عبدالله بن عمرو ، مرفوعًا ، أن قوم مَدْين وأصحاب الأَيكة أُمتان بعث الله إليهما شعيبًا . قال ابن كثير :

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٤٨

وهو غريب ، وفى رفعه نظر ، قال : ومنهم مَنْ زعم أنه بُعِث إلى ثلاث أمم ، والثالثة أصحاب الرّس .

١٣ - موسى ؛ هو ابن عمران بن يَصْهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام ، لاخلاف فى نسبه ، وهو اسم سريانيّ .

وأخرج أبو الشيخ من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : إنّما سمىَ موسى ، لأنه أُلقِىَ بين شجر وماء ، فالماء بالقبطية « مو » والشجر « سا » وفى الصحيح ، وصفه بأنه آدم طُوال جعْد ، كأنه من رجال شَنوءة .

قال الثعلبيّ : عاش مائة وعشرين سنة .

١٤ - هارون ؛ أخوه شقيقه ؛ وقيل لأُمّه فقط ، وقيل لأبيه فقط ، حكاهما الكرمانيّ فى عجائبه . كان أطوَل منه ، فصيحًا جدًّا ، مات قبل موسى ، وكان وُلد قبله بسنه .

وفى بعض أحاديث الإسراء : صعِدتُ إلى السماء الخامسة ، فإذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها أسود ، تكاد لحيته تضرب سُرتَه من طولها فقلت : ياجبريل ، مَنْ هذا ؟ قال : المحبَّب فى قومه هارون بن عمران .

وذكر ابن مسكويه ، أن معنى هارون بالعبرانية « المحبَّب » .

١٥ - داود ؛ هو ابن إيشَى- بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة- بن عَوْبَد- بوزن جعفر ، بمهملة وموحدة - بن باعَر - بموحّدة ومهملة مفتوحة - بن سلمون بن يخشون بن عُمَى بن يارب- بتحيته وآخره موحّدة- ابن رام بن حضرون - بمهملة ثم معجمة - ابن فارص - بفاء وآخره مهملة - بن يهوذ بن يعقوب .

فى الترمذىّ أنه كان أعْبَد البشر ؛ قال كعب : كان أحمر الوجه ، سَبْط

الرأس ، أبيض الجسم ، طويل اللحية ، فيها جُعودة ، حسن الصوت والخلق ، وجُمع له النبوّة والملك .

قال النَّووىّ : قال أهل التاريخ : عاش مائة سنة مدة ملكه منها أربعون سنة ، وكان له اثنا عشر ابنًا[1] .

١٦ ـ سليمان ولده ؛ قال كعب : كان أبْيَض جسيمًا وسيما وضيئًا ، جميلاً خاشعًا متواضعًا ، وكان أبوه يشاوره فى كثير من أموره ، مع صغر سنّه ، لوفور عقله وعلمه .

وأخرج ابن جُبير عن ابن عباس قال : ملَك الأرض مؤمنان : سليمان وذو القرنين ، وكافران : نمروذ وبُخت نصر .

قال أهلُ التاريخ : ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وابتدأ بناءبيت المقدس بعد مُلكه بأربع سنين . ومات وله ثلاث وخمسون سنة .

١٧ ـ أيوب ؛ قال ابنُ إسحاق : الصحيح أنه كان من بنى إسرائيل ، ولم يصحّ فى نسبه شىء إلاّ أن اسم أبيه أبيض .

وقال ابن جرير : هو أيوب بن مُوص بن رَوح بن عيص بن إسحاق .

وحكى ابن عساكر أن أمّه بنت لوط ، وأن أباه ممّن آمن بإبراهيم ، وعلى هذا فكان قبل موسى .

وقال ابن جرير : كان بعد شعيب .

وقال ابن أبى خيثمة : كان بعد سليمان ، ابتُلِى وهو ابن سبعين ، وكانت مدة بلائه سبع سنين ، وقيل : ثلاث عشرة ، وقيل ثلاث سنين .

وروى الطبرانىّ أن مدة عمره كانت ثلاثًا وتسعين سنة.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٨٠

١٨ - ذو الكفل ؛ قيل هو ابن أيّوب . فى المستدرك عن وهب أنّ الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبيًّا ، وسمّاه ذا الكفل ، وأمره بالدّعاء إلى توحيده وكان مقيمًا بالشام عمره حتّى مات ، وعمره خمس وسبعون سنة .

وفى العجائب للكرمانيّ : قيل هو إلياس ، وقيل هو يوشع بن نون ، وقيل هو نبيّ اسمه ذو الكفل . وقيل كان رجلاً صالحًا تكفّل بأمور فوفّى بها ، وقيل هو زكريا من قوله . ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[1] انتهى .

وقال ابن عسكر : قيل هو نبيّ تكفّل الله له فى عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء ، وقيل لم يكن نبيًّا وإن اليسع استخلفه فتكفّل له أن يصومَ النهار ويقوم الليل ؛ وقيل : أن يصلّيَ كل يوم مائة ركعة . وقيل : هو اليَسع وإن له اسمين .

١٩ - يونس : هو ابن متّى . بفتح الميم وتشديد التاء الفوقيّة ، مقصور ووقع فى تفسير عبد الرزاق أنّه اسم أمّه .

قال ابن حجر : وهو مردود بما فى حديث ابن عباس فى الصحيح ، ونسبه إلى أبيه قال فهذا أصحّ ، قال : ولم أقف فى شيء من الأخبار على اتصال نسبه وقد قيل إنه كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس . روى ابن أبى حاتم ، عن أبى مالك ، أنه لبث فى بطن الحوت أربعين يومًا . وعن جعفر الصادق سبعة أيام وعن قتادة ثلاثة . وعن الشعبيّ قال التقمه « ضُحى » ، ولفظه « عشيّة » .

وفى يونس ست لغات : تثليث النون مع الواو والهمزة ، والقراءة المشهورة بضم النون مع الواو ، قال أبو حيان : وقرأ طلحة بن مصرّف بكسر يونِس

(١) آل عمران ٣٧

ويوسف، أراد أن يجعلهما عربيَّين مشتقين من « أنِس » و « أسِف » وهو شاذ .

٢٠ – إلياس ؛ قال ابن إسحاق فى المبتدأ : هو ابن ياسين بن فنْحاص بن العَيْزار بن هارون أخى موسى بن عمران.

وقال ابن عسكر : حكى القُتَبىّ أنه من سِبْط يوشع .

وقال وهب : إنه عُمِّر كما عمِّر الخضر ، وإنه يبقى إلى آخر الدنيا[١]

وعن ابن مسعود أن إلياس هو إدريس ، وسيأتى قريبًا ؛ وإلياس بهمزة قطْع ، اسم عبرانىّ ، وقد زيد فى آخره ياء ونون ، فى قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْيَاسِين ﴾[٢] ، كما قالوا فى إدريس : « إدراسين » ، ومن قرأ ﴿ آل يَسِ ﴾[٣] فقيل : المراد آل محمّد .

٢١ – اليَسع ؛ قال ابن جبير : هو ابن أخطوب بن العجوز . قال : والعامة تقرؤه بلام واحدة مخففة ، وقرأ بعضهم . ﴿ واللَّيسع ﴾[٤] بلامين وبالتشديد فعلى هذا هو عجمى ؛ وكذا على الأولَى ، وقيل : عربىّ منقول من الفعل ، من وسع يسع .

٢٢ – زكريا ؛ كان من ذريّة سليمان بن داود ، وقُتِل بعد قتل ولده وكان له يوم بُشِّر بولده اثنتان وتسعون سنة . وقيل . تسع وتسعون ، وقيل مائة وعشرون وزكريا اسم أعجمىّ ، وفيه خمس لغات . أشهرها المدّ ، والثانية القصر ؛ وقرئ بهما فى السبع . وزكريّا بتشديد الياء وتخفيفها ، وزكَر كقَلَم

---

(١) ط : «الزمان» (٢) الصافات ١٣٠

(٣) هى قراءة الحسن . وانظر تفسير القرطبى فى ١٥ : ١١٩

(٤) من قوله تعالى فى سورة الأنعام ٨٦ « واسماعيل واليسع »

٢٣ - يحيى ولده أوّل من سمّيَ يحيى ؛ بنصّ القرآن ، ولدقبل عيسى بستة أشهر ، ونبيء صغيراً ، وقتِل ظلماً ، وسلّط الله على قاتليه بخت نصّر وجيوشه ويحيى اسم أعجمي وقيل عربي قال الواحديّ : وعلى القولين لاينصرف .

قال الكرماني : وعلى الثاني إنما سمى به لأنه أحياه الله بالإيمان ، وقيل لأنه حَيِى ، به رَحِم أمّه ، وقيل : لأنه استُشهد ، والشهداء أحياء ، وقيل : معناه « يموت » ، كالمفازة للمهلكة ، والسليم لِلّدِيغ .

٢٤ - عيسى بن مريم بنت عمران ، خلقه الله بلاأب ، وكانت مدة حملة ساعة وقيل ثلاث ساعات ، وقيل ، ستة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر ، وقيل تسعة ولها عشر سنين وقيل خمس عشر ، ورُفع وله ثلاث وثلاثون سنة ، وفى أحاديث أنه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ، ويولد له ؛ ويحج ويمكث فى الأرض سبع سنين ، ويدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم . وفى الصحيح أنه رَبْعة أحمر ؛ كأنما خرج من ديماس - يعنى حماماً .

وعيسى اسم عبرانى أو سريانى .

• • •

فائدة

أخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن عباس قال : لم يكن من الأنبياء من له اسمان إلاعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

٢٥ - محمد صلى الله عليه وسلم ، سمّى فى القرآن بأسماء كثيرة ، منها محمد وأحمد .

• • •

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة ، قال : خمسة سُمُّوا قبل أن يكونوا : محمد ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[١] . ويحيى ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ مُصَدِّقًا ﴾[٢] ، وعيسى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ﴾[٣] وإسحاق ويعقوب ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[٤] قال الراغب : وخصّ لفظ « أحمد » فيما بشر به عيسى ، تنبيهاً على أنه أحمد منه ومن الذين قبله .

• • •

[أسماء الملائكة]

وفيه من أسماء الملائكة :

١ ، ٢ - جبريل وميكائيل ؛ وفيهما لغات : جبريل بكسر الجيم والراء بلاهمز . وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز ، وجبرائيل بهمزة بعد الألف ، وجبرائيل بياءين بلاهمز . وجبرئيل بهمزة وياء بلا ألف ، وجبرئلّ مشددة اللام وقرىء بها . قال ابن جني : وأصله « كوزيال » ، فغيّر بالتعريب وطول الاستعمال إلى ماترى ، وقرئ « ميكاييل » بلا همز ، وميكائيل وميكال .

أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : جبريل عبد الله وميكاييل عبيد الله ، وكل اسم فيه « إيل » فهو معبَّدٌ لله .

وأخرج عن عبد الله بن الحارث قال : إيل : الله بالعبرانية

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد العزيز بن عمير ، قال : اسم جبريل في الملائكة خادم الله .

• • •

(١) الصف ٦
(٢) مريم ٧
(٣) آل عمران ٤٥
(٤) هود ٧١

فائدة

قرأ أبو حيوة ﴿ فأرسلنا إليها روحنّا ﴾ [١] بالتشديد : وفسّره ابن مهران بأنه اسم لجبريل ، حكاه الكرمانيّ فى عجائبه .

٣ ، ٤ - وهاروت وماروت ؛ أخرج ابن أبى حاتم ، عن علىّ ، قال : هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء ، وقد أفردت فى قصتهما جزءاً .

٥ - و الرعد ؛ ففى الترمذىّ ، من حديث ابن عباس أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : أخبرنا عن الرعد ، فقال : ملَك من الملائكة موكّل بالسحاب .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال الرعد ملك يسبّح .

وأخرج مجاهد : إنه سئل عن الرعد فقال : هو ملَك يسمى الرعد . ألم تر أن الله يقول : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ [٢] .

٦ - والبرق ، فقد أخرج ابنُ أبى حاتم ، عن محمد بن مسلم ، قال : بلغنا أن البرق ملَك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مَصَع [٣] بذنبه فذاك البرق .

٧ - ومالك ؛ خازن النار .

٨ - والسجلّ ؛ أخرج ابن أبى حاتم عن أبى جعفر الباقر : قال : السجلّ ملَكٌ وكان هاروت وماروت من أعوانه .

وأخرج عن ابن عمر قال : السجلّ ملك . وأخرج عن السدّى قال : ملَك موكّل بالصحف .

---

(١) مريم ١٧ (٢) الرعد ١٣

(٣) المصع : تحريك الذنب

٩ ـ وقعيد ؛ فقد ذكر مجاهد ، أنه اسم كاتب السيئات ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية . فهؤلاء تسعة .

١٠ ـ وأخرج ابن أبى حاتم من طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة . أن ذا القرنين مَلَكٌ من الملائكة ؛ فإن صح أكمل العشرة .

١١ ـ وأخرج ابن أبى حاتم من طريق علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾(١) قال : ملك من أعظم الملائكة خلقًا فصاروا أحد عشر .

١٢ ـ ثم رأيت الراغب قال فى مفرداته فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) ، قيل : إنه مَلَك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه ، كما روى أن السكينة تنطق على لسان عمر .

• • •

[أسماء الصحابة]

وفيه من أسماء الصحابة : زيد بن حارثة .

والسجلّ فى قول من قال إنه كاتب النبى صلى الله عليه وسلم ، أخرجه أبو داود والنّسائىّ من طريق أبى الجوزاء ، عن ابن عباس .

• • •

أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل :

عمران ؛ أبو مريم . وقيل أبو موسى أيضا وأخو هارون ، وليس بأخى موسى ، كما فى حديث أخرجه مسلم ، وسيأتى آخر الكتاب .

---

(١) النبأ ٣٨ (٢) الفتح ٤

وعزير ؛ وتبّع - وكان رجلاً صالحاً - كما أخرج الحاكم ؛ وقيل نبي حكاه الكرمانيّ في عجائبه .

ولقمان ؛ وقد قيل إنه ، كان نبياً ، والأكثر على خلافه ؛ أخرج ابنُ أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس ؛ قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجّاراً .

ويوسف الذي في سورة غافر .

ويعقوب في أول سورة مريم على ماتقدّم .

وتقيّ في قوله فيها : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [1] . قيل : إنه اسم رجل كان من أمثل الناس ؛ أي إن كنت في الصلاح مثل تقيّ ، حكاه الثعلبي .

وقيل : اسم رجل كان يتعرّض للنساء . وقيل إنه ابن عمها أتاها جبريل في صورته حكاهما الكرماني في عجائبه

• • •

[أسماء النساء] .

وفيه من أسماء النساء :

مريم لاغير ، لنكتة تقدّمت في نوع الكناية ؛ ومعنى مريم بالعبريّة الخادم .

وقيل : المرأة التي تغازل الفتيان ؛ حكاهما الكرمانيّ .

وقيل إن بعلاً في قوله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [2] ؛ اسم امرأة كانوا يعبدونها . حكاه ابن عسكر .

• • •

(١) مريم ١٨ (٢) الصافات ١٢٥

[أسماء الكفار]

وفيه من أسماء الكفار : .

قارون ، وهو ابن يصهر ابن عمّ موسى . كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

وجالوت ، وهامان . وبشرى الذي ناداه الوارد المذكور في سورة يوسف بقوله : ﴿ يَابُشْرَى ﴾ (١) ، في قول السُّدّيّ ، أخرجه ابن أبي حاتم .

وآزر أبو إبراهيم ، وقيل اسمه تارح وآزر لقب ؛ أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحّاك عن ابن عباس قال : إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ؛ إنما كان اسمه تارح ، وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : معنى آزر : الصنم .

وأخرج عن السدّيّ قال : اسم أبيه تارح ، واسم الصنم آزر .

وأخرج عن مجاهد ، قال : ليس آزر أب إبراهيم .

ومنها النسيء ، أخرج ابن أبي حاتم عن أبي وائل . قال : كان رجل يسمى النسيء من بن كنانة ، كان يجعل المحرّم صفرا يستحلّ به الغنائم .

• • •

[أسماء الجن]

وفيه من أسماء الجن :

أبوهم إبليس ، و كان اسمه أولا عزازيل ، أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل .

---

(١) يوسف ١٩

وأخرج ابن جرير عن السُّدِّيّ ، قال : كان اسم إبليس الحارث ، قال بعضهم : هو معنى عزازيل .

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحَّاك ، عن ابن عباس قال : إنما سمّى إبليس ؛ لأن الله أبلسه من الخير كله : آيسه منه .

وقال ابن عساكر : قيل في اسمه قترة، حكاه الخطابيّ . وكنيته أبو كُرْدوس ، وقيل أبو قِترة ، وقيل أبو مرة ، وقيل أبو لبيْنى ، حكّاه السهيليّ في الروض الأُنف .

• • •

[أسماء القبائل] .

فيه من أسماء القبائل :

يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم .

• • •

[أسماء الأقوام بالإضافة]

وفيه من الأقوام بالإضافة :

قوم نوح ، وقوم لوط ، وقوم تبّع ، وقوم إبراهيم ، وأصحاب الأيكة ـ قيل : هم مدين ـ وأصحاب الرّس ، وهم بقيّة من ثمود ، قال ابن عباس وقال عكرمة : هم أصحاب ياسين ، وقال قتادة : هم قوم شعيب ، وقيل هم أصحاب الأُخدود واختاره ابن جرير .

• • •

[أسماء الأصنام]

وفيه من أسماء الأصنام التى كانت أسماء لأناس :

ودّ ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وهى أصنام قوم نوح ، واللاّت ، والعزّى ، ومناة ، وهى أصنام قريش ، وكذا الرُّجز فيمن قرأه بضم الراء ، ذكر الأخفش فى كتاب الواحد والجمع أنه اسم صنم .

والجِبْت والطاغوت ، قال ابن جرير : ذهب بعضهم إلى أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما ، ثم أخرج عن عكرمة قال : الجِبْتُ والطاغوت صنمان .

والرشاد فى قوله فى سورة غافر : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (١) قيل : هو اسم صنم من أصنام فرعون ، حكاه الكرمانىّ فى عجائبه ،

وبعل : وهو صنم قوم إلياس

وآزَر ، على أنه اسم صنم .

روى البخارىّ عن ابن عباس : ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابًا وسمّوها بأسمائهم ؛ ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت .

[وأخرج ابن أبى حاتم عن عروة أنهم أولاد آدم لصلبه .

وأخرج البخارىّ عن ابن عباس ، قال : كان اللاتُّ رجلاً يلتّ سويق الحاجّ وحكاه ابن جنى عنه أنه قرأ ﴿ اللاتّ ﴾ (٢) بتشديد التاء ، وفسّره بذلك . وكذا أخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد .

• • •

(١) غافر ٢٩ (٢) النجم ١٩

[أسماء البلاد والأمكنة]

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والأمكنة والجبال :

بكَّة اسم لمكة ؛ فقيل الباء بدل من الميم ، ومأخذه من تمكّكْتُ العظم ، أي اجتذبت مافيه من المخ ، وتمكَّك الفصيلُ ما في ضَرْع الناقة ؛ فكأنَّها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الأقوات. وقيل : لأنها تمكّ الذنوب ، أي تذهبها ، وقيل لقلة مائها . وقيل لأنَّها في بطن وادٍ تَمكَّك الماء من جبالها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول. وقيل الباء أصل ، ومأخذه من البَكّ ، لأنّها تبكّ أعناق الجبابرة ، أي تكسرهم فيذلون لها ويخضعون ، وقيل من التباكّ وهو الازدحام لازدحام الناس فيها في الطّواف . وقيل مكّة الحرم . وبكّة المسجد خاصة ، وقيل مكّة البلد . وبكّة البيت وموضع الطواف . وقيل البيت خاصة .

والمدينة ؛ سمّيت في الأحزاب بيثرب : حكاية عن المنافقين ، وكان اسمها في الجاهلية ، فقيل لأنه اسم أرض في ناحيتها ، وقيل سمّيت بيثرب ابن وائل من بني إرم بن سام بن نوح ؛ لأنه أوّل مَنْ نزلها ، وقد صحّ النهي عن تسميتها به ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يكره الاسم الخبيث ، وهو يشعر بالثرب وهو الفساد ، أو التثريب وهو التوبيخ .

وبدر : وهي قرية قرب المدينة ، أخرج ابن جرير عن الشعبيّ ، قال : كانت بدر لرجل من جهينة يسمّى بدرًا ، فسمّيت به . قال الواقديّ : فذكرتُ ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه ، وقالا : لأيّ شيء سمّيت الصفراء ورابغ ! هذا ليس بشيء إنّما هو اسم الموضع .

وأخرج عن الضحّاك قال : بدر مابين مكة والمدينة .

وأُحُد : قرئ شاذًا ﴿ إذ تُصعدُون ولا تلْوون على أُحُدٍ ﴾ [١] .

وحُنين : وهى قرية قرب الطائف .

وجَمْع : وهى مزدلفة .

والمشعر الحرام : وهو جبل بها .

ونقع : قيل هو اسم لما بين عرفات إلى مزدلفة ، حكاه الكرمانىّ .

ومصر . وبابل : وهى بلد بسواد العراق .

والأيكة . وليكة ، بفتح اللام : بلد قوم شُعَيب . والثانى : اسم البلدة والأول اسم الكورة .

والحِجْر : منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى .

والأحقاف : وهى جبال الرمل بين عُمَان وحضرموت ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها جبل بالشام .

وطور سيناء : وهو الجبل الذي نودي منه موسى .

والجودىّ : وهو جبل بالجزيرة .

وطوى : اسم الوادي ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس . وأخرج من وجه آخر عنه أنه سمّىَ طوى لأن موسى طواه ليلاً . وأخرج عن الحسن قال : هو واد بفلسطين ، قيل له طوًى ، لأنه قدّس مرتين ، وأخرج عن مبشّر ابن عبيد ، قال : هو وادٍ بأيلة ، طوى بالبَرَكة مرّتين .

والكهف : وهو البيت المنقور فى الجبل .

والرقيم : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : زعم كعب أن الرقيم

---

(١) آل عمران ١٥٣

القرية التى خرجوا منها ، وعن عطيّة قال : الرقيم وادٍ . وعن سعيدبن جُبير مثله ، وأخرج من طريق العَوْفىّ عن ابن عباس قال : الرقيم وادٍ بين عقبان وأَيْلة دون فلسطين ، وعن قتادة قال : الرَّقيم اسم الوادى الذى فيه الكهف ، وعن أنس بن مالك قال : الرقيم الكلب.

والعَرِم : أخرج ابن أبى حاتم ، عن عطاء ، قال : العَرِم اسم الوادى .

وحَرْد : قال السُّدِّىّ : بلغنا أن اسم القرية حَرْد ، أخرجه ابن أبى حاتم .

والصرِيم : أخرج بن جبير عن سعيد بن جبير ، أنها أرض باليمن تسمّى بذلك .

وقْ : وهو جبل محيط بالأرض .

والجُرُز : هو اسم أرض . والطاغية : قيل اسم البقعة التى أهلكت بها ثمود ، حكاهما الكرمانىّ .

• • •

[أسماء الأماكن الأُخروية]

وفيه من أسماء الأماكن الأُخروية :

الفردوس : وهو أعلى مكان فى الجنة .

وعلّيّون : قيل أعلى مكان فى الجنة ، وقيل اسم لما دُوّن فيه أعمال صُلحاء الثقَلين .

والكوثر : نهر فى الجنة ، كما فى الأحاديث المتواترة .

وسلسبيل وتسنيم : عينان فى الجنة .

وسجّين ، اسم لمكان أرواح الكفار .

وصَعُود : جبل فى جهنم ، كما أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعاً .

وغىّ وأثام وموبِق والسعير وسائل وسُحْق : أودية فى جهنم ، أخرج ابن أبى حاتم ، عن أنس بن مالك فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ (١) ، قال وادٍ فى جهنم من قيح ، وأخرج عن عكرمة فى قوله : ﴿ موبقًا ﴾ قال : هو نهر فى النار .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (٢) ، قال : وادٍ فى جهنم ، وأخرج الترمذىّ وغيره من حديث أبى سعيد الخُدرىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويل : وادٍ فى جهنم يهوِي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره » :

وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعودٍ قال : « ويل وادٍ فى جهنم من قيح » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن كعبٍ قال : فى النار أربعة أودية يعذِّب الله بها أهلها : غليظ وموبق وأثام وغىّ .

وأخرج عن سعيد بن جبير قال : السعير وادٍ من قيح فى جهنم ، وسُحْق وادٍ فى جهنم .

وأخرج عن أبى زيد فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ (٣) ، هو وادٍ من أودية جهنم يقال له : سائل . والفلق : جُبٌّ فى جهنم ، فى حديث مرفوع أخرجه ابن جرير .

ويحموم : دخان أسود ، أخرجه الحاكم عن ابن عباس .

• • •

(١) الكهف ٥٢ (٢) مريم ٥٩
(٣) المعارج ١

وفيه من المنسوب إلى الأماكن ، الأُمِّىّ ، قيل نسبة إلى أم القرى مكة .

وعبقرىّ ، قيل إنه منسوب إلى عبقر ، موضع للجن ينسب إليه كلُّ نادر .

والسامرىّ قيل : منسوب إلى أرض يقال لها سامرون ، وقيل سامرة .

والعربىّ - قيل منسوب إلى عربة ؛ وهى باحة دار إسماعيل عليه السلام ، أنشد فيها :

وعَرْبةٍ أرض ما يحلّ حرامَهَا   من الناس إلا اللوذعىُّ الحُلاحلُ

يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

• • •

[أسماء الكواكب]

وفيه من أسماء الكواكب الشمس والقمر ، والطارق ، والشعرى .

• • •

فائدة

[فى أسماء الطير]

قال بعضهم : سمى الله فى القرآن عشرة أجناس من الطير : السلوى ، والبعوض ، والذباب ، والنحل ، والعنكبوت ، والجراد ، والهدهد ، والغراب وأبابيل ، والنمل فإنه من الطير لقوله فى سليمان : ﴿ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾[1] ، وقد فهم كلامها .

وأخرج ابن أبى حاتم عن الشعبى قال : النملة التى فَقِهَ سليمان كلامها كانت ذات جناحين .

• • •

(١) النمل ١٦

فصـــل

[فى الكنى والألقاب فى القرآن]

أما الكُنى ، فليس فى القرآن منها غير أبى لَهب ، واسمه عبد العُزى ، ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعًا ؛ وقيل للإشارة إلى أنه جهنّمىّ .

وأما الألقاب فمنها إسرائيل ، لقب يعقوب ، ومعناه عبدالله ، وقيل صفوة الله ، وقيل سري الله لأنه أسْرَى لمَّا هاجَر ؛ أخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس ، أن إسرائيل كقولك عبد الله .

وأخرج عبد بن حميد فى تفسيره ، عن أبى مجلز ، قال : كان يعقوب رجلا بطيشًا ، فلقى ملكا فعالجه فصرعه الملَك ، فضرب على فخذيه ، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به فقال : ما أنا بتاركك حتى تسمّيَنى اسمًا فسمّاه إسرائيل قال أبومَجْلز : ألاَ ترى أنه من أسماء الملائكة ! .

وفيه لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام ، وقرىء بلا همز .

قال بعضهم : ولم يُخاطَب اليهود فى القرآن إلاَّ بـ « يابنى إسرائيل » دون « يابنى يعقوب » لنكتة ، وهو أنهم خوطبوا بعبادة الله ، وذكّروا بدين أسلافهم موعظة لهم ، وتنبيهًا من غفلتهم ، فسمّوا بالاسم الذى فيه تذكرة بالله تعالى ، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله فى التأويل . ولمّا ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب ، وكان أولى من إسرائيل ، لأنها موهبة بعقِبٍ آخر ، فناسب ذكر اسم يشعر بالتعقيب .

ومنها المسيح ، لقب لعيسى ، ومعناه قيل الصديق ، وقيل : الذى ليس لرجله أخمص ، وقيل : الذى لايمسح ذا عاهة إلا برئ ، وقيل : الجميل ، وقيل : الذى يمسح الأرض ، أي يقطعها ، وقيل غير ذلك .

ومنها إلياس ؛ قيل إنه لقب إدريس . أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن مسعود ، قال : إلياس هو إدريس . وإسرائيل هو يعقوب ، وفي قراءته ، ﴿ وإن إدراس لمن المرسلين ﴾ [١] ﴿ سلام على إدراسين ﴾ [٢] ، وفي قراءة أبي ﴿ وأن إيليسين ﴾ ﴿ سلام على إيليسين ﴾ .

ومنها ذو الكِفْل ؛ قيل إنه لقب إلياس . وقيل لقب إليسع ، وقيل لقب يوشع ، وقيل لقب زكريا .

ومنها نوح ، اسمه عبد الغفار ولقبه نوح لكثرة نَوْحه على نفسه في طاعة ربّه ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرّقاشيّ .

ومنها ذو القرنين واسمه إسكندر ، وقيل عبد الله بن الضَّحاك بن سعد ، وقيل المنذر بن ماء السماء ، وقيل الصعب بن قرين بن الهمّال. حكاهما ابن عسكر . ولقّب ذا القرنين لأنه بلغ قرنَيِ الأرض المشرق والمغرب . وقيل لأنه ملك فارس والروم ، وقيل كان على رأسه قرنان ، أي ذؤابتان . وقيل كان له قرنان منْ ذهب ، وقيل : كانتْ صفحتا رأسه من نحاس . وقيل : كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة ، وقيل إنه ضُرب على قرنه فمات ثم بعثه الله . فضربوه على قَرْنه الآخر ، وقيل : لأنه كان كريم الطَّرفين ، وقيل أنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حيّ ، وقيل : لأنه أُعْطِيَ علم الظاهر وعلم الباطن . وقيل : لأنه دخل النور والظلمة .

ومنها فرعون ، واسمه الوليد بن مصعب ، وكنيته أبو العباس ، وقيل : أبو الوليد ، وقيل : أبو مرة .

---

(١) الصافات ١٢٣ (٢) الصافات ١٣٠

وقيل إن فرعون لقب لكل من ملك مصر .

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : كان فرعون فارسياً من أهل إصْطَخْر

ومنها تُبّع ، قيل كان اسمه أسعد بن ملكي ـ كَرِب ، وسمّيَ تُبَّعًا لكثرة مَنْ تَبعه . وقيل إنّه لقب ملوك اليمن ، سمّيَ كل واحد منهم تُبَّعًا ، أي يتبع صاحبه ، كالخليفة يخلف غيره .

• • •

النوع السبعون

فى المُبْهَمَات

أفرده بالتأليف السهيلى[١] ، ثم ابن عساكر[٢] ، ثم القاضى بدر الدين بن جماعة[٣] . ولى فيه تأليف لَطِيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صِغَر حجمه جدًا ، وكان من السلف مَنْ يعتنى به كثيرًا . قال عِكْرمة : طلبت الذى خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ، ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة .

[أسباب الإبهام فى القرآن]

وللإبهام فى القرآن أسباب :

أحدها : الاستغناء ببيانه فى موضع آخر ، كقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[٤] ، فإنه مبيَّن فى قوله : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أنعم الله عَلَيْهِمْ مِنَ النبيِّينَ والصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾[٥] .

الثانى : أن يتعيَّن لاشتهاره ، كقوله : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[٦] ، ولم يقل : « حوّاء » لأنه ليس له غيرها .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ ﴾[٧] ، والمراد نمروذ لشهرة ذلك ؛

---

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى ، صاحب كتاب الروض الأنف على سيرة ابن هشام ، ولد بمالقة سنة ٥٠٨ ، وتوفى بمراكش سنة ٥٨١ وانظر ترجمته ومراجعها فى انباه الرواة ٢ : ١٦٢ واسم كتابه التعريف والاعلام لما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام.

(٢) هو محمد بن على بن الخضر المعروف بابن عساكر ، واسم كتابه التكميل والاتمام .

(٣) هو محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ، بدر الدين ، من علماء الحديث ، واسم كتابه «غرر البيان لمبهمات القرآن» ، توفى سنة ٧٣٣ ، بكت الهميان ٢٣٥ .

(٤) الفاتحة ٧

(٥) النساء ٦٩

(٦) البقرة ٣٥

(٧) البقرة ٢٥٨

لأنه المرسل إليه . قيل : وقد ذكر الله فرعون فى القرآن باسمه ولم يسمّ نمروذ ؛ لأن فرعون كان أذكى منه ، كما يؤخذ من أجوبته لموسى ، ونمروذ كان بليدًا ولهذا قال : ﴿ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ ﴾ ، وفعَل مافعل من قتل شخص والعفو عن آخر ، وذلك غاية البلادة .

الثالث : قَصْد السَّتْر عليه ، ليكون أبلغَ فى استعطافه ، نحو : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . ﴾[1] الآية ، هو الأخنس بن شريق ؛ وقد أسلم بعدُ وحسن إسلامه .

الرابع : ألاّ يكون فى تعيينه كبيرفائدة ، نحو : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾[2] ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾[3] .

الخامس : التنبيه على العموم ، وأنه غير خاص ، بخلاف مالو عيّن ؛ نحو : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾[4] .

السادس : تعظيمهُ بالوصف الكامل دون الاسم ، نحو : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ ﴾[5] ، ﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾[6] ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾[7] والمراد الصدِّيق فى الكلّ .

السابع : تحقيره بالوصف الناقص ، نحو : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[8]

* * *

---

(١) البقرة ٢٠٤ (٢) البقرة ٢٥٩

(٣) الأعراف ١٦٣ ، قال فى البرهان : المراد أيلة أو طبرية

(٤) النساء ١٠٠

(٥) النور ٢٢ ، نزلت فى الصديق حين حلف الا ينفع مسطح بن أثاثه بنافعة أبدا بعد ما قال فى عائشة ما قال .

(٦) الزمر ٣٣ (٧) التوبة ٤٠

(٨) الكوثر ٣

تنبيه

قال الزركشىّ فى البرهان : لايُبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه ، كقوله : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دونهم لَاتَعْلَمُونَهُمْ الله يَعْلَمُهُمْ ﴾[1] قال : والعَجب ممن تجرأ وقال : إنَّهُمْ قُرَيظة ، أو من الجن[2] .

قلت : ليس فى الآية مايدلُّ على أن جنسهم لايُعلم ، إنما المنفىّ علم أعيانهم ، ولاينافيه العلم بكونهم من قُريظة ، أو من الجن ، وهو نظير قوله فى المنافقين : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾[3] فإن المنفىّ علم أعيانهم. ثم القول فى أولئك بأنهم بنُو قُرَيظة ، أخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد . والقول بأنهم من الجن ، أخرجه ابن أبى حاتم من حديث عبد الله بن غريب ، عن أبيه مرفوعًا ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلا جرأة .

• • •

فصل

[فى ذكر آيات المبهمات]

اعلم أن علم المبهمات مرجعهُ النقل المحض ، لامجال للرأى فيه ، ولما كانت الكتُب المؤلفة فيه وسائر التفاسير يُذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها ، دون بيان مستنَد يُرجع إليه ، أو عُزْو يُعتمد عليه : ألّفت الكتاب الذى ألّفته ، مذكورًا فيه عَزْو كلّ قول إلى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم ، معزوًّا إلى أصحاب الكتب الذين خرّجوا ذلك بأسانيدهم ، مبيّنًا فيه ماصحّ سنده وما ضعف. فجاء لذلك كتابًا حافلا لانظير له فى نوعه ، وقد رتّبته على ترتيب

(١) الأنفال ٦٠ (٢) البرهان ١ : ١٥٥
(٣) التوبة ١٠١

القرآن ، وأنا ألخص هنا مبهماته بأوْجز عبارة ، تاركًا العَزْو والتخريج غالبًا ، اختصارًا وإحالة على الكتاب المذكور ، وأرتبه على قسمين :

القسم الأول : فيما أُبْهَم من رجل أو امرأة أو مَلَكٍ أو جنّيّ ، أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم ، أو مَنْ ، أو الَّذى ، إذا لم يُرَد به العموم :

قوله تعالى : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١) ، هو آدم وزوجه حواء بالمدّ ، لأنها خلقت من حيّ .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾(٢) ، اسمه عاميل .

﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾(٣) ، هو النبيّ صلى الله عليه وسلم .

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾(٤) ، هم إسماعيل وإسحاق ومدين وزمْران وسرْح ونفش ونفشان وأميم وكيسان وسورَح ولوطان ونافش .

﴿ والأسباطِ ﴾(٥) : أولاد يعقوب اثنا عشر رجلا : يوسف ، وروبيل ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، ودان ، ونفتالى بفاء ومثناة ، وجاد (*) وأشير ، ويشجر ، وريالون ، وبنيامين .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ﴾(٦) ، هو الأخنس بن شريق .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يشرِى نَفْسَه ﴾(٧) ، هو صهيب .

﴿ إذ قالوا لنبىٍّ لهم ﴾(٨) ، هو شمويل ، وقيل : شمعون ، وقيل يوشع .

---

(١) البقرة ٣٠ (٢) البقرة ٧٢

(٣) البقرة ١٢٩ (٤) البقرة ١٣٢

(٥) من قوله تعالى فى البقرة ١٣٦ (ويعقوب والأسباط) .

(٦) البقرة ٢٠٤ (٧) البقرة ٢٠٧

(٨) البقرة ٢٤٦

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٥٠ وكاد .

﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ﴾ (١) ، قال مجاهد : موسى . ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾(١) ، قال : محمد .

﴿ الذى حاجَّ إبراهيم فى ربه ﴾(٢) ، نمروذ بن كنعان .

﴿ أَوْ كالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾(٣) عُزير ، وقيل أرمياء ، وقيل حزقيل .

﴿ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ﴾(٤) ، حنّة بنت فاقوذ .

﴿ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ ﴾(٥) ، هى أشياع ، أو أشيع بنت فاقود .

﴿ مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ ﴾(٦) ، هو محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ إلى الطاغوت ﴾(٧) : قال ابن عباس : هو كعب بن الأشرف ، أخرجه أحمد .

﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾(٨) ، هو عبد الله بن أُبَىّ .

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾(٩) ، هو عامر بن الأضبط الأشجعىّ ، وقيل مرداس ، والقائل ذلك نفر من المسلمين ، منهم أبو قتادة ومحلِّم بن جثّامة . وقيل إن الذى باشر القول محلِّم ، وقيل إنه الذى باشر قتله أيضا ، وقيل : قتله المقداد بن الأسود ، وقيل : أسامة ابن زيد .

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾(١٠) ، هو ضمرة بن جندب ، وقيل ابن العيص ، رجل من خُزاعة ، وقيل :

---

(١) البقرة ٢٥٣ (٢) البقرة ٢٥٨
(٣) البقرة ٢٥٩ (٤) آل عمران ٣٥
(٥) آل عمران ٤٠ (٦) آل عمران ١٩٣
(٧) النساء ٦٠ (٨) النساء ٧٢
(٩) النساء ٩٤ (١٠) النساء ١٠٠

أبو ضمرة بن العيص ، وقيل اسمه سبَرة ، وقيل : هو خالد بن حزام ، وهو غريب جداً .

﴿ وبعثنا منهمُ اثنَيْ عَشَرَ نقيباً ﴾[١] ، هم : شموع بن زكور من سبط رُوبيل ، وشوقط بن حورى من سبط. شمعون ، وكالب بن يوفنَّا من سبط يهوذا ، وبعورك بن يوسف من سبط إشاجر ، ويوشع بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف ، وبلطى بن روفوا من سبط بنيامين ، وكرابيل بن سودِى من سبط زبالون ، وكدّى بن شاس من سبط. منشابن يوسف ، وعماييل بن كسل من سبط دان ، وسَتُور بن ميخائيل من سبط أشير ، ويوحنَّا بن وقوسى من سبط. نفتالى ، وإلّ بن موخا من سبط كاذلوا .

﴿ قَالَ رَجُلاَنِ ﴾[٢] ، هما يوشع وكالب .

﴿ نَبأَ ابْنَيْ آدَمَ ﴾[٣] ، هما قابيل وهابيل ، وهو المقتول .

﴿ الذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾[٤] ، بلعم ، ويقال : بلعام بن آير ، ويقال باعَر ، ويقال باعور . وقيل : هو أُميّة بن أبي الصلت ، وقيل : صيفى بن راهب ، وقيل : فرعون ، وهو أغربها .

﴿ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾[٥] ، عَنَى سُراقة بن جُعشم .

﴿ فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾[٦] ، قال قتادة : هم أبو سفيان وأبو جهل وأُميّة ابن خَلَف وسُهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة .

---

(١) المائدة ١٢ وقد وقع في ضبط أسماء النقباء اختلاف كثير في المراجع ، واعتمدت هنا مافى مخطوطة الأصل . وانظر تفسير الطبرى ١٠ : ١١٤ ، وتفسير القرطبى ٦ : ١١٣ ، وماسبق فى هذا الجزء ص ٨٢

(٢) المائدة ٢٣ (٣) المائدة ٢٧

(٤) الأعراف ١٧٥ (٥) الأنفال ٤٨

(٦) التوبة ١٢

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾[1] ، هو أبو بكر الصديق .

﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾[2] ، قال مجاهد : هم عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول ورفاعة بن التابوت وأوس بن قَيْظِيّ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَن لِي ﴾[3] ، هو الجدّ بن قيس .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يلمزك فِي الصَّدَقَاتِ ﴾[4] ، هو ذو الخُوَيْصِرة .

﴿ إِن نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ﴾[5] ، هو مخشيّ بن حميِّر .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ ﴾[6] ، هو ثعلبة بن حاطب .

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾[7] ، قال ابن عباس : هم سبعة : أبولبابة وأصحابه ، وقال قتادة : سبعة من الأنصار : أبو لُبابة . وجدّ بن قيس . وخذام . وأوْس ، وكردم . ومرداس .

﴿ وآخَرُونَ مُرجَوْنَ ﴾[8] ، هم هلال بن أميَّة ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾[9] ، قال ابن إسحاق : اثنا عشر من الأنصار : خذام بن خالد ، وثعلبة بن حاطب ، وهو من بني أمية بن زيد ، ومعتّب بن قُشَير ، وأبوحبيبة بن الأزعر ، وعبّاد بن حُنيف ، وجارية بن عامر وابناه مجمّع وزيد ، ونبتل بن الحارث وبحزَج ، وبجاد بن عثمان ، ووديعة ابن ثابت .

---

(١) التوبة ٤٠
(٢) التوبة ٤٧
(٣) التوبة ٤٩
(٤) التوبة ٥٨
(٥) التوبة ٦٦
(٦) التوبة ٧٥
(٧) التوبة ١٠٢
(٨) التوبة ١٠٦
(٩) التوبة ١٠٧

﴿ لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾(١) : هو أبو عامر الراهب .

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ ﴾(٢) ، وهو محمدٌ صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾(٢) هو جبريل ، وقيل هو القرآن ، وقيل : أبو بكر ، وقيل عليّ .

﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾(٣) ، اسمه كنعان ، وقيل يام .

﴿ وامرأته قائمةٌ ﴾(٤) اسمها سارة .

« بنات لوط. »(٥) : ريثا ورغوثا .

﴿ لَيُوسُفُ وَأَخوه ﴾(٦) ، بنيامين شقيقه .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾(٧) ، هو روبيل ، وقيل يهوذا ، وقيل شمعون .

﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾(٨) : هو مالك بن دعْر .

﴿ وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ ﴾(٩) – هو قطيفير . أو أطيفير – ﴿ لامْرَأَتِهِ ﴾(٩) هي راعيل ، وقيل : زليخا .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾(١٠) ، هو مجلث وبنوه . وهو الساقى ، وقيل راشان ومرطش ، وقيل شرهم وسرهم .

﴿ للذى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ ﴾(١١) : هو الساقى .

﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾(١١) ، هو الملك ريان بن الوليد .

---

(١) التوبة ١٠٧ (٢) هود ١٧

(٣) هود ٤٢ (٤) هود ٧١

(٥) انظر هود ٧٨ ، وهود من قوله تعالى : (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) .

(٦) يوسف ٨ (٧) يوسف ١٠

(٨) يوسف ١٩ (٩) يوسف ٢١

(١٠) يوسف ٣٦ (١١) يوسف ٤٢

﴿ بِأَخٍ لَكُمْ ﴾[١] . هو بنيامين . وهو المتكرر فى السورة

﴿ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ ﴾[٢] عنوا يوسف .

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾[٣] . هو شمعون . وقيل روبيل .

﴿ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾[٤] . هماأبوه وخالته ليًا . وقيل أمه . واسمها راحيل

﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[٥] هو عبد الله بن سلام وقيل : جبريل

﴿ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾[٦] . هو إسماعيل .

﴿ وَلِوَالِدَيَّ ﴾[٧] . اسم أبيه تارح ، وقيل آزر . وقيل يازر . واسم أمه مثانى . وقيل نوفا ، وقيل ليُوثا .

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[٨] ، قال سعيد بن جُبير : هم خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل . وأبوزمعة . والحارث بن قيس . والأسود ابن عبد يغوث .

﴿ رَجُلَيْنِ أحدهما أبكم ﴾[٩] . هو أسِيد بن أبى العيص .

﴿ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾[٩] . عثمان بن عفّان .

﴿ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾[١٠] . هى ريطة بنت سعيد بن زيد مناة بن تميم .

﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾[١١] عنوا عبدَ ابن الحضرمىّ . واسمه مِقْيَس

---

(١) يوسف ٥٩
(٢) يوسف ٧٧
(٣) يوسف ٨٠
(٤) يوسف ٩٩
(٥) الرعد ٤٣
(٦) ابراهيم ٣٧
(٧) ابراهيم ٤١
(٨) الحجر ٩٥
(٩) النحل ٧٦
(١٠) النحل ٩٢
(١١) النحل ١٠٣

وقيل عبدين له : يسار وجبر ، وقيل : عَنَوْا قَيْنًا بمكة اسمه بلعام ، وقيل سلمان الفارسيّ .

﴿ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾(١) ، تمليخا ، وهو رئيسهم والقائل : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾(٢) ، والقائل : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾(٣) ، وتكسلمينا ، وهو القائل : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾(٣) ، ومرطوش وبراشق وأيونس وأريسطانس وشلططيوس .

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ ﴾(٣) ، هو تمليخا .

﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾(٤) ، هو عُيينة بن حصن .

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ ﴾(٥) . هما تمليخا – وهو الخيرّ – وفطروس ، هما المذكوران في سورة الصافات .

﴿ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾(٦) . هو يوشع بن نون ، وقيل أخوه يثربي .

﴿ فوجد عبدًا ﴾(٧) هو الخِضر واسمه بليا

﴿ لَقِيَا غُلاَمًا ﴾(٨) ، اسمه جيسور ، بالجيم ، وقيل بالحاء .

﴿ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾(٩) ، هو هُدَد بن بُدَد .

﴿ وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ ﴾(١٠) ، اسم الأب كازيرا والأمّ سهوى .

﴿ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ ﴾(١١) ، هما أصرم وصُريم .

---

(١) الكهف ٩ (٢) الكهف ١٦
(٣) الكهف ١٩ (٤) الكهف ٢٨
(٥) الكهف ٣٢ (٦) الكهف ٦٠
(٧) الكهف ٦٥ (٨) الكهف ٧٤
(٩) الكهف ٧٩ (١٠) الكهف ٨٠
(١١) الكهف ٨٢

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾[1] قيل : عيسى ، وقيل جبريل .

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ﴾[2] ، هو أُبَيّ بن خلف ، وقيل أُميّة بن خلف ، وقيل الوليد بن المغيرة .

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾[3] هو العاصي بن وائل .

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾[4] هو القطبيّ ، واسمه فاقون

﴿ السَّامِرِيُّ ﴾[5] ، اسمه موسى بن ظفر .

﴿ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾[6] ، هو جبريل .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ﴾[7] ، هو النضر بن الحارث .

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾[8] ، أخرج الشيخان عن أبي ذرّ ، قال : نزلت هذه الآية في حمزة وعُبيدة بن الحارث وعليّ بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد ابن عتبة .

﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾[9] ، قال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن أنيس .

﴿ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ﴾[10] ، هم حسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ، وعبد الله بن أبيّ ، وهو الذى تولىّ كبره .

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ ﴾[11] ، هو عقبة بن أبي مُعَيط .

---

(١) مريم ٢٤
(٢) مريم ٦٦
(٣) مريم ٧٧
(٤) طه ٤٠
(٥) طه ٨٥
(٦) طه ٩٦
(٧) الحج ٣
(٨) الحج ١٩
(٩) الحج ٢٥
(١٠) النور ١١
(١١) الفرقان ٢٧

﴿ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا ﴾[١] ، هو أميّة بن خلف ، وقيل أُبَيّ بن خلف .

﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ ﴾[٢] ، قال الشعبيّ : هو أبو جهل .

﴿ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾[٣] ، هي بَلقيس بنت شراحيل .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾[٤] ، اسم الجائي منذر .

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾[٥] ، اسمه كَوْزَن .

﴿ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ ﴾[٦] ، هو آصف بن برخيا كاتبه ، وقيل : رجل يقال له ذو النور ، وقيل أسطوم ، وقيل مَليخا ، وقيل بلخ ، وقيل هو ضبّة أبو القبيلة ، وقيل جبريل ، وقيل مَلَكٌ آخر . وقيل الخضر .

﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾[٧] : هم رُعمَى ورُعَيم وهرْمَى وهُريم ودأب وصَواب ورآب ومسطع وقُدار بن سالف عاقر الناقة .

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾[٨] ، اسم الملتقط طابوث .

﴿ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ﴾[٩] آسية بنت مزاحم .

﴿ أُمِّ مُوسَى ﴾[١٠] ، يحانذ بنت يصهر بن لاوى ، وقيل ياء وخا ، وقيل أبا ذخت .

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ ﴾[١١] ، اسمها مريم ، وقيل كلثوم .

﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾[١٢] ، هو السّامِرِيّ . ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[١٢] اسمه فاتون .

---

(١) الفرقان ٢٨ — (٢) الفرقان ٥٥
(٣) النمل ٢٣ — (٤) النمل ٣٦
(٥) النمل ٣٩ — (٦) النمل ٤٠
(٧) النمل ٤٨ — (٨) القصص ٨
(٩) القصص ٩ — (١٠) القصص ١٠
(١١) القصص ١١ — (١٢) القصص ١٥

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾(١) ، هو مؤمن آل فرعون ، واسمه شَمعان ، وقيل شمعون ، وقيل جبر ، وقيل حبيب ، وقيل حزقيل .

﴿ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾(٢) ، هماليا وصفوريا ، وهى التى نكحها ، وأبوهما شعيب ، وقيل : يثرون ، ابن أخى شعيب .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴾(٣) ، اسمه باران ، بالموحّدة ، وقيل داران ، وقيل أنعم وقيل مِشْكَم .

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ﴾(٤) ، نزلت فى علىّ بن أبى طالب والوليد بن عقبة .

(* ﴿ ملك الموْت ﴾(٥) اشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل ، ورواه أبو الشيخ بن حبان عن وهب*)

﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾(٦) ، قال السُّدِّىّ : هما رجلان من بنى حارثة أبو عرابة بن أوس وأوس بن قيظىّ .

﴿ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾(٧) ، قال عِكْرِمة : كانت تحته يومئذ تسع نسوة ، عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وصفية ، وميمونة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية . وبناته فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم .

﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾(٨) ، قال صلى الله عليه وسلم : هم علىّ وفاطمة والحسن والحسين .

---

(١) القصص ٢٠
(٢) القصص ٢٣
(٣) لقمان ١٣
(٤) السجدة ١٨
(٥) السجدة ١١
(٦) الأحزاب ١٣
(٧) الأحزاب ٥٩
(٨) الأحزاب ٣٣
(*-*) من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٥٢

﴿ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾[١] ، هو زيد بن حارثة ، ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾[١] ، هى زينب بنت جحش .

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾[٢] ؛ قال ابن عباس : هو آدم .

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ ﴾[٣] ، هما شمعون ويوحنا ، والثالث بولس ، وقيل هم صادق وصدوق وشَلُوم .

﴿ وَجَاءَ من أقصى المدينة رَجُلٌ ﴾[٤] ، هو حبيب النجّار .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ ﴾[٥] ، هو العاص بن وائل ، وقيل أُبَيّ بن خلف ، وقيل أميّة بن خلف .

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ ﴾[٦] ، هو إسماعيل أو إسحاق ؛ قولان شهيران .

﴿ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾[٦] ؛ همّا ملكان ، قيل إنهما جبريل وميكائيل .

﴿ جَسَدًا ﴾[٧] ، هو شيطان يقال له أَسِيد ، وقيل صخر ، وقيل حبقيق .

﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ﴾[٨] ، قال نوف : الشيصان الذى مسّه يقال له مِسعَط . .

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾[٩] ، محمد ، وقيل جبريل ، ﴿ وصدّق به ﴾[١٠] محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل أبو بكر .

﴿ اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا ﴾[١١] ، إبليس وقابيل .

---

(١) الأحزاب ٣٧
(٢) الأحزاب ٧٢
(٣) يس ١٤
(٤) يس ٢٠
(٥) يس ٧٧
(٦) الصافات ١٠١
(٧) ص ٢١
(٨) ص ٣٤
(٩) ص ٤١
(١٠) الزمر ٣٣
(١١) فصلت ٢٩

﴿ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ ﴾(١) ، عنوا الوليد بن المغيرة من مكة ، ومسعود ابن عمرو الثقفيّ ، وقيل عروة بن مسعود من الطائف .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً ﴾(٢) ، الضارب له عبد الله بن الزِّبَعْرَى

﴿ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾(٣) ، قال ابن جبير : هو أبوجهل .

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٤) . هو عبد الله بن سلاَم .

﴿ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾(٥) . أصحّ الأقوال أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ يُنَادِي الْمُنَادِي ﴾(٦) . هو إسرافيل .

﴿ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(٧) . قال عثمان بن محصن : كانوا أربعة من الملائكة : جبريل وميكائيل وإسرافيل ورفائيل .

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ ﴾(٨) . قال الكرماني : أجمع المفسرون على أنه إسحاق إلا مجاهداً فإنه قال : هو إسماعيل .

﴿ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾(٩) . جبريل .

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾(١٠) . هو العاصى بن وائل . وقيل الوليد ابن المغيرة .

﴿ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾(١١) ، هو إسرافيل .

(١) الزخرف ٣١
(٢) الزخرف ٥٧
(٣) الدخان ٤٤
(٤) الأحقاف ١٠
(٥) الأحقاف ٣٥
(٦) ق ٤١
(٧) الذاريات ٢٤
(٨) الذاريات ٢٨
(٩) النجم ٥
(١٠) النجم ٣٣
(١١) القمر ٦

﴿ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ ﴾(١) ، هى خوْلة بنت ثعلبة ، ﴿ فى زَوْجِهَا ﴾(١) هو ـ أوسْ بن الصامت .

﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَ اللّٰهُ لكَ ﴾(٢) . هى سرِيته مارية .

﴿ أَسَرَّ النَّبِىّ إِلَى بَعْض أَزْوَاجِهِ ﴾(٣) ، هى حفصة ، ﴿ نَبَّأَتْ بهِ ﴾(٣) أخبرت عائشة .

﴿ إِنْ تَتُوبَا ﴾(٤) ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا ﴾(٤) ، هما عائشة وحفصة ، ﴿ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ ﴾(٤) ، هما أبو بكر ، وعمر ، أخرجه الطبرانىُّ فى الأَوسط .

﴿ امْرَأَةَ نُوح ﴾(٥) ، والعة ؛ ﴿ وَامْرَأَةَ لوط ﴾(٥) ، والهة ، وقيل واعلة

﴿ وَلاَ تُطِعْ كلَّ حَلاَّفٍ ﴾(٦) ، نزلتْ فى الأَسود بن عبد يغوث ، وقيل : الأخنس بن شريق ، وقيل : الوليد بن المغيرة .

﴿ سَأَلَ سَائِل ﴾(٧) ، هو النَّضر بن الحارث .

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَىَّ ﴾(٨) اسم أبيه لمك بن متُوشلخ ، واسم أمه شَمْخَا بنت أنوش .

﴿ سَفِيهُنَا ﴾(٩) ، هو إبليس .

﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾(١٠) ، هو الوليد بن المغيرة .

﴿ فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى . . . ﴾(١١) ، الآيات ، نزلت فى أبى جهل .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾(١٢) ، هو آدم .

(١) المجادلة ١
(٢) التحريم ١
(٣) التحريم ٣
(٤) التحريم ٤
(٥) التحريم ١٠
(٦) القلم ١٠
(٧) المعارج ١
(٨) نوح ٢٨
(٩) الجن ٤
(١٠) المدثر ١١
(١١) القيامة ٣١
(١٢) الانسان ١

﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾[١] . قيل : هو إبليس .

﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾[٢] ، هو عبد الله بن أم مكتوم ، ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴾[٣] ، هو أمية بن خلف ، وقيل هو عتبة بن ربيعة .

﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٤] ، قيل جبريل ، وقيل محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ . . . ﴾[٥] ، الآيات ، نزلت فى أمية بن خلف .

﴿ وَوَالِدٍ ﴾[٦] ، هو آدم .

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﴾[٧] ، هو صالح .

﴿ الْأَشْقَى ﴾[٨] هو أمية بن خلف ، ﴿ الْأَتْقَى ﴾[٩] هو أبو بكر الصدّيق

﴿ الَّذِي يَنْهَى ، عَبْدًا ﴾[١٠] هو أبو جهل ، والعبد هو النبى صلى الله عليه وسلم .

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾[١١] . هو العاصى بن وائل ، وقيل : أبو جهل ، وقيل : عُقْبة بن أبي مُعَيط ، وقيل : أبو لَهب ، وقيل : كَعْب بن الأشرف .

﴿ امرأَتُهُ ﴾[١٢] امرأة أبي لهب أمّ جميل العوراء بنت حرب بن أميّة .

• • •

(١) النبأ ٤٠
(٢) عبس ٢
(٣) عبس ٥
(٤) التكوير ١٩
(٥) الفجر ١٥
(٦) البلد ٣
(٧) الشمس ١٣
(٨) الليل ١٥
(٩) الليل ١٧
(١٠) العلق ٩ ، ١٠
(١١) الكوثر ٣
(١٢) المسد ٤

القسم الثانى فى مبهمات الجموع الذين عرفت أسماء بعضهم -

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ ﴾(١) سُمِّيَ منهم رافع بن حرملة

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء ﴾(٢) . سمى منهم رفاعة بن قيس وقردم بن عمر وكعب بن الأشرف ورافع بن حرملة والحجاج بن عمرو والربيّع بن أبي الحُقيق .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا . . . ﴾(٣) الآية سُمِّيَ منهم رافع ومالك بن عوف .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾(٤) ، سُمِّيَ منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾(٥) ، سُمِّيَ منهم عمرو بن الجموح .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾(٦) ، سُمِّيَ منهم عُمر ومعاذ وحمزة .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾(٧) ، سُمِّيَ منهم عبد الله بن رَواحة .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾(٨) ، سُمِّيَ منهم ثابت بن الدحداح وعبّاد ابن بشر وأُسَيد بن الحُضَيْر . مصغَّر .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾(٩) . سُمِّيَ منهم النعمان ابن عمرو والحارث بن زيد .

---

(١) البقرة ١١٨
(٢) البقرة ١٤٢
(٣) البقرة ١٧٠
(٤) البقرة ١٨٩
(٥) البقرة ٢١٥
(٦) البقرة ٢١٩
(٧) البقرة ٢٢٠
(٨) البقرة ٢٢٢
(٩) آل عمران ٢٣

﴿ الْحَوَارِيُّونَ ﴾[١] . سُمّى منهم فطرس ويعقوبس ويحنّس وأندرابس وفيلس ودرنايوطا وسرجس ، وهو الذى ألقى عليه شبهه .

﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا . . . ﴾[٢] . هم اثنا عشر من اليهود سمّىَ منهم عبد الله بن الصّيف ، وعدىّ بن زيد ، والحارث بن عمرو .

﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾[٣] . قال عكرمة : نزلت فى اثنى عشر رجلا ، منهم أبو عامر الرّاهب ، والحارث بن سويد بن الصّامت . ووحوح بن الأسلت . وزاد ابنُ عُسكر : وطعيمة بن أُبيرق .

﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٤] سُمّىَ من القائلين عبد الله بن أُبَىّ .

﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هاهنا ﴾[٤] ، سُمّىَ من القائلين عبد الله بن أُبَىّ ومعتّب بن قشير .

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا ﴾[٥] . القائل ذلك عبد الله . والدجابر بن عبد الله الأنصارى . والمقول لهم عبد الله بن أُبَىّ وأصحابه .

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ ﴾[٦] . هم سبعون ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ والزُبَيْر وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة لبن الجراح .

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾[٧] ، سُمّىَ من القائلين نعيم بن مسعود الأشجعى

---

(١) آل عمران ٥٢
(٢) آل عمران ٧٢
(٣) آل عمران ٨٦
(٤) آل عمران ١٥٤
(٥) آل عمران ١٦٧
(٦) آل عمران ١٧٢
(٧) آل عمران ١٧٣

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾(١) ، قال ذلك فِنْحاص ، وقيل : حُيَيّ بن أخطب ، وقيل كعب بن الأشرف .

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ ﴾(٢) ، نزلت فى النجاشيّ ، وقيل فى عبد الله بن سلاَم وأصحابه .

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾(٣) ، قال ابنُ إسحاق : أولاد آدم لصُلبه أربعون فى عشرين بطنًا ، كلّ بطن ذكر وأنثى ، وسُمِّيَ من بنيه : قابيل وهابيل وإياد وشبونة وهند وصرابيس ومخور وسند وبارق وشيث وعبد المغيث وعبد الحارث وودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، ومن بناته : أقليمة وأشوف وجزوزة وعزورا وأَمَة المغيث .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ ﴾(٤) قال عكرمة : نَزَلت فى رفاعة بن زيد بن التابوت ، وكردم بن زيد . وأسامة ابن حبيب ورافع بن أبى رافع ، وبحرى بن عمرو ، وحُيَيّ بن أخطب .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ﴾(٥) ، نزلتْ فى الجُلاس بن الصَّامت ومعتّب بن قُشير ورافع بن زيد وبشر .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾(٦) . سُمِّيَ منهم عبد الرحمن ابن عوف .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ ﴾(٧) ، قال ابن عباس : نزلت فى هلال

---

(١) آل عمران ١٨١
(٢) آل عمران ١٩٩
(٣) النساء ١
(٤) النساء ٤٤
(٥) النساء ٦٠
(٦) النساء ٧٧
(٧) النساء ٩٠

ابن عُويمر الأسلمىّ وسُراقة بن مالك المدلجىّ . وفى خُزَيمة(١) بن عامر بن عبد مناف .

﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ ﴾(٢) ، قال السُّدّىّ : نزلت فى جماعة . منهم نُعيم ابن مسعود الأشجعىّ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ ﴾(٣) سمى عكرمة منهم : علىّ بن أُميَّة بن خلَف ، والحارث بن زمعة . وأبا قيس بن الوليد بن المغيرة وأبا العاصى بن منبه بن الحجاج ، وأبا قيس بن الفاكِه .

﴿ إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ ﴾(٤) سُمِّىَ منهم ابنُ عباس ، وأُمّه أم الفضل . لبابة بنت الحارث وعياش بن أبى ربيعة ، وسلمة بن هشام .

﴿ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾(٥) . بنو أبيرق : بشر وبشير ومبشر .

﴿ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾(٦) . هم أسيد بن عروة وأصحابه .

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ ﴾(٧) سُمِّىَ من المستفتين خَوْلة بنت حكيم .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾(٨) . سَمّى منهم ابن عسكر : كعب بن الأشرف وفِنْحاصا .

﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ ﴾(٩) قال ابنُ عباس : هم عبد الله بن سلام وأصحابه .

---

(١) فى الأصول : «بنى جذيمة» ، وما أثبته من تفسير القرطبى ٥ : ٣٠٩

(٢) النساء ٩١ (٣) النساء ٩٧

(٤) النساء ٩٨ (٥) النساء ١٠٧

(٦) النساء ١١٣ (٧) النساء ١٢٧

(٨) النساء ١٥٣ (٩) النساء ١٦٢

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ ﴾(١) سُمِّىَ منهم جابر ابن عبد الله .

﴿ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾(٢) سُمِّىَ منهم الحطَم بن هند البكرىّ .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾(٣) ، سُمِّىَ منهم عديّ بن حاتم ، وزيد ابن المهلهل الطائيان ، وعاصم بن عديّ ، وسعد بن خيثمة ، وعويمر بن ساعدة

﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا ﴾(٤) ، سُمِّىَ منهم كعب بن الأشرف ، وحُيَىّ ابن أخطب .

﴿ ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً . . . ﴾(٥) الآيات ، نزلت فى الوفد الذين جاءوا من عند النَّجاشى وهم اثنا عشر ، وقيل ثلاثون ، وقيل سبعون ، وسُمِّىَ منهم إدريس وإبراهيم والأشرف وتميم وتمام ودريد .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾(٦) ، سُمِّىَ منهم زَمْعة بن الأسود ، والنَّضر بن الحارث بن كلدة ، وأُبَىّ بن خلَف ، والعاصى بن وائل .

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾(٧) ، سُمِّىَ منهم صُهيب ، وبلال ، وعمّار وخبّاب ، وسعد بن أبى وقاص ، وابن مسعود ، وسلمان الفارسىّ .

﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ ﴾(٨) ، سُمِّىَ منهم : فِنْحاص ، ومالك بن الضَّيف .

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِىَ رُسُلُ اللهِ ﴾(٩) ، سُمِّىَ منهم أبوجهل ، والوليد بن المغيرة .

---

(١) النساء ١٧٦
(٢) المائدة ٢
(٣) المائدة ٤
(٤) المائدة ١١
(٥) المائدة ٨٢
(٦) الأنعام ٨
(٧) الأنعام ٥٢
(٨) الأنعام ٩١
(٩) الأنعام ١٢٤

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾(١) ، سُمِّيَ منهم حمل (*) بن قُشير وشمويل ابن زيد . .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾(٢) ، سُمِّيَ منهم سعد بن أبي وقَّاص .

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾(٣) ، سُمِّيَ منهم أبو أيوب الأنصاريّ ومن الذين لم يكرهوا المقداد .

﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا ﴾(٤) ، سُمِّيَ منهم أبو جهل .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٥) ، هم أهل دار النَّدوة ، سُمِّيَ منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان ، وأبو جهل ، وجُبير بن مطعم ، وطُعَيمة ابن عديّ والحارث بن عامر ، والنَّضر بن الحارث ، وزمْعة بن الأسود ، وحكيم ابن حزام ، وأُميَّه بن خلَف .

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ . . . ﴾(٦) ، الآية ، سُمِّيَ منهم أبو جهل ، والنضر بن الحارث .

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾(٧) ، سمِّي منهم : عتبة بن ربعية ، وقيس بن الوليد ، وأبو قيس بن الفاكِه ، والحارث بن زمعة ، والعاصِي بن منبِّه .

﴿ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ﴾(٨) ، كانوا سبعين ، منهم العباس ، وعقَيل ، ونوْفل بن الحارث ، وسُهيل بن بيضاء .

---

(١) الأعراف ١٨٧
(٢) الأنفال ١
(٣) الأنفال ٥
(٤) الأنفال ١٩
(٥) الأنفال ٣٠
(٦) الأنفال ٣٢
(٧) الأنفال ٤٩
(٨) الأنفال ٧٠

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٥٥ «جسل»

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُود عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ﴾ (١) ، سُمِّىَ منهم سلاَم بن مِشْكَم ، وسمان بن أوف ، ومحمّد بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك بن الصَّيف.

﴿ الذِينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعِينَ ﴾ (٢) ، سُمِّىَ من المطَّوعين : عبد الرحمن ابن عوف وعاصم بن عدىّ . ﴿ وَالذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلا جُهْدَهُمْ ﴾ (٢) : أبو عَقيل ورفاعة بن سعد .

﴿ وَلاَ عَلَى الذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ ﴾ (٣) ، سُمِّىَ منهم العِرباض بن سارية ، وعبد الله بن مُغفَّل المزنىّ ، وعمرو المزنىّ ، وعبد الله بن الأزرق الأنصارىّ ، وأبو ليلى الأنصارىّ .

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ (٤) : سُمِّىَ منهم عويمْ بن ساعدة .

﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ (٥) . نزلت فى جماعة . منهم : عمّار بن ياسر . وعياش بن أبى ربيعة .

﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ (٦) . هم طالوت وأصحابه .

﴿ وَإِنْ كَادوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ (٧) . قال ابن عباس : نزلت فى رجال من قريش ، منهم أبو جهل : وأُميّة بن خلف .

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا ﴾(٨) : سمّى ابنُ عباس من قائلى ذلك عبد الله بن أبى أُميَّة وذريته .

﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ ﴾(٩) : سُمِّىَ منهم الحارث بن عامر بن نوفل .

---

(١) التوبة ٣٠
(٢) التوبه ٧٩
(٣) التوبة ٩٢
(٤) التوبة ١٠٨
(٥) النحل ١٠٦
(٦) الاسراء ٥
(٧) الاسراء ٧٣
(٨) الاسراء ٩٠
(٩) القصص ٥٧

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾[١] ، هم المؤذَوْن على الإسْلام بمكة ؛ منهم عمَّار بن ياسر .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ﴾ [٢] . سُمِّيَ منهم الوليد بن المغيرة .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾[٣] ، سُمِّيَ منهم النَّضر بن الحارث .

﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾[٤] ، سمى منهم أنس بن النضر

﴿ قَالُوا الْحَقَّ ﴾[٥] ، أوّل من يقول جبريل فيتبعونه .

﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ ﴾[٦] ، سُمِّيَ منهم : عقبة بن أبي معيط . وأبو جهل . والعاصي بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن يغوث .

﴿ وَقَالُوا مَالَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا ﴾[٧] ؛ سُمِّيَ من القائلين : أبو جهل . ومن الرجال عمار وبلال .

﴿ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾ [٨] : سمى منهم زوبعة وحَسّى ومسى وشاصر وما صر والأرْد وإنّيان والأحقم وسرّق .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾[٩] . سُمِّيَ منهم الأقرع ابن حابس . والزبرقان بن بدر ، وعيينة بن حصن . وعمرو بن الأهتم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا ﴾[١٠] . قال السُّدِّيّ : نزلت في عبد الله ابن نفيل من المنافقين .

---

(١) العنكبوت ٢ — (٢) العنكبوت ١٢
(٣) الأحزاب ٢٣ — (٤) لقمان ٦
(٥) سبأ ٢٣ — (٦) ص ٦
(٧) ص ٦٢ — (٨) الأحقاف ٢٩
(٩) الحجرات ٤ — (١٠) المجادلة ١٤

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾(١) ، نزلت فى قتيلة أم أسماء بنت أبى بكر

﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾(٢) ، سُمِّىَ منهم : أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط ، وأميمه بنت بشر .

﴿ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا ﴾(٣) ، ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا ﴾(٣) سُمِّىَ منهم عبد الله بن أبىّ .

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ . . ﴾(٤) ، الآية ، سمى من حملة العرش إسرافيل ولبنان وروفيل .

﴿ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾(٥) ذو نواس ، وزُرعة بن أسد الحميرىّ وأصحابه

﴿ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾(٦) ، هم الحبشة ، قائدهم أبرهة الأشرم ، ودليلهم أبو رغال .

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾(٧) ، نزلت فى الوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأميّة بن خلف .

﴿ النَّفَّاثَاتِ ﴾(٨) ، بنات لَبِيد بن الأعصم .

• • •

وأما مبهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة والأزمنة ونحو ذلك . فقد استوفَيْتُ الكلام عليها فى تأليفنا المشار إليه .

• • •

(١) الممتحنة ٨
(٢) الممتحنة ١٠
(٣) المنافقون ٧ ، ٨
(٤) الحاقة ١٧
(٥) البروج ٤
(٦) الفيل ١
(٧) الكافرون ١
(٨) الفلق ٤

النوع الحادى والسبعون

فى أسماء مَنْ نَزَل فيهم القرآن

رأيت فيهم تأليفًا مفردًا لبعض القدماء ؛ لكنه غير محرّر ، وكتاب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك ، وقد قال ابن أبى حاتم : ذكر عن الحسين ابن زيد الطحّان ، أنبأنا إسحاق بن منصور ، أنبأنا قيس ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبّاد بن عبد الله ، قال : قال علىّ : ما فى قريش أحدٌ إلاّ ونزلت فيه آية ؛ قيل له : ما نزل فيك ؟ قال : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾(١) .

ومن أمثلته ما أخرجه أحمد والبخارىّ فى الأدب عن سعد بن أبى وقاص قال نزلت فىّ أربع آيات ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾(٢) ، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾(٣) ، وآية تحريم الخمر ، وآية الميراث .

وأخرج ابن أبى حاتم عن رفاعة القرظىّ ، قال نزلت ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾(٤) فى عشرة . أنا أحدهم .

وأخرج الطبرانىّ عن أبى جُمعة جنيد بن سبع — وقيل : حبيب بن سباع — قال : فينا نزلت ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ﴾(٥) وكنا تسعة نفر ؛ سبعة رجال وامرأتين .

• • •

(١) هود ١٧
(٢) الأنفال ١
(٣) العنكبوت ٨
(٤) القصص ٥١
(٥) الفتح ٢٥

النوع الثانى والسبعون

فى فضائل القُرآن

أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبى شيبة ، والنَّسائى وأبو عُبيد القاسم ابن سلاَّم . وابن الضريس وآخرون ، وقد صحّ فيه أحاديث باعتبار الجملة ، وفى بعض السور على التعيين ووضع فى فضائل القرآن أحاديث كثيرة ، ولذلك صنفتُ كتابا سمّيته « خمائل الزهَر فى فضائل السور » ، حرّرت فيه ماليس بموضوع وأنا أُورد فى هذا النوع فصلين :

الفصل الأول

فيما ورد فى فضله على الجملة

أخرج الترمذىّ والدّارمى وغيرهما من طريق الحارث الأعور ، عن علىّ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتَن » . قلت : فمَا المخرج منها يارسول الله ؟ قال : « كتاب الله . فيه نبأُ ماقبلكم ، وخبر ما بعدكم ، هو الحبل المتين . وهو الذكر الحكيم . وحكم ما بينكم ، وهو الفصل . ليس بالهزل . مَنْ تركه من جبّار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الله . وهو الصراط المستقيم . وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة . ولا تشبع منه العلماء . ولا يَخْلُقُ على كثرة الردّ ولا تنقضى عجائبه . من قال به صدق . ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم » .

وأخرج الدّارمىّ . من حديث عبد الله بن عمرو . مرفوعًا : « القرآن أحبّ إلى الله من السموات والأرض ومَنْ فيهنّ

وأخرج أحمد والترمذىّ من حديث شدّاد بن أوس : « ما من مسلم يأخذ مضجعَه ، فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلاّ وكّل الله به ملَكًا يحفظه ، فلا يقربه شىء يؤذيه حتى يهبّ متى يهبّ » .

وأخرج الحاكم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوّة بين جنبيه ، غير أنه لايوحَى إليْه ، لاينبغى لصاحب القرآن أن يجدّ مع من يجدّ ، ولا يجهل مع من يجهل ، وفى جوفه كلام الله » .

وأخرج البزّار ، من حديث أنس ، « أن البيت الذى يُقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، والبيت الذى لايقرأ فيه القرآن يقلّ خيره » .

وأخرج الطّبرانى من حديث ابن عمر : « ثلاثة لايهولهم الفزع الأكبر . ولاينالهم الحساب ، هم على كثيب من مِسْك ، حتى يفرَغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله . وأمَّ به قومًا وهم به راضون . . » الحديث .

وأخرج أبو يعلَى والطَّبرانىّ من حديث أبى هريرة : « القرآن غنًى لافقر بعده ولا غنًى دونه » .

وأخرج أحمد وغيرُه من حديث عُقْبة بن عامر : « لو كان القرآن فى إهاب ماأكلته النار » . قال أبو عبيد : أراد بالإهاب قلب المؤمن ، وجوفه الذى قد وعى القرآن ، وقال [غيره] [(١)] : معناه أن مَنْ جمع القرآن ، ثم دخل النار فهو شرٌّ من الخنزير . وقال ابن الأنبارىّ : معناه أنَّ النار لاتبطله ، ولا تقلعه من الأسماع التى وعتْه . والأفهام التى حصّلته ، كقوله فى الحديث الآخر « أنزلت عليك كتابًا لايغسله الماء » : أى . لايبطله . ولا يقلعه من أوعيته الطيبة ومواضعه ؛ لأنه وإن غسله الماء فى الظاهر لايغسله بالقلع من القلوب .

---

(١) من ط .

وعند الطبرانى مِنْ حديث عصمة بن مالك : « لو جُمِع القرآن فى إهاب ماأحرقته النار » .

وعنده من حديث سهل بن سعد : « لوكان القرآن فى إهاب مامسته النار »

وأخرج الطّبرانى فى الصغير من حديث أنس : « من قرأ القرآن يقومُ به آناء الليل والنهار يُحلُّ حلالَه ويحرم حرامه ، حرّم الله لحمه ودمه على النار ، وجعله رفيق[1] السَّفرَة الكرام البررة ؛ حتى إذا كان يومُ القيامة كان القرآن حجة له »

وأخرج أبو عُبيد ، عن أنس مرفوعًا : « القرآن شافع مشفَّع ، وماجد مصدّق ، مَنْ جعله إمامه قاده إلى الجنة ، ومَنْ جعله خلفه ساقه إلى النار » .

وأخرج الطبرانىّ من حديث أنس . « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة » .

وأخرج النّسائىّ وابن ماجه والحاكم من حديث أنس ، قال : « أهلُ القرآن هم أهل الله وخاصته » .

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبى هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيحُبّ أحدكُم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خَلِفات[2] عظام سمان » ؟ قلنا : نعم ، قال : « ثلاث آيات يقرأ بهنَّ أحدكم فى صلاةٍ خيرٌ له من ثلاث خلفات سمان » .

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبدالله : « خير الحديث كتاب الله »

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس : « من قرأ القرآن فى سبيل الله كتِب مع الصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا » .

---

(١) ط : صحبة

(٢) الخلفات : الحوامل من الابل ، وانظر صحيح مسلم ١ : ٥٥٢

وأخرج الطبراني في الأوسط ، من حديث أبي هريرة : « ما من رجل يعلمّ ولده القرآن إلاّ تُوّج يوم القيامة بتاج في الجنة »

وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس : « من قرأ القرآن فأكمله ، وعمل به ، ألبس والده تاجًا يوم القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس ، في بيوت الدنيا لوكانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا »!

وأخرج الترمذيّ وابن ماجه وأحمد من حديث عليّ : « مَنْ قرأ القرآن فاستظهره ، فأحلّ حلاله وحرمّ حرامه ، أدخله الله الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته ، كلُّهم قد وجبت لهم النار » .

وأخرج الطَّبرانيّ من حديث أبي أمامه : « مَن تعلّم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه » .

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عائشة : « الماهر بالقرآن ، مع السَّفَرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتَع فيه وهو عليه شاقّ ، له أجران » .

وأخرج الطَّبرانيّ في الأوسط من حديث جابر « من جمع القرآن كانت له عندالله دعوةٌ مستجابة ، إن شاء عجّلها في الدنيا ، وإن شاء ادّخرها في الآخرة » .

وأخرج الشيخان من حديث أبي موسى : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجَّة ، طعمها طيّب وريحها طيّب ، ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن ، كمثل التَّمرة طعمها طيّب ، ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الرَّيْحانة ، ريحها طيّب وطعمها مرّ ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرّ ، ولا ريح لها »

وأخرج الشيخان من حديث عثمان : « خيركم – وفي لفظ : إن أفضلكم –

مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه » ـ زاد البيهقى فى الأسماء : « وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

وأخرج الترمذيّ والحاكم من حديث ابن عباس : « إنَّ الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » .

وأخرج ابن ماجه من حديثْ أبى ذرّ : « لَأَنْ تغْدوَ فتتعلَّم آية من كتاب الله خيرٌ لك من أن تصلّيَ مائة ركعة » .

وأخرج الطَّبَرانى من حديث ابن عباس : « من تعلَّم كتاب الله ثم اتَّبع مافيه هداه الله به من الضلالة ، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب » .

وأخرج ابن أبى شَيْبة من حديث أبى شريح الخزاعىّ : « إن هذا القرآن سبب ، طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسّكوا به ، فإنكم لن تضلُّوا ، ولن تهلكوا بعده أبدًا » .

وأخرج الديلمىّ من حديث علىّ : « حمَلة القرآن فى ظلّ الله يوم لا ظِلّ إلا ظلُّه » .

وأخرج الحاكم من حديث أبى هريرة : « يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : القرآن يارب حَلِّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، يارب ارض عنه ، فيرضى عنه ، ويقال له اقره وارقَهْ ، ويزاد له بكل آية حسنة » .

وأخرج من حديث عبد الله بن عمر : « الصّيام والقرآن يَشْفعان للعبد »

وأخرج من حديث أبى ذرّ : « إنكم لاترجعون إلى الله بشىء أفضل مما خرج منه » ـ يعنى القرآن .

• • •

الفصل الثانى

فيماورد فى فضل سور بعينها

ماورد فى الفاتحة

أخرج الترمذى والنسائىّ والحاكم من حديث أُبَىّ بن كعب مرفوعًا : « ماأنزل الله فى التوارة ولا فى الإنجيل مثل أم القرآن . وهى السبع المثانى » .

وأخرج أحمد وغيره مِنْ حديث عبد الله بن جابر : « أَخْيَرَ سورة فى القرآن الحمد لله رب العالمين » .

وللبيهقى فى الشعب والحاكم من حديث أنس « أفضل القرآن الحمد لله ربّ العالمين » .

وللبخارىّ من حديث أبى سعيد بن المعلَّى : « أعظم سورة فى القرآن الحمد لله ربّ العالمين »

وأخرج عبد الله فى مسنَده من حديث ابن عباس : « فاتحة الكتاب تعدِل ثلثى القرآن »

• • •

ماورد فى البقرة وآل عمران

أخرج أبو عبيد من حديث أنس « أنَّ الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه » .

وفى الباب عن ابن مسعود وأبى هريرة وعبدالله بن مغفل . وأخرج مسلم والترمذىّ . عن حديث النواس بن سمعان : «يؤتَى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورةالبقرة وآل عمران » . وضرب لهما رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ، مانسيتهن بعد ، قال : « كأنهما غمامتان أوغَيابتان[١] أوظُلَّتان سوداوان بينهما شرف ، أو كأنهما فِرْقان من طير صواف[٢] يحاجان عن صاحبهما » .

وأخرج أحمد من حديث بريدة : « تعلَّموا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تَستطيعها البطلة ، تعلَّموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان[٣] : تظَلان صاحبهما يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أوغيابتان أو فرقان من طير صوافٍ » .

وأخرج ابن حبان وغيره من حديث سَهْل بن سعد : « إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها فى بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام ، ومن قرأها فى بيته ليلاً لم يدخله الشيطان ثلاث ليالٍ » .

وأخرج البيهقى فى الشُّعب من طريق الصلصال : « من قرأ سورة البقرة تُوِّج بتاج فى الجنة » .

وأخرج أبوعبيد عن عمر بن الخطاب موقوفاً : « من قرأ البقرة وآل عمران فى ليلةٍ كتب من القانتين » .

وأخرج البيهقىَ من مرسل مكحول : « من قرأ سورة البقرة وآل عمران يوم الجمعة صلَّت عليه الملائكة إلى الليل » .

• • •

---

(١) الغمامة والغيابة : كل شىء أظل الانسان فوق رأسه ، سحابة أو غيرهما . وانظر صحيح مسلم ، ص ٥٥٣

(٢) الصواف : هى من الطيور لاتبسط أجنحتها

(٣) سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما

فصل

ماورد فى آية الكرسىّ

أخرج مسلم من حديث أبىّ بن كعب : « أعظم آية فى كتاب الله آية الكرسىّ » .

وأخرج الترمذىّ والحاكم من حديث أبى هريرة « إن لكل شىء سناما وإن سنام القرآن البقرة ، وفيها آية هى سيدة آى القرآن ؛ آية الكرسى » .

وأخرج الحارث بن أبى أسامة ، عن الحسن مرسلاً : « أفضل القرآن سورة البقرة وأعظم آية فيها آية الكرسىّ » .

وأخرج ابن حبّان والنَّسائىّ من حديث أبى أمامة : « من قرأ آية الكرسىّ دُبُرَ كلّ صلاة مكتوبة . لم يمنعه مِنْ دخول الجنة إلّا أن يموت » .

وأخرج أحمد من حديث أنس : « آية الكرسىّ ربع القرآن » .

• • •

ماورد فى خواتيم البقرة

أخرج الأئمّة الستة . من حديث أبى مسعود : « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كَفَتَاه » .

وأخرج الحاكم من حديث النعمان بن بشير : « إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفىْ عام ، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرءان فى دار فيقربُها شيطان ثلاث ليال » .

ماورد فى آخر آل عمران

أخرج البيهقىّ من حديث عثمان بن عفان : « من قرأ آخر آل عمران فى ليلة كتب له قيام ليلة » .

ماورد فى الأنعام

أخرج الدارمىّ وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفًا : « الأنعام من نواجب[1] القرآن » .

ماورد فى السبع الطوال .

اخرج أحمد والحاكم من حديث عائشة : « من أخذ السبع الطوال فهو خير » .

ماورد فى هود

أخرج الطبرانىّ فى الأوسط بسندٍ واهٍ من حديث علىّ : « لايحفظ منافق سورًا : براءة ، وهود ، ويس ، والدّخان ، وعمّ يتساءلون » .

ماورد فى آخر الإسراء

أخرج أحمد من حديث معاذبن أنس : « آية العز » ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ ﴾ إلى آخر السورة .

ماورد فى الكهف

أخرج الحاكم مِنْ حديث أبى سعيد « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين الجمعتين »

وأخرج مسلم من حديث أبى الدرداء : « مَنْ حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عُصِم من فتنة الدّجال » .

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس : من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورًا من قدمه إلى رأسه ، ومَنْ قرأها كلّها كانت له نورًا ما بين الأرض والسماء » .

---

(١) نواجب القرآن ، أى أفاضل سوره . وانظر نهاية ابن الأثير ٥ : ١٧

وأخرج البزّار من حديث عمر : « من قرأ فى ليلة ﴿ فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ . . . ﴾ الآية ، كان له نور من عدن إلى مكة ، حشوه الملائكة » .

ماورد فى الٓمٓ السّجدة .

أخرج أبو عبيد من مرسل المسيَّب بن رافع « تجىء الٓمٓ السجدة يوم القيامة لها جناحان تظلّ صاحبها ، فتقول : لاسبيل عليك ، لاسبيل عليك » .

وأخرج عن ابن عمر موقوفًا : قال « فى تنزيل السجدة وتبارك الملك فضلُ ستين درجة على غيرهما من سور القرآن » .

ماورد فى يٰسٓ .

أخرج أبو داود والنسائىّ وابن حِبّان وغيرهم من حديث معقِل بن يسار : « يٰسٓ قلب القرآن ، لايقرؤها رجلٌ يريد الله والدار الآخرة إلّا غفرله ؛ اقرءوها على موتاكم » .

وأخرج الترمذىّ والدارمىّ من حديث أنس : « إنَّ لكل شىء قلبًا وقلب القرآن يٰسٓ ، ومن قرأ يٰسٓ كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » .

وأخرج الدارمىّ والطبرانىّ من حديث أبى هريرة : « من قرأ يٰسٓ فى ليلة ابتغاء وجه الله غفرله » .

وأخرج الطبرانىّ من حديث أنس : « من دام على قراءة يٰسٓ كلّ ليلة ثم مات ، مات شهيدًا » .

ماورد فى الحواميم .

أخرج أبو عبيد عن ابن عباس موقوفًا : « إن لكل شىء لبابًا ، ولباب القرآن الحواميم » .

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود موقوفًا : « الحواميم ديباج القرآن » .

ماورد فى الدخان .

أخرج الترمذىّ وغيره من حديث أبى هُريرة : « مَنْ قرأ حٓمٓ الدخان فى ليلة أصبح يستغفرُ له سبعون ألف مَلَك » .

ماورد فى المفصّل .

أخرج الدارمىّ عن ابن مسعود موقوفًا : « إنَّ لكل شىء لبابًا ولباب القرآن المفصّل » .

الرحمن

أخرج البيهقىّ من حديث على مرفوعًا « لكل شىء عروس ، وعروس القرآن الرحْمن » .

المسبّحات .

أخرج أحمد وأبو داود والترمذىّ والنسائىّ عن عِرباض بن سارية ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبّحات كل ليلة قبل أن يرقد ، ويقول : « فيهن آية خير من ألف آية » . قال ابن كثير فى تفسير الآية المشار إليها قوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقد أخرج ابن السُّنّى عن أنس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا إذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر ، وقال : « إن متّ مت شهيدًا » .

وأخرج الترمذى من حديث معقل بن يسار : « من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكّل الله به سبعين ألف ملك ، يصلّون عليه

(١) الحديد ٣

حتى يمسى ، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدًا ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » .

وأخرج البيهقىّ من حديث أبى أمامة : « من قرأ خواتيم الحشر فى ليلٍ أو نهار ، فمات فى يومه أو ليلته ، فقد أوجب الله له الجنة » .

تبارك .

أخرج الأربعة وابن حِبّان والحاكم من حديث أبى هُريرة : « فى القرآن سورة ثلاثون آية ، شفَعت لرجل حتى غفر له ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ » .

وأخرج الترمذىّ من حديث ابن عباس : « هى المانعة ، هى المنجية تنجّى من عذاب القبر » .

وأخرج الحاكم من حديثه : « وددت أنها فى قلب كلّ مؤمن ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ » .

وأخرج النّسائىّ من حديث ابن مسعود : « من قرأ تبارك الذى بيده الملك كلّ ليلة ، منعه الله بها من عذاب القبر » .

الأعلى

أخرج أبو عبيد عن أبى تميم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى نسيت أفضل المسبّحات ، فقال أبىّ بن كعب : لعلها ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ؟ قال : نعم .

القيّمة

أخرج أبو نعيم فى الصحابة ، من حديث إسماعيل بن أبى حكيم المزنىّ الصحابىّ مرفوعًا : « إن الله ليسمع قراءة ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، فيقول : أبشر عبدى فوعزّتى لأمكننّ لك فى الجنة حتى ترضَى » .

الزلزلة

أخرج الترمذىّ من حديث أنس : « مَنْ قرأ إذَا زُلْزِلَت ، عُدِلت له بنصف القرآن » .

العاديات

أخرج أبوعبيد من مرسل الحسن : « إذا زلزلت تُعدَل بنصف القرآن ، والعاديات تُعدَل بنصف القرآن » .

ألهاكم

أخرج الحاكم من حديث ابن عمر مرفوعًا : « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ » قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية ! قال : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر ! » .

الكافرون

أخرج الترمذىّ من حديث أنس : « قُلْ يَاأَيُّهَا الكافِرُون ، رُبْع القُرْآن » .

وأخرج أبوعبيد من حديث ابن عباس قال : « يـأيها الكافرون ، تُعْدَلُ بربع القرآن » .

وأخرج أحمد والحاكم من حديث نوفل بن معاوية : « اقرأ قل يـأيها الكافرون ، ثُمَّ نَمْ على خاتمتها ، فإنها براءة من الشرك » .

وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عباس : « ألاَ أدُلُّكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله ؟ تقرءون قل يـأيها الكافرون عند منامكم » .

النصر

أخرج الترمذى من حديث أنس : « إذَا جَاءَ نَصْر اللهِ والْفَتْح ، ربع القرآن »

الإخلاص

أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة : « قُلْ هو اللهُ أحد تعدِل ثلث القرآن . وفى الباب عن جماعة من الصحابة ، وأخرج الطبرانىّ فى الأوسط من حديث عبدالله بن الشِّخِّير : ومَنْ قرأ « قل هو الله أحد » فى مرضه الذى يموت فيه لم يُفتَن فى قبره وأمِنَ من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة » .

وأخرج الترمذىّ من حديث أنس : « مَنْ قرأ قل هو الله أحد كلَّ يوم مائتى مرة محِيَ عنه ذنوب خمسين سنة ، إلّا أن يكون عليه ديْن ، ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ، ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب : ياعبدى ، ادخل عن يمينك الجنة » .

وأخرج الطبرانىّ من حديث ابن الديلمىّ : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فى الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار » .

وأخرج فى الأوسط من حديث أبى هريرة : « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بُنِيَ له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بُنِيَ له قصران ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاث » .

وأخرج فى الصغير من حديثه : « من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتى عشرة مرة ، فكأنما قرأ القرآن أربع مرات ، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى » .

المعوذتان .

أخرج أحمد من حديث عقبة أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أعلمك سورًا ما أنزِل فى التوراة ولا فى الزبور ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان

مثلها ؟ قلت : بلى ، قال : قل هو الله أحد . وقل أعوذ برب الفَلَق . وقل أعوذ برب الناس» .

وأخرج أيضاً من حديث ابن عابس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ألا أُخبرك بأفضل ماتعوّذ به المتعوّذون ؟ » قال : بلى ، قال : « قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » .

وأخرج أبو داود والترمذيّ عن عبد الله بن خُبَيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » .

وأخرج ابن السنيّ من حديث عائشة : « مَنْ قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد . وقل أعوذ برب الفلق . وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاذه الله من السوء إلى الجمعة الأُخرى » .

وبقيت أحاديث من هذا الفصل أخّرتها إلى نوع الخواصّ .

* * *

تنبيه (*)

أما الحديث الطويل فى فضائل القرآن سورة سورة . فإنه موضوع . كما أخرج الحاكم فى المدخل بسنده إلى أبى عمّار المروزىّ . أنه قيل لأبى عصمة الجامع : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة . وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : أنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن . واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن إسحاق ؛ فوضعت هذا الحديث حسبةً .

وروى ابن حِبّان فى مقدمة تاريخ الضعفاء ، عن ابن مهدىّ ، قال : قلت لميسرة

(*) العنوان في طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٦١ «فصل» .

ابن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث . من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب الناس فيها .

وروينا عن المؤمَّل بن إسْماعيل ، قال :حدثنى شيخ بحديث أبى بن كعب فى فضائل سور القرآن سورة سورة ، فقال : حدثنى رجل بالمدائن ، وهو حىٌّ ، فصرت إليه ، فقلت له : مَنْ حدّثك ؟ قال : حدثنى شيخ بواسط . وهو حىّ ، فصرت إليه ، فقلت له : مَنْ حدثك ؟ قال : حدثنى شيخ بالبْصرة ، فصرت إليه ، فقلت له : من حدثك ؟ قال : حدثنى شيخ بعَبادان ، فصرت إليه ، فأخذ بيدى فأدخلنى بيتًا . فإذا فيه قوم من المتصوفة ، ومعهم شيخ ، فقال : هذا الشيخ حدثنى ، فقلت : ياشيخ مَنْ حدثك ؟ فقال : لم يحدثنى أحد ، ولكننا رأينا الناس قد رَغِبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدىّ المفسِّر ومن ذكره من المفسّرين فى إيداعه تفاسيرهم .

• • •

النوع الثالث والسبعون

فى أفضل القرآن وفاضِلِه

اختلف الناس : هل فى القرآن شىء أفضل من شىء ؟ فذهب الإمام أبو الحسن الأشعرىّ والقاضى أبو بكر الباقلانى وابن حِبّان إلى المنع ؛ لأن الجميع كلام الله ؛ ولئلايُوهم التفضيلُ نقصَ المفضَّل عليه . ورُوِى هذا القول عن مالك قال يحيى بن يحيى : تفضيل بعض القرآن على بعض خطأٌ ؛ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردّد دون غيرها .

وقال ابن حِبّان فى حديث أُبَىّ بن كعب : ماأنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل مثل أُمّ القرآن ، إن الله لايعْطى لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل مايعطِى لقارئ أم القرآن ، إذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضَّل هذه الأُمة على غيرها من الأمم ، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثرَ مما أعطى غيرَها من الفضل على قراءة كلامه ، قال : وقوله : « أعظم سورة » ، أراد به الأجر ؛ لا أن بعض القرآن أفضل من بعض .

وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث ، منهم : إسحاق بن راهويْه ، وأبو بكر بن العربىّ ، والغزالى .

وقال القرطبى : إنّه الحقّ ، ونقَله عن جماعة من العلماء والمتكلمين .

وقال الغزالى فى جواهر القرآن : لعلك أن تقول : قد أشرتَ إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض ، والكلام كلام الله ، فكيف يفارق بعضها بعضاً ؟ وكيف يكون بعضها أشرف من بعض ! فاعلم أن نور البصيرة إن كان لايرشدك إلى الفرْق بين آية الكرسىّ وآية المداينات ، وبين سورة الإخلاص وسورة تبّت ،

وترتاع على اعتقاد الفرْق نفسُك الخوّارةُ المستغرقة بالتقليد . فَقَلِّدْ صاحبَ الرسالة صلى الله عليه وسلم ، فهو الذي أنزل عليه القرآن وقال : يٓس قلب القرآن . وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن . وآية الكرسى سيدة آى القرآن . وقل هو الله أحد تعدِل ثلث القرآن ؛ والأخبار الواردة فى فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب فى تلاوتها لاتحصى . انتهى .

وقال ابن الحصّار : العجب ممن يَذكر الاختلاف فى ذلك ، مع النصوص الواردة بالتفضيل ! .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : كلام الله فى الله أفضلُ من كلامه فى غيره ، فقل هو الله أحد ، أفضل من تبّت يدا أبى لهب .

وقال الخوَيّ : كلام الله أبلغُ من كلام المخلوقين .

وهل يجوز أن يقال : بعض كلامه أبلغ من بعض الكلام ؟ جوّزه قومٌ لقصور نظرهم .

وينبغى أن تعلم أن معنى قول القائل : هذا الكلام أبْلغ من هذا ، أنَّ هذا فى موضعه له حسن ولطف . وذاك فى موضعه له حسن ولطف . وهذا الحسن فى موضعه أكمل من ذاك فى موضعه . قال : فإن مَنْ قال : إن ﴿ قل هو الله أحد ﴾ أبلغ من ﴿ تبّت يدا أبى لهب ﴾ يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبى لهب ، وبين التوحيد والدعاء على الكافر ؛ وذلك غير صحيح . بل ينبغى أن يقال : تبّت يدا أبى لهب دعاء عليه بالخسران . فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه ! وكذلك فى قل هو الله أحد ؛ لاتوجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها ؛ فالعالم إذا نظر إلى تبّت يدا أبى لهب فى باب الدعاء بالخسران ، ونظر إلى قل هو الله أحد فى باب التوحيد ، لايمكنه أن يقول : أحدهما أبلغ من الآخر . انتهى .

وقال غيره : اختلف القائلون بالتفضيل ، فقال بعضهم : الفضل راجع إلى عظَم الأجر ومضاعفة الثواب ؛ بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبّرها وتفكّرها عند ورود أوصاف العُلاَ .

وقيل : بل يرجع لذات اللفظ ، وأن ماتضمّنه قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ . . . ﴾ الآية وآية الكرسيّ ، وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص من الدّلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودًا ، مثلا فى تبّت يدا أبى لهب ، وما كان مثلها ، فالتفضيلُ إنما هو بالمعانى العجيبة وكثرتها .

وقال الحليميّ ، ونقله عنه البيهقيّ : معنى التفضيل يرجع إلى أشياء :

أحدها : أن يكون العمل بآيةٍ أولى من العمل بأخرى ، وأعْوَد على الناس ، وعلى هذا يقال : آيات الأمر والنهى ، والوعد والوعيد خير من آيات القصص لأنّها إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهى والإنذار والتبشير ، ولا غنًى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون عن القصص ، فكان ماهوأعود عليهم وأنفع لهم ، مّما يجرْى مجرى الأُصول ، خيرًا لهم ممّا يُجعَل تبعًا لما لابُد منه .

الثانى : أن يقال : الآيات التى تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته ، والدلالة على عظمته أفضل ، بمعنى أن مخبَراتها أسنى ، وأجل قدرًا .

الثالث : أن يقال سورة خير من سورة ، أوآيةٍ خير من آية ، بمعنى أنّ القارئ يتعجّل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ، ويتأدّى منه بتلاوتها عبادة ، كقراءة آية الكرسىّ والإخلاص والمعوذتين ؛ فإن قارئها يتعجّل بقراءتها الاحتراز مما يخشى ، والاعتصام بالله ، ويتأدّى بتلاوتها عبادةُ لله لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصّفات العلا على سبيل الاعتقاد لها . وسكون النفس إلى فضل ذلك بالذكر وبركته ؛ فأما آيات الحكم ، فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما يقع بها علم .

ثم لو قيل في الجملة : إن القرآن خير من التوارة و الإنجيل والزّبور ، بمعنى أنّ التعبّد بالتلاوة والعمل واقع به دونها ، والثواب بحسب قراءته لابقراءتها ، أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث ، وتلك الكتب لم تكن معجزة ، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء ، بل كانت دعوتهم والحجج غيرها ، لكان ذلك أيضًا نظير مامضى .

وقد يقال: إن سورة أفضل من سورة ؛ لأن الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها ، وأوجب بها من الثواب مالم يوجب بغيرها ، وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ بها هذا المقدار لايظهر لنا ، كما يقال : إن يومًا أفضل من يوم ، وشهرًا أفضل من شهر ، بمعنى : العبادةُ فيه تفضُل على العبادة في غيره ، والذنب فيه أعظم منه في غيره ، وكما يقال : إن الحرَم أفضل من الحلّ ؛ لأنه يتأدي فيه من المناسك ما لايتأدّي في غيره ، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيره : انتهى كلام الحليميّ .

وقال ابن التين في حديث البخاريّ : « لأُعلِّمنك سورة هي أعظم السور » معناه أنّ ثوابها أعظم من غيرها .

وقال غيره : إنما كانت أعظم السُّورَ ؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك سمِّيت أم القرآن .

وقال الحسن البصريّ : إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ، ثم أودع علوم القرآن الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزّلة . أخرجه البيهقيّ .

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشريّ ، باشتمالها : على الثناء على الله تعالى بما هو أهلُه ، وعلى التعبّد بالأمر والنهى ، وعلى الوعد والوعيد ؛ وآياتُ القرآن لاتخلو عن أحد هذه الأمور .

وقال الإمام فخر الدين: المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الإلٰهيات ، والمعاد ، والنبوّات ، وإثبات القضاء والقدَر لله تعالى ، فقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ يدلّ على الإلٰهيّات ، وقوله : ﴿ مالك يوم الدّين ﴾ ، يدلّ على المعاد ، وقوله : ﴿ إياك نَعبدُ وإياكَ نَسْتَعِينُ . . . ﴾ يدلّ على نفى الجبر ، وعلى إثبات أن الكلّ بقضاء الله وقدَره ، وقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ، إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله ، وعلى النبوّات فلمّا كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة ، وهذه السورة مشتملة عليها سمّيت أم القرآن .

وقال البيضاوىّ : هى مشتملة على الحِكَم النظريةَ والأحكام العملية ، التى هى سلوك الطريق المستقيم ، والاطلاع على مراتب السعداء ، ومنازل الأشقياء .

وقال الطِّيبىّ : هى مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التى هى مناط الدين :

أحدها : علم الأصول ، ومعاقدُه معرفة الله تعالى وصفاته ، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ومعرفة النبوة وهى المرادة بقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .ومعرفة المعاد ، وهو المومى إليه بقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

وثانيها : علم الفروع ، وأسُّه العبادات ، وهو المراد بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

وثالثها : علم مايحصل به الكمال وهو علم الأخلاق ، وأجلّه الوصول إلى الحضرة الصمدانية ، والإلتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقه ، والاستقامة فيها ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وإياكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

ورابعها : علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة ، والقرون الخالية ، السعداء

منهم والأشقياء ، وما يتّصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم ، وهو المراد بقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

وقال الغزالىّ : مقاصد القرآن ستة : ثلاثة مهمّة ، وثلاثة متمّة ، الأولى تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها ، وتعريف الصراط المستقيم ، وقد صُرِّح به فيها ، وتعريف الحال عند الرّجوع إليه تعالى وهو الآخرة ، كما أشير إليه : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، والأُخرى تعريف أحوال المطيعين ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وحكاية أقوال الجاحدين ، وقد أشير إليها بـ ﴿ المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، وتعريف منازل الطريق ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . انتهى .

ولا ينافى هذا وصفُها فى الحديث الآخر بكونها « ثلثى القرآن » ، لأن بعضهم وجّهه بأن دلالات القرآن الكريم ، إما أن تكون بالمطابقة أو بالتضمّن ، أو بالالتزام وهذه السورة تدلُّ على جميع مقاصد القرآن بالتضمّن ، والالتزام دون المطابقة ، والاثنان من الثلاثة ثلثان ، ذكره الزركشىّ فى شرح التنبيه ، وناصر الدين بن المِلْق ، قال : وأيضا الحقوق ثلاثة : حق الله على عباده ، وحقّ العباد على الله ، وحقّ بعض العباد على بعض ، وقد اشتملت الفاتحة صريحًا على الحقَّين الأولين ، فناسب كونُها بصريحها ثلثين . وحديث « قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين » شاهدٌ لذلك .

قلت : ولا تَنافِىَ أيضًا بين كونِ الفاتحة أعظم السُّور ،وبين الحديث الآخر أن البقرة أعظمُ السور ؛ لأن المراد به ماعدا الفاتحة من السُّور التى فُصِّلت فيها الأحكام وضُرِبت الأمثال ، وأُقيمت الحجج ؛ إذلم تشتمل سورةعلى مااشتملت عليه ، ولذلك سُمّيت فسطاط القرآن .

قال ابن العربىّ فى أحكامه : سمعت بعض أشياخى يقول : فيها ألف أمر ، وألف نهى ، وألف حكم ، وألف خبر ؛ ولعظيم فقهها أقام ابنُ عمر ثمانى سنين على تعليمها . أخرجه مالك فى الموطأ .

وقال ابن العربىّ أيضًا : إنما صارت آية الكرسىّ أعظمَ الآيات لعظم مقتضاها ، فإنَّ الشىء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه وتعلقاته ، وهى فى آيِ القرآن كسورة الإخلاص فى سُوَرِه ، إلّا أنَّ سورة الإخلاص تفضُلها بوجهين :

أحدهما : أنها سورة ؛ وهذه آية ، والسورة أعظم لأنَّه وقع التحدِّي بها ، فهى أفضل من الآية التى لم يُتَحَدَّ بها .

والثانى : أنَّ سورة الإخلاص اقتضت التوحيد فى خمسة عشر حرفًا ، وآية الكرسىّ اقتضت التوحيد فى خمسين حرفًا ، فظهرت القُدرة فى الإعجاز بوضع معنًى معبَّرٍ عنه بخمسين حرفًا ، ثم يعبَّر عنه بخمسة عشر ، وذلك بيانٌ لعظم القدرة والانفراد بالواحدانية .

وقال ابن المنيِّر : اشتملت آيةُ الكرسى على مالم تشتمل عليه آيةٌ من أسماء الله تعالى ، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعًا ، فيها اسم الله تعالى ظاهرًا فى بعضها ومستكنا فى بعض ، وهى : الله ، هو ، الحىُّ ، القيوم ، ضمير ﴿لاتأخذه﴾ ، و «له» و «عنده» و «بإذنه» و «يعلم» و «علمه» ، و «شاء» و «كرسيه» و «يؤده» ، ضمير «حفظهما» المستتر الَّذي هو فاعل المصدر ، وهو ، العلىّ ، العظيم ، وإن عدّدت الضمائر المتحمّلة فى الحىّ ، القيومّ ، العلى ، العظيم ، والضمير المقدّر قبل «الحىّ» على أحد الأعاريب ، صارت اثنين وعشرين .

وقال الغزالىّ : إنَّما كانت آية الكرسىّ سيِّدة الآيات ؛ لأنَّها اشتملت على

ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ؛ ليس فيها غير ذلك ، ومعرفة ذلك هى المقصد الأقصى فى العلوم ، وما عداه تابع له ، والسيِّد اسم للمتبوع المقدم فقوله : ﴿ الله ﴾ إشارة إلى الذات ، ﴿ لا إلٰه إلا هو ﴾ إشارة إلى توحيد الذات ، ﴿ الحىّ القيوم ﴾ إشارة إلى صفة الذات وجلاله فإنَّ معنى « القيوم » ، الذي يقوم بنفسه ، ويقوم به غيره ، وذلك غاية الجلال والعظمة ، ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ تنزيه وتقديس له عمّا يستحيل عليه من أوصاف الحوادث ، والتقديسُ عمّا يستحيل أحد أقسام المعرفة ، ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ﴾ إشارة إلى الأفعال كلها وأنَّ جميعها منه وإليه ، ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر . وأنَّ من يملك الشفاعة إنما يملكها بتشريفه إيَّاه والإذن فيها ، وهذا نفى الشركة عنه فى الحكم والأمر ، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ شَاءَ ﴾ إشارة إلى صفة العلم ، وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم ، حتى لا علم لغيره إلا ما أعطاه ووهبه ، على قدر مشيئته وإرادته ، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، إشارة إلى عظمة ملكهِ وكمال قدرته ، ﴿ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ إشارة إلى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضَّعف والنقصان ، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ إشارة إلى أصلين عظيمين فى الصفات .

فإذا تأملت هذه المعانى ، ثم تلوتَ جميع آي القرآن ، لم تجد جملتها مجموعة فى آية واحدة ، فإنَّ ﴿ شهد الله ﴾ ليس فيها إلا التوحيد ، وسورة الإخلاص ليس فيها إلا التوحيد والتقديس ، و ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مالك المُلْكِ ﴾ ليس فيها إلا الأفعال ، والفاتحة فيها الثلاثة ؛ لكن غير مشروحة بل مرموزة ، والثلاثة مجموعة مشروحة فى آية الكرسىّ والذى يقرب منها فى جمعها آخر

الحشر وأول الحديد ، ولكنها آيات لا آية واحدة، فإذا قابلتَ آية الكرسيّ بأحد[1] تلك الآيات وجدتَها أجْمع للمقاصد ، فلذلك استحقّت السيادة على الآي ؛ كيف وفيها الحيّ القيوم ، وهو الاسم الأعظم كما وردبه الخبر ! انتهى كلام الغزاليّ..

ثم قال : إنّما قال صلى الله عليه وسلم فى الفاتحة « أفضل » وفى آية الكرسى « سيدة » لسرٍّ ، وهو أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمّى أفضل ؛ فإن الفضل هو الزيادة . والأفضل هو الأزيد ، وأما السّؤدد فهو رسوخ معنى الشرف الذي يقتضى الاستتباع ويأبى التبعيّة ، والفاتحة تتضمّن التنبيه على معانٍ كثيرة ومعارف مختلفة ،فكانت أفضل ، وآية الكرسى ؛ تشتمل على المعرفة العظمى ؛ التى هى المقصودة المتبوعة التى يتبعها سائر المعارف فكان اسم السيد بها أليق . انتهى .

ثم قال فى حديث : « قلب القرآن يس » : إنّ ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنّشر ، وهو مقرّر فى هذه السورة بأبلغ وجه ، فجعلت قلب القرآن لذلك ، واستحسنه الإمام فخر الدين .

وقال النسفيّ : يمكن أن يقال إن هذه السورة ليس فيها إلّا تقرير الأصول الثلاثة : الوحدانيّة ، والرسالة ، والحشر ؛ وهو القدر الذى يتعلق بالقلب والجنان ، وأمّا الذي باللسان وبالأركان ، ففى غير هذه السورة ؛ فلمّا كان فيها أعمال القلب لاغير سمّاها قلباً ، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر ؛ لأن فى ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة ؛ لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ، ورجع عمّا سواه ، فيقرأ عنده مايزداد به قوة فى قلبه ، ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة . انتهى .

---

(١) كذا فى الاصول .

واختلف النّاس فى معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ، فقيل : كأنه صلى الله عليه وسلم سمع شخصاً يكررّها تكرار من يقرأ ثلث القرآن فخرج الجواب على هذا . وفيه بُعْد عن ظاهر الحديث ، وسائر طرق الحديث تردّه .

وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات وسورةُ الإخلاص كلّها صفات ، فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار .

وقال الغزالىّ فى الجواهر : معارف القرآن المهمّة ثلاثة : معرفة التوحيد ، والصّراط المستقيم ، والآخرة . وهى مشتملة على الأوّل ؛ فكانت ثلثًا .

وقال أيضاً فيما نقله عنه الرازيّ : القرآن مشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته ، إمّا صفات الحقيقة ،وإما صفات الفعل ، وإما صفات الحكم ، فهذه ثلاثة أمور ، وهذه السّورة تشتمل على صفات الحقيقة ، فهى ثلث

وقال الخويىّ : المطالب التى فى القرآن معظمها الأُصول الثلاثة ، التى بها يصحّ الإسلام ، ويحصل الإيمان ، وهى معرفة الله ، والاعتراف بصدق رسوله ، واعتقاد القيام بين يديِ الله تعالى ؛ فإن مَنْ عرف أنّ الله واحدٌ ، وأن النبىّ صادق ، وأنّ الدين واقع . صار مؤمنًا حقا ، ومَنْ أنكر شيئًا منها كفر قطعًا . وهذه السورة تفيد الأَصل الأوّل ، فهى ثلث القرآن من هذا الوجه .

وقال غيره : القرآن قسمان : خبر وإنشاء ،والخبر قسمان : خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق ؛ فهذه ثلاثة أثلاث ، وسورة الإخلاص أخْلصت الخبر عن الخالق . فهى بهذا الاعتبار ثلث ، وقيل : تعدِل فى الثواب ، وهو الذى يشهد له ظاهر الحديث والأَحاديث الواردة فى سورة الزلزلة والنّصر والكافرين ،

لكن ضعَّف ابن عَقيل ذلك ، وقال : لايجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن لقوله : «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات » .

قال ابن عبد البرّ : السّكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلَم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور : قلت لأحمد بن حنبل : قوله صلى الله عليه وسلم : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد تعدل ثلث القرآن » ماوجهه ؟ فلم يقل لى فيها على أمر ، وقال لى إسحاق بن راهويه : معناه أنّ الله لمّا فضّل كلامه على سائر الكلام ،جعل لبعضه أيضًا فضلا فى الثواب لمن قرأه ، تحريضًا على تعليمه ، لا أن مَنْ قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه ؛هذا لايستقيم ، ولو قرأها مائتىْ مرة . قال ابن عبد البرّ : فهذان إمامان بالسنة ماقاما ولاقعدا فى هذه المسألة .

وقال ابن الملقن فى حديث : « إن الزلزلة نصف القرآن » ، لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة ، وهذه الصورة تشتمل على أحكام الآخرة كلِّها إجمالاً ، وزادت على القارعة بإخراج الأثقال وتحديث الأخبار ، وأما تسميتها فى الحديث الاخر ربعًا ، فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان ، في الحديث الذي رواه الترمذي : «لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحقّ ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقَدر » فاقتضى هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذى قررّته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذى دعا إليه القرآن

وقال أيضًا فى سرّ كون « ألهاكم » تعدِل ألف آية : إنّ القرآن ستة آلاف آية ، ومائتا آية وكسر ، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن ، وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن ، فإنها فيما ذكره الغزالىّ ستة ، ثلاث

مهمّة وثلاث متمّة ـ وتقدمت ـ وأحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة ، والتعبيرعن هذا المعٰنى بألف آية أفخم وأجلّ وأضخم من التعبير بالسدس .

وقال أيضا فى سرّ كون سورة الكافرين ربعًا وسورة الإخلاص ثلثًا ، مع أن كلاًّ منهما يسمّى الإخلاص ، أن سورة الإخلاص اشتملت من صفات الله علىمالم تشتمل عليه « الكافرون » ، وأيضًا فالتوحيد إثبات إلٰهية المعبود وتقديسه ونفى إلٰهيه ماسواه وقد صرّحت الإخلاص بالإثبات والتقديس ، ولوحت إلى نفى عبادة غيره ، والكافرون صرحت بالنفى ولوحت بالإثبات والتقديس ؛ فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والربع . انتهى .

• • •

تذنيب

ذكر كثيرون فى أثر : أن الله جمع علوم الأوّلين ،والآخرين فى الكتب الأربعة ، وعلومها فى القرآن ، وعلومه فى الفاتحة ،فزادوا علوم الفاتحة فى البسملة ، وعلوم البسملة في بائها ، ووُجِّه بأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الربّ ، وهذه الباء باء الإلصاق ؛ فهى تلصق العبد بجناب الربّ ، وذلك كمال المقصود . ذكره الإمام الرازىّ وابن النَّقِيب فى تفسيرهما .

• • •

النوع الرابع والسبعون

فى مُفردَات القُرآن .

أخرج السِّلَفي فى المختار من الطيوريات ، عن الشعبيّ ، قال : لقِيَ عمرُ ابن الخطاب ركبًا فى سفَرٍ ، فيهم ابنُ مسعود ، فأمر رجلا يناديهم : من أينَ القوم ؟ قالوا : أقبلنا من الفَجّ العميق ، نريد البيت العتيق ، فقال عمر : إن فيهم لعالمًا ، وأمر رجلا أن يناديَهم : أيّ القرآن أعظم ؟ فأجابه عبد الله ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم ﴾(١) قال نادهم : أيُّ القرآن أحكم ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتاءِ ذِى القُربى ﴾(٢) ، قال : نادهم أيّ القرآن أجمع ؟ فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَره ٭ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرا يَرَه ﴾(٣) ، فقال : نادهم : أيُّ القرآن أحزن؟ فقال : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (٤) ، فقال : نادِهم : أى القرآن أرجى ؟ فقال ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ . . . ﴾ (٥) الآية فقال : أفيكم ابنُ مسعود ؟ قالوا : نعم . أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره بنحوه .

وأخرج عبدُ الرَّزّاق أيضًا ، عن ابن مسعود ، قال : أعدلُ آية فى القرآن ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (٢) ، وأحكم آية ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خيرًا يره ﴾ إلى آخرها .

وأخرج الحاكم عنه ، قال : إنَّ أجمع آيةفى القرآن للخير والشر ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ (٢) .

---

(١) البقرة ٢٥٥ (٢) النحل ٩٠

(٣) الزلزلة ٧ ، ٨ (٤) النساء ١٢٣

(٥) الزمر ٥٣

وأخرج الطبراني عنه، قال: مافى القرآن آيةٌ أعظم فرجًا من آية فى سورة الغرف ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ . . .﴾ (١) الآية ، وما فى القرآن آيةٌ أكثر تفويضًا من آية فى سورة النساء القُصْرى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . . .﴾ (٢) الآية .

وأخرج أبو ذرّ الهرويّ فى فضائل القرآن من طريق يحيى بن يعمُر عن ابن عمر عن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أعظمَ آية فى القرآن : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . . .﴾ (٣) وأعدلَ آية فى القرآن : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . . .﴾ (٤) إلى آخرها . وأخوف آية فى القرآن : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٥) . وأرجى آية فى القرآن : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ . . .﴾ (١) إلى آخرها » .

وقد اختُلف فى أرجى آية فى القرآن على بضعة عشر قولا .

أحدها : آية الزمر .

والثانى : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾ (٦) ، أخرجه الحاكم فى المستدرك وأبو عبيد عنْ صَفْوان بن سليم ، قالا : التقَى ابنُ عباس وابن عمر ، فقال ابن عباس : أي آية فى كتاب الله أرجى ؟ فقال عبد الله بن عمر : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ . . .﴾ (١) الآية ، فقال ابن عباس : لكن قولُ الله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (٦) . قال فرضىَ منه بقوله : ﴿بلى﴾ ، قال : فهذا لما يعترض فى الصَّدر مما يوسوس به الشيطان .

---

(١) الزمر ٥٣
(٢) الطلاق ٣
(٣) البقرة ٢٥٥
(٤) النحل ٩٠
(٥) الزلزلة ٧ ، ٨
(٦) البقرة ٢٦٠

الثالث : ماأخرجه أبو نُعيم فى الحلية عن علىّ بن أبى طالب أنه قال : « إنكم يامعشرَ أهلِ العراق تقولون : أرجى آية فى القرآن : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾[1] ، الآية ، لكنّا أهلَ البيت نقول : إن أرجى آية فى كتاب الله ﴿ولسوف يُعطيك ربُّكَ فَتَرْضَى﴾[2] ، وهى الشفاعة .

الرابع : ما أخرجه الواحدىّ عن علىّ بن الحسين ، قال : « أشدُّ آية على أهل النار : ﴿فَذُوقُوا فلنْ نَزِيدَكُمْ إلَّا عَذَابًا﴾[3] ، وأرجى آية فى القرآن لأهل التوحيد ﴿إنَّ اللهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . . . .﴾[4] الآية » .

وأخرج الترمذىّ – وحسّنه – عن علىّ ، قال : أحبُّ آية إلىّ فى القرآن : ﴿إنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . . .﴾ الآية .

الخامس : ما أخرجه مُسلِم فى صحيحه ، عن ابن المبارك ، أن أرجى آية فى القرآن قولُه تعالى : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ﴾[5] ، إلى قوله : ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[5] .

السادس : ما أخرجه ابنُ أبى الدنيا فى كتاب التوبة ، عن أبى عثمان النّهدىّ قال : ما فى القرآن آيةٌ أرجَى عندى لهذه الأمة من قوله : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[6] .

السابع والثامن : قال أبوجعفر النحّاس فى قوله : ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلَّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾[7] : إن هذه الآية عندى أرْجَى آية فى القرآن ؛ إلا أن ابن عباس قال : أرجى آية فى القرآن : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[8] وكذا حكاه عنه مكّى ، ولم يقل : « على إحسانهم » .

---

(١) الزمر ٥٣ (٢) الضحى ٥
(٣) النبأ ٣٠ (٤) النساء ٤٨
(٥) النور ٢٢ (٦) التوبة ١٠٢
(٧) الأحقاف ٣٥ (٨) الرعد ٦

التاسع : روي الهرويّ فى مناقب الشافعى عن ابن عبد الحكم ، قال : سألتُ الشافعيّ : أيّ آية أرجى ؟ قال : قوله : ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (١) ، قال : وسألته عن أرجى حديث للمؤمن ، قال : « إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه » .

العاشر : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (٢) .

الحادى عشر : ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ (٣) .

الثانى عشر : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٤) حكاه الكرمانى فى العجائب

الثالث عشر : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٥) .

حكى هذه الأقوال الأربعة النووي فى رءوس المسائل ، والأخير ثابت عن على ؛ ففى مسند أحمد عنه قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى ، حدثنابها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٥) ، وسأفسرها لك ياعليّ : ماأصابكم من مرضٍ أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم ، والله أكرمُ من أن يثنّي العقوبة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعودَ بعد عفوه :

الرابع عشر : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٦) قال الشبلى : إذا كان الله أذِن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة ، أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها ؟ ! .

---

(١) البلد ١٥ ، ١٦
(٢) الاسراء ٨٤
(٣) سبا ١٧
(٤) طه ٤٨
(٥) الشورى ٣٠
(٦) الأنفال ٣٨

الخامس عشر : آيةُ الدَّيْن ، ووجهه أن الله أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدَّين الكثير والحقير ؛ فمقتضى ذلك ترجى عفوه عنهم لظهور العناية العظيمة بهم .

قلت : ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذِر ، عن ابن مسعود ، أنه ذُكِر عنده بنو إسرائيل ، وما فضَّلهم الله به ، فقال : كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدُهم ذنباً أصبح وقد كتِبت كفارته على أسكفّة بابِه ، وجعِلت كفارةُ ذنوبكم قولاً تقولونه ؛ تستغفرون الله فيغفر لكم ، والذي نفسى بيده لقد أعطانا الله آية لهِىَ أحبُّ إلى من الدنيا وما فيها : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ . . . ﴾ (١) الآية .

وما أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب التوبة عن ابن عباس قال : ثمانى آياتٍ نزلت فى سورة النساء ، هنَّ خير لهذه الأُمة ممّا طلعت عليه الشمس وغربت : أولهُنَّ ﴿ يريدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) والثانية ﴿ وَاللهُ يريدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيريدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ﴾ (٣) والثالثة ﴿ يريدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ... ﴾ (٤) الآية ، والرابعة ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كبائرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ . . . ﴾ (٥) الآية ، والخامسة ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ . . . ﴾ (٦) الآية ، والسادسة ﴿ وَمَنْ يعمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ . . . ﴾ (٧) والسابعة ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . . . ﴾ (٨) الآية ، والثامنة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ . . . ﴾ (٩) الآية .

---

(١) آل عمران ١٣٥
(٢) النساء ٢٦
(٣) النساء ٢٧
(٤) النساء ٢٨
(٥) النساء ٣١
(٦) النساء ٤٠
(٧) النساء ١١٠
(٨) النساء ٤٨
(٩) النساء ١٥٢

وما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : سئل ابن عباس : أىُّ آية أرجى فى كتاب الله ؟ قال : قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (١)

وما أخرجه ابن راهويه ، فى مسنده ، أنبأنا أبو عمر العَقَديّ ، أنبأنا عبد الجليل بن عطيّة ،عن محمد بن المنتشر ، قال : قال رجل لعمر بن الخطاب : إنّي لأعرف أشدَّ آية فى كتاب الله تعالى ،فأهوى عمرُ فضربه بالدِّرَّة ، وقال : مالك نقّبت عنها حتى علمتها ! ماهى ؟ قال : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (٢) فما منّا أحد يعمل سوءًا إلا جزي به ، فقال عمر : لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولاشراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٣)

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ، قال : سألت أبا برزة الأسلميّ عن أشد آية فى كتاب الله تعالى على أهل النار . فقال : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (٤) .

وفى صحيح البخارى عن سفيان ، قال : مافى القرآن آية أشدّ عليّ من ﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٥) .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس . قال : مافى القرآن أشد توبيخًا من هذه الآية : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ .. ﴾ (٦) الآية .

وأخرج ابن المبارك ، فى كتاب الزهد عن الضَّحاك بن مزاحم ، قرأ فى قول الله ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ (٦)

---

(١) فصلت ٣٠ (٢) النساء ١٢٣
(٣) النساء ١١٠ (٤) النبأ ٣٠
(٥) المائدة ٦٨ (٦) المائدة ٦٣

قال : والله ما فى القرآن آيةٌ أخوف عندي منها .

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن الحسن ، قال : ماأُنزلتْ على النبي صلى الله عليه وسلم آية كانت أشد عليه من قوله : ﴿ وتُخْفِي فى نَفْسِكَ مَااللهُ مُبْدِيه . . ﴾ (١) الآية .

وأخرج ابنُ المنذر عن ابن سيرين : لم يكن شيء عندهم أخوفَ من هذه الآية : ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَباليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وعن أبي حنيفة : أخوف آية فى القرآن : ﴿واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين﴾(٣)

وقال غيره : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلاَنِ ﴾(٤) ولهذا قال بعضهم : لو سمعتُ هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنَمْ .

وفى النوادر لأبي زيد ، قال مالك : أشدّ آية على أهل الأهواء قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسودُّ وُجُوهٌ . . . ﴾ (٥) الآية ، فتأوَّلها على أهل الأهواء . انتهى .

وأخرج ابن أبيحاتم عن أبي العالية ، قال : آيتان فى كتاب الله ما أشدهما على من يجادل فيه ﴿ مَا يُجَادِلُ فِى آياتِ اللهِ إلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٦) ، ﴿ وَإنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فى الكِتَابِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(٧) .

وقال السعيديّ : سورة الحج من أعاجيب القرآن ، فيها مكيٌّ ومدنيٌّ ،وحضريّ وسفريّ ، وليليّ ونهاريّ ، وحربيّ وسلميّ ، وناسخ ومنسوخ ، فالمكيّ من رأس الثلاثين إلى آخرها ، والمدنيّ من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين ، والليليّ

---

(١) الأحزاب ٣٧
(٢) البقرة ٨
(٣) آل عمران ١٣١
(٤) الرحمن ٣١
(٥) آل عمران ١٠٦
(٦) غافر ٤
(٧) البقرة ١٧٦

خمس آيات من أولها ، والنهارىّ من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتى عشرة ، والحضرىّ إلى رأس العشرين .

قلت : والسفرىّ أولها ، والناسخ ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ . . ﴾ [(١)] الآية ، والمنسوخ ﴿ اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ . . . ﴾ [(٢)] الآية نسختها آية السيف ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ . . . ﴾ [(٣)] الآية نسختها ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [(٤)] .

وقال الكرمانىّ : ذكر المفسّرون أن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ... ﴾ [(٥)] الآية ، من أشكلِ آية فى القرآن حكما ومعنى وإعرابًا .

وقال غيره : قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ . . . ﴾ [(٦)] الآية جمعتْ أصول أحكام الشريعة كلّها : الأمر ، والنهى ، والإباحة ، والخبر .

وقال الكرمانى فى العجائب فى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ ﴾ [(٧)] ؛ قيل : هو قصة يوسف ، وسمّاها « أحسن القصص » لاشتمالها على ذكر حاسدٍ ومحسودٍ ، ومالك ومملوك ، وشاهدٍ ومشهود ، وعاشق ومعشوق ، وحبس وإطلاق ، وسجن وخلاص ، وخصب وجدب ، وغيرها ممّا يعجز عن بيانها طوق الخلق .

وقال : ذكر أبو عبيدة عن رؤبة : مافى القرآن أعرب من قوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [(٨)] .

وقال ابن خالويه فى كتاب ليس : ليس فى كلام العرب لفظ جمع لغات مالنافية إلّا حرف واحد فى القرآن ، جمع اللغات الثلاث ، وهو قوله : ﴿ مَا هُنَّ

(١) الحج ٣٩ — (٢) الحج ٦٩
(٣) الحج ٥٢ — (٤) الأعلى ٦
(٥) المائدة ١٠٦ — (٦) الأعراف ٣١
(٧) يوسف ٣ — (٨) الحجر ٩٤

﴿ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ [١] . قرأ الجمهور بالنصب . وقرأ بعضهم بالرفع ، وقرأ ابن مسعود ﴿ مَاهُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ ﴾ ، بالباء ، قال : وليس فى القرآن لفظ على « افعوعل » إلا فى قراءة ابن عباس ﴿ أَلاَ إِنَّهم يَثْنَوْنِى صُدورهم ﴾[٢] .

وقال بعضهم : أطول سورة فى القرآن البقرة ، وأقصرها الكوثر . وأطول آية فيه آية الدَّين . وأقصر آية فيه ﴿ والضُّحٰى ﴾ ، ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ . وأطول كلمة فيه رسمًا ﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوه ﴾ [٣] .

وفى القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً . . . ﴾[٤] الآية . ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . . . ﴾[٥] الآية .

وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا فى موضعين : ﴿ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى ﴾[٦] ، ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى ﴾ [٧] .

ولا كافان كذلك إلا ﴿ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ [٨] ، ﴿ مَاسَلَكَكُمْ ﴾ [٩] .

ولا غينان كذلك إلا ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ ﴾ [١٠] .

ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كافًا إلا آية الدَّين .

ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفًا إلا آيتا المواريث .

ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا والعصر إلى آخرها .

ولا سورة إحدى وخمسون آية(*) ، فيها اثنان وخمسون وقفًا إلا سورة الرحمن . ذكر أكثر ذلك ابن خالويه .

---

(١) المجادلة ٢ (٢) هود ٥

(٣) الحجر ٢٢ (٤) آل عمران ١٥٤

(٥) الفتح ٢٩ (٦) البقرة ٢٣٥

(٧) الكهف ٦٠ (٨) البقرة ٢٠٠

(٩) المدثر ٤٢ (١٠) آل عمران ٨٥

(*) سورة الرحمن ٨٧ آية كما هو فى المصاحف المتداولة .

وقال أبو عبد الله الخبازي المقرئ : أول ماوردتُ على السلطان محمود بن ملكشاه سألني عن آية أولها غين ، فقلت : ثلاث : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ﴾ (١) وآيتان بخلف : ﴿ غُلِبَتِ الرُّوم ﴾ (٢) ، ﴿ غَيْرِ المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ (٣) .

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر : في القرآن أربع شدّات متوالية : في قوله :

﴿ نَسِيًّا ۝ رَّبُّ السَّمٰوَاتِ ﴾ (٤) .

﴿ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَّغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾ (٥) .

﴿ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (٦) .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ ﴾ (٧) .

• • •

(١) غافر ٣ (٢) الروم ٢

(٣) الفاتحة ٧ (٤) مريم ٦٤ ، ٦٥

(٥) النور ٤٠ (٦) يس ٥٨

(٧) الملك ٥

النوع الخامس والسبعون

فى خواصّ القُرآن.

أفرده بالتصنيف جماعة منهم التَّميميّ وحجة الإسلام الغزالىّ، ومِن المتأخرين اليافعىّ، وغالب مايذكر فى ذلك كان مستنده تجارب الصالحين، وها أنا أبدأُ بما ورد من ذلك فى الحديث، ثم ألتقط عيونًا ممّا ذكره السلف والصالحون:

أخرج ابن ماجة وغيره من حديث ابن مسعود: «عليكم بالشفاء ين: العسل والقرآن».

وأخرج أيضًا من حديث علىّ: «خير الدواء القرآن».

وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرِّف، قال: «كان يقال إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفَّة».

وأخرج البيهقىّ فى الشُّعب عن واثلة بن الأسقع، أنَّ رجلا شكا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وجع حلْقه، قال: «عليك بقراءة القرآن».

وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرىّ، قال: جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال: «إنِّى أشتكى صدري»، قال: «اقرأ القرآن»، لقول الله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ﴾.

وأخرج البيهقىّ وغيره من حديث عبد الله بن جابر: «فى فاتحة الكتاب شفاء من كلّ داء».

وأخرج الخلعىّ فى فوائده من حديث جابر بن عبد الله: «فاتحة الكتاب شفاءٌ من كل شىء إلا السامّ» والسام الموت.

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقىّ وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرىّ : « فاتحة الكتاب شفاء من السمّ » .

وأخرج البخارى من حديثه أيضاً قال : « كنّا فى مسيرٍ لنا فنزلنا ، فجاءت جارية فقالت : إن سيّد الحىّ سليم (١) ، فهل معكم راقٍ ؟ فقام معها رجل ، فرقاه بأُمّ القرآن فبرئ ؛ فذُكر للنبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « وما كان يدريه أنها رُقْية ! » .

وأخرج الطبرانىّ فى الأوسط ، عن السائب بن يزيد ، قال : عوّذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب تفلاً .

وأخرج البزّار من حديث أنس ، إذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأْت فاتحة الكتاب ،وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شىء إلا الموت » .

وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة : « إن البيت الذى تُقرأُ فيه البقرة لايدخله الشيطان » .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند بسند حسن عن أبىّ بن كعب قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابىّ فقال : يانبى الله ، إن لى أخاً وبه وجع ، قال : وما وجعه ؟ قال : به لَمَم ، قال : فأْتنى به ، فوضعه بين يديه ، فعوّذه النبىّ صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول سورة البقرة ، وهاتين الآيتين ، وإلٰهكم إلٰه واحد ، وآية الكرسىّ ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(٢) ، وآية من الأعراف : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾ (٣) ، وآخر سورة المؤمنون»

---

(١) سليم . أى ملدوغ (٢) آل عمران ١٨

(٣) الأعراف ٥٤

﴿ فَتَعَالَى اللهُ الملِكُ الحقُّ ﴾ [١] ، وآية من سورة الجنّ ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [٢] : وعشر آيات من أول الصافّات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وقل هُو الله أحد ، والمعوّذتيْن ؛ فقام الرّجل كأنه لم يشكُ قط .

وأخرج الدّارمىّ عن ابن مسعود موقوفًا : « مَنْ قرأ أربع آيات من أوّل سورة البقرة ، وآية الكرسىّ ، وآيتين بعد آية الكرسى ، وثلاثًا من آخر سورة البقرة ، لم يقرَبْه ولا أهلَه يومئذ شيطان ولا شىء يكرَهُه ، ولا يُقرَأْنَ على مجنون إلّا أفاق » .

وأخرج البخارىّ عن أبى هريرة فى قصة الصدقة : « إنّ الجنّى قال له : إذا أويت إلى فراشك فاقرأْ آية الكرسىّ ، فإنّك لن يزالَ عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتّى تصبح ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أما إنّه صَدَقك ، وهو كذوب » .

وأخرج المَحَاملىّ فى فوائده عن ابن مسعود ، قال : قال رجل : يارسولَ الله ، علّمْنِى شيئا ينفعنى الله به ، قال : « اقرأ آية الكرسى ، فإنّه يحفظك وذرّيتك ، ويحفظُ دارك ، حتّى الدّويراتِ حول دارك » .

وأخرج الدّينورىّ فى المجالسة ، عن الحسن ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ جبريل أتانى فقال : إنّ عفريتا من الجنّ يَكيدك ، فإذا أويتَ إلى فراشك ، فاقرأْ آية الكرسىّ » .

وفى الفردَوْس من حديث أبى قتادةَ : « من قرأ آية الكرسىّ عند الكرب أغاثه الله » .

وأخرج الدارمىّ عن المغيرة بن سَبيع ــ وكان من أصحاب عبد الله ــ قال :

---

(١) المؤمنون ١١٦ (٢) الجن ٣

«من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه ، لم ينس القرآن : أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث من آخرها» .

وأخرج الديلمى من حديث أبي هريرة مرفوعا : «آيتان هما قرآن ، وهما يشفيان ، وهما ممّا يحبّهما الله ، الآيتان من آخر سورة البقرة» .

وأخرج الطَّبرانى عن معاذ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال له : «ألاَ أعلِّمك دعاءً تدعُو به ، لو كان عليك من الدَّيْن مثل صبرٍ [1] أدّاه الله عنك : ﴿قُلِ اللهمّ مالكَ الملكِ تؤتى الملك مَنْ تشاء﴾ إلى قوله : ﴿بغير حساب﴾ [2] ، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، تعطى من تشاء منهما ، وتمنع مَنْ تشاء ، ارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة مَنْ سِواك» .

وأخرج البيهقىّ فى الدّعوات عن ابن عباس : «إذا استصعبَتْ دابّة أحدكم أو كانت شَموسًا ، فليقرأ هذه الآية فى أذنيها : ﴿أفغير دينِ الله يبغون وله أسلم مَن فى السموات والأرضِ طوعًا وكرهًا وإليه يُرْجعون﴾ [3] .

وأخرج البيهقى فى الشعب بسند فيه من لايعرَف ، عن علىّ ، موقوفا : «سورة الأنعام ماقرئت على عليل إلّا شفاه الله» .

وأخرج ابن السنىّ عن فاطمةَ ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا دنا ولادها ، أمَر أمّ سلمةَ وزينب بنت جَحْش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسىّ . و ﴿إنّ رَبَّكُمُ الله . . .﴾ [4] الآية ، ويعوّذاها بالمعوّذتين .

وأخرج ابنُ السُّنىّ أيضا من حديث الحُسَين بن علىّ : «أمانٌ لأُمّتى من

---

(١) حاشية الأصل : «صبير : جبل باليمن» وفى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٧٠ «مثل ثبير» . وثبير جبل بمكة .

(٢) آل عمران ٢٦ - ٢٧

(٣) آل عمران ٨٣

(٤) الأعراف ٥٤

الغَرق ، إذَا ركبوا أن يقرءوا : ﴿ بسم اللهِ مَجْرِيٰهَا ومُرْسٰهَا إنَّ رَبِّى لغفورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] ، ﴿ وما قدَروا الله حق قدْره . . . . ﴾[٢] الآية .

وأخرج ابنُ أبى حاتم عن لَيْث ، قال : « بلَغنِى أنَّ هؤلاء الآيات شفاء من السِّحر : يُقْرَأْن على إناء فيه ماء ، ثم يصبّ على رأس المسحور : الآية التى فى سورة يونس : ﴿ فلمَّا ألقوْا قال موسى ماجئتُمْ به السِّحْرُ ﴾ إلى قوله : ﴿ المجرمون ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ فوقَع الحقُّ وبَطَلَ مَا كانُوا يعملون ﴾[٤] ، إلى آخر أربع آيات ، وقوله : ﴿ إنَّما صَنَعُوا كيْدُ ساحِرٍ . . . ﴾[٥] الآية .

وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبى هريرة : « ماكرَبَنِى أمرٌ إلا تمثَّل لى جبريل ، فقال : يامحمد ، قل « توكَّلْتُ على الحىِّ الذى لا يموت » ، ﴿ وَقُلِ الحمدُ للهِ الَّذِي لم يتخذْ ولدًا ولم يكنْ لَهُ شريكٌ فى المُلْكِ ولم يكنْ لَه وَلِىٌّ من الذلّ وكَبِّره تكبيرًا ﴾[٦]

وأخرج الصَّابونىّ فى المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا : « هذه الآية أمانٌ من السرَق : ﴿ قُلِ ادعوا الله أو ادْعُوا الرحمن . . . ﴾[٧] إلى آخِرِ السورة .

وأخرج البيهقىّ فى الدَّعوات من حديث أنَس : « ماأنعم الله على عبدٍ نعمة فى أهل ولا مال ولا ولدٍ ، فيقول : ماشاء الله لاقوّة إلّا بالله ، فيرى فيه آفة دون الموت » .

وأخرج الدَّارمىّ وغيره من طريق عَبْدة بن أبى لُبابة ، عن زرّ بن حُبَيش ، قال : « مَنْ قرأ آخر سورة الكهف لساعةٍ يريدُ أن يقومَها من الليل قامها » . قال عبدة : فجرَّبْناه فوجدناه كذلك .

---

(١) هود ٤١
(٢) الأنعام ٩١
(٣) يونس ٨١
(٤) الأعراف ١١٨
(٥) طه ٦٩
(٦) الاسراء ١١١
(٧) الاسراء ١١٠

وأخرج التِّرمذيّ والحاكم من سعد بن أبي وقاص : « دَعْوَةُ ذِي النُّون إذْ دعاها وهو فى بطن الحوت : ﴿لا إلَه إلا أنتَ سبحانَك إنى كنْتُ من الظَّالِمِين﴾[1] ، لم يَدْعُ بها رجل مسلم فى شىء إلا استجاب الله له » .

وعن ابن السّنىّ : « إنى لأعلم كلمة لايقولُها مكروب إلا فرّج عنه ؛ كلمة أخى يونس : ﴿ فَنَادَى فى الظُّلُمَاتِ أن لاإلَهَ إلا أنتَ سبحانك إنى كُنتُ من الظالمين ﴾[1] .

وأخرج البيهقىّ وابن السنى وأبو عبيد عن ابن مسعود ؛ أنه قرأ فى أذن مبتلىً فأفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماقرأْتَ فى أذِنه ؟ قال :﴿ أفحسِبتُم أنَّما خلقناكُمْ عبثًا . . ﴾[2] إلى آخر السورة ، فقال : لو أن رجلا مؤمنًا قَرأ بها على جبلٍ لزال » .

وأخرج الديلمىّ وأبو الشيخ بن حبان فى فضائله من حديث أبى ذرّ : « مامن ميّت يموت فيقرأ عنده يٓس إلا هوّن الله عليه » .

وأخرج المحاملىّ فى أماليه ، من حديث عبد الله بن الزُّبير : « مَن جعل يٓس أمام حاجةٍ قضِيَت له » . وله شاهد مرسَل عن الدارمى .

وفى المستدرَك عن أبى جعفر محمد بن علىّ ، قال : « مَنْ وَجد فى قلبه قسوةً فليكتب يٓس فى جام بماء ورد وزَعفران ثم يشربُه » .

وأخرج ابن الضُّرِيس عن سعيد بن جُبير . أنه قرأ على رجل مجنون سوره يٓس فبرأ .

وأخرج أيضًا عن يحيى بن أبى كثير قال : « مَنْ قرأ يٓس إذا أصبح لم

(١) الأنبياء ٨٧ (٢) المؤمنون ١١٥

يزل فى فرح حتى يُمسى ، ومَنْ قرأها إذا أمسى لم يزل فى فرح حتى يصبح أخبرنا من جرّب ذلك .

وأخرج الترمذيّ من حديث أبى هريرة : « مَن قرأ الدّخان كلّها ، وأول غافر إلى ﴿ إليه المصير ﴾ (١) وآية الكرسى حين يُمسى ، حُفِظ بها حتّى يصبح ، ومَن قرأها حين يُصبح حُفِظ بها حتّى يُمسِى » . رواه الدّارمىّ بلفظ « لم ير شيئًا يكرهه » .

وأخرجَ البيهقىّ والحارث بن أبى أسامة وأبو عُبيد عن ابن مسعود مرفوعا « من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا » .

وأخرج البيهقىّ فى الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة يعسُر عليها ولادها قال : يُكتب فى قرطاس ثمّ تسقَى : « باسم الله الذى لاإله إلاهو الحليم الكريم ، سبحان الله وتعالى ربّ العرش العظيم . الحمد لله ربّ العالمين » ، ﴿ كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشية أو ضحاها ﴾ (٢) . ﴿ كأنّهم يوم يَرَون مايُوعدون لم يلبَثُوا إلا ساعةً من نهارٍ بَلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلا القوم الفاسقون ﴾ (٣)

وأخرج أبوداود عن ابن عباس قال : إذا وجدتَ فى نفسك شيئًا – يعنى الوسوسة ، فقل : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بكلّ شىء عَلِيمٌ ﴾ (٤)

وأخرج الطبرانى عن علىّ قال : لدغت النبىّ صلى الله عليه وسلم عقرب . فدعا بماء وملح وجعل يَمْسح عليها . ويقرأ : ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل أعوذ بربّ الفلق ﴾ ، ﴿ قل أعوذ بربّ الناس ﴾ .

وأخرج أبو داود والنّسائى وابن حبّان والحاكم عن ابن مسعود . أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره الرُّقَى إلا بالمعوّذات .

---

(١) غافر ٣ (٢) النازعات ٤٦
(٣) الأحقاف ٣٥ (٤) الحديد ٣

وأخرج الترمذيّ والنّسائى عن أبي سعيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذات . فأخذها وترك ماسواها .

فهذا ما وقفت عليه فى الخواصّ من الأحاديث التى لم تصل إلى حدّ الوضع ومن الموقوفات عن الصحابة والتابعين :

وأمّا مالم يرد به أثر ، فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا جدا الله أعلم بصحته

ومن لطيفهِ ماحكاه ابن الجوزيّ عن ابن ناصر عن شيوخه ، عن ميمونة بنت شاقول البغدادية ، قالت : آذانا جار لنا ، فصليت ركعتين ، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن ، وقلت : اللهم اكفنا أمره ثم نمت وفتحت عيني ، وإذا به قدنزل وقت السحَر : فزلّت قدمه فسقط ومات .

• • •

تنبيه

قال ابن التّين : الرُّقى بالمعوّذات وغيرها من أسماء الله تعالىَ هو الطبّ الرّوحانيّ إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله ، فلمّا عزَّ هذا النوعُ فزع الناس إلى الطبّ الجثمانىّ .

قلت : ويُشير إلى هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لو أنَّ رجلاً موقِنًا قرأ بها على جبلٍ لزال » .

وقال القرطبيّ : تجوز الرُّقْية بكلام الله وأسمائه ، فإنْ كان مأْثورًا استُحِبّ

وقال الربيع : سألْتُ الشافعىّ عن الرُّقْيَة فقال : لابأْس أن يُرْقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله .

وقال ابن بطّال : فى المعوّذات سرٌ ليس فى غيرها من القرآن ؛ لما اشتملت

عليه من جوامع الدُّعاء التى تعمّ أكثر المكروهات ؛ من السّحر والحسد وشرّ الشيطان ووسوسته وغير ذلك ؛ فلهذا كان صلى الله عليه وسلم يكتفِى بها .

وقال ابن القيّم فى حديث الرّقية بالفاتحة : إذا ثبَت أنّ لبعض الكلام خواصّ ومنافع ، فما الظنّ بكلام ربّ العالمين ، ثم بالفاتحة الّتى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها ؛ لتضمّنها جميع مافى الكتاب ، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامِعها وإثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار إلى الربّ فى طلب الإعانة به والهداية منه ، وذكرِ أفضلِ الدعاء ، وهو طلب الهداية إلى الصّراط المستقيم المتضمّن كمالَ معرفته وتوحيده وعبادته ، بفعل ماأمَر به واجتناب مانهى عنه والاستقامة عليه ، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعَم عليه لمعرفته بالحق والعمل به ، ومغضوبٍ عليه لعدوله عن الحقّ بعد معرفتة ، وضال لعدم معرفته له ، مع ماتضمنته من إثبات القدَر والشّرع والأسْماء والمعاد والتوْبة وتزكية النفْس وإصلاح القلب والرّد على جميع أهل البدَع وحقيق بسورةٍ هذا بعضُ شأنها أن يستشفى بها من كلّ داء ! انتهى .

• • •

مسألة

قال النوويّ فى شرح المهذب : لو كُتب القرآن فى إناء ثم غسله وسقاه المريض فقال الحسن البصريّ ، ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعىّ : لا بأس به وكرهه النَّخعِىّ ، قال : ومقتضى مذهبنا أنه لابأس به ؛ فقد قال القاضى حسين والبغويّ وغيرهما : لو كتِبَ قرآن على حلْوي وطعام فلا بأس بأكله . انتهى .

قال الزّركشىُّ : ممن صرّح بالجواز فى مسألة الإناء العماد النّيهىّ مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية ؛ لكنّ أفتى ابنُ عبد السلام بالمنع من الشرب أيضا ؛ لأنه لاقيه نجاسة الباطن . وفيه نظر .

النوع السادس والسبعون

فى مرسوم الخطِ وآداب كتَابته .

أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين ، منهم أبو عمرو الدّانى .

وألّف فى توجيه ماخالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشى (١) كتاباً سمّاه « عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل » بيّن فيه أن هذه الأحرف إنّما اختلف حالها فى الخط بحسب اختلاف أحوال معانى كلماتها ، وسأشير هنا إلى مقاصد ذلك إن شاء الله تعالى :

أخرج ابن أشْتِه فى كتاب المصاحف بسنده عن كعب الأحبار ، قال : أوّلُ مَنْ وضع الكتاب العربىّ والسّريانىّ والكتب كلَّها آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتَبَها فى الطين ، ثم طبخه . فلمّا أصابَ الأرض الغَرَق أصاب كلَّ قومٍ كتابهم فكتبوه ، فكان إسماعيل بن إبراهيم أصاب كتاب العرب (٢) .

ثم أخرج من طريق عكرمة ، عن ابن عباس قال : أوّلُ مَنْ وضع الكتاب العربى إسماعيل ، وضع الكتاب كلَّه على لفظه ومنطقه ، ثم جعله كتاباً واحداً مثل الموصول ؛ حتى فرّق بينه ولده . يعنى أنه وصل فيه جميع الكلمات ، ليس بين الحروف فرق هكذا : «بِسْمِللّهِرَّحْمٰنِرَّحِيم» . ثمّ فرقه من بنيه ، هُمَيْسَع وقيذَر .

---

(١) هو أبو العباس احمد بن محمد بن عثمان الأزدى المراكشى ، المعروف بابنْ البنّـاء ، توفى سنة ٧٢١ هـ . ذكره صاحب كشف الظنون .

(٢) نقله ابن فارس فى فقه اللغة ص ٧ .

ثم أخرج من طريق سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : أوّل كتاب أنزله الله من السمّاء أبو جاد .

وقال ابن فارس : الذي نقوله : إن الخطّ توقيفيّ ، لقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الإنسان مالم يعلَمْ ﴾[١] ، ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾[٢] ، وإن هذه الحروف داخلة فى الأسماء التى علَّم الله آدم[٣] .

وقد ورد فى أمر أبى جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ، ليس هذا محلّها ، وقد بسطتُها فى تأليف مفرد .

• • •

فصـــل

القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه ، وقد مهّد النحاة له أصولا وقواعد ، وقد خالفها فى بعض الحروف خطُّ المصحف الإمام .

وقال أشهب[٤] : سئل مالك : هل يُكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلّا على الكتْبة الأولى . رواه الدانى فى المُقْنِع[٥] ، ثم قال : ولا مخالف له من علماء الأمة[٦] .

وقال فى موضع آخر : سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف ؛ أترى أن يُغيّر من المصحف إذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا[٧] .

قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيدتين فى الرسم المعدومتين فى اللفظ.

---

(١) العلق ٤ ، ٥ (٢) القلم ١
(٣) فقه اللغة
(٤) هو أشهب بن عبد العزيز ، وانظر الديباج المذهب ٩٨ .
(٥) ص ١٠ (٦) نقله فى البرهان ١ : ٣٧٩
(٧) ص ٣٠ مع تصرف

نحو [الواو في] (١) « أولوا » ، وقال الإمام أحمد : يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أوياء أو ألف أو غير ذلك .

وقال البيهقيّ في شُعب الإيمان : من يكتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه . ولا يغيّر مما كتبوه شيئًا ، فإنهم كانوا أكثر علمًا ، وأصدق قلبا ولسانًا ، وأعظم أمانةً منّا . فلا ينبغي أن نظنّ بأنفسنا استدراكا عليهم (٢) .

قلت : وسنحصر أمر الرسم في الحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل . وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما .

القاعدة الأولى

[في الحذف]

تحذف الألف من ياء النداء . نحو « يٰأيها الناس » . « يٰآدم » . « يٰرب » « يٰعبادي » ، وهاء التنبيه . نحو : « هٰؤلاء » . « هٰأنتم » . ونا مع ضمير « أنجينٰكم » ، « آتينٰه » .

ومن ذلك : « أولٰئك » ، و « لٰكن » ، و « تبٰرك » . وفروع الأربعة : و « الله » ، و « إلٰه » كيف وقع ، و « الرحمٰن » ، و « سبحٰن » . كيف وقع ، إلا : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ (٣) .

وبعد لام نحو : « خلٰئف » . « خِلٰف رسول الله » . « سلٰم » . « غلٰم » . « إيلٰف » . « يلٰقوا » .

---

(١) من المقنع

(٢) نقله في البرهان ١ : ٣٧٩ .

(٣) الاسراء ٩٣

وبين لامين ، نحو : «الكلٰلة» ، «الضٰلٰلة» ، «وخلٰل» . «للدار» ﴿ للذِى ببكّة ﴾ (١) .

ومن كلّ علَم زائد على ثلاثة كإبرٰهيم وصٰلح ، وميكٰئيل ،إلا جالوت وطالوت وهامان (٢) ويأجوج ومأجوج وداود لحذف واوه ، وإسرائل لحذف يائه.

واختلف فى هاروت وماروت وقارون .

ومن كل مثنىّ ؛ اسم أو فعل إن لم يتطرّف ، نحو : «رجلٰن» ، «يُعَلّمٰن» «أضلٰنا» ، «إن هٰذٰن» ، إلا «بما قدمت يَدَاك» .

ومن كلّ جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث ؛ نحو : «اللٰعنون» ، ملٰقوا ربّهم » . إلا «طاغون» ، فى الذاريات والطّور ، «وكرامًا كاتبين» وإلاّ «روضات» فى شورى ، و «آياتٍ للسائلين» ، و «مكرٌ فى آياتنا» ، و «آياتنا بيّنات» فى يونس ، وإلاّ إن تلاها همزة ، نحو «الصائمين والصائمات» ، أو تشديد نحو : «الضالّين» ، و «الصافّات» ، فإن كان فى الكلمة ألف ثانية حذفت أيضا ، إلا «سَبْع سَمٰوات» فى فصّلت .

ومن كل جمع على «مفاعل» أو شبهه ، نحو : المٰسجد ومٰسكن واليتٰمى والنصٰرى والمٰسكين والخبٰئث والمَلٰئكة ، والثانية من «خطٰيٰنا» كيف وقع .

ومن كلّ عدد كثَلٰث وثُلٰث ،و «سٰحرٍ» كيف وقع إلا فى آخر الذاريات ـ فإن ثُنّي فألِفاه ـ والقيٰمة والشيطٰن وسلطٰن وتعٰلى واللّٰتى ، واللّٰئِي وخلٰق وعٰلم وبقٰدر والأصحٰب والأنهٰر والكتٰب ؛ ومنكّر الثلاثة ، إلا أربعة مواضع : «لكل أجل كتاب» . «كتاب معلوم» ، «كتاب ربّك» ، «كتاب

---

(١) آل عمران ٩٦

(٢) علماء الرسم لايستثنون «هامان» من الحذف قالوا :

وَلاَ خـلافَ بَعْـدحَرْفِ المـيمِ فى الحذفِ فى هامان فى المرسـوم

مبين » في النمل ، ومن البسملة وبِسْمِ الله مجراها . ومن أول الأمر من « سأَل » .

ومن كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثة ، نحو ءادم ، ءاخر ، ءأشفقتم ، ءأنذرتم .

ومن رءا ، كيف وقع ، إلا « مارأي » ، « ولقد رأى » في النجم ، وإلا نائي وءالئن ، إلا ﴿ فمن يستمع الآن ﴾ [1] .

والألفان من « ليئكة » ، إلا في الحجر ، وق .

• • •

وتحذف الياء من كل منقوص منون ، رفعا وجرًّا ؛ نحو « باغ ولا عادٍ » .

والمضاف لها إذا نودى . إلا ﴿ يٰعبادىَ الذين أسرفوا ﴾[2] . ﴿ يٰعبادىَ الذين آمنوا ﴾ [3] في العنكبوت أو لم يناد ، إلا ﴿ وقل لعبادى ﴾ [4] ، ﴿ أنْ أسْرِ بعبادى ﴾ [5] في طه وحم ﴿ فادخلى في عبادى ، وادخلى جنتى ﴾ [6] .

ومع مثلها نحو « وليّ » ، « والحواريّن » ، و « متكئين » ، إلا « عليين » ، و « يحيْ » ، و « نحيْ » ، و « مكر السيئْ » ، « وسيئة » ، و « السيئة » ، و « أفعيينا » ، و « يحيي » مع ضمير لا مفردًا .

وحيث وقع : « أطيعونِ » ، « اتقونِ » ، « خافونِ » ، « ارهبونِ » ، « فأرسلونِ » ، و « اعبدونِ » ؛ إلا في يس ، و « اخشونِ » إلا في البقرة ، « ويكيدون » إلا « فكيدوني جميعا » ، و « اتبعونِ » إلا في آل عمران وطه ، و « لا

(١) سورة الجن ٩
(٢)
(٣) العنكبوت ٥٦
(٤) الاسراء ٥٣
(٥) طه ٧٧ ، الدخان ٢٣
(٦) الفجر ٢٩ ، ٣٠

تنظرونِ » ، و « لا تستعجلونِ » و « لاتكفرونِ » ، و « لاتقربونِ » ، و « لا تخزونِ » ، « ولا تفضحونِ » ، و « يهدينِ » ، « وسيهدينِ » ، و « كذبونِ » ، « يقتلونِ ». « أن يكذِّبون » ، « ووعيد » و « الجوارِ » و « بالواد » ، « والمهتد » إلا فى الأعراف .

وتحذف الواو مع أخرى ، نحو « لا يستوون » ، « فاءوا » ، « وإذا الموءودة » « يئوسا » .

وتحذف اللام مدغمة فى مثلها ، نحو الَّيل ، والذى . إلا الله ، واللهم ، واللعنة وفروعه ، واللهو واللغو واللؤلؤ واللات واللمم واللهب واللطيف واللوامة .

فرع

فى الحذف الذى لم يدخل تحت القاعدة

حذف الألف من « مٰلك الملك » ، « ذرية ضِعٰفا » ، « مرٰغمًا » ، « خٰدعهم » « أكٰلونَ للسحت » « بٰلغ » ، « ليجٰدلوكم » . « وبٰطلٌ ماكانوا يعملون » فى الأعراف وهود ، « الميعٰد » فى الأنفال ، « ترٰبا » فى الرعد والنمل وعمّ ، « جذٰذا » ، « يسٰرعون » ، « آيه المؤمنون » « أيُّهَ الساحر » ، « أيُّهَ الثقلان » « أم موسى فٰرغا » ، « وهل يجٰزى » ، « من هو كٰذب » ، « لِلقٰسِيةِ » ، فى الزمر « أثٰرةٍ » ، « عٰهد عليه الله » ، « ولا كذٰبا » .

وحذفت الياء من « إبرهم » فى البقرة ، و « الدَّاع إذا دعانِ » ، و « من اتَّبَعنِ » ، و « سوف يأْتِ الله » ، « وقد هدانِ » ، « نُنجِ المؤمنين » « فلا تَسألْنِ ما ليس » ، « يوم يأْتِ لاتكلَّم » « حتى تُؤتونِ مَوْثقًا » ، « تفنّدونِ » « المتعالِ » « متابِ » ، « مآبِ » « عقابِ » ، فى الرَّعد وغافر وصٓ ، « فيها عذابِ » ، « أشركتمونِ من قبلُ » « وتقبَّل دعاء » ، « لئن أخَّرتَنِ » ، « أن

يهدينِ » ، « إن ترنِ » ، « أن يؤتينِ » « أن تُعَلِّمنِ » « نبغِ » ، الخمسة فى الكهف : « ألَّا تتَّبعنِ » فى طه . « والبادِ » ، و « إن الله لهادِ » ، « أن يحضرونِ » « ربِّ ارجعونِ » ، و « لا تكلِّمونِ » « يسقينِ » « يشفينِ » ، « يحيينِ » « وادِ النمل » ، « أتمدُّونَنِ » ، « فما آتانِ » ، « تشهدونِ » « بهادِ العمى » . « كالجواب » « إن يُرِدْنِ الرحمن » « لا ينقذونِ » « واسمعونِ » « لَتُرْدِينِ » « صالِ الجحيم » ، « التَّلاقِ » ، « التَّنادِ » ، « ترجمونِ » « فاعتزلونِ » « ينادِ المنادِ » ، « ليعبدونِ » « تُطعمونِ » ، « يدْعُ الدَّاعِ » ، مرتين فى القمر ، « يسْرِ » ، « أكرَمَنِ » ، « أهانَنِ » « ولى دينِ » .

وحذفت الواو من « وَيَدْعُ الإنسان » « ويمحُ الله » فى شُورى ، « يوم يَدْعُ الدَّاعِ » ، « سندعُ الزَّبانية » .

قال المراكشىّ : السرّ فى حذفها من هذه الأربعة التنبيهُ على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشِدَّة وقوع المنفعل المتأثر به فى الوجود ؛ أمّا « ويدُع الإنسان » ، فيدُلّ على أنه سهل عليه ، ويسارع فيه كما يسارع فى الخير ، بل إثبات الشرّ إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير ، وأمَّا « ويمحُ الله الباطل » ، فللإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله ، وأمَّا « يَدْعُ الدَّاعِ » ، فللإشارة إلى سرعة الدُّعاء ، وسرعة إجابة المدعوّين . وأما الأخيرة فللإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزَّبانية وشدة البطش .

• • •

القاعدة الثانية

[فى الزيادة]

زيدت ألف بعد الواو آخر اسم مجموع نحو « بنوا إسرائيل » . « مُلاقوا ربهم » ، «أولوا الألبابِ » ، بخلاف المفرد . نحو « لذوعلم » إلا « الرِّبوا » و « إن امروا هلَكَ » ، وآخر فعل مفرد أو جمع . مرفوع أو منصوب « إلا جاءو » و « باءو » حيث وقعا ، و « عتوْ عتوًّا » . « فإن فاوْ » . « والذين تبوّوْ الدار » ، « عسى الله أن يعفو عنهم » فى النساء . « سعوْ فى آياتنا » فى سبا

وبعد الهمزة المرسومة واو ، نحو : « تفتؤا » . وفى مائة ومائتين والظُّنونا والرَّسُولا ، والسبيلا ، « ولا تقولنَّ لشاىء » و « لاأذبحنه » . « ولا أوْضَعُوا » و « لاإلى الله » ، و « لاإلى الجحيم » ، و « لاتايئسوا » ، « إنه لايايئس » « أفلم يايئس » .

وبين الياء والجيم ، فى « جِاىء » فى الزّمر والفجر . وكتبت « ابن » بالهمزة مطلقا .

وزيدت فى « نباىء المرسلين » ، و « ملإيه » و (ملإيهم » . و « من آنائى الَّيل » فى طه « من تلقائى نفسى » ، « من ورائى حِجاب » فى شورى ، و «إيتائى ذى القربى » فى النَّحل ، و « لقائى الآخرة » فى الروم . « بِأييِّكم المفتون » بنيناها بأييد » ، أفإين مات » ، « أفإين مِتَّ » .

وزيدت واوٌ فى « أولوا » وفروعه ، و « سأوريكم » .

قال المرَّاكشى : وإنَّما زيدت هذه الأحرف فى هذه الكلمات ، نحو « جاىء » . و « نباىء » ، ونحوهما للتهويل والتفخيم والتهديد والوعيد . كما زيدت فى « بأييد » تعظيما لقوة الله تعالى التى بنى بها السَّماء التى لاتشابهها قوة .

وقال الكرمانىّ فى العجائب : كانت صورة الفتحة فى الخطوط قبل الخط العربى ألفًا ، وصورة الضمّة واوًا ، وصورة الكسرة ياء ، فكتبت « لاأوضعوا » ونحوه بالألف ، مكان الفتحة ، و « إيتائى ذى القربى » بالياء مكان الكسرة و « أولئك » ونحوه بالواو مكان الضمة ، لقرب عهدهم بالخطّ الأول .

• • •

القاعدة الثالثة

[فى الهمز]

يكتَب الساكن بحرفِ حركةِ ما قبلة ، أولا ، أو وسطًا أو آخرًا ؛ نحو : إئذن ، وأوْتُمن ، والبأساء ، واقرأ ،وجئناك ، وهيئْ ، والمؤْتُون ،و « تسووْهم » إلا « فادّارءتم » و « رِءيًا » و ، و « الرّءيا » و « شطئه » فحذف فيها ، وكذا أوّل الأمر بعد فاء نحو « فأْتوا » . أو واو نحو : « وأتمروا » .

والمتحرك ؛ إن كان أوّلا أو اتّصل به حرف زائد بالألف مطلقا ؛ نحو « أيوب » « إذ » « أولُوا » . « سأصرف » . « فبأىّ » ، « سأنزل » إلا مواضع : « أئنكم لتشهدون » . « أئنكم لتأْتون » فى النمل والعنكبوت « أئنا لتاركوا » و « أئنّ لنا » فى الشعراء . « أئذامِتْنا » « أئن ذكّرْتم » . « أئفكًا » « أئمة » « لئلاً » . « لئِن » ، « يومئذٍ » ؛ حينئذ » ، فتكتب فيها بالياء . إلا « قل أؤنبّئكم » و « هؤلاء » فتكتب بالواو .

وإن كان وسطًا فبحرف حركته . نحو سأل . سئل ؛ نقرؤه ، إلا جزاؤه الثلاثة فى يوسف . و « لأملَئنّ » . « وامتلئتِ » . و « اشمئزت » . و « اطمئنُوا » فحذف فيها . وإلا ان فتح وكسر أو ضم ماقبله ؛ أو ضم ماقبله ، أو ضم وكسر ما قبله فبحرفه . نحو « الخاطئة » « فؤادك » ، « سنقرئكَ » .

وإن كان ما قبله ساكنا حذف هو . نحو « يُسئل » . « لاتجئروا » « إلا « النشأة » « وموئلا » فى الكهف .

فإن كان ألفا وهو مفتوح ، فقد سبق أنها تحذف لاجتماعها مع ألف مثلها ، إذ الهمزة حينئذ بصورتها ، نحو « أبناءنا » . وحذف منها أيضا فى « قرءانا » فى يوسف والزخرف .

فإن ضم أو كسر فلا نحو : « آباؤكم » ، « آبائهم » . « إلا » وقال أوليؤهم ، « إلى أوليئهم » ، فى الأنعام ، « إن أوليؤه » فى الأنفال ، « نحن أوليؤكم » فى فصلت .

وإن كان بعد حرف يجانسه ، فقد سبق أيضا أنه يحذف . نحو « شنئان « خاسئين » ، « مستهزءون » .

وإن كان آخرا فبحذف حركة ما قبله ، نحو سبأ ، شاطئ ، لؤلؤ ؛ إلا فى مواضع : تفتؤا ، يتفيؤا ، أتوكؤا ، لا تظمؤا ، ما يعبؤا ، يبدؤا ، ينشؤا يدرؤا ، « نبؤا » ، « قال الملؤا » ، الأول فى قد أفلح والثلاثة فى النمل . « جزاؤ » . فى خمسة مواضع ؛ اثنان فى المائدة وفى الزمر والشورى والحشر . « شركؤا » فى الأنعام وشورى ، « يأتهم نبؤا » فى الأنعام والشعراء . « علمؤا بنى » « من عباده العلمؤا » ، « الضعفؤا » ، فى إبراهيم وغافر . « فى أموالنا ما نشؤا » و « ما دعؤا » فى غافر « شفعؤا » فى الروم « إن هذا لهو البلؤا » ، « بلؤا مبين » فى الدخان ، « برآؤا منكم » ، فكتب فى الكل بالواو .

فإن سكن ماقبله حذف هو . نحو « ملء الأرض » دفء ، شىء ، الخبء ، ماء ، إلا « لتنوأ » « وإن تبوأ » ، والسوآى ، كذا استثناه الفراء .

قلت : وعندى أن هذه الثلاثة لاتستثنى ، لأنَّ الألف التى بعد الواو ليست صورة الهمزة ، بل هى المزيدة بعد واو الفعل .

• • •

القاعدة الرابعة

[فى البدل]

يكتب بالواو للتفخيم ألف الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، والربوا ، غير مضافاتٍ . والغدوة ، و« مشكوة » ، و« النجوة » ، و « منوة » .

وبالياء كلّ ألفٍ منقلبة عنها نحو : « يتوفيكم » فى اسم أوفعل ، اتّصل به ضميرٌ أولا ، لقى ساكنا أم لا ، ومنه : ياحسرتى ، ياأسفى ؛ إلا تترا وكلتا وهدانى ومن عصانى والأقصا ، وأقصا المدينة . ومَنْ تولّيه ، وطغا الماء ، وسيماهم . وإلا ماقبلها ياء ، كالدنيا والحوايا ، إلا يحيى اسما أو فعلا .

ويكتب بها إلى ، وعلى ، وأنّى بمعنى كيف ، ومتّى ، وبلَى ، وحتّى ؛ إلا « لدَا الباب » .

ويكتب بالألف الثلاثىّ الواوىّ ، اسما أوفعلا ، نحو الصفا ، وشفا وعفا ؛ إلا ضُحى كيف وقع ، و « مازكى منكم » ودحيها وتليها وطحها وسجى

ويكتب بالألف نُون التوكيد الخفيفة لنسفعًا أويكونًا ، وإذًا ، وبالنون كأيّنْ . وبالهاء هاء التأنيث إلا « رحمت » فى البقرة والأعراف وهود ومريم والروم والزخرف . و « نعمت » فى البقرة وآل عمران والمائدة وإبراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطّور ، و « سنت » فى الأنفال وفاطر ، وثانى غافر ، و « امرأت » مع زوجها ، و « تمت كلمتُ ربك الحسنى » ، « فنجعل لعنتَ الله » ، « والخامسة أن

لعنت الله » ، و «معصيت » ، فى قد سمع « إن شجرتَ الزَّقوم » ، « قُرَّت عين » ،و « جنَّت نعيم » ، « بقيَّتُ الله » ،و « ياأبتِ » ، و « اللاَّت » - و «مرضاتِ» ، و«هيهات » : وذات » و « ابنت » ، و فِطْرتَ » .

• • •

القاعدة الخامسة

[فى الوصل والفصل]

توصل « ألا » بالفتح ، إلا عشرة : أنْ لا أقولَ ، أن لاتقولوا ؛ فى الأعراف أن لا ملجأ فى هود . أن لا إله ، أن لا تعبُدوا إلا الله إنى أخاف . فى الأحقاف ، أن لا تشرك ، فى الحجّ ، أن لا تعبدوا ، فى يٰس ، أن لا تعلوا ، فى الدخَان ، أن لا يشركن ، فى الممتحنة أن لا يدخلنَّها ، فى ن .

و « مما » إلا « من ماملكت » فى النساء والروم ؛ « من مارزقناكم » فى المنافقين .

و « ممن » مطلقًا .

و « عما » إلا « عن مانهوا » .

و « إمّا » بالكسر ، إلا « وإن مانرينَّك » فى الرعد .

و « أما بالفتح » مطلقا .

و « عمن » إلا « يصرفه عن مَنْ » فى النور ، « عن مَنْ تولَّى » فى النجم

و « أمّن » إلا « أم مَنْ يكون » فى النساء . « أمْ من أسّس » ، « أم مَنْ خلقنا » ، فى الصافات ؛ « أم من يأْتى آمنا » .

و « إلَّمْ » بالكسر ؛ إلاَّ « فإن لم يستجيبوا » فى القصص .

و « فيما » إلاَّ أحد عشر « في ما فعلن » الثاني في البقرة ، « ليبلوكم في ما » في المائدة والأنعام ، « قل لا أجِد في ما » ، « في ما اشتهت » في الأنبياء ، « في ما أفضتُم » ، « في ماهنا » في الشعراء ، « في مارزقناكم » ، في الروم « في ماهم فيه » ، « في ما كانوا فيه » ، كلاهما في الزمر ، « وننشئكم في مالا تعلمون » في الواقعة .

و « إنما » إلا : « إنَّ ماتوعدون لآتٍ » في الأنعام .

و « أنما » بالفتح إلا « أنَّ مايدعون » في الحج ولقمان .

و « كلما » إلاَّ « كلَّ ماردُّوا إلى الفتنة » ، « من كل ماسألتُموه » .

و « بئسما » ، إلا مع اللام .

و « نعمّا » و « مهما » ، و « ربما » . و « كأنما » . و « وبكأنَّ » .

وتقطع « حيث ما » ، و « أن لم » ، بالفتح . و « إن لن » ، إلا في الكهف والقيامة .

و « أين ما » إلا « فأينما تولُّوا » ، « أينما يوجّهه » .

واختلف في « أين ماتكونوا يدرككم » ، « أينما كُنتم تعبدُون » في الشعراء « اينما ثُقِفوا » في الأحزاب ؛ و « لكي لا » إلا في آل عمران والحج والحديد والثاني في الأحزاب .

و « يوم هم » . و « لاتَ حين » و « ابن أمَّ » إلاَّ في طه ؛ فكتبت الهمزة حينئذ واوا .

وحذفت همزة « ابن » فصارت هكذا « يَبْنَؤُمَّ » .

• • •

القاعدة السادسة

[فيما فيه قراءتان ، فكتب على إحداهما]

ومرادنا غير الشاذ .

من ذلك : « ملك يوم الدين » ، « يخدعون » ، و « وعدنا » ، و « الصعقة » .

و « الريح » ، و « تفدوهم » ، « وتظهرون » : و « لاتقتلوهم » ، ونحوها و « لولا دفع » ، « فرهن » ، « طئرا » فى آل عمران والمائدة « مضعفة » ونحوه « عقدت إيمانكم » ، « الأولين » ، « لمستم » ، « فسية » ، « قيما » ، و « لنسٍ » « خطيئتكم » ، فى الأعراف . « طئف » ، « حش لله » « وسيعلم الكفر » ، « تزور » ، « زكية » ، « فلا تصحبنى » . « لتخذت » ، « مهدا » و « حرم على قرية » . « إن الله يدفع » ، « سكرى وماهم بسكرى » « المضغة عظما فكسونا العظم » ، « سرجا » ، « بل ادرك » ، و « لاتصعر » « ربنا بعد » ، « أسورَ » بلا ألف فى الكل ؛ وقد قرئت بها وبحذفها .

« غيبت الجب » ، « و أنزل عليه ءايت » فى العنكبوت . و « ثمرت من أكمامها » فى فصلت ، و « جملت » ، « فهم على بينت » : « وهم فى الغرفت آمنون » بالتاء .

وقد قرئت بالجمع والإفراد .

و « تقية » بالياء ، و « لأهب » بالألف ، و « يقض الحق » بلا ياء .

و « ءاتونى زبرَ الحديد » بألف فقط . « نُجى المؤمنين » ، بنون واحدة .

والصراط كيف وقع ، و « بصطة » فى الأعراف و « المصيطرون » ، و « مصيطر » بالصاد لاغير .

وقد تكتب الكلمة صالحة للقراءتين ؛ نحو « فكِهون » ، وعلى قراءتها هى محذوفة رسما ، لأنه جمع تصحيح .

• • •

فرع

فيما كتب موافقا لقراءة شاذة

ومن ذلك إن البقر تَشْبّه علينا « أَوَكلما عُهدوا » وأما « مابقى من الربو » فقرىء بضم الباء وسكون الواو . « فلَقَتلوكم » ، « إنما طيْركم » « طيْره فى عنقه » ، « تسقُط » . « سمْرا » « وفِصْله فى عامين » ، « عليْهُم ثياب من سندس » « خِتَمه مسك » « فادخلى فى عبْدى » .

• • •

فرع

وأما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لايحتملها الرسم ونحوها ، نحو أوصَى ، ووصى ، وتجرى تحتها ومن تحتها ، وسيقولون الله والله . وما عملت أيديهم وما عملته ؛ فكتابته على نحو قراءته ؛ وكل ذلك وجد فى مصاحف الإمام .

• • •

فائدة

كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها ؛ لاعلى صورة النطق بها ، اكتفاء بشهرتها ، وقطعت « حم عسق » دون « المص » و « كهيعص » ، طردًا للأُولى بأخواتها الستة .

• • •

فصـــل

في آداب كتابته .

يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخطِّ دون مشقة ، وتعليقه فيكره ، وكذا كتابته في الشيء الصِّغير .

أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر ، أنه وجَد مع رجل مصحفًا قد كتبه بقلم دقيق ، فكره ذلك وضربه ، وقال : عظِّموا كتاب الله .

وكان عمر إذا رأى مصحفًا عظيما سُرّ به .

وأخرج عبدُ الرزّاق عن علي أنه كان يكره أن تتخذ المصاحفُ صغارًا

وأخرج أبو عبيد عنه أنه كرِه أن يكتب القرآن في الشيء الصغير .

وأخرج هو والبيهقيّ في الشُّعب عن أبي حكيم العبديّ ، قال : مرّ بي عليّ وأنا أكتب مصحفًا ، فقال : أجِل قلمك ، فقضمتُ من قلمي قضمة ، ثم جعلت أكتب ، فقال : نَعَمْ ، هكذا نوّره كما نوره الله .

وأخرج البيهقيّ عن علي موقوفًا ، قال : تنَوّق رجلٌ في « بسم الله الرحمن الرحيم » فغُفِر له .

وأخرج أبو نُعيم في تاريخ أصبهان وابن أشتة في المصاحف ، من طريق أبان ، عن أنس مرفوعًا : « من كتب بسم الله الرّحمن الرحيم مجوّدة غفر الله له »

وأخرج ابن أشته عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عمّاله : إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدّ « الرحمٰن » .

وأخرج عن زيد بن ثابت ، أنّه كان يكره أن تُكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ليس لها سين .

وأخرج عن يزيد بن أبى حبيب أنَّ كاتب عمرو بن العاصى كتب إلى عمر فكتب « بسم الله » ولم يكتب لها سيناً ، فضربه عمر ، فقيل له : فيم ضَرَبَك أميرُ المؤمنين ؟ قال : ضربنى فى سين .

وأخرج عن ابن سيرين أنَّه كان يكره أن تمدّ الباء إلى الميم حتى تكتب السِّين .

وأخرج ابن أبى داود فى المصاحف عن ابن سيرين أنَّه كره أن يكتَب المصحف مشقًا ، قيل : لم ؟ قال : لأن فيه نقصاً ، وتحرم كتابته بشىء نجس ، وأمّا بالذهب فهو حسن ، كما قاله الغزالى .

وأخرج أبو عبيد عن ابن عباس وأبى ذَر وأبى الدرداء أنهم كرهوا ذلك .

وأخرج عن ابن مسعود ، أنه مرّ عليه مصحف زُيّن بالذهب ، فقال : إنَّ أحسن مازُيّن به المصحف تلاوته بالحقّ .

قال أصحابنا : وتكره كتابته على الحيطان والجدران وعلى السُّقوف أشدّ كراهة ، لأنه يوطأُ

(* وأخرج أبو عبيد عن عمر بن عبد العزيز قال : لاتكتبوا القرآن حيث يوطأُ *)

وهل تجوز كتابته بقلم غير العربى ؟ قال الزَّركشى : لم أر فيه كلاماً لأحد من العلماء .

قال (* ويحتمل الجواز ، لأنه قد يحسنه من يقرأه بالعربية ، والأقرب المنع كما تحرم قراءته بغير *) ، لسان العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلماً غير العربىّ وقد قال تعالى : ﴿ بلسان عربىّ مبين ﴾ ، انتهى .

(*ـ*) من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٣٦ .

(*ـ*) من طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٧٦ ـ وبالاضافة يستقيم السياق .

فائدة

أخرج ابن أبي داود عن إبراهيم التيميّ ، قال : قال عبدالله : لايكتب المصاحفَ إلا مُضريّ .

قال ابنُ أبي داود : هذا من أجلّ اللغات .

• • •

مسألة .

اختُلف فى نقط المصحف وشكله ، وقال : أوّل من فعل ذلك أبو الأسود الدؤليّ بأمر عبد الملك بن مراون ، وقيل : الحسن البصرى ويحيى بن يعمر ، وقيل : نصر بن عاصم الليثى .

وأوّل من وضع الهمز والتشديد والرَّوْم والإشمام الخليل .

وقال قتادة : بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ، ثم عشروا .

وقال غيره : أول ما أحدثوا النَّقْط عند آخر الآى ، ثم الفواتح والخواتم

وقال يحيى بن أبى كثير : ماكانوا يعرفون شيئًا مما أُحدِث فى المصاحف إلا النقط. الثلاث على رءوس الآى أخرجه ابن أبي داود .

وقد أخرج أبو عُبيد وغيره عن ابن مسعود ، قال : جرِّدوا القرآن ولاتخلِطوه بشيء .

وأخرج عن النَّخعيّ أنه كره نقط المصاحف .

وعن ابن سيرين أنه كره النَّقط والفواتح والخواتم .

وعن ابن مسعود ومجاهد أنهما كرها التَّعْشير .

وأخرج ابن أبي داود عن النَّخَعى أنه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف ، وأن يكتب فيه سورة كذا وكذا .

وأخرج عنه أنه أتىَ بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية ، فقال امحُ هذا فإن ابن مسعود كان يكرهه .

وأخرج عن أبي العالية أنه كان يكره الجمل فى المصحف ، وفاتحة سورة كذا وخاتمة سورة كذا .

وقال مالك : لا بأس بالنقط فى المصاحف التى يتعلّم فيها الغلمان ، أمّا الأُمهات فلا .

وقال الحليمىّ : تكره كتابة الأعشار ، والأخماس وأسماء السُّور وعدد الآيات فيه ، لقوله : « جرّدوا القرآن » ، وأمّا النقط فيجوز ، لأنه ليس له صورة فيتوهّم لأجلها ماليس بقرآن قرآنا ، وإنما هى دلالات على هيئة المقروء فلا يضرّ إثباتها لمن يحتاج إليها .

وقال البيهقىّ : مِن آداب القرآن أن يفخَّم ، فيكتب مفرجًا بأحسن خطّ . فلا يصغَّر ولا تقرمط حروفه ، ولا يخلّط به ماليس منه ، كعدد الآيات والسَّجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراءات ومعانى الآيات ؛ وقد أخرج ابن أبى داود عن الحسن وابن سيرين أنَّهما قالا : لابأس بنقط المصاحف .

وأخرج عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، أنه قال : لا بأس بشكله .

وقال النووىّ : نقْط المصحف وشكله مستحبٌ لأنه صيانة له من اللحن والتحريف .

وقال ابن مجاهد : ينبغى ألا يُشكل إلا ما يُشْكِل .

وقال الدّانى : لاأستجيز النَّقط بالسَّواد لما فيه من التغيير لصورة الرَّسم ، ولا أستجيز جمع قراءات شتَّى فى مصحف واحد بألوان مختلفة ، لأنه من

أعظم التخليط والتغيير للمرسوم ، وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمدّ بالحمرة ، والهمزات بالصُّفْرة .

وقال الجُرجانىّ من أصحابنا فى الشافى : من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره .

• • •

فائدة

كان الشكل فى الصَّدْر الأول نقْطًا ، فالفتحة نقطة على أوّل الحرف ، والضمة على آخره ، والكسرة تحت أوله ، وعليه مشى الدّانى . والذى اشتهر الآن الضَّبط بالحركات المأْخوذة من الحروف ، وهو الذى أخرجه الخليل ، وهو أكثر وأوضح ، وعليه العمل فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرْف ، والكسر كذلك تحته والضمّ واو صغرى فوقَه والتنْوين زيادة مثلها ؛ فإن كان مظهرًا ـ وذلك قبل حرف حلْق ـ ركبت فوقها ، وإلا جعلت بينهما ، وتكتب الألف المحذوفة والمبدَل منها فى محلها حمراء ، والهمزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرْف حمراء أيضًا ، وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الإقلاب « م » حمراء ، وقبل الحلْق سكون وتُعرى عند الإدغام والإخفاء ، ويسكَّن كلّ مسكَّن ويعرّى المدغم ، ويشدّد ما بعده إلا الطاء قبل التاء ، فيكتب عليها السكون ، نحو « فرطت » ، ومطّة الممدود لاتجاوزه .

• • •

فائدة

قال الحربىّ فى غريب الحديث : قول ابن مسعود : جرِّدوا القرآن ، يحتمل وجهين :.

أحدهما : جرّدوه فى التلاوة ، ولا تخلطوا به غيره .

والثانى : جردوه فى الخطّ من النقط والتعشير .

وقال البيهقىّ : الأبينُ أنه أراد :لاتخلطوا به غيره من الكتب ، لأن ماخلا القرآن مِن كتب الله إنَّما يؤخذ عن اليهود والنَّصارى ، وليسوا بمأمونين عليها .

• • •

فرع

أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف ، عن ابن عباس ، أنه كره أخذ الأُجرة على كتابة المصحف .

وأخرج مثله عن أيوب السَّختيانىّ .

وأخرج عن ابن عمر وابن مسعود أنَّهما كرها بيع المصاحف وشراءها وأن يُستأجر على كتابتها .

(* وأخرج عن محمد بن سيرين : أنه كره بيع المصاحف وشراءها وأن يستأجر على كتابتها *)

وأخرج عن مجاهد وابن المسيّب والحسن أنهم قالوا : لابأس بالثلاثة .

وأخرج عن سعيد بن جبير ، أنه سئِل عن بيع المصاحف ، فقال : لابأس إنما يأخذون أجور أيديهم .

وأخرج عن ابن الحنفيّة أنه سئِل عن بيع المصحف ،قال : لابأس : إنما تبيع الورق .

(*-*) الاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٧٧ ، ١٧٨ .

وأخرج عن عبد الله بن شقيق ، قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدّدون فى بيع المصاحف .

وأخرج عن النَّخَعى قال : المصحف لا يباع ولا يورَّث .

وأخرج عن ابن المسيب أنه كره بيع المصاحف ، وقال : أعِنْ أخاك بالكتاب أوهب له .

وأخرج عن عطاء عن ابن عباس ، قال : اشترِ المصاحف ولا تَبِعْها .

وأخرج عن مجاهد أنه نهى عن بيع المصاحف ، ورخَّص فى شرائها .

وقد حصَل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف ، ثالثها كراهة البيع دون الشراء وهو أصحّ الأوجه عندنا ، كما صحّحه فى شرح المهذب ، ونقله فى زوائد الروضة عن نصّ الشافعى . قال الرافعىّ : وقد قيل إنَّ الثمن متوجّه إلى الدفَّتيْن لأنَّ كلام الله لا يباع ، وقيل : إنه بدل من أُجْرة النسخ . انتهى .

وقد تقدم إسناد القولين إلى ابن الحنفيّة وابن جُبير . وفيه قول ثالث أنّه بدل منهما معا .

أخرج ابن أبى داود عن الشعبىّ ، قال : لابأس ببيع المصاحف . إنما يبيع الورق وعمل يديه .

• • •

فرع

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى القواعد : القيام للمصحف بِدْعة لم تُعْهَد فى الصدر الأوّل ، والصواب ماقاله النووىّ فى التِّبيان من استحباب ذلك لما فيه من التَّعظيم وعدم التهاون به .

• • • •

فرع

يستحب تقبيل المصحف ، لأن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يفعله وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود ، ذكره بعضهم ، ولأنه هدية من الله تعالى ، فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير .

وعن أحمد ثلاث روايات : الجواز ، والاستحباب ، والتوقُّف ، وإن كان فيه رفعة وإكرام لأنه لايدخله قياس ، ولهذا قال عمر في الحجَر : لولا أنّ رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلُك ماقبلتك .

• • •

فرع

يستحبّ تطييب المصحف ، وجعله على كرسيّ ، ويحرُم توسّده ، لأن فيه إذلالا وامتهانا . قال الزركشيّ : وكذا مدّ الرِّجْلين إليه .

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف ، عن سفيان ، أنه كره أن تُعلّق المصاحف

وأخرج عن الضحاك ، قال : لاتتَّخذوا للحديث كراسيّ ككراسيّ المصاحف .

• • •

فرع

يجوز تحليتُه بالفضّة إكرامًا له على الصحيح ، أخرج البيهقيّ عن الوليد ابن مسلم قال : سألت مالكًا عن تفضيض المصاحف . فأخرج إلينا مصحفا فقال : حدَّثني أبي عن جدّي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان ، وأنّهم فضّضوا المصاحف على هذا أو نحوه وأما بالذّهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل ، وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف ، دون غلافه المنفصل عنه . والأظهر التسوية .

• • •

فرع

إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لِبلى ونحوه، فلا يجوز وضعها فى شقٍّ أو غيره لأنَّه قد يسقط ويوطَأ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتَفْرِقة الكلم، وفى ذلك ازراء بالمكتوب. كذا قال الحليمى.

قال: وله: غسْلها بالماء؛ وإن أحرقها بالنار فلا بأْس؛ أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات منسوخة، ولم ينكر عليه.

وذكر غيره أنَّ الإحراق أوْلَى من الغسل، لأنَّ الغُسالة قد تقع على الأرض

وجزم القاضى حسين فى تعليقه بامتناع الإحراق، لأنه خلاف الاحترام، والنووى بالكراهة.

وفى بعض كتب الحنفية أنَّ المصحف إذا بَلِيَ لا يُحرق، بل يُحْفر له فى الأرض ويدفن، وفيه وقفة لتعرّضه للوطء بالأقدام.

• • •

فرع

روى ابن أبي داود عن ابن المسيب، قال: لايقول أحدُكم: مصيحف ولا مسيجد؛ ماكان لله تعالى فهو عظيم.

• • •

فرع

مذهبنا ومذهب جمهور العلماء تحريم مسّ المصحف للمحدِث، سواء كان

أصغر أم أكبر ، لقوله تعالى : ﴿لايمسّه إلا المطهّرون﴾ (١) ، وحديث الترمذىّ وغيره : « لايمس القرآن إلا طاهر » .

• • •

خاتمة .

روى ابن ماجة وغيره عن أنس مرفوعا : « سبعٌ يجرَى للعبد أجرهنَّ بعد موته وهو فى قبره : من علَّم علماً ، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا أو بنى مسجدا ، أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته ، أو ورث مصحفا » .

• • •

(١) الواقعة ٧٩

النوع السابع والسبعون

فى معرفة تفسيره وتأويله

وبيان شرفه والحاجة إليه .

التفسير « تفعيل » من الفسر ، وهو البيان والكشف ، ويقال : هو مقلوب السفر ، تقول : أسفر الصبح إذا أضاء ، وقيل مأخوذ من التفسرة ، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض . والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع ، فكأنه صرف الآية إلى ماتحتمله من المعانى . وقيل من الإيالة ؛ وهى السياسة ؛ كأنّ المؤوِّل للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه

واختلف فى التفسير والتأويل ، فقال أبو عبيد وطائفة : هما بمعنًى .

وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوريّ ، فقال : قد نبغ فى زماننا مفسّرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل مااهتدوا إليه .

وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل ، وأكثر مايستعمل فى الكتب الإلٰهية ، والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها .

وقال غيره :التفسير بيان لفظ لايحتمل إلا وجها واحدا ، والتأويل توجيه لفظ متوجّه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها ، بما ظهر من الأدلّة .

وقال الماتريديّ : التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله أنه عَنَى باللفظ هذا ، فإنْ قام دليل مقطوع به فصحيح ، وإلا فتفسير بالرأي ، وهو المنهى عنه ، والتأويل ترجيح أحد المحتَملات بدون القطع والشهادة على الله .

وقال أبو طالب التَّغْلَبي : التفسير بيان وضْع اللفظ. إما حقيقة ، أو مجازا ، كتفسير الصراط. : بالطريق ، والصيِّب : بالمطر ، والتأْويل تفسير باطن اللفظ مأْخوذ من الأوْل وهو الرجوع لعاقبة الأمر ، فالتأْويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد ؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى : ﴿ إنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد ﴾ (١) ، تفسيره أنه من الرصْد ، يقال رصدته رقبتَه ، والمرصاد « مِفْعال » منه وتأْويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأُهبة والاستعداد للعرض عليه ؛ وقواطع الأدلَّة تقتضى بيان المراد منه ؛ على خلاف وضع اللفظ في اللغة .

وقال الأصبهاني في تفسيره : اعلم أنَّ التفسير في عُرْف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد ، أعمّ من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره ، وبحسب المعنى الظاهر وغيره ، والتأْويل أكثره في الجمل ، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البَحِيرة والسائبة ، والوصيلة ، أو في وجيزٍ يتبينُ بشرح ، نحو أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وإما في كلام متضمَّن لقصة لايمكن تصويره إلا بمعرفتها ، كقوله : ﴿ إنمَا النَّسِيءُ زيادةٌ في الكُفْر ﴾(٢) وقوله : ﴿ وليس البرّ بأن تأْتوا البيوتَ من ظهورها ﴾ (٣) ؛ وأما التأْويل فإنه يستعمل مرة عامًا ومرة خاصا ، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارةً في جحود الباريء عزّ وجل خاصة ، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحقّ أخرى ، وإما في لفظ مشترَكٍ بين معانٍ مختلفة ، نحو لفظ « وجد » المستعمل في الجِدَة والوجْد والوجُود (٤) .

وقال غيره : التفسير يتعلق بالرواية ، والتأْويل يتعلق بالدّراية .

---

(١) الفجر ١٤
(٢) التوبة ٣٧
(٣) البقرة ١٨٩
(٤) نقله في البرهان ٢ : ١٥٠

وقال أبو نصر القشيرىّ : التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل .

وقال قوم : ما وقع مبيّنا فى كتاب الله ومعيّنا فى صحيح السنة سمّى تفسيرًا ، لأن معناه قد ظهر ووضَح ، وليس لأحدٍ أن يتعرّض إليه باجتهاد ولا غيره ، بل يحمله على المعنى الّذى ورد ، لايتعدّاه ؛ والتأويل مااستنبطه العلماء العاملون لمعانى الخطاب الماهرُون فى آلات العلوم .

وقال قوم منهم البغويّ والكواشى : التأويل صَرْف الآيةِ إلى معنى موافق لما قبلها ومابعدها ، تحتمله الآية ، غير مخالف للكتا ب والسنّة من طريق الاستنباط[1]

وقال بعضهم : التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكّيّها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصّها وعامّها ، ومطلقها ومقيّدها ، ومجملها ومفسّرها ، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها .

وقال أبو حيان : التفسير علمٌ يُبحث فيه عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفراديّة والتركيبية ، ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك . قال : فقولُنا « علم » جنس ، وقولنا : « يبحث فيه عن كيفية النُّطق بألفاظ القرآن » هو علم القراءة ، وقولنا : « ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ » ، وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج إليه فى هذا العلم ، وقولنا : « وأحكامها الإفرادية والتركيبية » ، هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع وقولنا : « ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب » ، يشمل ما دلالته بالحقيقة ، وما دلالته بالمجاز ، فإنَّ التركيب قد يقتضى بظاهره شيئا ويصد

(١) نقله فى البرهان ٢ : ١٥٢

عن الحمل عليه صاد ، فيحمل على غيره ، وهو المجاز ، وقولنا : « وتتمّات لذلك » ، هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ماأُبهم فى القرآن ونحو ذلك .

وقال الزركشى : التفسير علمٌ يفهَم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحِكَمة ، واستمداد ذلك من علم اللّغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ » .

• • •

فصـــل

[فى وجه الحاجة إلى التفسير]

وأما وجه الحاجة إليه ، فقال بعضهم : اعلم أنّ من المعلوم أنّ الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كلَّ رسولٍ بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيُذكر بعد تقرير قاعدة ؛ وهى أنّ كلّ مَنْ وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهَم بذاته من غير شرح ، وإنما احتيج إلى الشروح لأُمور ثلاثة :

أحدها : كمال فضيلة المصنِّف ، فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز ، فربما عسُر فهم مراده ، فقُصد بالشرح ظهورُ تلك المعانى الخفية ، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفَه أدل على المراد من شرح غيره له .

وثانيها : إغفاله بعض تتمات المسألة ، أو شروط لها اعتماداً على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

وثالثها : احتمال اللفظ لمعانٍ كما فى المجاز والاشتراك ، ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه ، وقد يقع فى التَّصانيف مالا يخلو عنه بشرٌ من السهو والغلط ، أو تكرار الشىء أوحذف المبهم وغير ذلك ؛ فيحتاج الشارحُ للتنبيه على ذلك .

إذا تقرر هذا فنقول : إن القرآن إنما نزل بلسان عربىّ فى زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظواهرَه وأحكامه أمّا دقائق باطنه ، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، مع سؤالهم النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى الأكثر ، لسؤالهم لما نزل قوله ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانهم بظلم ﴾ (١) ، فقالوا : وأيّنا لم يظلم نفسه ! ففسّره النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ واستدلَّ عليه بقوله : ﴿ إنَّ الشِّركَ لظلمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) ، وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير ، فقال : « ذلك العرض » وكقصة عدى بن حاتم فى الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك ؛ مما سألوا عن آحاد منه ؛ ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر ؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلُّم ، فنحن أشدُّ الناس احتياجا إلى التفسير ، ومعلوم أنَّ تفسير بعضه يكون من قِبَل بسْط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قِبلَ ترجيح بعض الاحتمالات على بعض . انتهى

وقال الخُوَيِّى : علم التفسير عَسير يسير ، أمّا عُسْرهُ فظاهر من وجوهٍ ؛ أظهرها أنه كلام متكلّم ، لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه ، ولا إمكان الوصول إليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ،ونحوها ، فإنَّ الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أوممن سمع منه ، وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم

---

(١) الأنعام ٨٢ (٢) لقمان ١٣

إلا بأن يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك متعذّر إلَّا فى آيات قلائل ، فالعلم بالمراد يُستنبط بأمرات ودلائل ، والحكمة فيه أنَّ الله تعالى أراد أن يتفكر عباده فى كتابه ، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد فى جميع آياته

• • •

فصل

[فى شرف التفسير]

وأما شرفه فلا يخفَى ، قال تعالى : ﴿ يؤتِى الحكمةَ مَنْ يَشَاءُ ومَنْ يُؤْتَ الحكمةَ فَقَدْ أوتِيَ خيرًا كثيرًا ﴾[1] .

أخرج ابن أبي حاتم وغيرهُ ، من طريق ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ يؤتِى الحكمة ﴾ ، قال : المعرفة بالقرآن ، ناسِخه ومنسوخِه ، ومحكَمِه ومتشابِهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

وأخرج ابن مردويه من طريق جُوَيْبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، مرفوعا ﴿ يؤتى الحكمة ﴾ قال : القرآن ، قال ابنُ عباس : يعنى تفسيره فإنه قد قرأه البَرّ والفاجر .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء : ﴿ يؤتِى الحكمة ﴾ ، قال : قراءة القرآن ، والفكرة فيه . وأخرج ابنُ جرير مثله عن مجاهد وأبي العالية وقتادة .

وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمثال نَضْرِبُهَا للنَّاسِ وما يَعْقِلُهَا إِلَّا العالمون ﴾[2]

أخرج ابنُ أبي حاتم ، عن عمرو بن مرة ، قال : مامررت بآية فى كتاب

---

(١) البقرة ٢٦٩ (٢) العنكبوت ٤٣

الله لأعرفها إلا أحزنَتْنِى ، لأنى سمعت الله يقول : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يَعْقِلها إلا العالمون ﴾ .

وأخرج أبو عبيد ، عن الحسن ، قال : ما أنزل الله آية إلا وهو يحبّ أن تُعلم فيمَ أنزلت ، وما أراد بها .

وأخرج أبو ذرّ الهرويّ فى فضائل القرآن من طريق سَعِيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : الذى يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره ، كالأعرابىّ يهذ الشعر هذّا (١) .

وأخرج البيهقىّ وغيره من حديث أبى هُريرة مرفوعا : « أعربوا القرآن ، والتمسوا غرائبه » .

وأخرج ابنُ الأنبارِىّ ، عن أبى بكر الصدّيق ، قال : لأنْ أعرِب آيةً من القرآن أحبُّ إلىّ من أن أحفظ آية .

وأخرج أيضا عن عبْدالله بن بُريدة ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أنى أعلم إذا سافرت أربعين ليلة ، أعربتُ آية من كتاب الله لفعلتُ » .

وأخرج أيضا من طريق الشعبىّ ، قال : قال عمر : « مَنْ قرأ القرآن فأعرَبه ، كان له عند الله أجر شهيد » .

قلت : معنى هذه الآثار عندى إرادة البيان والتفسير ؛ لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوىّ اصطلاح حادث ، ولأنّه كان فى سليقتِهم لايحتاجون إلى تعلمه ، ثم رأيت ابنَ النقيب جَنَح إلى ما ذكرته ، وقال : ويجوز أن يكون المرادُ الإعراب الصناعىّ ؛ وفيه بُعْد .

---

(١) الهذ : سرعة القراءة ، وفى اللسان : «وفى حديث ابن عباس ، قال له رجل : قرأت المفصل ، فقال : أهذا كهذ الشعر ! أراد : أتهذ القرآن هذا ، فتسرع به كما تسرع فى قراءة الشعر» !

وقد يُستدلُّ له بما أخرجه السِّلَفِيّ فى الطيوريّات ، من حديث ابن عمر مرفوعًا : « أعربوا القرآن يدلّكم على تأْويله » .

وقد أجمَع العلماء أنَّ التفسير من فروض الكفايات وأجلُّ العلوم الثلاثة الشرعية .

قال الأَصبهانيّ : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن ، بيان ذلك أن شرف الصناعة إمّا بشرف موضوعها مثل الصياغة ، فإنها أشرف من الدِّباغة ، لأَن موضوع الصياغة الذهب والفضة ، وهما أشرف من موضوع الدِّباغة الَّذى هو جلد الميتة ، وإما بشرف غرضها ، مثل صناعة الطب ، فإنها أشرف من صناعة الكناسة ؛ لأَنَّ غرض الطب إفادة الصحَّة ، وغرض الكناسة تنظيف المستراح . وإما لشدّة الحاجة إليها كالفِقه ؛ فإن الحاجة إليه أشدّ من الحاجة إلى الطبِّ ، إذ مامن واقعة فى الكوْن فى أحدٍ من الخلق إلا وهى مفتقرة إلى الفقه ؛ لأَن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدِّين ، بخلاف الطب ، فإنه يحتاج إليه بعض الناس فى بعض الأَوقات .

إذا عرف ذلك ، فصناعة التفسير قد حازت الشرفَ من الجهات الثلاث ؛ أمّا من جهة الموضوع ، فلأَن موضوعه كلام الله تعالى الذى هوَ ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، لا يخلق على كثرة الردّ ، ولا تنقضى عجائبه . وأمّا من جهة الغَرَض ، فلأَن الغرض منه هو الاعتصام بالعرْوة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقيّة التى لاتفنى . وأما من جهة شدة الحاجة ، فلأَن كلَّ كمال دينىّ أو دنيوىّ عاجلىّ أو آجلى . مفتقر إلى العلوم الشرعيّة والمعارف الدينية ؛ وهى متوقِّفة على العلم بكتاب الله تعالى .

النوع الثامن والسبعون

فى معرفة شروط المفسر وآدابه

قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز ، طلبه أولا من القرآن ، فما أجمل منه فى مكان فقد فسّر فى موضع آخر . وما اختصر فى مكان فقد بُسِط فى موضع آخر منه . وقد ألّف ابن الجوزىّ كتاباً فيما أجمل فى القرآن فى موضع ، وفسّر فى موضع آخر منه ، وأشرت إلى أمثلة منه فى نوع المجمل ، فإن أعياه ذلك طلبه من السنة ؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له . وقد قال الشافعى رضى الله عنه : كلّ ماحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ممّا فهمه من القرآن ، قال تعالى : ﴿ إنَّا أنْزَلْنَا إليكَ الكتَابَ بالْحَقِّ لتحكمَ بين الناس بما أراكَ الله ﴾[1] فى آيات أخر . وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أنى أوتيت القرآن ومثله معه » ؛ يعنى السنّة ، فإن لم يجده فى السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختُصُّوا به من الفهم التامّ والعلم الصحيح والعمل الصالح . وقد قال الحاكم فى المستدرَك : إنّ تفسير الصحابىّ الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع .

وقال الإمام أبو طالب الطبرىّ فى أوائل تفسيره : القول فى آداب المفسّر : اعلم أنّ من شرطه صحة الاعتقاد أولا ، ولزوم سنّة الدين . فإن مَنْ كان مغموصاً عليه فى دينه ، لايُؤتمن على الدنيا ؛ فكيف على الدين ! ثم لايؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم ؛ فكيف يؤتمن فى الإخبار عن أسرار الله تعالى ؛ ولأنه لايؤمن إنْ كان متّهما بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويغر الناس بليّه وخداعه ، كدأب

(١) النساء ١٠٥

الباطنية وغلاة الرافضة ، وإن كان متهمًا بهوًى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته ، كدأب القَدَرِيَّة ، فإن أحدهم يصنِّف الكتاب فى التفسير ، ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين ، ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى ، ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومَنْ عاصرهم ، ويتجنب المحدَثات ، وإذا تعارضت أقوالهم ، وأمكن الجمع بينهما فعل ، نحو أن يتكلم على الصراط المستقيم وأقوالهم فيه ترجع إلى شيء واحد ، فيأخذ منها مايدخل فيه الجميع ، فلا تنافِيَ بين القرآن وطريق الأنبياء ، فطريق السنَّة وطريق النبى صلى الله عليه وسلم وطريق أبى بكر وعمر ، فأىّ هذه الأقوال أفرده كان محسنًا ، وأن تعارضت ردَّ الأمر إلى ما ثبت فيه السَّمْع ، وإن لم يجد سمعًا . وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدها رجّح ما قوى الاستدلال فيه ، كاختلافهم فى معنى حروف الهجاء يُرَجَّحُ قول من قال : إنها قسم ، وإن تعارضت الأدلة فى المراد علم أنه قد اشتبه عليه ، فيؤمن بمراد الله منها ، ولا يتهجَّم على تعيينه وينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه : ومن شرطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى التَّسديد ؛ فقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1] . وإنما يخلص له القصد إذا زهد فى الدنيا ؛ لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسَّل به إلى غرض يصدُّه عن صواب قصده ؛ ويُفسد عليه صحة عمله ؛ وتمام هذه الشرائط. أن يكون ممتلئًا من عُدَّة الإعراب ،لايلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام . فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان ؛ إما حقيقة أو مجازًا ؛ فتأويله تعطيلُه . وقد رأيتُ بعضهم يفسِّر قوله تعالى ﴿ قل الله ثُمَّ ذَرْهم ﴾[2] . إنه ملازمة

(١) العنكبوت ٦٩ (٢) الأنعام ٩١

قول الله . ولم يدْرِ الغبيّ أن هذه جملة حذِف منها الخبر ، والتقدير : الله أنزله . انتهى كلام أبى طالب .

وقال ابن تيمية فى كتاب ألفه فى هذا النوع : يجب أن يُعْلم أنّ النبى صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معانى القرآن ، كما بيّن لهم ألفاظه . فقوله تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ للنّاس مانُزِّل إليهم ﴾(١) ، يتناول هذا وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السُّلَمىّ : حدثنا الّذِينَ كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبىّ صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ، ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة

وقال أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فى أعيننا . رواه أحمد فى مسنده .

وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجه فى الموطأ . وذلك أنّ الله قال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مُباركٌ ليدَّبروا آياته ﴾(٢) . وقال : ﴿ أفلا يتدبَّرُون القرآن ﴾(٣) . وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن .

وأيضًا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فنٍّ من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه ، فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم ، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم ! ولهذا كان النّزاع بين الصحابة فى تفسير القرآن قليل جدا . وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابه ، فهو قليل بالنسبة إلى مابعدهم .

(١) النحل ٤٤ (٢) ص ٢٩
(٣) النساء ٨٢

ومن التابعين من تلقّى جميع التفسير عن الصحابة ، وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال . والخلاف بين السلف فى التفسير قليلٌ . وغالب مايصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوعٍ لااختلاف تضاد ؛ وذلك صنفان : أحدهما أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه ، تدل على معنى فى المسمّى غير المعنى الآخر ، مع اتحاد المسمّى ، كتفسيرهم « الصراط المستقيم » بعضٌ بالقرآن ، أى اتباعه وبعض بالإسلام . فالقولان متفقان ، لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ؛ ولكن كل منهما نّبه على وصف غير الوصف الآخر ، كما أن لفظ « صراط » يُشعر بوصف ثالث .

وكذلك قول من قال : هو السنة والجماعة ، وقول مَنْ قال : هو طريق العبودية ، وقول من قال : هو طاعة الله ورسوله . وأمثال ذلك . فهؤلاء كلهُم أشاروا إلى ذات واحدة . لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها .

الثانى : أن يَذْكر كلٌ منهم من الاسم العام بعضَ أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع . لاعلى سبيل الحدّ المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه ؛ مثاله مانقل فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾[1] الآية . فمعلوم أن الظالمَ لنفسه يتناول المضيِّع للواجبات والمنتهك المحرمات . والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرّمات . والسابق يدخل فيه مَنْ سبق فتقرّب بالحسنات مع الواجبات ؛ فالمقتصدون أصحاب اليمين ؛ والسابقون السابقون أولئك المقربون .

ثمَّ إنَّ كلا منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات . كقول القائل : السابق الذى يصلى أوّل الوقت . والمقتصد الذى يصلّى فى أثنائه . والظالم

(١) فاطر ٣٢

لنفسه الذى يؤخِّر العصر إلى الأصفرار ، أو يقول : السابق المحسن بالصَّدقة مع الزكاة، والمقصد . الذى يؤدى الزكاة المفروضه فقط. ، والظالم مانع الزكاة .

قال : وهذان الصنفان اللَّذان ذكرناهما فى تنوع التفسير ؛ تارة لتنوّع الأسماء والصفات وتارة لذكر بعض أنواع المسمّى ، هو الغالب فى تفسير سلف الأمة الذى يظنُّ أنه مختلف .

ومن التنازع الموجود عنهم مايكون اللَّفظ فيه محتملا للأمرين ؛ إما لكونه مشتركا فى اللغة ، كلفظ « قسورة » الذى يُراد به الرامى . ويُراد به الأسد ، ولفظ « عسعس » الذى يُراد به إقبال الليل وإدباره ؛ وإما لكونه متواطئًا فى الأصل ؛ لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين ، كالضمائر فى قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . . ﴾[1] الآية . وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر ، وأشباه ذلك . فمثل هذا قد يجوز أن يراد كلّ المعانى التى قالها السلف . وقد لايجوز ذلك .

فالأوّل إما لكون الآيةنزلتْ مرتين .فأُرِيد بها هذا تارة . هذا تارة . وإما لكون اللفظ المشترك . يجوز أن يُراد به معناه . وإما لكون اللفظ متواطئًا ، فيكون عامًّا إذا لم يكن لمخصصه موجِبٌ ؛ فهذا النوع إذا صحّ فيه القولان كان من الصّنف الثانى .

ومن الأقوال الموجودة عنهم – ويجعلها بعض الناس اختلافًا – أن يعبروا عن المعانى بألفاظ متقاربة . كما إذا فسر بعضهم « تبسل » . ب « تحبس » . وبعضهم ب « ترتهن » . لأن كلاًّ منهما قريب من الآخر .

ثم قال : فصل : والاختلاف في التفسير على نوعيْن : منه ما مستَنده

---

(١) النجم ٨

النقل فقط ، ومنه مايعلم بغير ذلك ، والمنقول إمّا عن المعصوم أو غيره ، ومنه مايمكن معرفة الصحيح منه من غيره ،ومنه مالا يمكن ذلك ؛ وهذا القسم الذى لايمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامّتُه ممّا لافائدة فيه ولا حاجةَ بنا إلى معرفته ؛ وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحابِ الكهف واسمه ، وفى البعض الذى ضُرب به القتيل من البقرة وفى قَدْر سفينة نوح وخشبها ، وفى اسم الغلام الذى قتله الخضر ، ونحو ذلك ؛ فهذه الأُمور طريق العلم بها النقل ؛ فما كان منه منقولا نقلاً صحيحا عن النبى صلى الله عليه وسلم قُبِل ، ومالا - بأن نقِل عن أهل الكتاب ككعب ووهب - وُقِف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ، ولا تكذّبوهم » ..

وكذا مانقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب ، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حُجّة على بعض . وما نقل فى ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحا ،فالنفسُ إليه أسكن مما ينقل عن التابعين ؛لأنَّ احتمال أن يكون سَمِعه من النبىّ صلى الله عليه وسلم أو من بعض مَنْ سمعه منه أقوَى . ولأنَّ نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين .

ومع جزم الصحابى بما يقوله ، كيف يقال : إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نُهُوا عن تصديقهم ! .

وأمّا القسم الذى يمكن معرفة الصحيح منه ؛ فهذا موجود كثيرا ولله الحمد ؛ وإن قال الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير . والملاحم . والمغازى » . وذلك لأنَّ الغالب عليها المراسيل .

وأما مايُعلم بالاستدلال لابالنقل ، فهذا أكثر مافيه الخطأ من جهتين، حَدَثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان . فإن التفاسير التى يُذكر فيها

كلام هؤلاء صرفًا لايكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين ؛ مثل تفسير عبد الرزاق والفريابيّ ، ووكيع وعبد وإسحاق وأمثالهم ؛ أحدهما قوم اعتقدوا معانى ، ثم أرادوا حَمْل ألفاظ القرآن عليها . والثانى قوم فسّروا القرآن بمجرد مايسوغ أن يريده مَنْ كان من الناطقين بلغة العرب ، من غير نظر إلى التكلم بالقرآن والمنزَّل عليه والمخاطَب به ، فالأولون راعَوا المعنى الّذى رأوه من غير نظر إلى ماتستحقّه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ، والآخرون راعَوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يُريد به العربىّ من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام ثم هؤلاء كثيرا مايغلطون فى احتمال اللفظ لذلك المعنى فى اللغة ، كما يغلط فى ذلك الذين قبلهم ، كما أن الأولين كثيرا مايغلطون فى صحة المعنى الذى فسروا به القرآن ، كما يغلط فى ذلك الآخرون ؛ وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق . والأولون صنْفان : تارة يسلبُون لفظ القرآن مادلّ عليه وأُريد به ، وتارة يحمِلونه على مالم يدلّ عليه ، ولمْ يُرَدْبه ، وفى كلا الأمرين قد يكون ماقصدوا نفيَه أو إثباته من المعنى باطلاً ، فيكون خطرهم فى الدليل والمدلول ، وقد يكون حقا ؛ فيكون خطرهم ، فى الدليل لا فى المدلول فالذين أخطئوا فيهما مثل طوائف من أهل البدَع اعتقدوا مذاهب باطلة ، وعمدوا إلى القرآن فتأوّلوه على رأيهم . وليس لهم سلَف من الصحابة والتابعين ؛لافى رأيهم ولا فى تفسيرهم ؛ وقد صنّفوا تفاسير على أُصول مذهبهم : مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصمّ والجبائى وعبد الجبار والرمانىّ والزمخشرىّ وأمثالهم .

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة ، يدسّ البدع فى كلامه وأكثر الناس لايعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل السنّة كثيرٌ من تفاسيرهم الباطلة . وتفسير ابن عطية وأمثاله أتْبَعُ للسنّة ، وأسلَم

من البدعة ، ولوذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن ، فإنه كثيرًا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبرىّ ؛ وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها قدرًا ، ثم أنّه يدع ماينقله عن السلف ، ويذكر مايزعم أنه قول المحققين ، وإنما يعنى بهم طائفةً من أهل الكلام الذين قرّروا أصولَهم بطرقٍ من جنس ماقرّرت به المعتزلة أصولَهم ، وإن كانوا أقربَ إلى السنّة من المعتزلة ، لكن ينبغى أنْ يُعطَى كلّ ذى حق حقه ، فإنّ الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم فى الآية تفسير ، وجاء قوم فسّروا الآية بقول آخرٍ لأجل مذهبٍ اعتقدوه ؛ وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين ، صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع فى مثل هذا . وفى الجملة مَنْ عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا فى ذلك ، بل مبتدعًا ؛ لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه ، كما أنّهم أعلم بالحقّ الذى بَعَثَ اللهُ به رسوله .

وأما الذين أخطئوا فى الدليل لا المدلول فمثل كثير من الصوفيّة والوعاظ والفقهاء يفسِّرون القرآن بمعان صحيحة فى نفسها ؛ لكن القرآن لايدل عليها ؛ مثل كثير مما ذكره السُّلمى فى الحقائق ؛ فإن كان فيما ذكروه معان باطلة دخل فى القسم الأوّل . انتهى كلام ابن تيمية ملخصا ، وهو نفيس جدا .

• • •

[فصل فى أمّهات مآخذ التفسير] .

وقال الزركشىّ فى البرهان : للنّاظرِ فى القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة :

الأوّل : النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا هو الطّراز المعلَم ؛ لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع ، فإنّه كثير ؛ ولهذا قال أحمد : ثلاث

كتب لا أصل لها : المغازى والملاحم والتفسير ؛ قال المحققون من أصحابه : مراده أنَّ الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متَّصلة ، وإلا فقد صحَّ من ذلك كثير ، كتفسير الظلم بالشرك[1] فى آية الأنعام ، والحساب اليسير بالعَرْض ، والقوّة بالرمى فى قوله : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ﴾[2] .

قلت : الذى صحَّ من ذلك قليل جدًّا ، بل أصل المرفوع منه فى غاية القلة ، وسأسردها كلها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

الثانى : الأخذ بقول الصحابىّ ، فإنَّ تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، كما قاله الحاكم فى مستدركه (٣) . وقال أبو الخطاب من الحنابلة : يحتمل ألا يُرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة . والصواب الأول لأنه من باب الرواية لا الرأى .

قلت : ما قاله الحاكم نازَعه فيه ابنُ الصلاح وغيره من المتأخّرين ، بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه ، ممَّا لا مدخل للرأى فيه . ثم رأيت الحاكم نفسَه صرح به فى علوم الحديث ، فقال : ومن الموقوفات تفسير الصحابة ، وأما من يقول : إن تفسير الصحابة مسنَد ، فإنما يقول فيما فيه سبب النزول ، فقد خُصِّص هنا وعمَّم فى المستدرك ، فاعتمد الأول . والله أعلم .

ثم قال الزركشىّ : وفى الرجوع إلى قول التابعىّ روايتان عن أحمد ، واختار ابن عَقيل المنع ، وحكوْه عن شُعبة ؛ لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوْا

---

(١) عبارة البرهان ٢ : ١٥٧ : «فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك» فى قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾

وتفسير الحساب اليسير بالعرض ، رواهما البخارى» .

(٢) الأنفال ٦٠ . وبعدها فى البرهان : «وبذلك يرد تفسير مجاهد بالخيل» . ثم قال : وكتفسير العبادة بالدعاء فى قوله :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ .

(٣) البرهان : «فى تفسيره» .

فى كتبهم أقوالهم ؛ لأنَّ غالبها تلقوْها من الصحابة ، وربما يُحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ ، فيظنُّ منْ لافهم عنده أن ذلك اختلاف محقّق فيحكيه أقوالاً وليس كذلك بل يكون كلٌّ واحدٍ منهم ذكر معنى من الآية ؛ لكونه أظهر عنده ، أو أليق بحال السائل ، وقد يكون بعضهُم يخبر عن الشىء بلازمه ونظيره ، والآخر بمقصوده وثمرته ، والكلُّ يؤولُ إلى معنى واحد غالبًا ، فإن لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدَّم إن استَوَيَا فى الصحَّة عنه ، وإلا فالصحيح المقدّم .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة ؛ فإنَّ القرآن نزل بلسان عربيٍّ ؛ وهذا قد ذكره جماعة ، ونصَّ عليه أحمد فى مواضع ؛ لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنَّه سئِل عن القرآن يمثِّل له الرجل ببيت من الشعر ، فقال : مايعجبنى . فقيل : ظاهره المنع ، ولهذا قال بعضهم فى جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللُّغة روايتان عن أحمد . وقيل : الكراهة تُحْمَل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة محتملة ، يدّل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبًا إلا فى الشعر ونحوه ، ويكون المتبادر خلافها .

وروى البيهقىّ فى الشُّعَب عن مالك ، قال : لا أُوتَى برجلٍ غير عالمٍ بلغة العرب يُفسِّر كتاب الله إلا جعلتُه نكالاً .

الرابع : التفسير بالمقتضَى من معنى الكلام ، والمقتضَب من قوّة الشرع ، وهذا هو الذى دعا به النبىّ صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، حيث قال : « اللهمّ فقّهه فى الدين وعلّمْه التأويل » ، والذى عناه علىّ بقوله : « إلا فهمًا يؤتاه الرجل فى القرآن » [1]

(١) عبارة البرهان : وروى البخارى رحمه الله فى كتاب الجهاد فى صحيحه عن على : « هل خصكم رسول الله بشىء ؟ فقال : ماعندنا غير مافى هذه الصحيفة . أو فهم يؤتاه الرجل » ؛

ومن هنا اختلف الصحابة فى معنى الآية ، فأخذ كلٌّ برأيه على منتهى نظره ، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرّد الرأى والاجتهاد من غير أصل ، قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[2] ، وقال : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[3] ، فأضاف البيان إليه . وقال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ تكلّم فى القرآن برأيه ، فأصاب فقد أخطأ » ، أخرجه أبو داود والترمذىّ والنسائىّ وقال : « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعدَه من النار » ، أخرجه أبو داود .

قال البيهقىّ فى الحديث الأوّل : هذا إن صحّ ، فإنّما أراد ـ والله أعلم ـ الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه ، وأما الذى يسنده برهان ، فالقول به جائز .

وقال فى المدخل : فى هذا الحديث نظر ، وإن صحّ فإنما أراد به ـ والله أعلم : فقد الطريق ، فسبيله أن يرجع فى تفسيره ألفاظه إلى أهل اللغة ، وفى معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيلَه ، وأدّوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] ، فما ورد بيانه عن صاحب الشرع ففيه كفاية عن ذكره مَن بعده ، وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ، ليستدلّوا بما ورد بيانه على ما لم يرد . قال : وقد يكون المراد به : مَنْ قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه ، فيكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة .

وقال الماوردىّ[5] : قد حمل بعض المتورّعة هذا الحديث على ظاهره ، وامتنع من أن يستنبط معانىَ القرآن باجتهاده ، ولو صحبتها الشواهد ، ولم يعارض شواهدَها نصٌّ صريح .

---

(١) الإسراء ٣٦ (٢) البقرة ١٦٩ (٣) النحل ٤٤

(٤) النحل ٤٤ (٥) البرهان : « قال الإمام أبو الحسن الماوردى فى نكته »

وهذا عدول عمّا تُعُبِّدنا بمعرفته من النظر فى القرآن واستنباط الأحكام، كما قال تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (١). ولو صحّ ما ذهب إليه لم يعلم شيء إلا بالاستنباط، ولما فهم الأكثرون من كتاب الله شيئاً. وإن صحّ الحديث فتأويله أنّ مَنْ تكلّم فى القرآن بمجرّد رأيه، ولم يعرِّج على سوى لفظه، وأصاب الحقّ، فقد أخطأ الطريق، وإصابته اتفاق؛ إذا الغرض أنّه مجرّد رأى لا شاهد له؛ وفى الحديث «القرآنَ ذَلُولٌ ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه»، أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس.

فقوله: «ذلول» يحتمل معنيين أحدهما أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم. والثانى أنه مُوضّح لمعانيه حتى لاتقصُر عنه أفهام المجتهدين.

وقوله: «ذو وُجوه» يحتمل معنيين: أحدهما أنّ من ألفاظه مايحتمل وجوها من التأويل، والثانى أنّه قدجمع وجوها من الأوامر والنّواهى والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه» يحتمل معنيين: أحدهما الحَمْل على أحسن معانيه، والثانى أحسن مافيه من العزائم دُون الرُّخَص، والعفو دون الانتقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد فى كتاب الله تعالى.

وقال أبو الليث: النّهى إنما انصرف إلى المتشابه منه، لا إلى جميعه كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ماتشابه منه ﴾ (٢) لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق؛ فلولم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة. فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات

(١) النساء ٨٣

(٢) آل عمران ٧

العرب وأسباب النزول أن يفسّره ، وأمّا مَنْ لم يعرف وجوه اللغة ، فلا يجوز أن يفسّره إلا بمقدار ماسمع ؛ فيكون ذلك على وجه الحكاية ، لا على وجه التفسير . ولو أنه يعلم التفسير ، وأراد أن يستخرج من الآية حكما أودليل الحكم ، فلا بأس به ، ولو قال : المراد من الآية كذا من غير أن يسمع فيه شيئا ؛ فلا يحلّ ، وهو الذى نهى عنه [(١)] .

وقال ابن الأنبارىّ في الحديث الأوّل : حمله بعضُ أهل العلم على أنّ الرأى معنىٌّ به الهوى ، فمن قال في القرآن قولا يوافق هَواه ، فلم يأْخذه عن أئمة السلف وأصاب ، فقد أخطأ ، لحُكمه على القرآن بما لايعرف أصلَه ، ولا يقف على مذاهب أهل الأثَر والنقل فيه .

وقال في الحديث الثانى : له معنيان : أحدهما مَنْ قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرِّض لسخط الله تعالى والآخر - وهو الأصح - من قال في القرآن قولاً يعلم أنّ الحق غيرُه فليتبوأْ مقعده من النار .

وقال البغوى والكواشىُّ وغيرهما : التأْويل صَرْف الآية إلى معنًى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ [(٢)] قيل : شبابا وشيوخا . وقيل : أغنياء وفقراء . وقيل عُزّابا ومتأهلين . وقيل نِشاطا وغير نشاط. وقيل : أصحاء ومرضى ؛ وكلّ ذلك سائغ ، والآية تحتمله

وأما التأْويل المخالف للآية والشرع فمحظور ؛ لأنه تأْويل الجاهلين ، مثل تأْويل الروافض قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾[(٣)] أنهما علىّ وفاطمة . ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ ﴾[(٤)] ، يعنى الحسن والحسين .

---

(١) البرهان ٢ : ١٥٦ - ١٦٤
(٢) التوبة ٤١
(٣) الرحمن ١٩ ،
(٤) الرحمن ٢٢

وقال بعضهم : اختلف الناس فى تفسير القرآن : هل يجوز لكلِّ أحد الخوضُ فيه ؟ فقال قوم :لايجوز لأحدٍ أن يتعاطى تفسير شىء من القرآن ، وإنْ كان عالما أديبًا متّسعا فى معرفة الأدلة والفقة والنّحو والأخبار والآثار ، وليس له إلّا أن ينتهىَ إلى مارُوِىَ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، ومنْهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعًا للعلوم التى يحتاج المفسر إليها وهى خمسة عشر علما :

أحدها : اللغة ؛ لأنّ بها يعرف شرح مفردات الألفاظ، ومدلولاتها بحسب الوضع. قال مجاهد :لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب ، وتقدم قول الإمام مالك فى ذلك ، ولا يكفى فى حقّه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركًا ، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

الثانى : النّحو ، لأنّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، فلا بدّ من اعتباره ؛ أخرج أبو عُبيد عن الحسن ، أنه سُئل عن الرّجل يتعلّم العربية يلتمس بها حسنَ المنطق ، ويقيم بها قراءته ، فقال : حسن ، فتعلّمها ، فإن الرجل يقرأُ الآية فيعيا بوجهها ، فيهلك فيها .

الثالث : التصريف ، لأنّ به تعرف الأبنية والصيَغ ، قال ابن فارس : ومَنْ فاته علمه فاته المعظم ، لأن «وجد »مثلا كلمة مبهمة ، فإذا صرّفناها اتّضحت بمصادرها .

وقال الزمخشرىّ : من بِدَع التفاسير قول مَنْ قال : إن الإمام فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [1] ، جمع «أمّ» ، وأنّ الناس يُدْعون يوم القيامة بأمّهاتهم دون آبائهم ، قال : وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف ، فإن «أمّا» لا يُجمع على « إمام » .

الرابع : الاشتقاق ، لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادّتين مختلفتين ، اختلف المعنى باختلافهما ، كالمَسيح ، هل هو من السياحة أو المسح !

الخامس والسادس والسابع : المعانى والبيان والبديع ، لأنه يُعرَف بالأوّل خواصُّ تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثانى خواصُّها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدّلالة وخفائها ، وبالثالث وُجوهُ تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة هى علوم البلاغة ؛ وهى من أعظم أركان المفسّر ؛ لأنه لابدّ له من مراعاة مايقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرَك بهذه العلوم .

قال السكاكىّ : اعلم أنّ شأن الإعجاز عجيب يدرَك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة ، ولاطريق إلى تحصيله لغير ذوِى الفطَر السليمة إلاّ التمرّن على علمَىِ المعانى والبيان .

وقال ابن أبى الحديد : اعلم أنّ معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق من الكلام أمرٌ لا يدرَك إلاّ بالذوق ، ولا يمكن إقامةُ الدلالة عليه ، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشرَبة بحمرة دقيقة الشفتين ، نقية الثّغر ، كحلاء العَينين ، أسيلة الخدّ ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة ، والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن ؛ لكنها أحلَى فى العيون والقلوب منها ، ولا يدرَى سبب ذلك ؛ ولكنه يُعرَف بالذوق والمشاهدة ،

---

(١) الإسراء ٧١

ولا يمكن تعليله ، وهكذا الكلام . نعم يبقى الفرق بين الوصفين ، أنّ حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كلّ مَنْ له عين صحيحة ، وأما الكلام فلا يدركه إلا بالذوق ، وليس كلُّ من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهلِ الذوق وممّن يصلح لانتقاد الكلام ، وإنما أهلُ الذوق همُ الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرّسائل والخطب والكتابة والشّعر ، وصارت لهم بذلك دُرْبة ومَلَكة تامّة؛ فإلى أولئك ينبغى أن يُرجَع فى معرفة الكلام ، وفضل بعضه على بعض .

وقال الزمخشريّ : مِنْ حقّ مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أنْ يتعاهد بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدّى سليما من القادح .

وقال غيره : معرفة هذه الصناعة بأوضاعها، هى عُمْدة التفسير المطلِع على عجائب كلام الله تعالى ، وهى قاعدة الفصاحة ، وواسطة عقد البلاغة .

الثامن : علم القرءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقرءات يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما فى القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على مالا يجوز على الله تعالى ، فالأصوليّ يؤوّل ذلك ، ويستدلّ على مايستحيل وما يجب وما يجوز .

العاشر : أصول الفقه ، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادى عشر : أسباب النزول والقِصص، إذ بسبب النزول يعرِف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ماأُنزِلت فيه .

الثانى عشر : الناسخ والمنسوخ ليعلمَ المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر) الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم

الخامس عشر) علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم

قال ابن أبي الدنيا : وعلوم القرآن وما يستنبط منه بَحرٌ لاساحل له . قال فهذه العلوم ـ التي هي كالآلة للمفسِّر لايكون مفسِّرًا إلَّا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسِّرًا بالرأي المنهيِّ عنه ، وإذا فسّر مع حصولها لم يكن مفسِّرًا بالرأي المنهيّ عنه .

قال : والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربيّة بالطبع لابالاكتساب واستفادوا العلوم الأُخرى من النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قلت : ولعلك تستشكل علْم الموهبة ، وتقول : هذا شيء ليس في قدرةِ الإنسان ، وليس كما ظننت من الإشكال ، والطريق في تحصيله ارتكابُ الأسباب الموجبة له من العمل والزهد .

قال في البرهان : اعلَمْ أنه لايحصلُ للناظر فهمُ معاني الوحي ، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بِدْعة أو كبر أو هوًى أو حبّ الدنيا ، أو وهو مصرٌّ على ذنب أو غير متحقّق بالإيمان أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسِّر ليس عنده علم ، أو راجع إلى معقوله ؛ وهذه كلُّها حُجُب وموانع بعضُها آكدُ من بعض .

قلت : وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (١) ، قال سفيان بن عيينة : يقول : أنزع عنهم فَهْمَ القرآن .أخرجه ابن أبي حاتم .

وقد أخرج ابنُ جرير وغيرُه من طرق عن ابن عباس ، قال التفسير : أربعة أوجه : وجهٌ تعرفه العرب من كلامها ، وتفسيرٌ لا يعذَر أحد بجهالته ، وتفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لايعلمه إلا الله تعالى .

---

(١) الأعراف ١٤٦

ثم رواه مرفوعا بسند ضعيف بلفظ : «أُنزِل القرآن على أربعة أحرف : حلال ، وحرام لايعذر أحد بجهالته ، وتفسير تفسّره العرب ، وتفسير تفسّره العلماء ، ومتشابة لايعلمه إلا الله تعالى . ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذبٌ (١) .

قال الزَّرْكشيّ في البرهان : في قول ابن عباس هذا تقسيم صحيح ؛ فأمّا الذى تعرفه العرب فهو الذى يُرجع فيه إلى لسانهم ؛ وذلك اللغة والإعراب فأمّا اللغة فعلى المفسِّر معرفة معانيها ومسمَّيات أسمائها ، ولايلزم ذلك القارئ ثم إن كان ماتتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم ؛ كَفَى فيه خبرُ الواحد والاثنين ، والاستشهاد بالبيت والبيتين ، وإن كان يوجب العلم لم يَكْفِ ذلك بل لابدّ أن يسْتفيض ذلك اللفظ ، وتكثر شواهدُه من الشعر .

وأماالإعراب فماكان اختلافُه مُحِيلاًللمعنَى وجب على المفسِّر والقارئ تعلُّمه ، ليتوصّل المفسر إلى معرفة الحكم ، ويسلم القارئ من اللحن ، وإن لم يكن مُحِيلاً للمعنى وجب تعلُّمه على القارئ ليسلم من اللحن ، ولا يجب على المفسِّر لوصوله (٢) إلى المقصود بدونه (٣)

وأمّا مالا يُعذَر أحد بجهله ، فهو ماتتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمّنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ؛ وكلُّ لفظٍ أفاد معنًى واحدًا جليا يُعلم أنه مراد الله تعالى ؛ فهذا القسم لايلتبس تأويله ، إذْ كلُّ أحد يدرك معنى التوحيد ، من قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٤) ، وأنّه لاشريك له في الإلٓهية (٥) ، وإن لم يعلم أنَّ «لا» موضوعة في اللغة للنفي «وإلّا» للإثبات

(١) نقله في البرهان ٢ : ١٦٤ ، عن عبد الرزاق في تفسيره .
(٢) البرهان : «ليتوصل»
(٣) بعده في البرهان : «على أن جهله نقص في حق الجميع»
(٤) محمد ١٩
(٥) البرهان : «الهيئة»

وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر . ويعلم كلّ أحدٍ بالضرورة أنّ مقتضى قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاة ﴾[١] ونحوها [من الأوامر] طلب إدخال المأمور به فى الوجود وإن لم يعلم أن صيغة « أفعَل » للوجوب[٢] ، فما كان من هذا القسم لايعذر أحَدٌ يدّعى الجهل بمعانى ألفاظه ؛ لأنها معلومة لكلّ أحد بالضرورة .

وأمّا مالا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فهو مايجرى مجرى الغيوب ؛ نحو الآى المتضمنة قيام الساعة ، وتفسير الرُّوح ، والحروف المقطعة ، وكلّ متشابه فى القرآن عند أهل الحقّ ، فلا مساغَ للاجتهاد فى تفسيره ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله[٣] .

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم ؛ فهو الذى يغلب عليه إطلاق التأويل ؛ وذلك استنباط الأحكام ، وبيان المجمَل وتخصيص العموم . وكلّ لفظٍ احتمل معنيين فصاعداً ؛ فهو الذى لايجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعليهما اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأى ؛ فإن كان أحدُ المعنيين أظهر وجب الحمل عليه ، إلاأن يقوم دليل على أنّ المرادهو الخفىّ . وإن استويا ــ والاستعمال فيهما حقيقة ؛ لكن فى أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية ، وفى الآخر شرعية ــ فالحمل على الشرعية أوْلَى ، إلا أن يدلّ دليلٌ على إرادة اللغوية . كما فى ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إنَّ صلاتك سكنٌ لهم ﴾[٤] . ولو كان فى أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحملُ على العرفية أوْلَى . لأن الشرع ألزم . فإن تنافَى اجتماعُهما ؛ ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد ؛ كالقُرْء للحيض والطهر ،

---

(٦) البقرة ٤٣ (١) البرهان مقتضاها الترجيح وجوبا أو ندبا

(٢) بعدها فى البرهان : «فاذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه» .

(٣) التوبة ١٠٣

اجتُهد فى المراد منهما بالأمارات الدالة عليه ، فما ظنّه فهو مراد الله تعالى فى حقّه وإن لم يظهر له شيء ، فهل يتخير فى الحمل على أيّهما شاء ، أو يأخذ بالأغلظ حكما ، أو بالأخفّ ؟ أقوال ، وإن لم يتنافيا وجب الحملُ عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغَ فى الإعجاز والفصاحة إلّا إنْ دل دليلٌ على إرادة أحدهما .

إذا عرف ذلك فينزّل حديث. « مَنْ تكلم فى القرآن بغير علم فليتبوأْ مقعده من النار * » على قسمين من هذه الأربعة :.

أحدها : تفسير اللفظ لاحتياج المفسِّر له إلىالتبحّر فى معرفة لسان العرب .

والثانى : حمل اللّفظ المحتمَل على أحد معنيَيْه لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم . والتبحّر فى العربية واللغة . ومن علم الأصول مايدرك به حدودُ الأشياء وصيَغ الأمر والنّهىوالخبر ، والمجمل والمبيّن ،والعموم والخصوص والمطلَق والمقيّد ، والمحكَم والمتشابه ، والظاهر والمؤوّل ، والحقيقة والمجاز ، والصريح والكناية ، ومن الفروع ما يدرَك به الاستنباط ، والاستدلال على هذا أقل مايحتاج إليه ؛ومع ذلك فهو على خطر ، فعليه أن يقول : يحتمل كذا ، ولا يجزم إلا فى حكمٍ اضطر إلى الفتوى به ، فأدّى [اجتهاده إليه] (١) فيحرم خلافه مع تجويز خلافه عند الله . انتهى (٢) .

وقال ابن النّقيب : جملة ماتحصّل فى معنى حديث التفسير بالرأى خمسة أقوال :

أحدها : التفسير من غير حصول العلوم ؛ التى يجوز معها التفسير .

الثانى : تفسير المتشابه الذىلايعلمه إلا الله .

---

(١) من البرهان (٢) البرهان ١٦٤ – ١٦٨ مع تصرف واختصار.

(*) فى طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ ١٨٩ «من تكلم فى القرآن برأيه» على قسمين من هذه الأربعة .

الثالث : التفسير المقرَّر للمذهب الفاسد ،بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعًا ، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن ، وإن كان ضعيفًا .

الرابع : التفسير بأنّ مراد الله كذا على القطْع من غير دليل .

الخامس : التفسير بالاستحسان والهوى .

ثم قال : واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام :

الأوّل : علم لم يُطْلع الله عليه أحدًا من خلقه ، وهو مااستأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التى لايعلمها إلّا هو ، وهذا لايجوز لأحد الكلامُ فيه بوجه من الوجوه إجماعا .

الثانى : ماأطلع اللهُ عليه نبيَّه من أسرار الكتاب ، واختصَّه به ، وهذا لايجوز الكلامُ فيه إلا له صلى الله عليه وسلم ، أو لمنْ أذن له ، قال : وأوائل السُّوَر من هذا القسم ، وقيل : من القسم الأول .

الثالث : علوم علَّمها الله نبيَّه مما أودع كتابه من المعانى الجليَّة والخفيَّة ، وأمره بتعليمها ؛ وهذا ينقسم إلى قسمين : منه مالا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع ، وهو أسباب النزول والنَّاسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأُمم الماضية وأخبارُ ماهو كائن من الحوادث ، وأمور الحشر والمعاد ، ومنه مايُؤخذ بطريق النَّظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ ، وهو قسمان : قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات ، وقسم اتفقّوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصليَّة والفرعية والإعرابيَّة ؛ لأنّ مبناها على الأقيسة ؛ وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات ولا يمتنع استنباطها منه ، واستخراجها لمن له أهلية . انتهى ملخصًا .

وقال أبو حيّان : ذهب بعضُ مَنْ عاصرناه إلى أنّ علمَ التفسير مضطر

إلى النقل في فَهْم معانى تركيبه بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعِكْرِمة وأضرابهم ، وأنَّ فَهْمَ الآيات يتوقف على ذلك . قال : وليس كذلك[١] .

وقال الزَّركشي بعد حكاية ذلك : الحقّ أن علم التفسير منه ما يتوقَّف على النقل كسبب النُّزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ، ومنه ما لا يتوقَّف ، ويكفى في تحصيله الثقة على الوجه المعتبر . قال : وكأنَّ السَّبَب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل ، والتمييز بين المنقول والمستنبط ؛ ليحمل على الاعتماد في المنقول ، وعلى النظر في المستنبط[٢] .

قال : واعلمْ أنَّ القرآن قسمان : قسم ورد تفسيره بالنَّقْل وقسم لم يرد .

والأول إمّا أن يَرِدَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو رءوس التَّابعين . فالأول يُبحث فيه عن صحة السند ، والثاني يُنظر في تفسير الصحابيّ ، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان ـ فلا شك في اعتمادهم ـ أو بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه ، وحينئذٍ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة ، فإن أمكن الجمع فذاك ، وإن تعذَّر قُدِّم ابن عباس ؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بشَّره بذلك ، حيث قال : « اللهمّ علِّمه التأويل » . وقد رجّح الشافعي قول زيد في الفرائض ، لحديث « أفرضُكم زيد » . وأما ما ورد عن التابعين فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك هنا ، وإلّا وجب الاجتهاد .

وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل ، وطريق التَّوصل إلى فهمه النظرُ إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السِّيَاق ، وهذا

---

(١) مقدمة تفسيره ١ : ٥ ، مع اختصار وتصرف ، ونقله صاحب البرهان في ٢ : ١٧١

(٢) البرهان ٢ : ١٧١ ـ ١٧٢

يعتنى به الراغب كثيرًا فى كتاب « المفردات » ، فيذكر قيدًا زائدًا على أهل اللغة فى تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتضاه السياق[١] . انتهى .

قلت : وقد جمعتُ كتابًا مسندًا فيه تفاسير النبيّ صلى الله عليه وسلم والصحابة ، فيه بضعة عشر ألف حديث مابين مرفوع وموقوف ؛ وقد تمّ ولله الحمد فى أربع مجلدات وسمّيته : « ترجمان القرآن » ، ورأيت وأنا فى أثناء تصنيفه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى المنام ، فى قصّة طويلة تحتوى على بشارة حسنة .

تنبيه

من المهمّ معرفة التفاسير الواردة عن الصّحابة بحسب قراءة مخصوصة ؛ وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران فى الآية الواحدة مختلفان ، فَيُظَنُّ اختلافًا وليس باختلاف ؛ وإنما كلّ تفسير على قراءة . وقد تعرّض السّلف لذلك ، فأخرج ابن جرير فى قوله تعالى : ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾[٢] من طرق عن ابن عباس وغيره ، أنّ « سُكِّرت » بمعنى « سُدّت » ومن طرقٍ أنّها بمعنى « أُخِذت » .

ثم أخرج عن قتادة ، قال : من قرأ « سُكِّرت » مشدّدة ، فإنما يعنى « سُدّت » ومن قرأ « سُكِرت » مخففة فإنه يعنى « سُحِرت » .

وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع . ومثله قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ ﴾[٣] أخرج ابن جرير عن الحسن ، أنه الذى تُهْنأُ به الإبل .

وأخرج من طرق عنه وعن غيره أنه النّحاس المذاب ، وليسا بقولين ،

(١) البرهان ٢ : ١٧٢ بعنوان : «تتخيل لما سبق» مع تصرف واختصار .

(٢) الحجر ١٥ (٣) ابراهيم ٥٠

وإنما الثانى تفسير لقراءة من «قَطِرآنٍ» بتنوين «قَطِرٍ»، وهو النحاس و«آنٍ» شديد الحرّ، كما أخرجه ابن أبى حاتم هكذا عن سعيد بن جبير.

وأمثلة هذا النوع كثيرة، والكافل ببيانها كتابُنا «أسرار التنزيل»، وقد خرّجت على هذا قديما الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره فى تفسير آية: ﴿أولامستم﴾ هل هو الجماع أو الجسّ باليَدِ؟ فالأول تفسير لقراءة ﴿لامستم﴾ والثانى لقراءة ﴿لمستم﴾، ولا اختلاف.

• • •

فائدة

قال الشافعىّ رضى الله عنه فى مختصر البُوَيطىّ: لايحلّ تفسير المتشابه إلا بسنّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو خبر عن أحد من أصحابه، أو إجماع العلماء «هذا نصّه».

• • •

[فصل فى تفسير الصوفية]

وأما كلام الصوفيّة فى القرآن فليس بتفسير؛ قال ابنُ الصلاح[1] فى فتاويه وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدىّ المفسّر أنّه قال: صنّف أبو عبد الرحمن السُّلمىّ «حقائق التفسير» فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيرًا فقد كفر.

قال ابن الصلاح: وأنا أقول: الظنّ بمن يوثَق به منهم، إذا قال شيئا من ذلك أنّه لم يذكره تفسيرًا، ولا ذهب به مذهبَ الشرح للكلمة. فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنيّة، وإنما ذلك منهم لنظير ماورد به

(١) هو أبو عمرو بن عبد الرحمن الشهرزورى الشافعى المتوفى سنة ٦٤٣. وفتاويه جمعهـا بعض طلبته، وهو الكمال اسحاق الغزى الشافعى. فى مجلد واحد كثير الفوائد (كشف الظنون).

القرآن ؛ فإنَّ النظير يُذكر بالنظير ؛ ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس ! .

وقال النسفيّ (١) في عقائده : النّصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معانٍ يدّعيها أهلُ الباطن إلحادٌ .

قال التفتازانى (٢) فى شرحه : سُمِّيت الملاحدة باطنيّة لادّعائهم أنَّ النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنيّة لايعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكليّة .

قال : وأمّا مايذهب إليه بعض المحققين من أنَّ النُّصوص على ظواهرها ، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينَها وبين الظواهر المرادة ، فهو من كمال الإيمان ، ومحض العرفان .

وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقينيّ عن رجل قال فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٣) : إنَّ معناه : من ذلّ : أىْ من الذلّ . ذى : إشارة إلى النفس ، يشفَ : من الشفا جواب « مَنْ » . عُ : أمر من الوَعْى ، فأفتى بأنّه ملحِد ، وقد قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين يُلحدون فى آياتنا لايخفَوْن علينا ﴾ (٤) ، قال ابن عباس : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه ، أخرجه ابن أبى حاتم .

فإن قلت : فقد قال الفريابىّ حدّثنا سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن

---

(١) هو عمر بن محمد نجم الدين أبو حفص النسفى السمرقندى الحنفى ؛ المتوفى سنة ٥٣٧ . وكتابه العقائد فى علم التوحيد ، شرحه سعد الدين التفتازانى . وانظر كشف الظنون ، والفوائد البهية ١٤٩ .

(٢) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى أحد محاسن الدنيا الذين اشتهرت مصنفاتهم ؛ كما انتهت اليه رئاسة الحنفية . توفى سنة ٧٢٢ ، بسمرقند . الفوائد البهية ١٣٤ .

(٣) البقرة ٢٥٥ . (٤) فصلت ٤٠

الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكلِّ آية ظهر وبَطْن ، ولكلّ حرف حدّ ، ولكل حَدّ مطلع » .

وأخرج الدّيلميّ من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا : « القرآن تحت العرش ، له ظهر وبطن يحاجّ العباد » .

وأخرج الطبرانيّ وأبو يعلَى والبَزّار وغيرهم ، عن ابن مسعود موقوفًا : « إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حدّ ولكل حدّ مطلع » .

قلت : أمّا الظهر والبطن ففى معناه أوجه :

أحدها : أنّك إذا بحثت عن باطنها وقِسْتَه على ظاهرها ، وقفت على معناها ..

والثانى : أنّ ما من آية إلا عمِل بها قوم ؛ ولها قوم سيعملون بها ، كما قال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبى حاتم .

الثالث : أن ظاهرها لفظها ، وباطنها تأْويلها .

الرابع : قال أبو عبيد ـ وهو أشبهها بالصواب : إن القصص التى قصّها الله تعالى عن الأُمم الماضية وما عاقبهم به ، ظاهرها الإخبار بهلاك الأوّلين ، إنما هو حديث حَدَّث به عن قوم ، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا فعلهم ، فيحلّ بهم مثل ماحل بهم .

وحكَى ابن النقيب قولاً خامسًا : إنّ ظهرَها ماظهر من معانيها لأهل العلم بالظّاهر ، وبطنها ماتضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أرباب الحقائق ، ومعنى قوله : « ولكل حرف حدّ » ، أى منتَهى ، فيما أراد الله من معناه . وقيل : لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب ، ومعنى قوله : « ولكل حدّ مطلع » لكل غامض من المعانى والأحكام مطلع يُتوصّل به إلى معرفته ، ويُوقف على المراد

به . وقيل : كلّ مايستحقّه من الثواب والعقاب يطّلع عليه فى الآخرة عند المجازاة ،

وقال بعضهم : الظاهر التّلاوة والباطن الفهم . والحدّ أحكام الحلال الحرام ، والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد .

قلت : يؤيد هذا ما أخرجه ابنُ أبى حاتم : من طريق الضَّحاك ، عن ابن عباس قال : إن القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور وبطون . لا تنقضى عجائبهُ ، ولا تُبلَغ غايته ، فمن أوْغَل فيه برفقٍ نجا ، ومن أوغل فيه بعنفٍ هوَى ؛ أخبار وأمثال ، وحلال وحرام ؛ وناسخٌ ومنسوخ ، ومحكَم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهرُه التلاوة ، وبطنه التأويل ، فجالِسُوا به العلماء وجانبوا به السفهاء .

وقال ابن سبُع فى شفاء الصدور[1] : ورد عن أبى الدرداء أنه قال : لايفقهُ الرّجل كلّ الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهًا .

وقال ابنُ مسعود : من أراد عِلْم الأوّلين والآخرين فليثوّر القرآن[2] .

قال : وهذا الذى قالاه لايحصل بمجرّد تفسير الظاهر .

وقال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ؛ فهذا يدلّ على أن فى فهم معانى القرآن مجالاً رحبًا ، ومتّسعًا بالغًا . وأنّ المنقول من ظاهر التفسير ، وليس ينتهى الإدراك فيه بالنقل . والسَّماع لابدّ منه فى ظاهر التفسير ليتَّقِىَ به مواضع الغلط . ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ، ولا يجوز التهاون فى حفظ التفسير الظاهر بل لابدّ منه أوّلاً ؛ إذ لايطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر . ومن ادّعى فهمَ أسرار القرآن ، ولم يُحكم التفسير الظاهر ، فهو كمن ادّعى البلوغَ إلى صدر البيت ، قبل أن يجاوز الباب انتهى .

---

(١) ذكره صاحب كشف الظنون

(٢) ليثور القرآن : اى لينقر عنه ، ويفكر فى معانيه . وانظر نهاية ابن الأثير ١ : ٢٢٩

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله[1] فى كتابه لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى العربيّة ليس إحالةً للظاهر عن ظاهره ؛ ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ماجلبت الآية له ، ودلّت عليه فى عُرف اللسان ، وثَمّ أفهامٌ باطنة تُفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء فى الحديث : « لكل آية ظهر وبطن » . فلا يصدّنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدَل ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ، فليس ذلك بإحالة ، وإنما يكون إحالة لو قالوا : لامعنى للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرءون الظواهر على ظواهرها مرادًا بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم .

° ° °

فصل

[فيما يجب على المفسّر]

قال العلماء : يجب على المفسّر أن يتحرّى فى التفسير مطابقة المفسَّر . وأن يتحرّز فى ذلك من نقص عمّا يُحتاج إليه فى إيضاح المعنى ، أو زيادة لا تليق بالغَرض ، ومن كون المفسّر فيه زيغ عن المعنى ، وعدول عن طريقه وعليه بمراعاة المعنى الحقيقىّ والمجازىّ ومراعاة التأليف ، والغرض الذى سيق له الكلام ، وأن يؤاخِىَ بين المفردات ؛ ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظيّة ، وأوّل ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة ، فيتكلّم عليها من جهة اللغة ، ثم التصريف ، ثم الاشتقاق ؛ ثم يتكلّم عليها بحسب التركيب .

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندرى : احد العلماء الجامعين علوم الدين ، من التفسير والحديث والأصول والتصوف . استوطن القاهرة للوعظ . ثم رحل الى الاسكندرية ومات بها سنة ٧٠٩ . وكتاب لطائف المنن في مناقب شيخه ابي العباس المرسي ؛ طبع بتونس سنة ١٣٠٤ .

فيبدأ بالإعراب ، ثم بما يتعلق بالمعانى ، ثم البيان ، ثم البديع ، ثم يبيّن للغنى المراد ، ثم الاستنباط ، ثم الإشارات .

وقال الزركشىّ فى أوائل البرهان : قد جرت عادة المفسرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول ، ووقع البحث فى أنه: أيّما أولى البداءة به : بتقدّم السبب على المسبب ، أو بالمناسبة ؛ لأنها المصححة لنظم الكلام ، وهى سابقة على النزول .

قال : والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[1] ، فهذا ينبغى فيه تقديم ذكر السبب ، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ، وإن لم يتوقّف على ذلك فالأولى تقديم المناسبة[2] .

وقال فى موضع آخر : جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها فى أوّل كلّ سورة ، لما فيها من الترغيب والحثّ على حفظها ، إلاّ الزمخشريّ فإنه يذكرها فى أواخرها .

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرمانىّ : سألت الزمخشري عن العلة فى ذلك فقال : لأنّها صفات لها ، والصفة تستدعى تقديم الموصوف . وكثيرا مايقع فى كتب التفسير « حكى الله كذا » . فينبغى تجنُّبه .

قال الإمام أبو نصر القشيرىّ[3] فى المرشد : قال معظم أئمتنا : لا يقال : كلام الله محكى ، ولا يقال : « حكى الله » ؛ لأنّ الحكايةَ الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل . وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار .

(١) النساء ٥٨ (٢) البرهان ١ : ٣٣

(٣) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى الشافعى ، أحد أئمة الدنيا فى الفقه والأصول والتفسير . توفى سنة ٥١٤ بنيسابور . طبقات الشافعية ٤ : ٢٤٩ .

، كثيرًا ما يقع فى كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف[١] وقد مرّ فى نوع الإعراب .

وعلى المفسر أن يتجنّب ادّعاء التكرار ما أمكنه ، قال بعضهم : ممّا يدفع توهم التكرار فى عطف المترادفين نحو : ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾[٢] ﴿ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[٣] . وأشباه ذلك أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنًى لا يوجد عند انفراد أحدهما ، فإن التركيب يُحدث معنى زائدًا ، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى ، فكذلك كثرة الألفاظ . انتهى .

وقال الزركشى فى البرهان : ليكن محطّ نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له ، وإن خالف أصل الوضع اللغوىّ لثبوت التجوّز .

وقال فى موضع آخر : على المفسّر مراعاة مجازي الاستعمالات فى الألفاظ التى يُظن بها الترادف ، والقَطْع بعدم الترادف ما أمكن . فإنّ التركيب معنًى غير معنى الإفراد ؛ ولهذا منع كثيرٌ من الأُصوليّين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر فى التركيب ، وإن اتفقوا على جوازه فى الإفراد . انتهى .

وقال أبو حيّان : كثيرًا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلل النحو ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه ، ودلائل أصول الدين ، وكلّ ذلك مقرّر فى تأليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلَّمًا فى علم التفسير دون استدلال عليه ، وكذلك أيضًا ذكروا مالا يصحّ من أسباب نزول ، وأحاديث فى الفضائل ، وحكايات لاتناسب ، وتواريخ إسرائيليّة ، ولا ينبغى ذكر هذا فى علم التفسير .

• • •

(١) نقله فى البرهان ٢ : ١٧٨ ؛ وذكر فى آخره : « ما » فى نحو «فبما رحمة من الله لنت لهم»، والكاف فى نحو «ليس كمثله شىء» ؛ ونحوه ١١ .

(٢) المدثر ٢٨ (٣) البقرة ١٥٧

فائدة

قول ابنْ أبي جَمْرة : عن عليّ رضى الله عنه : أنه قال : لو شئت أن أُوقِرَ سبعين بعيرًا من تفسير أُم القرآن لفعلت ، وبيان ذلك أنه إذا قال : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يحتاج تبيين معنى الحمد ، ومايتعلّق به الاسم الجليل الذي هو الله ، وما يليق به من التنزيه ، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيّته على جميع أنواعه وأعداده وهى ألف عالم ، أربعمائة فى البرّ وستمائة فى البحر ، فيحتاج إلى بيان ذلك كله ، فإذا قال : ﴿الرحمن الرحيم﴾ يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلينْ وما يليق بهما من الجلال ، وما معناهما ، ثم يحتاج إلى بيان جميع الأسماء والصفات ، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة فى اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما ، فإذا قال : ﴿مالك يوم الدين﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال وكيفية مستقرّه . فإذا قال : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته ، والعبادة وكيفيّتها وصفتها وأدائها على جميع أنواعها ، والعابد فى صفته ، والاستعانة وأدائها وكيفيتها ، فإذا قال : ﴿اهدنا الصراط المستقيم . . .﴾ إلى آخر السورة ، يحتاج إلى بيان الهداية ماهى ، والصراط المستقيم وأضداده ، وتبيين المغضوب عليهم والضّالين وصفاتهم ، وما يتعلق بهذا النوع ، وتبيين المرضىّ عنهم وصفاتهم وطريقتهم . فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علىّ من هذا القبيل .

النوع التاسع والسبعون

فى غرائب التفسير.

ألف فيه محمود بن حمزة الكرمانىّ [١] كتابا فى مجلدين ، سماه « العجائب والغرائب » [٢] ضمّنه أقوالا ذكرت فى معانى آياتٍ مُنكرة لا يحلّ الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها . من ذلك قول من قال فى « حمعسق » : إنَّ الحاء حرْب علىّ ومعاوية ، والميم ولاية المروانية . والعين ولاية العبّاسية ، والسين ولاية السّفيانية ، والقاف قدوة مهدى . حكاه أبو مسلم [٣] ؛ ثم قال : أردت بذلك أن يُعلَم أنَّ فيمن يدّعى العلم حَمْقَى ؛ ومن ذلك قول من قال فى الٓم : معنى « ألف » ألف الله محمدا فبعثه نبيا ؛ ومعنى « لام » لامه الجاحدون وأنكروه . ومعنى « ميم » مَيَمَ الجاحدون المنكرون ؛ من المُوم وهو البرْسام [٤] .

ومن ذلك قول من قال فى ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أُولى الألباب ﴾ [٥] : إنه قصص القرآن ؛ واستدلّ بقراءة أبى الجوزاء ﴿ ولكم فى القَصَص ﴾ ، وهو بعيد ، بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة . وذلك من وجوه إعجاز القرآن ، كما بيّنته فى أسرار التنزيل .

---

(١) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى الشافعى الملقب تاج القراء ، توفى بعد سنة ٥٠٠ ، وانظر ترجمته فى بغية الوعاة ٢٧٧ .

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون ؛ وقال : سماه « لباب التفسير » .

(٣) هو محمد بن بحر المعروف بأبى مسلم الأصبهانى ؛ أحد أئمة المعتزلة ومن المصنفين فى التفسير على طريقهم . توفى سنة ٣٧٠ لسان الميزان ٥ : ٨٩ .

(٤) فى ط : « الرسام » تحريف .

(٥) البقرة ١٧٩

ومن ذلك ماذكره ابن فُورَك[١] فى تفسيره فى قوله : ﴿ ولكن ليطمئن قلبى ﴾[٢] : إن إبراهيم كان له صديق ، وصفه بأنه « قلبه » ، أى ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عيانا .

قال الكرمانىّ : وهذا بعيد جدًا .

ومن ذلك قول من قال فى ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾[٣] . إنه الحُب والعشق ، وقد حكاه الكواشىّ فى تفسيره .

ومن ذلك قولُ مَنْ قال فى ﴿ ومن شرّ غاسقٍ إذا وقب ﴾[٤] : إنه الذَّكَر إذا انتصب .

ومن ذلك قول أبى معاذ النحوى فى قوله تعالى : ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ﴾ : يعنى إبراهيم ، ﴿ نارا ﴾ أى نورا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿ فإذا أنتم منه توقدون ﴾[٥] ، تقتبسون الدين .

• • •

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأديب المتكلم الأصولى ، رووا أنه بلغت تصانيفه فى أصول الدين وأصول الفقه ومعانى القرآن قريبا من مائة . توفى سنة ٤٠٦ . انباه الرواة ٣ : ١١٠ .

(٢) البقرة ٢٦٠

(٣) البقرة ٢٨٦

(٤) العلق ٣

(٥) يس ٨٠

النوع الثمانون

فى طبقاتِ المفسّرين

[تفسير الصحابة] .

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأُبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله ابن الزبير .

أما الخلفاء فأكثر مَنْ رُوِىَ عنه منهم علىّ بن أبى طالب . والرواية عن الثلاثة نزرة جدا ، وكأنَّ السبب فى ذلك تقدُّم وفاتهم ، كما أنَّ ذلك هو السبب فى قلة رواية أبى بكر رضى الله عنه للحديث ، ولا أحفظُ عن أبى بكر رضى الله عنه فى التفسير إلا آثارًا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة ، وأما علىّ فروى عنه الكثير . وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبى الطُّفيل ، قال : شهدت عليا يخطب ، وهو يقول : « سلونى ، فوالله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم ، وسلُونى عن كتاب الله ، فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم : أبليلٍ نزلتْ أم بنهارٍ ، أم فى سهلٍ أم فى جبلٍ » .

وأخرج أبو نُعيم فى الحلية ، عن ابن مسعود ، قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن على بن أبى طالب عنده منه الظاهر والباطن .

وأخرج أيضا من طريق أبى بكر بن عيّاش ، عن نصير بن سليمان الأحمسىّ عن أبيه ، عن علىّ ، قال : والله ما نزلتْ آية إلا وقد علمت فيم أُنزلتْ ، وأين أنزلت ، إنَّ ربى وهبَ لى قلبًا عقولا ، ولسانا سئولاً .

* * *

وأما ابن مسعود فروى عنه أكثر مما روى عن عليّ ؛ وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال : « والذي لا إلٓه غيره ما نزلتْ آيةٌ من كتاب الله إلاَّ وأنا أعلمُ فيمن نزلتْ ، وأين نزلت ؟ ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيتُه » .

وأخرج أبو نعيم عن أبي البختري ، قال : قالوا لعليّ : أخبرنا عن ابن مسعود ، قال : عِلِم القرآن والسنة ، ثم انتهى ، وكفى بذلك علمًا .

• • •

وأما ابن عباس فهو تَرْجمان القرآن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل » : وقال له أيضًا : « اللهم آته الحكمةَ » وفي رواية : « اللهم عَلِّمه الحكمة » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس ، فقال : « اللهمّ بارك فيه وانشر منه » .

وأخرج من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بُريدة ، عن ابن عباس قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل ، فقال له جبريل : إنه كائن حَبْرُ هذه الأُمة ، فاستوصِ به خيرا .

وأخرج من طريق عبد الله بن خِراش ، عن العوّام بن حوشب ، عن مجاهد قال : قال ابن عباس : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعْم تَرْجُمان القرآن أنت » .

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود ، قال : « نِعم تَرجمان القرآن عبد الله بن عباس » .

وأخرج أبو نعيم عن مجاهد ، قال : كان ابن عباس يسمَّى البحر لكثرة علمه .

وأخرج عن ابن الحنفيّة ، قال : كان ابن عباس حَبْر هذه الأُمة .

وأخرج عن الحسن ، قال : إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل ، كان عمر يقول : « ذاكم فتى الكهول ؛ إن له لسانًا سئولاً ، وقلبًا عقولا » .

وأخرج من طريق عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أنَّ رجلا أتاه يسأله عن ﴿ السموات وَالأَرْض كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [1] ، فقال : اذهب إلى ابن عباس ، فسلْهُ ثم تعال أخبرنى ، فذهب فسأله ، فقال : كانت السموات رتْقًا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات ، فرجع إلى ابن عمر فأخبره ؛ فقال : قد كنت أقول : ما يُعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن ؛ فالآن قد علمت أنه أوتى علمًا .

وأخرج البخارىّ من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأنَّ بعضهم وجَد فى نفسه ، فقال : لِمَ يُدخل هذا معنا ، وإن لنا أبناء مثله ! فقال عمر : إنه ممن علمتم ، ودعاهم ذات يوم ، فأدخله معهم – فما رُئيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلّا ليريهم – فقال : ما تقولون فى قول الله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمِرْنَا أن نحمَد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا ؛ فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به ؛ قال : إذا جاء نصرُ الله والفتح ، فذلك علامةُ أجلِك . فسبِّحْ بحمدِ ربك واستغفره إنَّه كان توابا . فقال عمر : لا أعلم منها إلّا ما تقول ! » .

(١) الأنبياء ٣٠

وأخرج أيضا من طريق ابن مليكة ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر ابن الخطاب يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية[١] نزلت : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ؟ قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا : نعلم أولا نعلم ، فقال ابنُ عباس : فى نفسى منها شىء ، فقال : يابنَ أخى ، قل ولا تحقِر نفسَك ، قال ابنُ عباس : ضُرِبَتْ مثلاً لعملٍ ، فقال عمر : أىّ عملٍ ؟ قال ابن عباس : لرجل يعمل بطاعة الله ، ثم بعث له الشيطان ، فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله .

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القُرَظىّ عن ابن عباس ، أنَّ عمر ابن الخطاب جلَس فى رهط من المهاجرين من الصَّحابة ، فذكروا ليلة القَدْر ، فتكلَّم كلٌّ بما عنده فقال عمر : مالك يابن عباس صامت لا تتكلم ! تكلَّم ولا تمنعْك الحداثة ، قال ابن عباس : فقلت : ياأمير المؤمنين ، إنَّ الله وِترٌ يحبّ الوِتر ، فجعل أيام الدنيا تدور على السَّبْع ، وخلق الإنسان من سبع[*] وخلق أرزاقنا من سبع[*] وخلق فوقنا سموات سبعًا ، وخلق تحتنا أرضين سبعًا ، وأعطى من المثانى سبْعًا ، ونهى فى كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع ، وقسم الميراث فى كتابه على سَبْع ، ونقع فى السجود من أجسادنا على سَبْع ، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سَبْعًا ، وبين الصفا والمروة سَبْعًا ، ورمى الجمار بسبْع ، فأراها فى السَّبْع الأواخر من شهر رمضان . فتعجَّب عمر ، وقال : ماوافقنى فيها أحدٌ إلا هذا الغلام الذى لم تَسْتَوِ شئون رأْسِه ، ثم قال : ياهؤلاء ، مَنْ يؤدِّينى فى هذا كابن عباس ! .

(١) البقرة ٢٦٦

(*) الاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ٢ : ١٩٥

وقد ورد عن ابن عباس فى التفسير مالا يُحْصَى كثرة ، وفيه روايات وطرق مختلفة ؛ فمن جيدها طريق علىّ بن أبى طلحة الهاشمىّ عنه ، قال أحمد بن حنبل : « بمصر صحيفة فى التفسير ، رواها علىّ بن أبى طلحة ، لورحلَ رجلٌ فيها إلى مصر قاصداً ماكان كثيرا » . أسنده أبو جعفر النحاس فى ناسخه .

قال ابنُ حجر : وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب اللَّيْث ، رواها عن معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وهى عند البخارى عن أبى صالح ، وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس . وأخرج منها ابنُ جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر كثيراً بوسائط بينهم وبين أبى صالح . وقال قوم : لم يسمع ابن أبى طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير .

قال ابنُ حجر : بعد أن عرفت أنَّ الوَاسطة وهو ثقة . فلا ضَيْرَ فى ذلك .

وقال الخليلىّ فى الإرشاد : تفسير معاوية بن صالح قاضى الأندلس عن علىّ ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، رواه الكبار عن أبى صالح كاتب الليث ، عن معاوية .

وأجمع الحفاظ على أنَّ ابن طلحة لم يسمعه من ابن عباس . قال : وهذه التَّفاسير الطوال الَّتى أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل ؛ كتفسير جُويبر عن الضحَّاك ، عن ابن عباس .

وعن ابن جُرَيج فى التفسير جماعة رووا عنه ، وأطولُها مايرويه بكْر بن سهل الدمياطىّ ، عن عبد الغنى بن سعيد عن موسى بن محمد ، عن ابن جريج ؛ وفيه نظر

وروى محمد بن ثور ، عنْ ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار ، وذلك صحَّحوه .

وروى الحجاج بن محمد ، عن ابن جُريج نحو جزء ، وذلك صحيح ، متَّفقٌ عليه وتفسير شِبْل بن عبّاد المكىّ عن ابن أبى نَجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس قريب إلى الصحّة .

وتفسير عطاء بن دينار ، يكتَب ويحتج به .

وتفسير أبى رَوْق نحو جزء صححوه .

وتفسير إسماعيل السدىّ يُورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس ورَوَى عن السّدىّ الأئمة ، مثل الثورىّ وشُعْبة ؛ لكن التفسير الذى جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقوا عليه ؛ غير أنَّ أمثَل التفاسير تفسيرُ السدّى .

فأما ابن جُريج ، فإنه لم يقصد الصحة ، وإنما روى ماذكر فى كلّ آية من الصحيح والسقيم .

وتفسير مقاتل بن سليمان ؛ فمقاتل فى نفسه ضعّفوه ، وقد أدرك الكبار من التابعين ، والشافعىّ أشار إلى أن تفسيره صالح . انتهى كلام الإرشاد .

وتفسير السُّدىّ الذى أشار إليه يورد منه ابن جرير كثيرا من طريق السُّدىّ عن أبى مالك ، وعن أبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ، ولم يورد منه ابنُ أبى حاتم شيئًا ؛ لأنه التزم أن يخرّج أصحّ ماورد ، والحاكم يخرج منه فى مستدركه أشياء ، ويصححه لكن من طريق مرّة عن ابن مسعود ، وناس فقط دون الطريق الأول . وقد قال ابن كثير : إنَّ هذا الإسناد يروى به السّدىّ أشياء فيها غرابة .

ومن جيّد الطرق عن ابن عباس طريق قَيْس عنْ عطاء بن السائب عن سعيد بن جُبير عنه ؛ وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخَيْن ؛ وكثيرا مايخرّج منها الفريابيّ ، والحاكم ، في مستدركه .

ومن ذلك طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد . مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة ــ أو سعيد بن جبير ــ عنه ، هكذا بالترديد ، وهي طرق جيّدة وإسنادها حسن وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا ، وفي معجم الطّبرَاني الكبير منها أشياء ، وأوْهي طرقه طريق الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإن انضمّ إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدّيّ الصغير فهي سلسلة الكذب . وكثيرا مايخرج منها الثعلبيّ والواحديّ ، لكن قال ابن عدى في الكامل : للكلبيّ أحاديث صالحة ، وخاصّة عن أبي صالح ، وهو معروف بالتفسير وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشْبَع ، وبعده مقاتل بن سليمان ، إلا أنّ الكلبيّ يفضُل عليه لما في مقاتل من المذاهب الرديئة ؛ وطريق الضَّحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة ، فإنّ الضحاك لم يلقه ، فإن انضمّ إلى ذلك رواية بشْر بن عمارة ، عن أبي رَوْق عنه فضعيفة لضعف بشْر .

وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابْن جرير وابنُ أبي حاتم ، وإن كان من رواية جُويبر عن الضحاك فأشد ضعفا ؛ لأنّ جُويبرًا شديد الضعف متروك . ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئًا إنما أخرجها ابن مردويه والشيخ بن حيّان . وطريق العوفيّ عن ابن عباس ، أخْرج منها ابن جرير وابن حاتم كثيرا ، والعوْفيّ ضعيف ليس بواه ، وربما حَسّن له الترمذيّ . ورأيت عن فضائل الإمام الشافعي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن شاكر القطّان أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم ، قال : سمعت الشافعيّ يقول : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث :

وأما أُبيّ بن كعب ، فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازيّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عنه ، وهذا إسناد صحيح . وقد أخرج ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم منها كثيرًا ، وكذا الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده ، وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التَّفسير ، كأنس وأبي هريرة وابن عمر وجابر وأبي موسى الأشعري ، وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفِتَن والآخرة ، وما أشبهها بأن يكون مما تحمّله عن أهل الكتاب ، كالذي ورد عنه في قوله تعالى : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾[1] وكتابنا الذي أشرنا إليه جامع لجميع ما ورد عن الصحابة من ذلك .

• • •

طبقة التَّابعين .

قال ابن تيميّة : أعلُم النَّاسِ بالتفسير أهلُ مكَّة ، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعِكْرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جُبير وطاوس وغيرهم ، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنهُ عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس . انتهى .

فمن المبرِّزين منهم مجاهد ، قال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهدا يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة .

وعنه أيضًا قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقف عند كلّ آية منه ، وأسأله عنها فيمَ نزلت ؟ وكيف كانت ؟ .

وقال خُصَيف : كان أعلَمهم بالتفسير مجاهد .

---

(١) البقرة ٢١٠

وقال الثورى : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبُك به .

قال ابنُ تيميّة : ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعىّ والبخارى وغيرهما من أهل العلم .

قلت : وغالب ما أورده الفريابىّ فى تفسيره عنه ، وما أورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جدًّا .

• • •

ومنهم سعيد بن جُبير ، قال سفيان الثورى : خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جُبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك .

وقال قتادة : كان أعلم التابعين أربعة ؛ كان عطاء بن أبى رباح أعلَمهم بالمناسك ، وكان سعيد بن جُبير أعلمهم بالتفسير ، وكان عِكْرمة أعلَمَهم بالسيَرَ ، وكان الحسن أعلَمَهَم بالحلال والحرام .

• • •

ومنهم عِكْرمة مولى ابن عباس ، قال الشعبىّ : مابقِى أحدٌ أعلَم بكتاب الله من عِكْرمة ، وقال سماك بن حرب : سمعت عكرمة يقول : لقد فسَّرت ما بين اللوحين .

وقال عكرمة : كان ابنُ عباس يجعل فى رجلِي الكَبْل ، ويعلمنى القرآن والسُّنَن .

وأخرج ابن أبى حاتم عن سماك ، قال : قال عِكْرمة : كلُّ شىء أحدثكم فى القرآن ، فهو عن ابن عباس .

• • •

ومنهم الحسن البصرى ، وعطاء بن أبى رباح ، وعطاء بن أبى سلمة

الخُراساني ومحمد بن كعب القُرَظيّ ، وأبو العالية ، والضحاك بن مزاحم ، وعطية العَوْفيّ ، وقَتَادة ، وزيد بن أسلَم ، ومُرّة الهمدانيّ ، وأبو مالك . ويليهم الرّبيعُ بن أنس ، وعبدُ الرحمن بن زيد بن أسلم فى آخرين .

فهؤلاء قدماءُ المفسرّين ، وغالب أقوالهم تلقّوْها عن الصحابة .

• • •

ثم بعد هذه الطبقة أُلِّفتْ تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وآدم بن أبي إياس ، وإسحاق بن راهويه ، وروح بن عبادة ، وعبد بن حميد ، وسُنَيد ، وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين .

• • •

وبعدهم ابن جرير الطبري ، وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمُها .

ثم ابن أبي حاتم وابن ماجة ، والحاكم وابن مردويه ، وأبو الشيخ بن حبّان ، وابن المنذر فى آخرين ، وكلّها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وتَرجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنْباط ، فهو يفوقها بذلك .

ثم ألف فى التفسير خلائق ، فاختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال بتْرا ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل مَن يسنح له قول يُورده ، ومَن يخطر بباله شيء يعتمده . ثم ينقل ذلك عنه مَنْ يجيءُ بعده ، ظانا أن له أصلا ؛ غير ملتفت إلى تحرير ماورد عن السلف الصالح ، ومن يرجع إليهم فى التفسير ؛ حتى رأيتُ مَنْ حكى فى تفسير تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالِّينَ ﴾ نحوَ عشرة أقوال . وتفسيرُها

باليهود والنصارى هو الوارد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة والتابعين ،وأتباعهم،حتى قال ابن أبي حاتم : لا أعلم فى ذلك اختلافا بين المفسرين.

ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا فى علوم ، فكان كل منهم يقتصر فى تفسيره على الفنّ الذى يغلب عليه : فالنحوىّ تراه ليس له همٌّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافيّاته ؛ كالزّجّاج والواحدى فى البَسيط. وأبي حيّان فى البحر والنهر .

والأخبارى ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها والإخبار عمّن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبىّ .

والفقيه يكادُ يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمّهات الأولاد . وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التى لاتعلق لها بالآية . والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبى .

وصاحبُ العلوم العقلية - خصوصا الإمام فخر الدين - قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها . وخرج من شيء إلى شيء ؛حتى يقضى الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية ؛ قال أبو حيان فى البحر : جمع الإمام الرازىّ فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لاحاجة بها فى علم التفسير ؛ ولذلك قال بعض العلماء : فيه كلّ شىء إلاّ التفسير .

والمبتدع ليس له قصد إلاتحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد ؛ بحيث إنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها . أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع إليه . قال البُلقينىّ : استخرجْتُ من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش من قوله تعالى فى تفسير : ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدخِل الجنةَ فَقَدْ فاز ﴾ [1] . وأىّ فوز أعظم من دخول الجنة ! أشار به إلى عدم الرؤية .

---

(1) آل عمران ١٨٥

والملحد ، فلا تسأل عن كفره وإلحاده فى آيات الله ، وافترائه على الله مالم يقله ، كقول بعضهم فى ﴿ إنْ هِيَ إلا فتنتُك ﴾ [(١)] : ما على العباد أضرّ من ربهم . وكقوله فى سَحرة موسى ما قال ، وقول الرافضة فى ﴿ يأْمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [(٢)] ما قالوا ، وعلى هذا وأمثاله يحمل ماأخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ فى أمّتى قوما يقرءون القرآن وينثُرونه نثر الدَّقَل [(٣)] ، يتأوّلونه على غير تأويله » .

فإن قلت : فأىّ التفاسير ترشد إليه ؛ وتأْمر الناظر أن يعوّل عليه !

قلت : تفسير الإمام أبى جعفر بن جرير الطبرىّ الذى أجمع العلماء المعتبَرون على أنه لم يؤلف فى التفسير مثله . قال النووىّ فى تهذيبه : كتاب ابن جرير فى التفسير لم يصنِّف أحدٌ مثله .

وقد شرعتُ فى تفسير جامع لجميع مايحتاج إليه من التفاسير المنقولة والأقوال المقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك بحيث لايحتاج معه إلى غيره أصلا ، وسميته « بمجمع البحرين ومطلع البدرين » ، وهو الذى جعلتُ هذا الكتاب مقدمة له ، والله أسأل أن يعين على إكماله ، بمحمد وآله .

وإذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب ؛ فلنختمه بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفاسير المصرّح برفعها إليه ، غير ماورد من أسباب النزول ، لتُستفاد فإنّها من المهمات .

• • •

(١) الأعراف ١٥٥ (٢) البقرة ٦٧

(٣) الدقل ردىء التمر ؛ وفى حديث آخر عن ابن مسعود : «هذا كهذ الشعر ، ونثرا كنثر الدقل» ذكره ابن الأثير فى النهاية ٢ : ١٢٧

الفاتحة

أخرج أحمد والترمذىّ ـ وحسّنه ـ وابن حِبّان فى صحيحه ، عن عدىّ ابن حبّان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المغضوب عليهم هُم اليهود ، وإنَّ الضالين النصارى » .

وأخرج ابن مردويه عن أبى ذرّ : سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم ، قال : اليهود . قلت : الضالين ؟ قال : النصارى .

• • •

البقرة

أخرج ابن مردويه والحاكم فى مستدركه ـ وصحّحه من طريق أبى نضرة ـ عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ (١) قال : « من الحيض والغائط والنُّخامة والبُزاق » .

قال ابن كثير فى تفسيره ، فى إسناده الربعىّ ، قال فيه ابنُ حِبّان : لا يجوز الاحتجاج به ، قال : ففى تصحيح الحاكم له نظر ، ثم رأيته فى تاريخه . قال : إنه حديث حسن .

وأخرج ابن جرير بسند رجاله ثقات ، عن عمرو بن قيس الملائىّ ، عن رجل ، من بنى أُميّة من أهل الشام أحسن عليه الثناء ، قال : قيل : يا رسول الله ، ما العدل ؟ قال : « العدل الفِدْية » . مرسل جيّد عضّده إسناد متصل عن ابن عباس موقوفا .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : قيل لبنى إسرائيل : ﴿ وَادْخُلوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ (٢) ، فدخلوا يزحفون

(١) البقرة ٢٥ (٢) البقرة ٥٨

على أستاههم ، وقالوا : حبّة فى شعرة [(١)] ، فيه تفسير قوله : ﴿ قولاً غيرَ الذى قيلَ لهم ﴾ [(٢)] .

وأخرج الترمذىّ وغيره بسند حسن عن أبى سعيد الخدرىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ويلٌ وادٍ فى جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعرَه » .

وأخرج أحمد بهذا السند عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال : كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » ، وأخرج الخطيب فى الرواية بسندفيه مجاهيل عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم «) فى قوله : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ [(٣)] ، قال : « يتّبعونه حق اتّباعه »..

وأخرج ابن مردويه بسندٍ ضعيف عن علىّ بن أبى طالب . عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ ﴾ [(٤)] . قال : لاطاعة إلا فى المعروف له شاهد ، أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس موقوفًا بلفظ : « ليس لظالم عليك عهد أن تطيعه فى معصية الله » .

وأخرج أحمد والترمذىّ والحاكم ــ وصححاه عن أبى سعيد الخُدرىّ ــ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [(٥)] قال : عَدْلاً .

وأخرج الشّيخان وغيرهما عن أبى سعيد الخُدرىّ عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : يدعَى نوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلَّغْتَ ؟ فيقول . نعم ،

(١) فى تفسير الطبرى ٢ : ١١٣ «حبة فى شعيرة» (٢) البقرة ٥٩
(٣) البقرة ١٢١ (٤) البقرة ١٢٤
(٥) البقرة ١٤٣
(*ـ*) الاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبدالرازق ٢ : ١٩٨ .

فيدعَى قومه فيقال لهم : هل بلَّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) ، قال والوَسَط العدل ، فتُدعَوْن فتشهدون له بالبلاغ . وأشهد عليكم قوله . والوسط العدل . مرفوع غير مدرَج ، نبه عليه ابن حَجر فى شرح البخاري .

وأخرج أبو الشيخ والديلميّ فى مسند الفِردوس ، من طريق جُويبر ، عن الضَّحاك عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢) ، يقول : اذكرونى يامعشر العباد بطاعتى ، أذكركم بمغفرتى .

وأخرج الطَّبرانىّ عن أبى أمامة ، قال : انقطع قِبال النبى صلى الله عليه وسلم ، فاسترجع . فقالوا : مصيبة يارسول الله ! فقال : « ماأصابَ المؤمن مما يكرهه فهو مصيبة » له شواهد كثيرة .

وأخرج ابن ماجه وابنُ أبى حاتم ، عن البَرَاء بن عازب ، قال : كنَّا فى جنازة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنَّ الكافر يُضرب ضربة بين عينيْه ، فيسمعها كلّ دابة غير الثَّقَلين ، فتلعنه كلُّ دابة سمعت صوته فذلك قول الله : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ (٣) ، يعنى دوابّ الأرض » .

وأخرج الطَّبرانىّ عن أبى أمامه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ﴿ الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ ﴾ (٤) : شوّال ، وذو القعدة ، وذو الحجة .

وأخرج الطَّبرانىّ بسندٍلابأْس به ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فى الْحَجِّ ﴾ (٤) قال

(١) البقرة ١٤٣
(٢) البقرة ١٥٢
(٣) البقرة ١٥٩
(٤) البقرة ١٩٧

الرّفث : التعرض للنساء بالجماع ، والفسوق : المعاصى ، والجدال : جدال الرّجل صاحبَه .

أخرج أبو داود عن عطاء ، أنه سئِل عن اللّغو فى اليمين . فقال : قالت عائشة : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هو كلام الرّجل فى بيته : كلا ، والله ، وبلى والله » ، أخرجه البخارى موقوفًا عليها .

وأخرج أحمد وغيره عن أبى رَزين الأسدىّ قال : قال رجلٌ : يارسولَ الله ، أرأيتَ قول الله : ﴿ الطَّلَاقُ مرّتَانِ ﴾ (١) فأين الثالثة ؟ قال : التسريح بإحسان الثالثة .

وأخرج ابنُ مردويه عن أنَس قال : جاء رَجل إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ذكر الله الطّلاق مرتين ، فأين الثالثة ؟ قال : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وأخرج الطّبرانىّ بسنَد لابأس به ، من طريق ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جدّه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « الذى بيده عقدة النّكاح الزوج » .

وأخرج الترمذى وابن حِبّان ، فى صحيحه عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الوُسطى صلاة العصر » .

وأخرج أحمد والترمذىّ ، وصححه عن سمُرة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الوسطى صلاة العصر » .

وأخرج ابن جرير ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الوسطى صلاة العصر » .

---

(١) البقرة ٢٢٩.

وأخرج أيضا عن أبى مالك الأشعرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الوسطى صلاة العصر » . وله طرق أخرى وشواهد .

وأخرج الطّبرانىّ عن علىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال السّكينة ريح خَجُوج [1] .

وأخرج ابن مَردويه من طريق جُويبر عن الضّحاك ، عن ابن عباس مرفوعا فى قوله : ﴿ يُؤتى الحِكْمَةَ مَنْ يشاءُ ﴾ [2] ، قال : القرآن ، قال ابنُ عباس : يعنى تفسيره ؛ فإنه قد قرأه البرّ والفاجر .

• • •

آل عمران

أخرج أحمد وغيره عن أبى أمامة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ فأمّا الذين فى قُلوبهم زيغٌ فيتبعُونَ ماتَشَابَه منه ﴾ [3] قال : هم الخوارج وفى قوله تعالى ﴿ يومَ تبيضُّ وجوهٌ وتسْودّ وجُوهٌ ﴾ [4] ، قال : هم الخوارج .

وأخرج الطبرانىّ وغيره عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرّاسخين فى العلم ، فقال : مَنْ برّت يمينُه ، وصدق لسانه ، واستقام قلبه ، وعفّ بطنه وفرجه ، فذلك من الراسخين فى العلم .

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس ، قال : سئِل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : ﴿ والقَناطير المُقَنْطَرَةِ ﴾ [5] قال : القنطار ألف أوقية .

وأخرج أحمد وابن ماجة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « القنطار اثنا عشر ألف أوقية » .

---

(١) ريح خجوج : أى شديدة المرور ؛ وانظر النهاية لابن الأثير ٢ : ١١

(٢) البقرة ٢٦٩ (٣) آل عمران ٧

(٤) آل عمران ١٠٦ (٥) آل عمران ١٤

وأخرج الطبرانيّ بسند ضعيف عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ (١) قال : أمّا من في السموات فالملائكة ، وأما مَنْ في الأرض فمن وُلِد على الإسلام ، وأما كرها فَمَن أُتِيَ به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون .

وأخرج الحاكم ـ وصحّحه ـ عن أنس : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن قول الله تعالى : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (٢) ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .

وأخرج الترمذي مثله من حديث ابن عمر وحسنه .

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن نُفَيْل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، فقام رجل من هُذيل : فقال : يا رسول الله : مَنْ تركه فقد كفر ؟ قال : مَنْ تركه لا يخاف عقوبته ولا يرجو ثوابه . نُفَيْع تابعيّ والإسناد مرسَل ، وله شاهد موقوف على ابن عباس .

وأخرج الحاكم ـ وصححه ـ عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حقَّ تُقَاته ﴾ (٣) أن يطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى .

وأخرج ابن مردويه ، عن أبي جعفر الباقر ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ (٤) ، قال : « الخير اتّباع القرآن وسنّتي » ، معضل .

---

(١) آل عمران ٨٣
(٢) آل عمران ٩٧
(٣) آل عمران ١٠٢
(٤) آل عمران ١٠٤

وأخرج الديلميّ فى مسند الفردوس بسند ضعيف عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (١) ، قال : تبيض وجوه أهل السنّة ، وتسودّ وجوه أهل البدَع .

وأخرج الطّبرانىّ وابن مردويه بسند ضعيف ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ (٢) قال : معلمين ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمُ سود ، ويوم أُحدٍ عمائم حمر .

أخرج البخارى عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثّل له شجاعٌ أقرع ؛ له زبيبتان ، يُطوقه يوم القيامة ؛ فيأخذ بلهزمتيه ، فيقول : أنا مالُكَ أنا كنزُك » ؛ ثم تلى هذه الآية : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾ (٣) الآية

• • •

النساء

أخرج ابن أبى حاتم وابن حبّان فى صحيحه عن عائشة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ ذَلِكَ أدنى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٤) ، قال : ألاّ تَجُوروا . وقال ابن أبى حاتم : قال أبى : هذا حديث خطأ ، والصحيح عن عائشة موقوف .

وأخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عمر ، قال : قرِئ عند عمر : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلودًا غَيْرَهَا ﴾ (٥) ، فقال معاذ : عندي تفسيرها ؛ تبدّل فى ساعة مائة مرة ، فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) آل عمران ١٠٦
(٢) آل عمران ١٢٥
(٣) آل عمران ١٨٠
(٤) النساء ٣
(٥) النساء ٥٦

وأخرج الطبرانيّ بسند ضعيف عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مؤمنًا مُتعمدًا فجزاؤه جهنَّم ﴾ (١) قال : إن جازاه .

وأخرج الطَّبرانيّ وغيره بسند ضعيف ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ فَيُوفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضله ﴾ (٢) الشفاعة فيمن وجَبت له النار ممَّن صنع إليهم المعروف في الدنيا .

وأخرج أبو داود في المراسيل ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ، فسأله عن الكَلالة ، فقال : أما سمعتَ الآية التي أُنزلتْ في الصيف : ﴿ يَستفتونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ في الكلالةِ ﴾ (٣) فمن لا يترك ولدا ولا والد فورثته « كلالة » ، مرسل .

وأخرج أبو الشَّيخ في كتاب الفرائض ، عن البراء : سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن « الكَلالة » ، فقال : ماعدا الولد والوالد .

• • •

المائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدريّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا » .

له شاهد من مرسل زيد بن أسلم عند ابن جرير .

وأخرج الحاكم وصححه عن عياض الأشعريّ قال : لما نزلت ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (٤) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى هم قوم هذا .

---

(١) النساء ٩٣ (٢) النساء ١٧٣
(٣) النساء ١٧٦ (٤) المائدة ٥٤

وأخرج الطبرانىّ عن عائشة : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾[1] ، قال : عباءة لكلّ مسكين.

وأخرج الترمذى ، وصححه عن أبي أمية الشعبانى قال : أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له : كيف تصنع فى هذه الآية ؟ قال : أية آية ؟ قلت : قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2] ، قال : أما والله لقد سألتَ عنها خبيرا . سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيْتَ شُحا مطاعًا ، وهوى متَّبعًا ، ودنيا مؤثَرة ، وإعجاب كلّ ذى رأْى برأْيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوامّ » .

وأخرج أحمد والطبرانىّ وغيرهما عن أبي عامر الأشعري ، قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، فقال : « لا يضرّكم من ضل من الكفار إذا اهتديتم » .

• • •

الأنعام

أخرج ابن مردويه وأبو الشيخ من طريق نَهْشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مع كلّ إنسان ملَك إذا نام يأْخذ نفسه ، فإن أذن الله فى قبض روحه قبضه وإلّا ردّه إليه » . فذلك قوله : ﴿يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾[3] ، نهشل كذاب .

وأخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه

(١) المائدة ٨٩ (٢) المائدة ١٠٥
(٣) الأنعام ٦٠

الآية ﴿ الذين آمنوا ولَمْ يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلْم ﴾[١] شقَّ ذلك على الناس ، فقالوا : يارسولَ الله ، وأيّنا لا يظلم نفسه ! قال : إنه ليس الذى تعنون ، ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح : ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٢] ! إنما هو الشرك .

وأخرج ابنُ أبى حاتم وغيره بسندٍ ضعيف ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[٣] قال : لو أن الجنَّ والإنس والشياطين والملائكة منذ خلِقوا إلى أن فنوا صفوا ، صفًّا واحدا ، ماأحاطوا بالله أبدًا .

وأخرج الفريابىّ وغيره من طريق عمرو بن مُرّة عن أبى جعفر ، قال : سئل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ فَمَن يُرِدِ الله أن يَهْدِيَهُ يشرحْ صَدْرَهُ للإسلام ﴾[٤] . قالوا : كيف يشرح صدره ؟ قال : نور يقذَف به فينشرح له وينفسح . قالوا : فهل لذلك من أمارة يعرف بها قال : الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت . مرسل له شواهد كثيرة متَّصلة ومرسلة يرتقى بها إلى درجة الصحة أو الحسن

وأخرج ابنُ مردويه والنحاس فى ناسخهِ ، عن أبى سعيد الخُدَرىّ عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وآتوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾[٥] قال : ماسقط من السنبل .

وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف من مرسل سعيد بن المسيّب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وأوفوا الكَيلَ والميزانَ بالقسط لا نُكلِّف

---

(١) الأنعام ٨٢ (٢) لقمان ١٣
(٣) الأنعام ١٠٣ (٤) الأنعام ١٢٥
(٥) الأنعام ١٤١

نفسا إلا وسعها ﴾ (١) ، فقال : من أوْفى على يده فى الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما ، لم يؤاخذ وذلك تأويل « وسعها » .

وأخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ﴾(٢) ، قال : يوم طلوع الشمس من مغربها له طرق كثيرة فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة وغيره .

وأخرج الطّبرانىّ وغيره بسنَدٍ جيّد عن عمر بن الخطاب ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾(٣) هم أصحاب البدَع وأصحاب الأهواء .

وأخرج الطّبرانىّ بسند صحيح عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ (٣) ، هم أهل البدع والأهواء فى هذه الأمة .

• • •

الأعراف

أخرج ابن مردويه وغيره بسندٍ ضعيف ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٤) . قال : « صلّوا فى نعالكم » له شاهد من حديث أبى هريرة عند أبى الشيخ .

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن البَراء بن عازب ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العبد الكافر إذا قبضت روحه . قال : فيصعدون بها ، فلا يمرّون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ماهذا الروح الخبيث ؟ حتى ينتهى

(١) الأنعام ١٥٢ (٢) الأنعام ١٥٨

(٣) الأنعام ١٥٩ (٤) الأعراف ٣١

بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يُفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ (١) . فيقول الله : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحا . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطَّيرُ أو تهوى به الرِّيحُ فى مكانٍ سحيقٍ ﴾ (٢) .

وأخرج ابن مردويه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : سئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّن استوت حسناته ، وسيئاته ، فقال : « أولئك أصحابُ الأعراف» له شواهد .

وأخرج الطبرانى والبيهقى وسعيد بن منصور وغيرهم ، عن عبد الرحمن المزنىّ قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : هم أناس قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم ، فمنعهم من دخول الجنة معصيةُ آبائهم ، ومنعهم من النار قتلهم فى سبيل الله » . له شاهد من حديث أبى هريرة عند البيهقى ، ومن حديث أبى سعيد عند الطّبرانى .

وأخرج البيهقى بسندٍ ضعيف عن أنس مرفوعا أنّهم مؤمنو الجن .

وأخرج ابنُ جريرٍ عن عائشة ، قالت ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطوفان الموت » .

وأخرج أحمد والترمذىّ والحاكم ـ وصححاه ـ عن أنس أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿ فَلَمَّا تَجلَّى رَبُّهُ للجبل جَعَلَهُ دكا ﴾ (٣) . قال : هكذا . وأشار بطرف إبهامه على أنملةِ اصبعه اليمى . فساخ الجبل ، وخرّ موسى صعقا .

(١) الأعراف ٤٠ (٢) الحج ٣١

(٣) الأعراف ١٤٣

وأخرجه أبو الشيخ بلفظ. « وأشار بالخنصر ، فمن نورها جعله دكا » .

وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « الألواح التى أُنزلت على موسى كانت من سِدْر الجنة ، كان طول اللوح اثنى عشر ذراعا » .

وأخرج أحمد والنسائىّ والحاكم ـ وصححه ـ عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ الله أخذَ الميثاقَ من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة ، فأخرج من صلبه كلَّ ذرِّيَّة ذرّاها فنشرها بين يديه . ثم كلَّمهم ، فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى » .

وأخرج ابن جرير بسندٍ ضعيف عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية : « أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، قالت الملائكة : شهدنا » .

وأخرج أحمد والترمذىّ ـ وحسنه ـ والحاكم ـ وصححه ـ عن سَمُرَة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لما ولدت حوّاء طاف بها إبليس ـ وكان لا يعيش لها ولد ـ فقال : سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمّته عبد الحارث فعاش ؛ فكان ذلك وحىُ الشيطان وأمره » .

وأخرج ابنُ أبى حاتم وأبو الشيخ عن الشعبى ، قال : لما أنزل الله ﴿ خُذِ العفو . . . ﴾[1] ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل قال : لا أدرى حتى أسأل العالم ، فذهب ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تعفُوَ عَمَّن ظلمك ، وتعطِى مَنْ حرَمك ، وتَصِلَ مَنْ قطعك » . مرسل .

• • •

(١) الأعراف ١٩٩

الأنفال

أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُم قَلِيلٌ مُسْتَضْعفون فى الأَرْضِ تخافُونَ أن يتخطَّفكُمُ النَّاس﴾ [١] ، قيل : يارسول الله ، ومَن الناس ؟ قال : أهل فارس .

وأخرج الترمذىّ ـ وضعّفه ـ عن أبى موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل الله علىّ أمانين لأُمتى : ﴿وَمَا كَانَ الله ليعذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهم وما كان الله معذِّبَهُمْ وهُمْ يستغفرون﴾ [٢] ، فإذا مضيتُ تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة » .

وأخرج مسلم وغيره عن عُقبة بن عامر ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : ﴿وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ﴾ [٣] ألا وإنَّ القوّةَ الرمى ، فمعناه ـ والله أعلم ـ أنَّ معظم القوّة وأنكاها للعدوّ الرمى

وأخرج أبو الشيخ من طريق أبى المهدىّ ، عن أبيه ، عمّن حدَّثه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهم لاَ تَعْلَمُونَهمْ﴾ [٣] : قال : هم الجنّ .

وأخرج الطَّبرانىّ مثله من حديث يزيد بن عبد الله بن غريب ، عن أبيه ، عن جدّه مرفوعا .

• • •

---

(١) الأنفال ٢٦ (٢) الأنفال ٣٣

(٣) الأنفال ٦٠

براءة

أخرج الترمذىّ عن علىّ قال : سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحجّ الأكبر : فقال : « يوم النَّحر » . وله شاهد عن ، ابن عمر عند ابن جرير .

أخرج ابنُ أبي حاتم عن المِسْوَربن مخرمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوم عرفة هذا يوم الحجّ الأكبر » .

وأخرج أحمد والترمذىّ وابن حبّان والحاكم عن أبى سعيد . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان . قال الله : ﴿ إنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمن باللهِ واليومِ الآخِرِ ﴾ (١)

وأخرج ابن المبارك فى الزُّهد والطَّبرانى والبيهقىّ فى البعث . عن عمران بن الحصين وأبى هريرة ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَة فى جنات عَدْنٍ ﴾ (٢) ، قال : « قصرٌ من لؤلؤ ، فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتةٍ حمراء ، فى كلّ دار سبعون بيتا من زمرّدة خضراء ، فى كل بيت سرير ، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون . على كلّ فراش زوجة من الحور العين ، فى كلّ بيت سبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، فى كل بيت سبعون وصيفًا ووصيفة ، ويعطى المؤمن فى كلّ غداة من القوة مايأتى على ذلك كله أجمع »

وأخرج مُسلم وغيره عن أبي سعيد ، قال : اختلف رجلان فى المسجد الَّذى أُسِّسَ على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه

(١) التوبة ١٨ (٢) التوبة ٧٢

وسلم . وقال الآخر : هو مسجد قُباء ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه عن ذلك ، فقال : هو مسجدى .

وأخرج أحمد مثله ، من حديث سهل بن سعد وأبىّ بن كعب .

وأخرج أحمد وابن ماجة وابن خُزيمة عن عويم بن ساعدة الأنصارىّ أنَّ النبىّ صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد قُباء ، فقال : « إنَّ الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطُّهور فى قصة مسجدكم ، فما هذا الطُّهور ؟ قالوا : ما نعلم شيئًا إلَّا أنا نستنجى بالماء ، قال : هو ذاك فعليكموه » .

وأخرج ابن جرير عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السائحون هم الصَّائمون » .

• • •

يونس

أخرج مسلم عن صُهيب ، أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادةٌ ﴾ [1] : الحسنى الجنَّة ، والزيادة النَّظر إلى ربهم .

وفى الباب عن أبىّ بن كعب وأبى موسى الأشعرىّ وكعب بن عجرة وأنس وأبى هريرة .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ للَّذِينَ أَحسَنُوا ﴾ ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، الحسنى : الجنة ، وزيادة النظر إلى الله تعالى .

(١) يونس ٢٦

وأخرج أبو الشيخ وغيره عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ ﴾(١) ، قال : القرآن ، ﴿ وبرحمته ﴾(١) أن جعلكم من أهله .

وأخرج ابن مردويه ، عن أبي سعيد الخُدريّ ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني أشتكي صدْرِي ، قال : اقرأ القرآن ، يقول الله تعالى : ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدورِ ﴾ (٢) . له شاهد من حديث واثلة ابن الأسقع ، أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان .

وأخرج أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ من عباد الله ناساً يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : قوم تحابُّوا في الله من غير أموالٍ ولا أنسابٍ ، لايفزعون إذا فزع الناس ، ولا يحزنون إذا حزنوا ، ثم تلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣) .

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة ، قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله : ﴿ أَلاَ إِن أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُم يَحْزَنُونَ ﴾(٣) ، قال : الذين يتحابُّون في الله تعالى .

وورد مِثله من حديث جابر بن عبد الله ، أخرجه ابن مردويه .

وأخرج أحمد وسعيد بن منصور والتِّرمذيّ وغيرهم ، عن أبي الدرداء ، أنه سُئِل عن هذه الآية : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(٤) ، قال : ماسألني عنها أحدٌ منذ سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : ماسألني عنها أحد غيرك

---

(١) يونس ٥٨ (٢) يونس ٥٧
(٣) يونس ٦٢ (٤) يونس ٦٤

منذ أنزلت ، هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرَى له ، فهى بشراه فى الحياة الدنيا وبُشراه فى الآخرة الجنة » . له طرق كثيرة .

وأخرج ابن مردويه ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا ﴾[1] قالوا : دَعَوْا .

• • •

هود

أخرج ابن مردويه بسند ضعيف ، عن ابن عمر ، قال : تلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[2] . فقلت : مامعنى ذلك يارسول الله ؟ قال : أيكم أحسن عقلا . وأحسنكم عقلا أورعكم عن محارم الله تعالى . وأعملكم بطاعة الله تعالى .

وأخرج الطبرانىّ بسندٍ ضعيف ، عن ابن عباسٍ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم لم أرَ شيئا أحسن طلبًا ، ولا أسرع إدراكًا من حسنة حديثة لسيئة قديمة ، ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[3] .

وأخرج أحمد عن أبى ذرّ ، قال : قلت : يارسولَ الله ، أوصنى . قال : « إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها » ، قلت : يارسولَ الله ، أمِن الحسنات « لا إله إلا الله » ؟ قال : هى أفضل الحسنات .

وأخرج الطبرانىّ وأبو الشيخ عن جَرير بن عبد الله ، قال : لما نزلتْ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[4] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأهلها يُنصِف بعضهم بعضا » .

• • •

(١) يونس ٩٨
(٢) هود ٧
(٣) هود ١١٤
(٤) هود ١١٧

يوسف

أخرج سعيد بن منصور وأبو يعلَى والحاكم - وصححه - والبيهقىّ فى الدلائل ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء يهودىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد ، أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له . ما أسماؤها ؟ فلم يجبه بشىء ، حتى أتاه جبريل ، فأخبره ، فأرسل إلى اليهودىّ ، فقال : هل أنت مؤمن إن أخبرتك بها ؟ قال : نعم ، فقال : خرثان ، وطارق ، والذَّيال وذو الكيعان[1] وذو الفرع ، ووثّاب ، وعمودان ، وقابس ، والصَّروح ، والمصبِّح والفيلَق ، والضياء ، والنور - قال اليهودى : أى والله إنها لأسماؤها ، - يعنى أباه وأمّه - رآها فى أفق السماء ساجدةً له . فلما قصّ رؤياه على أبيه ، قال : أرى أمرًا متشتِّتًا يجمعه الله .

وأخرج ابن مردويه عن أنسٍ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : لما قال يوسف : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بالغيب ﴾ [2] ، قال له جبريل : يايوسف ، اذكر همّك ، قال : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى ﴾ [3] .

• • •

الرعد

أخرج الترمذىّ - وحسّنه - والحاكم - وصحّحه - عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ ﴾ [4] قال : الدَّقَل والفارسىّ والحلو والحامض .

(١) فى تفسير الطبرى ١٥ ٥٥٥ «ذو الكتفات» (٢) يوسف ٥٢
(٣) يوسف ٥٣ (٤) الرعد ٤
(*-*) الاثبات عن طبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ٢ : ١٠٤ .

وأخرج أحمد والترمذىّ ـ وصححه ـ والنسائىّ ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت يهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا عن الرّعد ماهو ؟ قال : « مَلَكٌ من ملائكة الله موكَّلٌ بالسحاب ، بيده مخراق من نار يزجر به السحاب ، يسوقه حيث أمره الله » ، قالوا : فما هذا الصوت الذى نسمع ؟ قال : « صوته » .

وأخرج ابن مردويه ، عن عمرو بن بجاد الأشعرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرعد مَلَكٌ يزجر السحاب ، والبرق طرف ملك يقال له : روفيل » .

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ملكا موكَّل بالسحاب يلمّ القاصية ، ويلحم الرابية ، فى يده مخراق فإذا رفع برقت ، وإذا زجر رعدت ، وإذا ضرب صعقت » .

وأخرج أحمد وابن حِبّان عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « طُوبَى شجرة فى الجنة مسيرةِ مائة عام » .

وأخرج الطَّبرانىّ بسندٍ ضعيف ، عن ابن عمر : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ يمحُو اللهُ مايشاءُ ويُثبِتُ ﴾ (١) ، إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت .

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله بن رئاب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ يمحو اللهُ مايشاءُ ويُثبِت ﴾ (١) ، قال : « يمحو من الرزق ويزيد فيه ، ويمحو من الأجل ، ويزيد فيه » .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مثل

---

(١) الرعد ٣٩

عن قوله ﴿ يمحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [١] . قال : « ذلك كلَّ ليلة القدر ، يرفع ويجبر ويرزق، غير الحياة والموت والشقاء والسعادة ، فإنَّ ذلك لا يبدّل » وأخرج ابن مردويه عن عليّ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال : « لأقِرَّنَّ عينك بتفسيرها ، ولأقِرَّنَّ عين أُمّتى من بعدى بتفسيرها الصدقة على وجهها ، وبرّ الوالدين ، واصطناع المعروف تُحوِّلُ الشقاء سعادة وتزيد فى العمر » .

* * *

إبراهيم

أخرج ابن مردويه ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أُعطَى الشكر لم يحرم الزيادة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكم ﴾ [٢] .

وأخرج أحمد والترمذىّ والنسائى والحاكم ــ وصححه ــ وغيرهم ، عن أبى أمامه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ ماء صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ [٣] ، قال : يقرب إليه فيتكرّهه . فإذا أُدنى منه شوى وجهه ، ووقع فروة رأسه . فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره . يقول الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كالمهلِ يَشْوِى الْوُجُوه ﴾ [٥] .

وأخرج ابن أبى حاتم والطّبرانى وابن مردويه ، عن كعب بن مالك ، رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحسب فى قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا

(١) الرعد : ٣٩ (٢) ابراهيم ٧
(٣) ابراهيم ١٦ ، ١٧ (٤) محمد ١٥
(٥) الكهف ٢٩

مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [١] ، قال : يقول أهل النار : هلمّوا فلنصبر ، فيصبرون خمسمائة عام ، فلما رأوْا ذلك لا ينفعهم ، قال : هلمُّوا فلنجزَع ، فيبكون خمسمائة عام ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم ، قالوا : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [١].

وأخرج التِّرمذيّ والنَّسائيّ والحاكم وابن حبّان وغيرهم ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ مثلاً كلمةً طيّبةً كشجرةٍ طيّبةٍ ﴾ [٢] ، قال : هى النخلة ، ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خبيثةٍ كشجرة خبيثةٍ ﴾ ، قال : هى الحنظل .

وأخرج أحمد وابنُ مردويه بسندٍ جيّد عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ كَشَجرةٍ طَيّبةٍ ﴾ قال : هى التى لاينقص ورقها ، هى النخلة .

وأخرج الأئمة السّتة عن البراء بن عازب ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ؛ فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ الله الّذينَ آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدُّنيا وفِي الآخِرةِ ﴾ [٣] .

وأخرج مسلم عن ثوبان قال : جاء حَبْرٌ من اليهودِ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هم فى الظلمة دون الجسر » .

وأخرج مسلم والترمذيّ وابن ماجه وغيرهم عن عائشة ، قالت : أنا أوّل الناس سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأرض ﴾ [٤] ، قلت : أين الناس يومئذ ؟ قال : على الصراط .

---

(١) إبراهيم ٢١ (٢) إبراهيم ٢٤ (٣) إبراهيم ٢٧
(٤) إبراهيم ٤٨

وأخرج الطّبرانيّ في الأوسط والبزّار وابن مردويه والبيهقيّ في البعث عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ﴾ قال : أرض بيضاء كأنها فضّة ، لم يُسفك فيها دم حرام ولم يُعمل فيها خطيئة.

الحجر

أخرج الطّبراني وابن مردويه وابن حِبّان عن أبي سعيد الخدريّ أنّه سئل : هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كفروا لَوْ كَانُوا مسلمين ﴾ [١] ، قال : نعم ، سمعته يقول : يُخرج الله ناسًا من المؤمنين من النّار بعد ما يأخذ نقمته منهم ، لما أدخلهم النار مع المشركين قال لهم المشركون : تدّعون بأنكم أولياء الله في الدنيا ، فما بالكم معنا في النار ! فإذا سمع الله ذلك منهم أذِن في الشفاعة لهم ، فتشفع الملائكةَ والنبيّون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله تعالى ، فإذا رأى المشركون ذلك ، قالوا : ياليتنا كنا مثلهم ، فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم ؛ فذلك قول الله : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كفروا لَوْ كانوا مسلمين ﴾ [١] . وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعريّ وجابر بن عبدالله وعليّ .

وأخرج ابنُ مردويه ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جزء مَقْسُومٌ ﴾ [٢] قال : جزء أشركوا ، وجزء شكّوا في الله تعالى ، وجزء غفلوا عن الله تعالى .

---

(١) الحجر ٢ (٢) الحجر ٤٤

وأخرج البخاريّ والترمذيّ عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم »

وأخرج الطّبرانيّ في الأوسط. عن ابن عباس ، قال : سأل رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أرأيت قول الله : ﴿ كَمَا أَنزَلْنَا على المقتسمين ﴾ (١) ، قال اليهود والنصارى ، قال : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا القرآنَ عِضِين ﴾ (٢) ماعضِين ؟ قال : آمنوا ببعض وكفروا ببعض .

وأخرج الترمذيّ وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن أنس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لنسألنهُمْ أَجْمَعِين ◦ عَمَّا كَانُوا يَعْملُونَ ﴾ (٣) ، قال عن قول « لا إله إلا الله » .

• • •

النحل

أخرج ابن مردويه ، عن البرَاء ، أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم سُئل عن قول الله : ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العذاب ﴾ (٤) ، قال : عقارب أمثال النخل الطوال ، ينهشونهم في جهنم .

• • •

الإسراء

أخرج البيهقيّ في الدلائل ، عن سعيد المقبُريّ ، أنَّ عبد الله بن سلام سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن السّواد الذى في القمر ، فقال: كانا شمسين

---

(١) الحجر ٩٠ (٢) الحجر ٩١
(٣) الحجر ٩٢ ، ٩٣ (٤) النحل ٨٨

فقال الله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهار آيَتَيْنِ فمحَوْنا آيَةَ اللَّيلِ ﴾ (١) . فالسواد الذى رأيت هو المحو .

وأخرج الحاكم فى التاريخ ، والديلمىّ عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ﴾ (٢) ، قال : الكرامة الأكل بالأصابع .

وأخرج ابن مردويه عن علىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كلَّ أُناس بإِمَامِهِمْ ﴾ (٣) ، قال : يدعَى كلّ بإمام لهم وكتاب ربّهم .

وأخرج ابنُ مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ (٤) قال : لزوال الشمس .

وأخرج البزّار وابن مردويه بسندٍ ضعيف ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دلُوك الشمس زوالها » .

وأخرج الترمذى — وصححه — والنسائىّ عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٥) ، قال : « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » .

---

(١) الاسراء ١٢ (٢) الاسراء ٧٠
(٣) الاسراء ٧١ (٤) الاسراء ٧٨
(٥) الاسراء ٧٨ (٦) الاسراء ٧٩

وأخرج أحمد وغيرُه عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ (٢) ، قال : هو المقام الذى أشفع فيه لأمّتى ، وفى لفظ : « هى الشفاعة » . وله طرق كثيرة مطوّلة ومختصرة فى الصحاح وغيرها .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أنس ، قال : قيل : يارسول الله ، كيف يُحشر الناس على وجوههم ؟ قال : « الذى أمشاهم على أرجلهم قادرٌ أن يُمشيَهمْ على وجوههم » .

الكهف

أخرج أحمد والترمذىّ ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لسرادق النار أربعة أجدُر ، كثافة كلّ جدارٍ مثلُ مسافة أربعين سنة » .

وأخرجا عنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ (٣) قال : « كعَكَرِ الزيت، فإذا قرّبه إليه سقطت فروة وجهه فيه » .

وأخرج أحمد عنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ﴿ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ (٤) ، التكبير والتهليل والتسبيح ، والحمد لله ، ولاحول ولا قوة إلا بالله .

وأخرج أحمد من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هُنّ الباقيات الصالحات » .

---

(٢) الإسراء ٧٩ (٣) الكهف ٢٩

(٤) الكهف ٤٦

وأخرج الطبرانىّ مثله من حديث سعد بن جنادة .

وأخرج ابنُ جرير عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، من الباقيات الصالحات » .

وأخرج أحمد عن أبى سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة ، كما لم يعمَل فى الدنيا، وإنّ الكافر ليرى جهنم، ويظنّ أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة » .

وأخرج البزّار بسندٍ ضعيفٍ عن أبى ذرّ رفعه، قال : «إن الكنز الذى ذكر الله فى كتابه لوح من ذهب، عجبت لمن أيقن بالقدَر لم نَصَب ؟ وعجبت لمن ذكر النار كيف ضحِك؟ وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل عن لا إله إلا الله محمد رسول الله !» .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنّة ، ومنه تفجرّ أنهارُ الجنّة » .

مريم

أخرج الطبرانىّ بسند ضعيف ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن السرىّ الذى قال الله لمريم : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [1] نهرٌ أخرجه الله لتشرب منه » .

وأخرج مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نَجْران ، فقالوا : أرأيت، ما تقرءون : ﴿ يا أخت هَرون ﴾ [2] ، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ! فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه ، وسلم فقال : ألا أخبرتَهم أنهم كانوا يُسَمّوْن بالأنبياء والصالحين قبلهم» .

---

(١) مريم ٢٤ (٢) مريم ٢٨

وأخرج أحمد والشيخان عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يُجاء بالموت كأنه كبْش أملح (١) فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : ياأهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبّون (٢) فينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ، فيؤمَر به فيذبح ، ويقال : ياأهل الجنة خلود ولا موت ، وياأهل النار خلود ولا موت » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ (٣) – وأشار بيده ، وقال : أهل الدنيا في غفلة

وأخرج ابن جرير عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غيٌّ وأثام بئران في أسفل جهنم ، يسيل فيهما صديد أهل النار » . قال ابن كثير : حديث منكر .

وأخرج أحمد بن أبي سميّة ، قال : اختلفنا في الوُرود ، فقال بعضنا : لايدخلها مؤمن ، وقال بعضهم : يدخلونها جميعًا ، ثم ينجّى الله الذين اتّقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله فسألته ، فقال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : «لايبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها» . فتكون على المؤمن بردا وسلاما ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجا من بَرْدهم ثم يُنجّى الله الذين اتقوا ويَذَرُ الظالمين فيها جِثيا .

وأخرج مسلم والترمذيّ عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا أحبّ الله عبدًا نادى جبريل : إني قد أحببتُ فلانًا فأحبّه . فينادى

---

(١) الكبش الأملح : الذي بياضه أكثر من سواده . وانظر النهاية لابن الأثير ٤ : ٣٥٤ .

(٢) ط : «فيشرفون» (٣) مريم ٣٩

فى السماء ، ثم تنزل له المحبّة فى الأرض ، فذلك قوله : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [١] .

• • •

طه

أخرج ابن أبي حاتم والترمذى عن جندب بن عبدالله البَجَلِيّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وجدتم الساحر فاقتلوه » ، ثم قرأ : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [٢] ، قال : « لا يؤمن حيث وُجِد » .

وأخرج البزار بسند جيدٍ عنْ أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِنَّ لَهُ معيشة ضنكًا ﴾ [٣] ، قال : عذاب القبر .

• • •

الأنبياء

أخرج أحمد عن أبي هريرة ، قال قلت : يا رسول الله ، أنبئنى عن كلّ شيء [٤] ، قال : « كل شيء خُلِق من الماء » .

• • •

الحج

أخرج ابن أبي حاتم ، عن يعلَى بن أُميّة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « احتكار الطعام بمكة إلحاد » .

---

(١) مريم ٩٦ (٢) طه ٦٩

(٣) طه ١٢٤

(٤) من قوله تعالى : «وجعلنا من الماء كل شيء حي» الآية ٣٠ .

وأخرج الترمذى ـ وحسنه ـ عن ابن الزبير ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما سمى البيت العتيق ، لأنه لم يظهر عليه جبّار » .

وأخرج أحمد عن خُريم بن فاتك الأسدى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال « عَدَلَتْ شهادة الزور بالإشراك بالله ، ثم تلا : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [1]

• • •

المؤمنون

أخرج ابن أبى حاتم ، عن مرّة البَهْزىّ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل : « إنك تموت بالرَّبْوة فمات بالرملة » [2] قال ابن كثير : غريب جدًّا .

وأخرج أحمد عن عائشة ، أنها قالت : يارسول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [3] ، هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ قال ، لايابنتَ الصدّيق ، ولكنه الذى يصوم ويصلى ويتصدّق ويخاف الله .

وأخرج أحمد والترمذىّ عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [4] ، قال : تشويه النار ، فتقلِص شفته العليا حتى تبلغَ وسط رأسه ، وتسترخِى شفتُه السفلَى حتى تضرِبَ سُرّته

• • •

(١) الحج ٣٠
(٢) الربوة ، هى دمشق ، والرملة : مدينة بفلسطين . وانظر ياقوت .
(٣) المؤمنون ٦٠ (٤) المؤمنون ١٠٤

النور

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب، عن أبي أيوب قال: قلت: يارسول الله، هذا السلام، فما الاستئناس [١]؟ قال: يتكلّم الرجل بتسبيحة، وتكبيرة وتحميدة، ويتنحنح فيؤذِن أهل البيت.

• • •

الفرقان

أخرج ابن أبي حاتم عن يحيي بن أبي أُسيد يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [٢] قال والّذى نفسى بيده إنهم ليُستكرَهون فى النار، كمُا يُستكره الوَتِدُ فى الحائط.

• • •

القصص

أخرج البزّار عن أبي ذرّ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أىّ الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما وأبرّهما»، قال: وإن سُئلت: أىّ المرأتين تزوّج؟ فقل: الصغرى منهما». إسناده ضعيف، ولكن له شواهد موصولة ومرسلة.

• • •

(١) يشير الى قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذالكم خير لكم لعلكم تذكرون» آية ٢٧ .

(٢) الفرقان ١٣

العنكبوت

أخرج أحمد والترمذى ـ وحسنه ـ وغيرهما عن أم هانئ ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ وتأتون فى ناديكم المنكر ﴾ (١) ، قال : كانوا يخذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، فهو المنكر الذى كانوا يأتون.

• • •

لقمان

أخرج الترمذىّ وغيره عن أبى أمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تبيعوا القينَاتِ ولاتشتروهنَّ ولا تعلّموهنَّ ، ولا خير فى تجارة فيهنَّ وثمنهنَّ حرام » . فى مثل هذا أنزلت : ﴿ ومن الناس من يشترى لَهْو الحديثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الله . . . ﴾ (٢) الآية إسناده ضعيف .

• • •

السجدة

أخرج ابنُ أبى حاتم ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ أَحسَنَ كُلَّ شَىءٍ خَلَقَه ﴾ (٣) ، قال : « أما إن است القِردَة ليست بحسنةٍ ولكنه أحكم خلقها » .

وأخرج ابن جرير عن معاذ بن جبل ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِع ﴾ (٤) . قال : قيام العبد من الليل .

---

(١) العنكبوت ٢٩ (٢) لقمان ٦

(٣) السجدة ٧ (٤) السجدة ١٦

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [(١)] ، قال : جعل موسى هدًى لبنى إسرائيل ، وفى قوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ [(١)] قال : من لقاء موسى ربَّه .

• • •

الأحزاب

وأخرج الترمذىّ عن معاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طلحة ممّن قضى نحبَه » .

وأخرج الترمذىّ وغيره عن عمرو بن أبى سَلِمة وابن جرير وغيره عن أم سلمة ، أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة وعليًا وحسنًا وحسينًا لما نزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[(٢)] .

• • •

سبأ

أخرج أحمد وغيره عن ابن عباس ؛ أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ؛ أرَجُلٌ هو ، أم امرأة ، أم أرض ؟ فقال : بل هو رجل ، ولدله عشرة ؛ فسَكَنَ اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة .

وأخرج البخارىّ عن أبى هريرة قال : « إذا قضَى الله الأمر فى السماء

---

(١) السجدة ٢٣ (٢) الاحزاب ٣٣

ضَربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً[١] لقوله : كأنها سلسلة على صفوان ؛ فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العليّ الكبير[٢] .

• • •

فاطر

أخرج أحمد والترمذيّ عن أبي سعيد الخدريّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنا فمنهم ظَالِمٌ لنفسِهِ وَمِنْهُمْ مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيراتِ ﴾[٣] ، قال : هؤلاء كلُّهم بمنزلة واحدة ، وكلهم في الجنة .

وأخرج أحمد وغيره عن أبي الدرداء ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله :﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِين اصْطَفَيْنَا مِنْ عبادِنا فمنهم ظالمٌ لنفسه وَمِنْهُمْ مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيراتِ ﴾[٣] : فأمّا الذين سبقوا فأُولئك يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأُولئك يحاسَبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسَهم فأُولئك الذين يحبَسون في طول المحشَر ، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته ، فهم الذين يقولون : ﴿ الحمدُ للهِ الذى أذهبَ عنَّا الحزن . . . ﴾ الآية[٤] .

وأخرج الطَّبراني وابن جرير عن ابن عباس ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة قيل : أين أبناء الستين ؟ وهو العمر الذى قال الله :﴿ أولم نُعَمِّرْكُمْ مايتذكَّر فيه مَنْ تذكَّر ﴾[٥] .

• • •

(١) خضعانا ، مصدر خضع .
(٢) انظر سبأ ٢٣ : وتفسير القرطبي ١٤ : ٢٩٦ والصفوان : الحجر الأملس .
(٣) فاطر ٣٢
(٤) فاطر ٣٤
(٥) فاطر ٣٧

يس

أخرج الشيخان ، عن أبى ذرّ ، قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ والشَّمْسُ تَجْرِى لمستقرٍّ لها ﴾ (١) ، قال : « مستقرُّها تحت العرش » .

وأخرجا عنه ، قال : كنت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى المسجد عند غروب الشمس ، فقال : يا أبا ذرّ ، أتدرى أين تغرب الشمس؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله : ﴿ والشَّمْسُ تجرى لمستقرٍّ لها ﴾ .

• • •

الصافات

أخرج ابنُ جرير عن أم سلمَة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن قوله : ﴿ وحورٌ عينٌ ﴾ (٢) ، قال : « العِين الضخام العيون شُفْرُ الحَوْرَاء مثل جناح النسر » ، قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن قول الله : ﴿ كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٣) ، قال : « رقّتهنّ كرقة الجلدة التى فى داخل البيضة التى تلى القشر » .

قوله « شُفْر » هو بالفاء مضاف إلى الحوراء ، وهو هدب العين ، وإنما ضبطته وإن كان واضحًا لأنى رأيت بعض المهملين من أهل عصرنا صحفه بالقاف وقال : الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر ، يعنى فى السرعة والخفة ، وهذا كذب وجهل محض وإلحاد فى الدين وجرأة على الله ورسوله

---

(١) يس ٣٨ (٢) الواقعة ٢٢

(٣) الصافات ٤٩ ؛ وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ٧ .

وأخرج الترمذيّ وغيره عن سَمُرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (١) ، قال : حام ، وسام ، ويافث .

وأخرج من وجه آخر ، قال : سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم .

وأخرج عن أُبيّ بن كعب ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون ﴾ (٢) ، قال : يزيدون عشرين ألفًا .

وأخرج ابن عساكر عن العلاء بن سعدان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه : « أطّت السماء وحق لها أن تِئطّ ، ليس منها موضع قدم إلا عليه مَلَك راكع أو ساجد » ، ثم قرأ ﴿ وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبّحون ﴾ (٣) .

• • •

الزمر

أخرج أبو يعلَى وابن أبي حاتم ، عن عثمان بن عفان ؛ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوات وَالْأَرْض ﴾ (٤) ، فقال : ماسألنى عنها أحد قبلك ؛ تفسيرها : « لا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله ، هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيي ويميت » . الحديث غريب وفيه نكارة شديدة .

وأخرج ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

(١) الصافات ٧٧
(٢) الصافات ١٤٧
(٣) الصافات ١٦٥ ؛ ١٦٦
(٤) الزمر ٦٣

وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية : ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِى السمٰوات وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاء الله ﴾[١] : مَن الَّذين لم يشأ اللهأن يُصعق ؟ قال : هم الشهداء

• • •

غافر

أخرج أحمد وأصحاب السنن والحاكم وابن حِبّان عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يستكبرُونَ عَنْ عِبَادَتى سَيَدْخُلُونَ جهنم دَاخِرِين ﴾[٢] .

• • •

فصلت

أخرج النسائىّ والبزّاروأبويعلى وغيرهمعنأنس ، قال : قرأ علينا رسول الله صلىالله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِين قالوا رَبُّنَا اللهُ ثم استقامُوا ﴾[٣] قد قالها ناسٌ من النَّاس ثم كفر أكثرهم ؛ فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها .

• • •

الشورى

أخرج أحمد وغيره عن علىّ ، قال : ألا أُخبركم بأفضل آية فى كتاب الله ، وحدّثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ﴿ ما أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيديكُمْ وَيَعْفُو عن كثير ﴾[٤] ، وسأُفسرها لك يا علىّ

(١) الزمر ٦٨ (٢) غافر ٦٠
(٣) فصلت ٣٠ (٤) الشورى ٣٠

ماأصابكم من مَرَض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم ، والله أحلم من أن يُثَنِّى عليه العقوبة فى الآخرة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا ، فالله أكرمُ من أن يعودَ بعد عفوه .

• • •

الزخرف

أخرج أحمد والترمذىّ وغيرهما عن أبى أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماضلّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدَل » ، ثم تلى : ﴿ مَا ضَرَبُوه لَكَ إِلَّا جدَلاً بل هُمْ قَوْمٌ خصِمون ﴾ (١)

وأخرج ابنُ أبى حاتم ، عن أبى هُريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّ أهلِ النار يرَى منزِلَه من الجنّة حسرة ، فيقول : لو أنّ الله هدانى لكنت من المتقين ، وكلّ أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول : ﴿ وَمَا كُنَّا لنهتدى لولاَ أن هدانا الله ﴾ (٢) ، فيكون له شكر ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن أحدٍ إلاوله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار ، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة » ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الجَنَّة التى أورِثْتُمُوهَا بما كنتم تعملون ﴾ (٣) .

• • •

الدخان

أخرج الطبرانىّ وابنُ جرير بسندٍ جيّد ، عن أبى مالك الأشعرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ ربكم أنذركم ثلاثا : الدخان

(١) الزخرف ٥٨ (٢) الأعراف ٤٣
(٣) الزخرف ٧٢

يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كلّ مسمع منه ، والثانية الدابّة ، والثالثة الدجّال » . له شواهد .

وأخرج الترمذىّ وأبو يعلَى وابْن أبي حاتم ؛ عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : مامن عبد إلاوله فى السماء بابان ، باب يخرج منه رزقه ، وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقداه وبكيا عليه ، وتلا هذه الآية : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ﴾ (١) وذكر أنّهم لم يكونوا يعملون على وجه الأرض عملا صالحا تبكى عليهم ، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيّب ولا عمل صالح فتفقدهم ، فتبكى عليهم .

وأخرج ابنُ جرير عن شُريح بن عبيد الحضرمىّ مرسلاً ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماماتَ مؤمن فى غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾(١) ثم قال : إنهما لايبكيان على كافر .

• • •

الأحقاف

أخرج أحمد ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ أو أثارة من علم ﴾(٢) قال : الخط .

• • •

الفتح

أخرج الترمذىّ وابن جرير ، عن أُبَيّ بن كعب ، أنه سمع رسول الله

---

(١) الدخان ٢٩ (٢) الأحقاف ٤

صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ وألزَمَهُم كَلِمةَ التقوَى ﴾ [١] قال : لا إله إلا الله .

• • •

الحجرات

أخرج أبو داود والترمذى ، عن أبى هريرة ، قال : قيل : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : « ذكرُك أخاك بما يكره » ، قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال ؟ « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه » .

• • •

ق

أخرج البخارىّ عن أنس . عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « يُلقى فى النار وتقول : هل من مزيد ، حتى يضع قدمه فيها فتقول : قَطْ قَط » .

• • •

الذاريات

أخرج البزار عن عمر بن الخطاب ، قال : ﴿ وَالذاريات ذَرْوًا ﴾ هى الرياح ﴿ فالجاريات يُسْرًا ﴾ هى السفن ، ﴿ فالمقسِّمات أَمْرًا ﴾ هى الملائكة ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته .

• • •

الطور

أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ؛ عن علىّ ، قال : قال رسول الله

---

(١) الفتح ٢٦

صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المؤمنين وأولادهم فى الجنة ، وإنَّ المشركين وأولادهم فى النَّار » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ والَّذينَ آمنوا وَاتَّبَعَتْهُم ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمانٍ ألحقْنا بِهِم ذُرِّيَّتَهم . . . ﴾[1] الآية .

• • •

النجم

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي أمامة ، قال : تلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ؟ ﴿ وإبراهيم الَّذِى وفَّى ﴾[2] ثم قال أتدرى ما وفَّى ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفَّى عملَ يومِه بأربع ركعات من أول النهار » .

وأخرجا عن معاذ بن أنس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم لِمَ سَمَّى الله إبراهيم خليلَه ﴿ الذى وفَّى ﴾ ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ .. ﴾[3] حتى ختم الآية .

وأخرج البغوى من طريق أبي العالية عن أبيّ بن كعب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وأنَّ إلى رَبِّكَ الْمنتهى ﴾[4] ، قال : لافكرة فى الرّب قال البغويّ : وهو مثل حديث : « تفكَّروا فى مخلوقات الله ، ولا تفكّروا فى ذات الله » .

• • •

(١) الطور ٢١ (٢) النجم ٣٧

(٣) الروم ١٧ (٤) النجم ٤٢

الرحمن

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ كلَّ يومٍ هُو في شأنٍ ﴾ [١] ، قال : من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ، ويرفع قوماً ويضع آخرين .

وأخرج ابن جرير مثله من حديث عبد الله بن منيب ، والبزار مثله من حديث ابن عمر .

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعريّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما »

وأخرج البغويّ عن أنس بن مالك ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ ﴾ [٢] ، وقال : هل تدرون ماقال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « يقول : هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة ! » .

• • •

الواقعة

أخرج أبوبكر النجاد ، عن سليم بن عامر ، قال : أقبل أعرابيّ فقال : يارسول الله ، ذكر الله في الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، قال : وما هي ؟ قال : السِّدر ، فإن له شوكًا مؤذيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أليس يقول الله : ؟ ﴿ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ [٣] خضد الله شوكه ، فجعل مكان كل

(١) الرحمن ٢٩ (٢) الرحمن ٦٠
(٣) الواقعة ٢٨

شوكة ثمرة ، وله شاهد من حديث عتبة بن عبد السلمىّ أخرجه ابن أبى داود فى البعث

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلِّها مائة عام لايقطعها ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظِلٍّ مَمْدُود ﴾ (١)

وأخرج الترمذىّ والنسائىّ عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وفُرُشٍ مَرْفُوعةٍ ﴾ (٢) ، قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام .

وأخرج الترمذىّ عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنَّا أنشأناهُنَّ إنشاء ﴾(٣) ، عجائز كن فى الدنيا عمشًا رُمصًا .

وأخرج فى الشمائل عن الحسن ، قال : أتت عجوز فقالت : يارسول الله ، ادع الله أن يدخلَنى الجنة فقال : يا أمّ فلان ، إن الجنة لايدخلها عجوز ، فولَّت تبكى ، قال : أخبروها أنها لاتدخلها وهى عجوز ، إن الله يقول : ﴿ إنَّا أنشأناهنَّ إنشاء ، فجعلناهنَّ أبكارًا ، عُرُبًا أترابًا ﴾ (٣) .

وأخرج ابنُ أبى حاتم ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جدّه ، قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُرُبا ، كلامهنّ عربىّ » .

وأخرج الطّبرانىّ عن أمّ سلمة ، قالت : قلت : يارسول الله ، أخبرنى عن قول الله تعالى ﴿ حورٌ عينٌ ﴾ (٤) . قال : حور بيضٌ . عين : ضخام العيون شُفرُ الحوراء بمنزلة جناح النسر .

---

(١) الواقعة ٣٠ (٢) الواقعة ٣٤
(٣) الواقعة ٣٥ ــ ٣٧ (٤) الواقعة ٢٢

قلت : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المكنونِ ﴾ (١) ، قال : صفاؤهنّ كصفاء الدّر الذى فى الأصداف الذى لم تمسّه الأيدى .

قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ فيهنّ خيراتٌ حِسانٌ ﴾ (٢) قال : خيرات الأخلاق حسان الوجوه

قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ كأنهنّ بَيْضٌ مكنون ﴾ ، قال : رقتهنّ كرقة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلى القشر

قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ (٣) قال : هن اللواتى قبضهنّ فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا ، خلقهنّ الله بعد الكبر : فجعلهنّ عذارَى عُرُبًا : متعشقات محبّبَات أترابا : على ميلاد واحد

وأخرج ابنُ جرير عن ابن عباس فى قوله ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ • وَثُلَّةٌ من الآخرين ﴾ (٤) : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا جميعا من أمّتى »

وأخرج أحمد والترمذىّ عن علىّ : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وتجعلُون رزقكمْ ﴾ ، يقول : شكركم ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبون ﴾ (٥) ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا

• • •

المتحنة

أخرج الترمذي – وحسّنه – وابن جرير عن أمّ سلمة عن رسول الله صلى

---

(١) الواقعة ٢٢ .
(٢) الرحمن ٧٠
(٣) الواقعة ٣٧
(٤) الواقعة ٣٩ ، ٤٠
(٥) الواقعة ٨٢

الله عليه وسلم فى قوله : ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ (١) . قال : النَّوح

• • •

الطلاق

أخرج الشيخان ، عن ابن عمر ، أنّه ، طلّق امرأته وهى حائض ، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتغيّظ فيه ، ثم قال : ليراجعْها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ، فإن بداله أن يطلقها طاهراً قبل أن يمسها فتلك العدّة التى أمر الله أن يطلق لها النساء ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ (٢) .

• • •

ن

أخرج الطبرانىّ عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أوّل ماخلق الله القلم والحوت ، قال : اكتب : قال : ما أكتب ؟ قال : كلّ شىء كائن إلى يوم القيامة . ثم قرأ ﴿ن والقلم﴾ (٣) والنون : الحوت ، والقلم : القلم » .

وأخرج ابن جرير عن معاوية بن قرّة عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ن والقلم وما يسطرون ، لوحٌ من نور ، وقلم من نور ، يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » . قال ابن كثير : مرسل غريب .

وأخرج أيضا عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه

---

(١) الممتحنة ١٢ (٢) الطلاق ١

(٣) ن ١

من الدنيا مقضما ، فكان للناس ظلوماً ، فذلك العتل الزنيم » . مرسل له شواهد .

وأخرج أبو يعلى وابن جرير لسند فيه مبهم عن أبي موسى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ [1] قال : عن نور عظيم يخرّون له سجّدا .

• • •

سأل

أخرج أحمد عن أبي سعيد ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ في يَوْمٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [2] ، ما أطول هذا اليوم ! فقال : والذي نفسي بيده إنّه ليخفّف عن المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » .

• • •

المزّمل

أخرج الطّبراني عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [3] ، قال : مائة آية ، قال ، ابن كثير : غريب جدّا .

• • •

المدثر

أخرج أحمد والترمذيّ عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصّعود : جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ، ثم يهوى به كذلك » .

---

(١) ن ٤٢ (٢) المعارج ٤

(٣) المزمل ٢٠

وأخرج أحمد والترمذيّ ـ وحسنه ـ والنسائي عن أنس ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ المَغْفِرةِ ﴾ (١) ، فقال « قال ربكم : أنا أهلٌ أن أُتّقى فلا يجعل معي إلٰه ، فمن اتّقى أن يَجعل معي إلٰها كان أهلاً أن أغفر له » .

• • •

عمّ

أخرج البزار عن ابن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً ، والحقُب بضع وثمانون سنة ، كلّ سنة ثلاثمائة وستون يوماً ممّا تعدّون » .

• • •

التكوير

أخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي بريد بن أبي مريم عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى : ﴿ إذا الشمسُ كوِّرت ﴾ (٢) قال : كورّت فى جهنم ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ (٢) ، قال : فى جهنم .

وأخرج عن النعمان بن بشير ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (٣) ، قال : القرناء كلّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله .

• • •

---

(١) المدثر ٥٦ (٢) التكوير ١ ـ ٣
(٣) التكوير ٧

انفطرت

أخرج ابن جرير والطبراني بسند ضعيف: من طريق موسى بن علىّ بن باح، عن أبيه عن جدّه، أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال له: ما ولد لك؟ قال: ما عسى أن يولد لى! إمّا غلام أو جارية! قال: فمن يشبه؟ قال: من عسى أن يشبه! إمّا أباه وإمّا أمّه! فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «مه لا تقولنّ هذا، إن النطفة إذا استقرّت فى الرحِم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت، ﴿ فى أىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[1]، قال: سلكك».

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه، عن ابن عمر، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنما سماهم الأبرار؛ لأنهم برّوا الآباء، والأبناء».

• • •

المطففين

أخرج الشيخان عن ابن عمر، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2]، حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه

وأخرج أحمد والترمذىّ والحاكم - وصححه - والنسائى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ العبد إذا أذنب ذنبًا، كانت نكتةً سوداء فى قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلوَ قلبه، فذلك الرّان الذى ذكر الله فى القرآن: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3].

• • •

(١) الانفطار ٨ (٢) المطففين ٦
(٣) المطففين ١٤

الانشقاق

أخرج أحمد والشيخان وغيرهما عن عائشة . قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عُذِّبَ » ، وفي لفظ عند ابن جرير : « ليس يحاسب أحد إلا عُذِّب » قالت : أليس يقول الله : ﴿ فَسَوْفَ يُحاسب حِسَابًا يسيرا ﴾ [1] ؟ قال : ليس ذلك بالحساب ولكن ذاكَ العَرْض .

وأخرج أحمد عن عائشة . قالت : قلت : يارسول الله . « ما الحساب اليسير ؟ قال : « أن ينظر فى كتابه . فيتجاوزله عنه ، إنَّه مَنْ نُوقش الحسابَ يومئذ هلك » .

• • •

البروج

أخرج ابن جرير عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليوم الموعود : يوم القيامة ، وشاهد : يوم الجمعة . ومشهود : يوم عرفة » . له شواهد .

وأخرج الطبرانىّ عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الله خلق لوحًا محفوظا من درّة بيضاء . صفحاتها من ياقوتة حمراء . قلمُه نور . وكتابه نور . لله تعالى فيه فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة . يخلق ويرزق . ويميت ويحيي . ويعزّ ويذلّ ويفعل مايشاء » .

• • •

(١) الانشقاق ٨

سبح

أخرج البزَّار عن جابر بن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ قد أفلح مَنْ تزكَّى ﴾ (١) : قال : « مَنْ شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد . وشهد أنّى رسول الله ؛ ﴿ وذكر اسم ربِّه فصلَّى ﴾ (١) : قال : هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » .

وأخرج البزَّار عن ابن عباس : قال : لمَّا نزلت : ﴿ إنَّ هَذَا لفى الصُّحُف الأُولى ﴾ (٢) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « كان هذا – أو كلّ هذا – فى صحف إبراهيم وموسى » .

• • •

الفجر

أخرج أحمد والنَّسائىّ عن جابر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إن العَشْر عشر الأَضحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر » . قال ابن كثير : رجاله لابأْس بهم . وفى رفعه نكارة .

وأخرج ابن جرير عن جابر مرفوعا : « الشفع اليومان . والوتر اليوم الثالث .

وأخرج أحمد والترمذىّ عن عمران بن حُصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوَتر . فقال : « الصلاة بعضها شَفع وبعضها وَتْر » .

• • •

(١) الأعلى ١٤ ، ١٥. (٢) الأعلى ١٨

البلد

أخرج أحمد عن البراء . قال : جاء أعرابىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : علِّمنى عملا يُدْخلنى الجنة قال : عتق النسمة ، وفك الرقبة ، قال : أو ليستا بواحدة ؟ قال : لا ، إن عتق النَّسمة أن تُفْرَدَ بعتقِها ، وفك الرقبة أن تُعين فى عِتْقها .

* * *

الشمس

أخرج ابن أبى حاتم من طريق جُوَيْبر ، عن الضحاك عن ابن عباس . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قول الله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾(١) : أفلحت نفس زكاها الله تعالى .

* * *

ألم نشرح

أخرج أبو يعلَى وابن حِبّان فى صحيحه عن أبى سعيد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى جبريل فقال : إن ربك يقول : أتدرى كيف رَفَعْتُ ذكرك ؟ قلت : الله أعلم . قال : إذا ذُكرتُ ذُكرت معى » .

* * *

الزلزلة

أخرج أحمد عن أبى هريرة . قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ تحدّثُ أخبارها ﴾(٢) . قال : أتدرون ، ما « أخبارها » ؟

(١) الشمس ٩ (٢) الزلزلة ٤

قالوا : الله ورسوله أعلم ؛ قال : أن تشهد على كلِّ عبد أو أَمَة بما عمِل على ظهرها ؛ أن تقول : عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا .

• • •

العاديات

أخرج ابن أبى حاتم بسند ضعيف ؛ عن أبى أمامه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ [1] قال : « الكنود الذى يأْكل وحدَه ، ويضرب عبده ، ويمنع رِفْدَه » .

• • •

ألهاكم

أخرج ابن أبى حاتم عن زيد بن أسلم مرسلا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألهاكم التكاثر عن الطاعة ؛ حتى زرتم المقابر ، حتى يأْتيكم الموت » .

أخرج أحمد عن جابر بن عبد الله قال : أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذى تُسْأَلون عنه » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ﴿ ثُمَّ لتسألُنَّ يومئذٍ عن النعيم ﴾ [2] قال : « الأمن والصحّة » .

• • •

(١) العاديات ٦ (٢) الهاكم ٨

الهُمزة

أخرج ابن مردويه . عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ﴾ (١) قال : مطبقة .

• • •

أرأيت [الماعون]

أخرج ابن جرير وأبو يعلى عن سعد بن أبي وقاص قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٢) ، قال : « هم الذين يؤخّرون الصلاة عن وقتها » .

• • •

الكوثر

أخرج أحمد ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر أعطانيه ربّي فى الجنة » له طرق لا تحصى .

• • •

النصر

أخرج أحمد عن ابن عباس قال : لما نزلت « إذا جاء نصرُ الله والفتح » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسِي » .

• • •

(١) الهمزة ٨ (٢) الماعون ٥

الصمد [الإخلاص]

أخرج ابن جرير عن بُريدة لا أعلمه إلا رفعه ، قال : « الصَّمَد الذى لاجوف له » .

• • •

الفلق

أخرج ابن جرير عن أبي هريرة ، عن النبى صلى الله عليه سلم قال : « الفلق جُبٌّ فى جهنم مغطًى » ، قال ابنُ كثير : غريب لا يصحّ رفعه .

وأخرج أحمد والترمذىّ ، وصححه النسائىّ عن عائشة ، قالت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدِى ، فأَرانى القمر حين طلع ، وقال : « تعوَّذى بالله من شرّ هذا ، هذا الغاسق إذا وقَب » .

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمِن شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَب﴾ ، قال : النجم الغاسق ، قال ابنُ كثير : لا يصحّ رفعه .

• • •

الناس

أخرج أبو يعلَى عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان واضع خُرطومه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس أي سكن ، وإن نسى التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخنّاس » .

• • •

فهذا ما حضرنى من التفاسير المرفوعة المصرّح برفعها ؛ صحيحها وحسنها ، ضعيفها ومرسلها ومعضِلها ، ولم أعوّل على الموضوعات والأَباطيل .

قد ورد من المرفوع فى التفسير ثلاثة أحاديث طوال تركتها :

أحدها الحديث فى قصّة موسى مع الخضر ، وفيه تفسير آيات الكهف وهو فى صحيح البخارىّ وغيره .

الثانى حديث الفُتون ، طويل جدا فى نصف كُرّاس ، يتضمّن شرح قصة موسى ، وتفسير آياتٍ كثيرة تتعلّق به ، وقد أخرجه النّسائىّ وغيره ؛ لكن نبّه الحفاظ ؛ منهم المِزّىّ وابن كثير ، على أنه موقوف من كلام ابن عباس ، وأنّ المرفوع منه قليل ، صرّح بعزوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابنُ كثير : وكأنّ ابن عباس تلقّاه من الإسرائيليات .

الثالث : حديث الصور ، وهو أطول من حديث الفتون ، يتضمّن شرح حال القيامة ، وتفسير آيات كثيرة من سُوَرٍ شتّى فى ذلك ، وقد أخرجه ابن جرير والبيهقىّ فى البعث ، وأبو يعلَى ، ومداره على إسماعيل بن رافع قاضى المدينة وقد تكلّم فيه بسببه . وفى بعض سياقه نَكَارة وقيل إنه جمعه من طرق أو أماكن متفرقة ، وساقه سياقًا واحدًا

وقد صرّح ابن تيمية فيما تقدّم وغيره بأنّ النبى صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه تفسيرَ جميعَ القرآن أو غالبه ، ويؤيدهذا ما أخرجه أحمد وابن ماجة عن عمر أنه قال : مِنْ آخر ما نزل آية الرِّبَا ، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِض قبل أن يفسِّرَها . دلّ فحوى الكلام على أنه كان يفسِّر لهم كلّ مانزل ، وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها ، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه

وأمّا ما أخرجه البزّار عن عائشة ، قالت : «ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسِّر شيئًا من القرآن إلا آيا بعد علمه إياهنّ من جبريل» ؛ فهو

حديث منكر كما قاله ابن كثير ، وأوّله ابن جرير وغيره على أنها إشارات إلى آيات مشكلات أشكلنَ عليه . فسأل الله علمهنَّ ، فأنزله إليه على لسان جبريل .

• • •

وقد منَّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال ، المنيع المنال ، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل ، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع فى كتاب قبله فى العصور الخوّال . أسّستُ فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل ، وبيّنتُ فيه مصاعد يُرتقى فيها للإشراف على مقاصده ويتُوصَّل ؛ وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كلَّ باب مقفَل . فيه لباب العقول ، وعباب المنقول ، وصواب كلِّ قول مقبول : محّضتُ فيه كتب العلم على تنوّعها ، وأخذت زُبَدها ودرّها . ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددِها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودرَرها ؛ وبقرت عن معادن كنوز فخلَّصت سبائكها . وسبكت فقَرها ، فلهذا تحصَّل فيه من البدائع ما تُبَتُّ عنده الأعناق بتا ؛ وتجمّع فى كل نوع منه ما تفرّق فى مؤلفات شتى ، على أنى لا أبيعه بشرط البراءة من كلِّ عيب ، ولا أدّعى أنه جمع سلامة ؛ كيف والبَشر محلّ النقص بلا ريب ؛ هذا وإنّى فى زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد ، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدمّ من الجسد .

وإذا أرادَ الله نشر فضيلةٍ طُوِيت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرْف العود

قوم غلب عليهم الجهل وطمهم . وأعماهم حب الرياسة وأصمّهم ؛ قد نكبوا

عن علم الشريعة ونبسوه ، وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه ؛ يريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيراً ، ويبغى العزّ ولا علم عنده فلا يجد له وليا ولا نصيراً .

أتمشى القوافى تحت غير لوائنا ونحنُ على أقوالها أمراء !

ومع ذلك فلا ترى إلا أنوفا مشمرة ، وقلوباً عن الحق مستكبرة ، وأقوالا تصدر عنهم مزورة ، كلّما هديتَهم إلى الحق كان أصمّ وأعمى لهم ، كأنّ الله لم يوكلْ بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأعمالهم ، فالعالم بينهم مرجوم يتلاعب به الجهال والصبيان ، والكامل عندهم مذموم داخل فى كفة النقصان .

وأيم الله إن هذا لهو الزمان الذى يلزم فيه السكوت والمصير حِلسًا من أحلاس البيوت . ورد العلم إلى العمل لولا ماورد فى صحيح الأخبار ، « مَنْ علم علمًا فكتمه ألجمه الله بلجام من نار » ؛ ولله در القائل :

ادأب على جَمْع الفضائل جاهدًا وأدِمْ لها تعب القَريحة والجسدْ
واقصد بها وجهَ الإله ونفع مَنْ بلغته ممن جدّ فيها واجْتَهدْ
واترك كلام الحاسدين وبغْيَهُمْ هَمَلاً فبعدالموت ينقطع الحسد

وأنا أضرع إلى الله جل جلاله . وعز سلطانه . كما مَنّ باتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله . وأن يجعلنا من السابقين الأولين من أتباع رسوله . وألّا يخيِّب أملَنا فهو الجواد الذى لايخيب مَنْ أمّله . ولا يُخذَل من انقطع عمّن سواه وأمّ له .

• • •

تم الكتاب بحمدالله وعونه وحسن توفيقه وصلواته على أشرف خلقه وتاج رسله محمد وعلي آله وصحبه وسلامه والحمد لله وحده .

فهرس الموضوعات

صفحة

النوع السابع والستون فى أقسام القرآن

• • •

النوع الثامن والستون فى جدل القرآن

• • •

النوع التاسع والستون فيما وقع فى القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

* * *

النوع السبعون فى المبهمات

* * *

النوع الحادى والسبعون فى أسماء من نزل فيهم القرآن

* * *

النوع الثانى والسبعون فى فضائل القرآن

* * *

صفحة

صفحة

فهرس المصنفات

التي نقل عنها المؤلف *

(*) أوردت فى هذا الفهرس المصنفات التى صرح المؤلف بالنقل عنها ، والتى ترجح عندى أنه رجع إليها

(ت)

(ن)

فهرس الأعلام المترجمين(٥)

(ء)

(ب)

(٥) هم أصحاب الكتب التى نقل عنها المؤلف .

مراجع التحقيق

إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للدمياطى ، مطبعة عبد الحميد حنفى ١٢٧٨ هـ

أحكام القرآن لابن عربى ، عيسى الحلبى ١٩٥٧ م

أخبار أصفهان لأبى نعيم ، لندن ١٩٣١ م

أسباب النزول لجلال الدين السيوطى ، وهو المسمى لباب النقول ، مطبعة عبد الحميد حنفى

أسباب النزول للواحدى ، مطبعة هندية ١٣١٥ هـ

إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ، دار المعارف بمصر ١٩٥٤ م

الأعلام لخير الدين الزركلى ، مطبعة كوستا ١٩٥٤ م

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، مطبعة دار الكتب

إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى ، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢١ هـ

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ، مطبعة دار الكتب ١٩٥١ م

البحر المحيط لأبى حيان ، مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ

البدر الطالع فى أعيان القرن السابع للشوكانى ، مطبعة السعادة ١٣٤٨ هـ

بديع القرآن لابن أبى الإصبع ، نهضة مصر ١٩٥٧ م

البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٧ م

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ، مطبعة عيسى الحلبى ١٩٦٧ م

بيان إعجاز القرآن للخطابى ، دار المعارف بمصر (من مجموعة ذخائر العرب)

البيان والتبيين للجاحظ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٢٦٩ هـ

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، القاهرة ١٣٤٩ هـ

تذكرة الحفاظ للذهبي . حيدر آباد ١٣٣٣ هـ

التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلى — نشرة الشيخ محمود ربيع سنة ١٩٣٨ م .

تفسير أبي حيان = البحر المحيط

تفسير الطبرى ، دار المعارف بمصر

تفسير القرطبي ، طبع دار الكتب المصرية

تفسير ابن كثير . مطبعة عيسى الحلبي

تقريب النشر لشمس الدين الجزرى ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٦١ م .

التكملة لابن أبار ، طبعة عزت العطار ١٩٥٥ م .

تهذيب الأسماء والصفات للنووى . طبعة الشيخ منير بمصر

التيسير للدانى ، استانبول ١٩٣٠ م

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطى . مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧٣ هـ

الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، لعبد القادر بن محمد القرشى ، حيدر آباد ١٣٣٢ هـ

حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة لجلال الدين السيوطى ، المطبعة الشرقية ١٣٢٧ هـ

ابن خلكان ، المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر . حيدر آباد ١٣٥٠ هـ

ديوان الأعشى . المطبعة النموذجية بمصر

ديوان امرىء القيس ، دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م

ديوان أمية بن أبى الصلت ، طبعة بيروت

ديوان أوس بن حجر ، بيروت سنة ١٩٦٠ م

ديوان البحترى ، هندية ١٩١١ م

ديوان بشر بن أبى خازم ، دمشق ١٩٦٠ م

ديوان حسان بن ثابت ، الرحمانية ١٣٤٧ هـ
ديوان الحطيئة ، التقدم بالقاهرة
ديوان زهير بن أبى سلمى ، طبع دار الكتب ١٣٦٣ هـ
ديوان أبي طالب ، وهو المسمى غاية المطالب ، طنطا ١٩٥١ م
ديوان طرفة ، الأنجلو بالقاهرة ١٩٥٨ م
ديوان عبيد بن الأبرص ، مصطفى الحلبى ١٩٥٧ م
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، مطبعة السعادة ١٩٦٠ م
ديوان لبيد ، الكويت ١٩٦٢ م
ديوان النابغة الذبيانى ، المطبعة الوهبية ، ١٢٩٣ هـ
ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ
الديباج المذهب فى أعيان المذهب لابن فرحون ، ١٣٥١ هـ
سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر للمحبي
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ، القدسى ١٣٥١هـ
شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادى ، مطبعة حجازى بالقاهرة
شرح المعلقات للتبريزى ، السلفية ١٣٤٣ هـ
صحيح مسلم ،مطبعة عيسى الحلبى ١٣٧٤ هـ
طبقات الشافعية لابن السبكى ، المطبعة الحسينية
طبقات الشعراء لابن سلام ، دار المعارف بمصر
طبقات القراء لابن الجزرى ، مطبعة السعادة ١٣٥٢ هـ
العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهلين ، طبع ليدن
غاية المطالب = ديوان أبي طالب
غاية النهاية = طبقات القراء
الفوائد البهية فى طبقات الحنفية ، مطبعة السعادة ١٣٢٤ هـ

فقه اللغة لأحمد بن فارس ، المكتبة السلفية ١٣٢٨ هـ
القاموس للفيروز آبادى ، المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ
قضاة الأندلس ، دار الكاتب المصرى ١٩٤٨ م
الكتاب لسيبويه ، بولاق ١٣١٦ هـ
الكشاف للزمخشرى ، مطبعة الاستقامة ١٣٧٣ هـ
كشف الظنون لحاجى خليفة ، إستانبول ١٣٦٠ هـ
لباب النقول = أسباب النزول
لسان العرب لابن منظور ، بولاق ١٣٠٠ هـ
لسان الميزان لابن حجر ، حيدر آباد ١٣٢٩ هـ
مرآة الجنان لليافعى ، حيدر آباد سنة ١٣٣٧ هـ
المستوفى للفرغانى — مخطوطة دار الكتب ١٧٦١ نحو
لمعرب للجواليقى ، مطبعة دار الكتب ١٣٦١ هـ
المغنى لابن هشام، مطبعة السعادة
مفردات الراغب الأصبهانى . مصطفى الحلبى ١٩٦١ م
مقامات الحريرى بشرح الشريشى ، بولاق ١٣٠٠ هـ
مقدمتان للتفسير : مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤ م
المقنع للدانى ، إستانبول سنة ١٩٣٢ م
النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، طبعة دار الكتب
النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى . نشرة المكتبة التجارية
نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى : القاهرة ١٩١٠ م
النهاية لابن الأثير : مطبعة عيسى الحلبى .
وفيات الأعيان = ابن خلكان
الينبوع فى التفسير لأبى عبد الله بن ظفر الصقلى مخطوطة دار الكتب ٣١ — تفسير